THE BOOK WAS DRENCHED

كتاب



تأليف

(الامام الفقيه ابى محمد عبد الله بن مسلم)
(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

طبعت على نفقة

منصور عبد المتعال

(صاحب المكتبه المصريه بشارع محمد على)
(وسوق عكاظ بشارع الحلوجى بجهة الازهر)

﴿ طبع بمطبعة الأمه بدرب شغلان جهة الدرب الاحمر بمصر سنة ١٣٢٨ هـ ﴾

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي صاحب
كتاب المعارف وأدب الكاتب . كان فاضلا ثقة سكن بغداد وحدث
عن اسحاق بن راهويه وأبي اسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي وأبي حاتم
السجستاني وتلك الطبقة . وروى عنه ابنه أحمد وابن درستويه وتصانيفه كلها
مفيدة منها ما تقدم ذكره ومنها غريب القرآن الكريم وغريب الحديث وعيون
الأخبار ومشكل الحديث وطبقات الشعرا وكتاب التنفيه وكتاب الخيل
وكتاب أعراب القرآن وكتاب الانواء وكتاب المسائل والجوابات وكتاب
الميسر والقداح وغير ذلك .وقيل ان اباه مروزي واما هو فولده ببغداد وقيل
بالكوفة واقام بالدينور مدة قاضيا فنسب اليها وكانت ولادته سنه ثلاث
عشرة ومائتين وتوفى فى ذى القعدة سنة سبعين وقيل فى رجب سنة
ست وسبعين ومائتين وكانت وفاته فجأة صاح صيحة سمعت من بعد
ثم أغمى عليه ومات رحمه الله .

وقتيبة هي تصغير قتبة وهي واحدة الاقتاب والاقتاب الأمعاء وبها
سمى الرجل . والدينوري نسبة الى دينور وهى بلدة من بلاد الجبل عند
قرميسين خرج منها خلق كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى ﴾

نفتتح كلامنا بحمد الله تعالى وتقدس ربنا بذكره والثناء عليه لا اله الا هو لا شريك له الذى اتخذ الحمد لنفسه ذكراً. ورضى به من عباده شكراً وصلى الله على سيدنا محمد الذى أرسله بالهدى . وختم به رسل الله السعداء صلاة زاكية وسلم تسليما كثيراً أبدا

﴿ فضل أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ﴾

حدثنا ابن أبى مريم قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا وكيع عن يونس بن أبى اسحاق عن الشعبي عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال عليه السلام : هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين عليهم السلام ولا تخبرهما يا على . حدثنا يحيي ابن عبد الحميد الحمامى رضى الله عنه حدثنا أحمد بن حواش الحنفى قال حدثنا ابن المبارك عن عمر بن سعيد عن أبى مليكة قال سمعت ابن عباس رضى الله عنه يقول : وضع عمر رضى الله عنه على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع فلم يرعنى إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائى فالتفت فاذا على بن أبى طالب كرم الله وجهه يترحم على عمر رضى الله عنه وقال : والله ماخلفت أحداً أحب الى أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك ياعمر وأيم الله ان كنت لارجو أن يجعلك الله مع صاحبيك وذاك إنى كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وكنت أنا وأبو بكر وعمر وإنى كنت لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما . وأخبرنا ابن أبى شيبة قال حدثنا يزيد بن الحباب عن موسى بن عبيد قال أخبرنى أبو معاذ وأبو

الخطاب عن على رضى الله عنه قال بينما أنا جالس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ياعلى هذان سيدا كهول أهل الجنة إلا ما كان من الانبياء عليهم السلام ولا تخبرهما . حدثنا الوليد ابن مسلم عن عبد الله بن عبد الله العجلى عن القاسم بن أبى عبدالرحمن رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد هممت أن أبعث الى الامم رجالا يدعونهم الى الاسلام ويرغبونهم فى الدين فابعث ابن أبى كعب وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل كما فعل عيسى بن مريم عليهما السلام فقالوا يارسول الله أفلا تبعث أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم : هما لابدلى منهما همـا منى بمنزلة السمع والبصر . وحدثنا قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا محمد بن الزبير قال أرسلنى عمر بن عبدالعزيز الى الحسن البصرى رحمهما الله تعالى أسأله إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر رضى الله عنه . فأتيته فاستوى جالساً وقال : أى والذى لا إله إلا هو أستخلفه وهو كان أعلم بالله تعالى وأتقى لله تعالى من أن يتوثب عليهم لو لم يأمره

﴿ استخلاف رسول الله أبا بكر رضى الله عنه ﴾

عن ابن أبى مريم قال حدثنـا الفريابى عن ابى عون بن عمرو بن تيم الانصـارى رضى الله عنه وحدثنـا سعيد بن كثير عن عفير بن عبدالله بن عبد الرحمن قال حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والانصار وبعضهم يزيد على بعض فى الـكلام فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى مرضه الذى قبض فيه متوكئاً على الفضل بن العباس رضى الله عنهما وغلام يقال له ثوبان رضى الله عنه ثم رجع صلى الله عليه وسلم فدخل منزله وقال لغلامه اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الانصار رضى الله عنهم فاحدقوا بالباب وقالوا للغلام ائذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عنده نساؤه رضى الله تعالى عنهن فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم فقال من هؤلاء فقيل له الانصار رضى الله عنهم يبكون فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئاً يعلى

على والعباس رضى الله عنهما فدخل المسجد واجتمع الناس اليه فقال صلى الله عليه وسلم انه لم يمت نبي قط إلا خلف وراءه تركة وأن تركتي فيكم الانصار رضى الله عنهم وهم كرشي التي آوى اليها. أوصيكم بتقوى الله تعالى والاحسان اليهم فقد علمتم أنهم شاطروكم وواسوكم فى العسر واليسر ونصروكم فى النشط والكسل فاعرفوا لهم حقهم واقبلوا من محسنهم وتجاوز وا عن مسيئهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله وهو معصوب الرأس شديد الوجع فلما كانت الصلاة أتى بلال المؤذن رضى الله عنه يدعو الى الصلاة ففتح صلى الله عليه وسلم عينه وقال للنساء : أدعن لى حبيبي فعرفت عائشة رضى الله عنها أنه يريد أبا بكر فقالت ارسل الى عمر فان أبا بكر رجل رقيق و إن قام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم افتضح من البكاء وعمر أقوى منه فأرسلت الى عمر رضى الله عنه فأتى فسلم ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فرد السلام ثم أطرق عنه فعرف عمر أنه لم يرده فلما خرج أقبل صلى الله عليه وسلم عليهن وقال : أدعن لى حبيبي فقالت عائشة رضى الله عنها : يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق فلو أمرت عمر يصلى بالناس فقال صلى الله عليه وسلم : إنكن صواحبات يوسف عليه السلام أدعن لى حبيبي إنما افعل ماأومر فدعى ابو بكر رضى الله تعالى عنه فلما جاء قال له : إذهب مع المؤذن فصل بالناس فلم يزل ابو بكر رضى الله عنه يصلى بالناس حتي كان اليوم الذى مات فيه رسول الله وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فأتمروا فقال قائل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يصلى فى مقامه فقال ابو بكر رضى الله عنه : معاذ الله ان نجعله وثناً نعبده . وقال قائل ندفنه صلى الله عليه وسلم فى البقيع حيث دفن اخوانه من المهاجرين والانصار فقال ابو بكر انا نكره ان نخرج قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين اظهرنا الى البقيع قالوا فما ترى ياابا بكر قال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول : ماقبض نبي قط إلا دفن جسده حيث قبض روحه . قالوا فانت والله رضى ومقنع وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قد لقى علياً كرم الله وجهه فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم يقبض فاسأله إن كان الامر لنا بينه و إن

كان لغيرنا اوصى بنا خيراً فلمـا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه ابسط يدك ابايعك فيقال عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم و يبايعك اهل بيتك فان هذا الامر اذا كان لم يقل (*) فقال له على كرم الله وجهه ومن يطلب هذا الامر غيرنا وقد كان العباس رضى الله عنـه لقى ابا بكر فقال هل اوصاك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ قال لا ولقى العباس ايضاً عمر فقال له مثل ذلك فقال عمر : لا فقال العباس لعلى رضى الله عنـه : ابسط يدك ابايعك و يبايعك اهل بيتك

﴿ ذكر السقيفة وما جرى فيها من القول ﴾

وحدثنا قال حدثنـا ابن عفير عن ابى عون عن عبدالله بن عبد الرحمن الانصارى رضى الله عنه ان النبي عليه السلام لما قبض اجتمعت الانصار رضى الله عنهم الى سعد بن عبادة فقالوا له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض فقال سعد لابنه قيس رضى الله عنهما إنى لااستطيع ان اسمع الناس كلاما لمرضى ولكن تلق منى قولى فأسمعهم . فكان سعد يتكلم و يحفظ ابنه رضى الله عنهما قوله فيرفع صوته لكى يسمع قومه . فكان مما قال رضى الله عنه بعد ان حمد الله تعالى واثنى عليه : يامعشر الانصار ان لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبـادة الرحمن وخلع الاوثان فمـا آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفوا دينه ولا يدفعوا عن انفسهم حتي اراد الله تعالى لكم الفضيلة وساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم والمنع له ولاصحابه والاعزاز لدينه والجهاد لاعدائه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله على عدوكم من غيركم حتي

(*) من الاقالة لا من القول اه مصححه

استقاموا لامر الله تعالى طوعا وكرهاً واعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً حتى أثخن الله تعالى لنبيه لكم الارض ودانت بأسيافكم له العرب توفاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين فشدوا أيديكم بهذا الامر فانكم أحق الناس وأولاهم به فأجابوه جميعاً ان قد وفقت فى الرأى وأصبت فى القول وكنى بعد ذلك مارأيت بتوليتك هـذا الامر فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضى . قال فاتى الخبر الى ابى بكر رضى الله عنه ففزع أشد الفزع وقام ومعه عمر رضى الله عنهما فخرجا مسرعين الى سـقيفة بنى ساعدة فلقيا أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فانطلقوا رضى الله عنهم جميعاً حتى دخلوا سقيفة بنى سـعدة وفيها رجال من الاشراف معهم سعد بن عبادة رضى الله عنه فاراد عمر رضى الله عنه أن يبدأ بالـكلام وقال : خشيت أن يقصر أبو بكر رضى الله عنه عن بعض الـكلام فلما تيسر عمر للـكلام تجهز أبو بكر رضى الله عنه وقال له على رسلك فستكفى الـكلام فتشهد ابو بكر رضى الله عنه وانتصب له الناس فقال : ان الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق فدعا الى الاسلام فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى مادعا اليه فكنا معشر المهاجرين أول الناس اسلاما والناس لنا فيه تبع ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع ذلك أوسط العرب انسابا ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة وأنتم أيضاً والله الذين آووا ونصروا وأنتم وزراؤنا فى الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم اخواننا فى كتاب الله تعالى وشركاؤنا فى دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء والله ما كنا فى خير قط إلا كنتم معنا فيه فانتم أحب الناس الينا وأكرمهم علينا . وأحق الناس بالرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لامر الله عز وجل لمـا ساق لـكم ولاخوانكم المهاجرين رضى الله عنهم وأحق الناس فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة والله مازلتم تؤثرون اخوانكم من المهاجرين وانتم أحق الناس أن لا يكون هذا الامر واختلافه على أيديكم وابعد أن لا تحسدوا اخوانكم على خير ساقه الله تعالى اليهم وانما أدعوكم الى ابى عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لـكم ولهذا الامر وكلاهما له أهل . فقال عمر وأبو عبيدة رضى الله

عنهما ماينبغي لاحد من الناس أن يكون فوقك ياأبا بكر أنت صاحب الغار ثانى اثنين وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فأنت أحق الناس بهذا الامر فقال الانصار والله مانحسدكم على خير ساقه الله اليكم وانا لكما وصفت ياأبا بكر والحمد لله ولا أحد من خلق الله أحب الينا منكم ولاأرضى عندنا ولا أمن ولكننا نشفق مما بعد اليوم ونحذر أن يغلب على هذا الامر من ليس مناولا منكم فلوجعلتم اليوم رجلامناورجلامنكم بايعنا ورضينا على انه اذاهلك اخترنا آخرمن الانصار فاذاهلك اخترنا آخرمن المهاجرين أبداً ما بقيت هذه الامة كان ذلك أجدر أن يعدل فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يكون بعضنا يتبع بعضاً فيشفق القرشي أن يزيغ فينقض عليه الانصارى ويشفق الانصارى ان يزيغ فينقض عليه القرشي فقام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا الى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم اذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون أنها لهم شافعة وعليهم بالغة نافعة. وانما كانت حجارة منحوتة وخشباً منجورة فاقرؤا إن شئتم «انكم وما تعبدون من دون الله. ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. وقالوا وما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى» فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين الاولين رضى الله عنهم بتصديقه والايمان به والمواساة والصبر معه على الشدة من قومهم واذلالهم وتكذيبهم اياهم وكل الناس مخالف عليهم زار لهم فلم يستوحشوا قلة عددهم وازراء الناس لهم واجتماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله فى الارض. واول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم اولياؤه وعشيرته واحق الناس بالامر من بعده لاينازعهم فيه إلا ظالم وانتم يامعشر الانصار من لاينكر فضلهم ولا النعمة العظيمة لهم فى الاسلام. رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ولرسوله وجعل اليكم مهاجرته فليس بعد المهاجرين الاولين أحد عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وانتم الوزراء لاتفتات دونكم بمشورة ولا تنقضى دونكم الامور فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام رضى الله عنه فقال: يامعشر الانصار املكوا على أيديكم فانما الناس فى فيئكم وظلالكم

ولن يجير مجير على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم . أنتم أهل العز والثروة وأولوا العدد والنجدة وانما ينظر الناس ماتصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم و تقطعوا أموركم أنتم أهل الايواء واليكم كانت الهجرة ولكم فى السابقين الاولين مثل مالهم وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم والله ماعبدوا الله علانية إلا فى بلادكم ولا جمعت الصلاة إلا فى مساجدكم ولا دانت العرب للاسلام الا بأسيافكم فانتم اعظم الناس نصيباً فى هذا الامر وان أبى القوم فنا أمير ومنهم أمير . فقام عمر رضي الله عنه فقال : هيهات لايجمع سيفان فى غمد واحد انه والله لاترضى العرب أن نؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لاينبغى أن تولى هذا الامر إلا من كانت النبوة فيهم وأولى الامر منهم . لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته الامدل بباطل أومتجانف لاثم أو متورط فى هلكة . فقام الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقال : يامعشر الانصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم ماسألتم فاجلوهم عن بلادكم وولوا عليكم وعليهم من أردتم فأنتم والله أولى بهذا الامر منهم فانه دان لهذا الامر من لم يكن يدين له بأسيافنا(*) أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد على أحد ماأقول إلا حطمت أنفه بالسيف قال عمر بن الخطاب : فلما كان الحباب هو الذى يجيبنى لم يكن لى معه كلام لانه كان بينى و بينه منازعة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهانى عنه فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوءه أبداً . ثم قام أبو عبيدة فقال : يامعشر الانصار أنتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل و يغير .

(مخالفة قيس بن سعد)

قال وان قيساً لما رأى مااتفق عليه قومه من تامير سعد بن عبادة قام

(*) فى رواية اناجذيلها المحكك وعذيقها المرجب اما والله الخ .

والجذيل مصغر جذل عود ينصب للجربى لتحتك به وعذيق مصغر عذق قنو النخلة والمرجب المعظم

حسداً لسعد وكان قيس من سادات الخزرج فقال : يامعشر الانصار أما والله لئن كنا أولى الفضيلة فى جهاد المشركين والسابقة فى الدين ما أردنا ان شاء الله غير رضا ربنا وطاعة نبينا والكرم لانفسنا وما ينبغى ان نستطيل بذلك على الناس ولا نبتغى به غرضاً من الدنيا فان الله تعالى ولى النعمة والمنة علينا بذلك ثم ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه . وأيم الله لايرانى أنازعهم هذا الامر أبداً فاتقوا الله ولاتخالفوهم ولاتخادعوهم .

بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قال ثم ان أبا بكر قام على الانصار فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال انى ناصح لكم فى أحد هذين الرجلين أبى عبيدة بن الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم منهما . فقال عمر : معاذ الله ان يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقنا بهذا الامر وأقدمنا صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل منا فى المال وأنت أفضل المهاجرين وثانى اثنين وخليفته على الصلاة والصلاة أفضل دين الاسلام فمن ذا ينبغى أن يتقدمك ويتولى هذا الامر عليك ابسط يدك أبايعك فلما ذهبا يبايعانه سبقهما اليه قيس الانصارى فبايعه فناداه الحباب بن المنذر : ياقيس بن سعد عاقك عائق مااضطرك الى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك على الامارة : قال لا والله ولكنى كرهت ان أنازع قوماً حقاً لهم فلما رأت الاوس ما صنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج وما دعوا اليه المهاجرين من قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم اسيد ابن حضير رضى الله عنه لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة لازالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيبا فيها أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر رضى الله عنه فقاموا اليه فبايعوه فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فأخذه فبادروا اليه فأخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتى فرغوا من البيعة فقال : فعلتموها يامعشر الانصار أما والله لكانى بابنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء . قال أبو بكر : أمنا تخاف

ياحباب قال ليس منك أخاف ولكن ممن يجيء بعدك ، قال أبو بكر : فاذا كان ذلك كذلك فالامر اليك والى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة . قال الحباب : هيهات ياأبا بكر اذا ذهبتَ أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم.

﴿ تخلف سعد بن عبادة رضي الله عنه عن البيعة ﴾

فقال سعد بن عبادة أما والله لو أن لى ما أقدر به على النهوض لسمعتم منى فى أقطارها زئيراً يخرجك أنت وأصحابك ولا لحقتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع خاملا غير عزيز فبايعه الناس جميعا حتى كادوا يطأون سعداً فقال سعد : قتلتمونى فقيل اقتلوه قتله الله فقال سعد : احملونى من هذا المكان فحملوه فأدخلوه داره وترك أياما. ثم بعث اليه أبو بكر رضى الله عنه أن اقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال : أما والله حتى أرميكم بكل سهم فى كنانتي من نبل وأخضب منكم سنانى ورمحى وأضربكم بسيفى ماملكته يدى وأقاتلكم بمن معى من أهلى وعشيرتى ولا والله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس مابايعتكم حتي أعرض على ربى وأعلم حسابى . فلما أتى بذلك ابو بكر من قوله قال عمر : لاتدعه حتي يبايعك . فقال لهم قيس بن سعد انه قد أبى ولج وليس يبايعك حتي يقتل وليس بمقتول حتي يقتل معه ولده وأهل بيته وعشيرته ولن تقتلوهم حتي تقتل الخزرج ولن تقتل الخزرج حتي تقتل الاوس فلا تفسدوا على أنفسكم أمراً قد استقام لكم فاتركوه فليس تركه بضارّكم وانما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه . فكان سعد لا يصلى بصلاتهم ولا يجمع بجمعتهم ولا يفيض بافاضتهم ولو يجد عليهم أعواناً لصال بهم ولو يبايعه أحد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتي توفى أبو بكر رحمه الله تعالى وولى عمر ابن الخطاب فخرج الى الشام فمات بها ولم يبايع لاحد رحمه الله : وان بنى هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى على بن أبى طالب ومعهم الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب وانما كان يعد نفسه من بنى هاشم وكان على كرم الله وجهه يقول ما زال الزبير منا حتي نشأ بنوه فصرفوه عنا واجتمعت بنو أمية الى عثمان واجتمعت بنو زهرة الى سعد

وعبد الرحمن بن عوف فكانوا فى المسجد الشريف مجتمعين . فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الناس أبا بكر قال لهم عمر : مالى أراكم مجتمعين حلقا شتى قوموا فبايعوا ابا بكر فقد بايعته وبايعه الانصار فقام عثمان ابن عفان ومن معه من بنى أمية فبايعوه وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بنى زهرة فبايعوا . وأما على والعباس بن عبد المطلب ومن معهما من بنى هاشم فانصرفوا الى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب اليهم عمر فى عصابه فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أشيم فقالوا انطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا فخرج الزبير بن العوام رضى الله عنه بالسيف فقال عمر رضى الله عنه : عليكم بالرجل فخذوه فوثب عليه سلمة بن أشيم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم أيضاً فبايعوا

اباية على كرم الله وجهه بيعة أبى بكر رضى الله عنهما

ثم ان علياً كرم الله وجهه أتى به الى أبى بكر وهو يقول أنا عبد الله أخو رسول الله فقيل له بايع أبا بكر فقال أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى أخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبى صلى الله عليه وسلم وتأخذوه منا أهل البيت غصباً ألستم زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الامر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة فاذاً أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فانصفونا ان كنتم تؤمنون والا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون فقال له عمر : انك لست متروكا حتى تبايع فقال له على أحلب حلباً لك شطره وشد له اليوم يردده عليك غداً ثم قال : والله ياعمر لا أقبل قولك ولا أبايعه فقال له أبو بكر فان لم تبايع فلا أكرهك فقال أبو عبيدة بن الجراح كرم الله وجهه يا ابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ولا ارى ابا بكر الا اقوى على هذا الامر منك واشد احتمالا واستطلاعاً فسلم لابى بكر هذا الامر فانك ان تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الامر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك . فقال على كرم الله وجهه : الله الله يامعشر المهاجرين لاتخرجوا

سلطان محمد فى العرب من داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم وتدفعون اهله عن مقامه فى الناس وحقه فوالله يامعشر المهاجرين لنحن احق الناس به لانا اهل البيت ونحن احق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لامر الرعية الدافع عنهم الامور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً . وقال بشير بن سعد الانصارى . لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك ياعلى قبل بيعتها لابى بكر مااختلفت عليك قال : وخرج على كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة ليلا فى مجالس الانصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون يابنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابى بكر ماعدلنا به فيقول على كرم الله وجهه . افكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم ادفنه واخرج انازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ماصنع ابو الحسن الا ما كان ينبغى له ولقد صنعوا ماالله حسيبهم وطالبهم

﴿ كيف كانت بيعة على بن ابى طالب كرم الله وجهه ﴾

قال وان ابا بكر رضى لله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند على كرم الله وجهه فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم فى دار على فأبوا ان يخرجوا فدعا بالحطب وقال : والذى نفس عمر بيده لتخرجن او لأحرقنها على من فيها فقيل له ياابا حفص ان فيها فاطمة فقال وان . فخرجوا فبايعوا الا عليا فانه زعم انه قال حلفت ان لااخرج ولا اضع ثوبى على عاتقى حتي اجمع القرآن فوقفت فاطمة رضى الله عنها على بابها فقالت : لا عهد لى بقوم حضروا اسوء محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين ايدينا وقطعتم امركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقاً فأتى عمر ابا بكر فقال له: الا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال ابو بكر لقنفذ وهو مولى له : اذهب فادع لى عليا قال فذهب الى على فقال له ماحاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال على : لسريع ما كذبتم على رسول الله فرجع فأبلغ الرسالة قال .

فبكى ابو بكر طويلا فقال عمر الثانية ان لا تمهل هـذا المتخلف عنك بالبيعة فقال ابو بكر رضي الله عنه لقنفذ . عد اليه فقل له امير المؤمنين (*) يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ماامر به فرفع علي صوته فقال سبحان الله لقد ادعى ماليس له فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبكى ابو بكر طويلا . ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى اتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت اصواتهم نادت باعلى صوتها : يا ابت يارسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة فلما سمع القوم صوتها و بكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع واكبادهم تنفطر و بقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليا فمضوا به الى ابي بكر فقالوا له بايع فقال ان انا لم افعل فمه قالوا اذاً والله الذي لا اله الا هو نضرب عنقك قال اذاً تقتلون عبد الله واخا رسوله قال عمر : اما عبد الله فنعم واما اخو رسوله فلا وابو بكر ساكت لا يتكلم فقال له عمر . الا تأمر فيه بأمرك فقال لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه . فلحق علي بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح ويبكي وينادي . يابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فقال عمر لابي بكر رضي الله عنهما . انطلق بنا الى فاطمة فانا قد اغضبناها فانطلقا جميعا فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا عليا فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها الى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم ابو بكر فقال . ياحبيبة رسول الله والله ان قرابة رسول الله احب الي من قرابتي . وانك لأحب الي من عائشة ابنتي ولوددت يوم مات ابوك اني مت ولا ابقى بعده . افتراني اعرفك واعرف فضلك وشرفك وامنعك حقك وميراثك من رسول الله الا اني سمعت اباك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت ارايتكما ان حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلان به قالا نعم فقالت نشدتكما الله الم تسمعا رسول الله يقول . رضا

(*) في متن هذه الرواية اضطرابات كثيرة منها هذا فقد ثبت من غير وجه ان اول من لقب بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فاطمة من رضاى وسخط فاطمة من سخطى فمن احب فاطمة ابنتي فقد
احبنى ومن ارضى فاطمة فقد ارضانى ومن اسخط فاطمة فقد اسخطنى .
قالا . نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت . فانى اشهد الله
وملائكته انكما اسخطتمانى وما ارضيتمانى ولئن لقيت النبي لاشكونكما
اليه . فقال ابو بكر . انا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ثم
انتحب ابو بكر يبكى حتي كادت نفسه ان تزهق وهى تقول . والله لادعون
الله عليك فى كل صلاة اصليها ثم خرج باكياً فاجتمع اليه الناس فقال لهم .
يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسروراً باهله وتركتمونى وما انا فيه
لا حاجة لى فى بيعتكم اقيلونى بيعتي قالوا ياخليفة رسول الله ان هذا الامر
لايستقيم وانت اعلمنا بذلك انه ان كان هذا لم يقم لله دين فقال . والله لولا
ذلك وما اخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولى فى عنق مسلم بيعة
بعد ما سمعت ورايت من فاطمة قال فلم يبايع على كرم الله وجهه حتى ماتت
فاطمة رضى الله عنها ولم تمكث بعد ابيها الا خمساً وسبعين ليلة . قال فلما
توفيت ارسل على الى ابى بكر ان اقبل الينا فاقبل ابو بكر حتي دخل على على
وعنده بنو هاشم فحمد الله واثنى عليه ثم قال . اما بعد يا ابا بكر فانه لم يمنعنا ان
نبايعك انكاراً لفضيلتك ولا نفاسة عليك ولكنا كنا نرى ان لنا فى هذا
الامر حقاً فاستبددت علينا ثم ذكر على قرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يزل يذكر ذلك حتي بكى ابو بكر . فقال ابو بكر رضى الله عنه
لقرابة رسول الله احب الى ان اصل من قرابتي وانى والله لا ادع امراً
رايت رسول الله يصنعه الا صنعته ان شاء الله تعالى فقال على . موعدك
غداً فى المسجد الجامع للبيعة ان شاء الله . ثم خرج فاتى المغيرة بن شعبة
فقال . ارى يا ابا بكر ان تلقوا العباس فتجعلوا له فى هذا الامر نصيباً يكون
له ولعقبه وتكون لكما الحجة على على وبنى هاشم اذا كان العباس معكم قال
فانطلق ابو بكر وعمر وابو عبيدة حتي دخلوا على العباس رضى الله عنه فحمد
الله ابو بكر واثنى عليه ثم قال . ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً
وللمؤمنين ولياً فمن الله تعالى بمقامه بين اظهرنا حتي اختار له الله ما عنده فخلى

على الناس أمرهم ليختاروا لانفسهم فى مصلحتهم متفقين لا مختلفين فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعيا وما اخاف بحمد الله وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقى الا بالله العلى العظيم عليه توكلت واليه انيب وما زال يبلغنى عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين ويتخذونكم لجأ فاحذروا ان تكونوا جهد المنيع فاما دخلتم فيما دخل فيه العامة او دفعتموهم عما مالوا اليه وقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لك فى هذا الامر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك اذ كنت عم رسول الله وان كان الناس قد راوا مكانك ومكان اصحابك فعدلوا الامر عنكم على رسلكم بنى عبد المطلب فان رسول الله منا ومنكم. ثم قال عمر اى والله واخرى انا لم نأتكم لحاجة منا اليك ولكنا كرهنا ان يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لانفسكم ولعامتكم. فتكلم العباس فحمد الله واثنى عليه ثم قال. ان الله بعث محمداً كما زعمت نبيا وللمؤمنين ولياً فمن الله تقدمه بين اظهرنا حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس امرهم ليختاروا لانفسهم مصيبين للحق لا مائلين عنه بزيغ الهوى فان كنت برسول الله طلبت فحقنا اخذت وان كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم وان كان هذا الامر انما يجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنا كارهين فاما مابذلت لنا فان يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه وان يكن حقاً للمؤمنين فليس لك ان تحكم عليهم وان كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض واما قولك ان رسول الله منا ومنكم فانه قد كان من شجرة نحن اغصانها وانتم جيرانها. قال ثم خرج ابو بكر الى المسجد الشريف فأقبل على الناس فعذر علياً بمثل مااعتذر عنده ثم قام على فعظم حق ابى بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى فبايعه فأقبل الناس على على فقالوا اصبت ياابا الحسن واحسنت. قال فلما تمت البيعة لابى بكر اقام ثلاثة ايام يقيل الناس ويستقيلهم يقول قد اقلتكم فى بيعتى هل من كاره هل من مبغض فيقوم على فى اول الناس فيقول والله لا نقيلك ولا نستقيلك ابداً قد قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوحيد ديننا من ذا الذى يؤخرك لتوجيه دنيانا

خطبة ابى بكر الصديق رضى الله عنه

قال ثم ان ابا بكر قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ان الله الجليل الكريم العام الحكيم الرحيم الحليم بعث محمداً بالحق وانتم معشر العرب كما قد علمتم من التفرق والفرقة التى بين قلوبكم ونصركم به وأيدكم ومكن لكم دينكم واورثكم سيرته الراشدة المهدية فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به الفتكم ويقيم به كلمتكم فأعينونى على ذلك بخير ولم اكن لأبسط يداً ولا لساناً على من لم يستحل ذلك ان شاء الله وأيم الله ما حرصت عليها ليلاً ولا نهاراً ولا سألتها الله قط فى سر ولا علانية ولقد تقلدت أمراً عظيما مالى به طاقة ولا يد ولوددت انى وجدت اقوى الناس عليه مكانى فأطيعونى ما أطعت الله . فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ثم بكى وقال اعلموا أيها الناس إنى لم أجعل لهذا المكان أن اكون خيركم ولوددت ان بعضكم كفانيه ولئن اخذتمونى بما كان الله يقيم به رسوله من الوحى ما كان ذلك عندى وما أنا الا كأحدكم فاذا رأيتمونى قد استقمت فاتبعونى وان زغت فقوموني واعلموا ان لى شيطانا يعترينى احيانا فاذا رايتمونى غضبت فاجتنبونى لا أؤثر باشعاركم وابشاركم ثم نزل . ثم دعا عمر والاوجاه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماترون لى من هذا المال فقال عمر انا والله اخبرك مالك منه اما ما كان لك من ولد فدبان عنك ومالك امر دفسهمه كرجل من المسلمين واما ما كان من عيالك وضيفة اهالك فتقوت منه بالمعروف وقوت اهالك فقال ياعمر : انى لاخشى ان لا يحل لى ان اطعم عيالى من فىء المسلمين فقال عمر ياخليفة رسول الله انك قد شغلت بهذا الامر عن ان تكسب لعيالك قال ولما تمت البيعة لابى بكر واستقام له الامر اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فنصب لهم ابو بكر الحرب واراد قتالهم فقالوا نصلى ولا نؤدى الزكاة فقال الناس اقبل منهم ياخليفة رسول الله فان العهد حديث والعرب كثير ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب مع انا قد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فقال ابو بكر هذا من

حتى لا بد من القتال فقال الناس لعمر اخل به فكلمه لعله يرجع عن رايه هذا فيقبل منهم الصلاة و يعفيهم من الزكاة فخلا به عمر فارداً جمع فقال والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه ولو لم اجد احدا اقاتلهم به لقاتلتهم وحدى حتى يحكم الله بيني و بينهم وهو خير الحاكمين وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : امرت ان اقاتل الناس على ثلاث شهادة ان لا اله إلا الله واقام الصلاة و إيتاء الزكاة ثم والله الذى لا اله الا هو لا اقصر دونهن فضرب منهم من ادبر بمن اقبل حتى دخل الناس فى الاسلام طوعا وكرهاً وحمدوا رايه وعرفوا فضله . قال ابو رجاء العطاردى رايت الناس مجتمعين وعمر يقبل راس ابى بكر و يقول انا فداؤك لولا انت لهلكنا فحمد له رايه فى قتال اهل الردة

﴿ مرض ابى بكر واستخلافه عمر رضى الله عنهما ﴾

قال ثم ان ابا بكر عمل سنتين وشهوراً ثم مرض مرضه الذى مات فيه فدخل عليه اناس من اصحاب النبى عليه السلام فيهم عبد الرحمن بن عوف فقال له : كيف اصبحت ياخليفة رسول الله فانى ارجو ان تكون بارئاً قال اترى ذلك قال نعم قال ابو بكر : والله انى لشديد الوجع ولما القى منكم يامعشر المهاجرين اشد على من وجعى إنى وليت امركم ولست خيركم فى نفسى فكلكم ورم انفه (١) ارادة ان يكون هذا الامر له وذلك لما رايتم الدنيا قد اقبلت اما والله لتتخذن نضائد (٢) الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الاذربى كما يألم احدكم النوم على حسك السعدان والله لئن يقدم احدكم فتضرب عنقه فى غير حدث خير له من ان يخوض غمرات الدنيا فقال له عبد الرحمن بن عوف خفض عليك من هذا يرحمك الله فان هذا يهيضك على ما بك وانما الناس رجلان رجل رضى ما صنعت فرايه كرايك و رجل كره ما صنعت فأشار عليك برايه ما رايناه من صاحبك الذى وليت الا خيراً وما زلت صالحاً مصلحاً ولا اراك تأسى على شئ من الدنيا فاتك قال اجل والله ما آسى الا على ثلاث فعلتهن ليتنى كنت تركتهن وثلاث تركتهن ليتنى فعلتهن وثلاث ليتنى سألت رسول الله عنهن فاما اللاتى فعلتهن

---

(١) ورم انفه أى امتلأ غضباً قال الشاعر * ولا يهاج اذا ما أنفه ورما * اى لا يكلم عند الغضب (٢) نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهى الوسادة

وليتني لم افعلهن فليتني تركت بيت علي وان كان اعلن على الحرب وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد احد الرجلين ابي عبيدة او عمر فكان هو الامير وانا الوزير وليتني حين اتيت بالفجاءة السلمي اسيراً اني قتلته ذبيحاً او اطلقته نجيحاً ولم اكن احرقته بالنار واما اللاتي تركتهن وليتني كنت فعلتهن حين اتيت بالاشعث بن قيس اسيراً اني قتلته ولم استحيه فاني سمعت منه واراه لا يرى غياً ولا شراً إلا اعان عليه وليتني حين بعثت خالد بن الوليد الى الشام اني كنت بعثت عمر بن الخطاب الى العراق فاكون قد بسطت يدي جميعاً في سبيل الله. واما اللاتي كنت اود اني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فليتني سألته لمن هذا الامر من بعده فلا ينازعه فيه احد. وليتني كنت سألته هل للانصار فيها من حق وليتني كنت سألته عن ميراث بنت الاخ والعمة فان في نفسي من ذلك شيئاً ثم دخل عليه اناس من اصحاب رسول الله فقالوا يا خليفة رسول الله الا ندعو لك طبيباً ينظر اليك فقال قد نظر الي قالوا فماذا قال؟ قال اني فعال لما اريد ثم قال لهم انظروا ماذا انفقت من بيت المال فنظروا فاذا هو ثمانية آلاف درهم فاوصى اهله ان يؤدوها الى الخليفة بعده ثم دعا عثمان بن عفان فقال اكتب عهدي فكتب عثمان واملى عليه . بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابو بكر بن ابي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها واول عهده بالآخرة داخلاً فيها اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان تروه عدل فيكم فذلك ظني به ورجائي فيه وان بدل وغير فالخير اردت ولا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . ثم ختم الكتاب ودفعه ودخل عليه المهاجرون والانصار حين بلغهم انه استخلف عمر فقالوا نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وانت بين اظهرنا فكيف اذا وليت عنا وانت لاق الله عز وجل فسائلك فما انت قائل؟ فقال ابو بكر : لئن سألني الله لا قولن استخلفت عليهم خيرهم في نفسي قال ثم امر ان يجتمع له الناس فاجتمعوا فقال ايها الناس قد حضرني من قضاء الله ما ترون وانه لا بد لكم من رجل يلي امركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم ويقسم فيأكم فان شئتم اجتمعتم فأمرتم ثم وليتم عليكم من اردتم وان شئتم اجتهدت لكم رايي ووالله الذي لا اله الا هو لا آلوكم في نفسي خيراً قال فبكى وبكى الناس وقالوا يا خليفة رسول الله انت خيرنا واعلمنا فاختر لنا قال سأجتهد لكم رأيي وأختار لكم خيركم ان شاء الله . قال فخرجوا من عنده ثم ارسل الى عمر فقال :

ياعمر احبك محب وا نغضك مبغض وقد عاً يحب الشر و يبغض الخير فقال عمر لا حاجة لى بها فقال ابو بكر : لكن بها اليك حاجة والله ما حبوتك بها ولكن حبوتها بك ثم قال خذ هذا الكتاب واخرج به الى الناس واخبرهم انه عهدى وسلهم عن سمعهم وطاعتهم . فخرج عمر بالكتاب واعلمهم فقالوا سمعاً وطاعة . فقال له رجل ما فى الكتاب يا ابا حفص قال لا ادرى ولكنى اول من سمع واطاع قال لكنى والله ادرى ما فيه امرته عام اول وامرك العام

ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال لما توفى ابو بكر رضى الله عنه جلس عمر فى المسجد بعد الخلافة فاتاه رجل فقال يا امير المؤمنين ادنو منك فان لى حاجة فقال عمر لا قال الرجل إذاً اذهب فيغنينى الله عنك فولى ذاهباً فأتبعه عمر رضى الله عنه فأخذه بثوبه فقال له : ماحاجتك فقال الرجل بغضك الناس وكرهك الناس قال عمر : ولم ويحك فقال الرجل للسانك وعصاك قال فرفع عمر يديه فقال : اللهم حببهم الى وحببنى اليهم. قال الرجل فما رجع يديه حتى ما على الارض احب الى منه وكان اهل الشام قد بلغهم مرض ابى بكر واستبطؤا الخبر فقالوا انا نخاف ان يكون خليفة رسول الله قد مات وولى بعده عمر فان كان عمر هو الوالى فليس لنا بصاحب وانا نرى خلعه قال بعضهم ابعثوا رجلا ترضون عقله قال فانتخبوا لذلك رجــلا فقدم على عمر وقد كان عمر استبطأ خبر اهل الشام فلما اتاه قال له كيف الناس قال سالمون صالحون وهم كارهون لولايتك ومن شرك مشفقون فأرسلونى انظر احلو انت ام مر قال فرفع عمر يديه الى السماء وقال اللهم حببنى الى الناس وحببهم الى قال نعمل عمر عشر سنين بعد ابي بكر فوالله مافارق الدنيا حتى احب ولايته من كرهها لقــد كانت امارته فتحاً واسلامه عزاً ونصراً اتبع فى عمله سنة صــاحبيه وآثارهما كما يتبع الفصيل اثر امه ثم اختار الله له ماعنده

قتل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه

قال عمرو بن ميمون : شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فما منعنى ان اكون فى الصف الاول الا هيبته فكنت فى الصف الذى يليه وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان راى رجلا متقدماً من الصف او متاخرا ضربه

بالدرة فذلك الذي منعني من التقدم قال فاقبل لصلاة الصبح وكان يغلس بها فعرض
له ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر وهو يقول دونكم
الكلب فانه قد قتلني وماج الناس فخرج ثلاث عشر رجلا وصاح بعضهم ببعض
دونكم الكلب فشد عليه رجل من خلفه فاحتضنه وماج الناس فقال قائل الصلاة عباد
الله طلعت الشمس فدفعت عبد الرحمن بن عوف فصلى باقصر سورتين في القرآن
واحتمل عمر وماث من الدم جرحا ستة او سبعة وجرى الناس الى عمر فقال يا ابن
عباس اخرج فناد في الناس اعن ملأ ورضا منهم كان هذا فخرج فنادى فقالوا معاذ الله
ما علمنا ولا اطلعنا قال فاتاه الطبيب فقال اى الشراب احب اليك قال النبيذ فسقوه نبيذ
فخرج من بعض طعناته فقال الناس صديد أسقوه لبناً فخرج اللبن فقال الطبيب
لا ارى ان تمسي فما كنت فاعلا فافعل فقال لابنه عبد الله ناولني الكتف فلو اراد الله
ان يمضي ما فيه امضاه فمحاها بيده وكان فيها فريضة الجد. ثم دخل عليه كعب الاحبار
فقال يا امير المؤمنين الحق من ربك فلا تكونن من الممترين قد كنت انبأتك انك شهيد
قال ومن اين لي بالشهادة وانا بجزيرة العرب ثم جعل الناس يثنون عليه ويذكرون فضله
فقال ان من غررتموه لمغرور اني والله وددت ان اخرج منها كما دخلت فيها والله
لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع قالوا امير المؤمنين
لا باس عليك فقال ان يكن القتل باسا فقد قتلني ابو لؤلؤة الرافضي ان ذلك فجزاك الله
عنا خيرا فقال لا اراكم تغبطوني بها فوالذي نفس عمر بيده ما ادري على ما اهجم
ولوددت اني نجوت منها كفافا لا لي ولا علي ويكون خيرها بشرها وسلم لي ما كان قبلها
من الخير ودخل علي بن ابي طالب فقال يا علي اعن ملأ منكم ورضى كان هذا فقال
علي ما كان من ملأ منا ولا رضى ولوددنا ان الله زاد من اعمارنا في عمرك. قال وكان
راسه في حجر ابنه عبد الله فقال له ضع خدي بالارض فلم يفعل فلحظه وقال ضع
خدي بالارض لا ام لك فوضع خده بالارض فقال الويل لعمر ولام عمر ان لم يغفر
الله لعمر ثم دعا عبد الله بن عباس وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه فقال له : يا بن عباس
إني لا اظن ان لي ذنباً ولكن احب ان تعلم لي اعن ملأ منهم ورضى كان هذا
فخرج ابن عباس فجعل لا يرى ملأ من النـاس إلا وهم يبكون كأنما فقدوا
اليوم انصارهم فرجع اليه فأخبره بما راى قال فمن قتلني قال ابو لؤلؤة المجوسي

غلام المغيرة بن شعبة قال عبدالله فرايت البشر فى وجهه فقال الحمد لله الذى
لم يقتلنى رجل يحاجنى بلااله الا الله يوم القيامة ثم قال ياعبد الله ألا لو أن لى
ماطلعت عليه الشمس وما غربت لافتديت به من هول المطلع وماذاك والحمد
لله ان اكون رايت الا خيراً فقال له ابن عباس فان يك ذاك ياامير المؤمنين
فجزاك الله عنا خيراً اليس قد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعز الله
بك الدين والمسلمون محتسبون بمكة فلما اسلمت كان اسلامك عزاً اعز الله
به الاسلام وظهر النبي واصحابه ثم هاجرت الى المدينة فكانت هجرتك
فتحاً ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله من قتال المشركين وقال فيك
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ثم قبض رسول الله وهو عنك راض
ثم ارتد الناس بعد رسول الله عن الاسلام فوازرت الخليفة على منهاج رسول
الله وضربتم من ادبر بمن اقبل حتى دخل الناس فى الاسلام طوعا وكرهاً ثم
قبض الخليفة وهو عنك راض ثم وليت بخير مايلى احد من الناس . مصر
الله بك الامصار وجبى بك الاموال ونفى بك العدو وادخل الله على اهل كل
بيت من المسلمين توسعة فى دينهم وتوسعة فى ارزاقهم ثم ختم الله لك بالشهادة
فهنيئاً لك فصب الله الثناء عليك صباً فقال اتشهد لى بهذا ياعبد الله عند الله
يوم القيامة قال نعم فقال عمر اللهم لك الحمد .

﴿ تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده اليهم ﴾

قال ثم ان المهاجرين دخلوا على عمر رضى الله عنه وهو فى البيت من
جراحته تلك فقالوا ياامير المؤمنين استخلف علينا قال والله لااحملكم حيا
وميتاً ثم قال إن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى يعنى ابو بكر وان
ادع فقد ودع من هو خير منى يعني النبي عليه السلام فقالوا جزاك الله خيراً
ياامير المؤمنين فقال ماشاء الله راغباً وددت ان انجو منها لا لى ولا على فلما
احس بالموت قال لابنه اذهب الى عائشة واقرئها منى السلام واستأذنها ان
اقبر فى بيتها مع رسول الله ومع ابى بكر فأتاها عبدالله بن عمر فاعلمها فقالت نعم
وكرامة ثم قالت يابنى ابلغ عمر سلامى وقل له لاتدع امة محمد بلاراع استخلف
عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فانى اخشى عليهم الفتنة فأتى عبدالله فاعلمه فقال

ومن تأمرني ان استخلف لو ادركت اباعبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته فاذا قدمت على ربي فسألني وقال لي من وليت على امة محمد قلت اي ربي سمعت عبدك ونبيك يقول : لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ولو ادركت معاذ بن جبل استخلفته فاذا قدمت على ربي فسألني من وليت على امة محمد قلت اي رب سمعت عبدك ونبيك يقول : ان معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة ولو ادركت خالد بن الوليد لوليته فاذا قدمت على ربي فسألني من وليت على امة محمد قلت اي رب سمعت عبدك ونبيك يقول : خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله على المشركين ولكني سأستخلف النفر الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض فأرسل اليهم فجمعهم وهم علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبدالله والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم وكان طلحة غائباً فقال يامعشر المهاجرين الاولين اني نظرت في امر الناس فلم اجد فيهم شقاقا ولا نفاقا فان يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة ايام فان جاءكم طلحة الى ذلك والا فأعزم عليكم بالله ان لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا احدكم فان اشرتم بها الى طلحة فهو لها اهل وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة ايام التي تتشاورون فيها فانه رجل من الموالي لا ينازعكم امركم واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من امركم شيء واحضروا معكم الحسن بن علي وعبدالله بن عباس فان لهما قرابة وارجو لكم البركة في حضورهما وليس لهما من امركم شيء ويحضر ابني عبدالله مستشاراً وليس له من الامر شيء قالوا ياامير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعاً فاستخلفه فانا راضون به فقال : حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الامر شيء ثم قال ياعبدالله اياك ثم اياك لا تتلبس بها ثم قال ان استقام امر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام اربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهما وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابني عبدالله فلاي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم فان ابى الثلاثة الاخر من ذلك فاضربوا اعناقهم . فقالوا قل فينا ياامير المؤمنين مقالة نستدل فيها برايك ونقتدي به فقال والله ما يمنعني

ان استخلفك ياسعد إلا شدتك وغلظتك مع انك رجل حرب وما يمنعني منك ياعبد الرحمن الا انك فرعون هذه الامة وما يمنعني منك يازبير الا انك مؤمن الرضا كافر الغضب وما يمنعني من طلحة الا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه في اصبع امراته وما يمنعني منك ياعثمان الا عصبيتك وحبك قومك وما يمنعني منك ياعلي الا حرصك عليها وانك احرى القوم ان وليتها ان تقيم على الحق المبين . والصراط المستقيم . اوصى الخليفة منكم بتقوى الله العظيم واحذره مثل مضجعي هذا واخوفه يوما تبيض فيه وجوه وتسود وجوه يوم تعرضون على الله لاتخفى منكم خافية ثم غشي عليه حتى ظنوا انه قد قضى فجعلوا ينادونه ولا ينتبه من اغمائه فقال قائل ان كان شيء ينبهه فالصلاة فقالوا: ياامير المؤمنين الصلاة ففتح عينيه فقال : الصلاة هاالله اذا ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فصلى وجرحه يثعب دما ثم التفت اليهم وقال قد قومت لكم الطريق فلا تعرجوه ثم التفت الى على بن ابى طالب فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله وما آتاك الله من العلم والدين فيستخلفونك فان وليت هذا الامر فاتق الله ياعلي فيه ولا تحمل احداً من بني هاشم على رقاب الناس ثم التفت الى عثمان فقال : ياعثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفونك ان وليت هذا الامر فلا تحمل احداً من بني امية على رقاب الناس ثم دعا صهيباً فقال : ياصهيب صل بالناس ثلاثة ايام ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم اخرجوا عني اللهم اهدهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على اعقابهم وول امر امة محمد خيرهم فخرجوا من عنده . وتوفى رحمه الله تعالى من يومه ذلك ودفن وصلى عليه صهيب .

ذكر الشورى وبيعة عثمان بن عفان رضى الله عنه

ثم انه بعد موت عمر اجتمع القوم فخلوا في بيت احدهم واحضروا عبدالله ابن عباس والحسن بن علي وعبدالله بن عمر فتشاوروا ثلاثة ايام فلم يبرموا قليلا فلما كان في اليوم الثالث قال لهم عبدالرحمن بن عوف اتدرون اى يوم هذا ؟ هذا يوم عزم عليكم صاحبكم ان لاتتفرقوا فيه حتى تستخلفوا احدكم قالوا

اجل قال فانى عارض عليكم امراً قالوا وما تعرض قال ان تولونى امركم واهب لكم نصيبى فيها واختار لكم من انفسكم قالوا قد اعطيناك الذى سألت . فلما سلم القوم قال لهم عبدالرحمن اجعلوا امركم الى ثلاث منكم فجعل الزبير امره الى على وجعل طلحة امره الى عثمان وجعل سعد امره الى عبدالرحمن ابن عوف . قال المسور بن مخرمة فقال لهم عبدالرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم وخرج يتلقى الناس فى انقاب المدينة متلثما لا يعرفه احد فما ترك احداً من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم الا سألهم واستشارهم اما اهل الراى فأتاهم مستشيراً وتلقى غيرهم سائلا يقول : من ترى الخليفة بعد عمر ؛ فلم يلق احد يستشيره ولا يسأله إلا و يقول عثمان فلما راى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان قال المسور جاءنى رضى الله عنه عشاء فوجدنى نائماً فخرجت اليه فقال الا اراك نائما فوالله ما اكتحلت عينى بنوم منذ هذه الثلاث ادع لى فلاناً وفلاناً (نفراً من المهاجرين) فدعوتهم فناجاهم فى المسجد طويلا ثم قاموا من عنده فخرجوا ثم دعا علياً فناجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع ثم قال ادع لى عثمان فدعوته فناجاه طويلا حتى فرق بينهما ان آنت صلاة الصبح فلما صلوا جميعهم فأخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق لئن بايعته لتقيمن كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك من قبلك فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وايضاً لئن بايعت غيرك لترضين ولتسلمن وليكونن سيفك معى على من ابى فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم . فلما تم ذلك اخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك وشرط عمر ان لاتجعل احداً من بنى أمية على رقاب الناس فقال عثمان نعم ثم اخذ بيد على فقال له : ابايعك على شرط عمر ان لاتحمل احداً من بنى هاشم على رقاب الناس . فقال على عند ذلك مالك ولهذا اذا جعلتها فى عنقى فان على الاجتهاد لامة محمد حيث علمت القوة والامانة استعنت بها كان فى بنى هاشم او غيرهم . قال عبدالرحمن : لا والله حتى تعطينى هذا الشرط قال على والله لا اعطيكه ابداً فتركه فقاموا من عنده فخرج عبدالرحمن الى المسجد فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

انى نظرت فى امر الناس فلم اراهم يعدلون بعثمان فلا تجعل ياعلى سبيلا الى نفسك فانه السيف لاغير ثم اخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعاً . قال فكان عثمان رضى الله عنه ست سنين فى ولايته وهواحب الى الناس من عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر رجلا شديداً قد ضيق على قريش انفاسها لم ينل احد معه من الدنيا شيئاً اعظاما له واجلالا وتاسياً به واقتداء فلما وليهم عثمان ولى رجل لين قال حسن البصرى : شهدت عثمان وهو يخطب وانا يومئذ قد راهقت الحلم فما رايت قط ذكراً ولا انثى اصبح وجهاً ولااحسن نضرةمنه فسمعته يقول ايها الناس اغدوا على اعطياتكم فيأخذونها وافية ايها الناس اغدوا على كسوتكم فيغدون فيجاء بالحلل فتقسم بينهم حتى والله سمعت اذناى يامعشر المسلمين اغدوا على السمن والعسل فيغدون فيقسم بينهم السمن والعسل ثم يقول يامعشر المسلمين اغدوا على الطيب فيغدون فيقسم بينهم الطيب من المسك والعنبر وغيره والعدوان والله منفى والاعطيات دارة والخير كثير وماعلى الارض مؤمن يخاف مؤمناً من لقى فى اى البلدان فهو اخوه واليفه وناصره ومؤدبه فلم يزل المال متوفراً حتى لقد بيعت الجارية بوزنها ورقاً وبيع الفرس بعشرة آلاف دينار وبيع البعير بألف والنخلة الواحدة بالف ثم انكر الناس على عثمان اشياء اشراً وبطراً . قال ابن عمر لقد عيبت عليه اشياء لو فعلها عمر ماعيبت عليه

﴿ ذكر الانكار على عثمان رضى الله عنه ﴾

قال عبدالله بن مسلم حدثنا ابن ابى مريم وابن عفير قالا حدثنا ابن عون قال اخبرنا المخول بن ابراهيم وابو حمزة الثمالى وبعضهم يزيد على بعض والمعنى واحد فجمعته والفته على قولهم ومعنى ماارادوا عن على بن الحسين قال : لما انكر الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد فان لكل شئ آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذا الدين وعاهة هذه الملة قوم عيابون طعانون يرونكم ماتحبون ويسرون ماتكرهون اما والله يامعشر المهاجرون والانصار لقد عبتم على اشياء ونقمتم اموراً قداقررتم لابن الخطاب مثلها ولكنه وقمكم وقمعكم ولم يجترىء احد يملأ بصره منه ولا يشير بطرفه اليه . اما والله لانا اكثر من ابن الخطاب عدداً واقرب ناصراً واجدر . الى

ان قال لهم اتفقدون من حقوقكم شيئا فمالى لا افعل فى الفضل ما اريد فلم كنت اماماً اذاً . اما والله ماعاب على من عاب منكم امراً اجهله ولا اتيت الذى اتيت الا وانا اعرفه . قال وقدم معاوية بن ابى سفيان على اثر ذلك من الشام فاتى مجلساً فيه على بن ابى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم يامعشر الصحابة اوصيكم بشيخى هذا خيرا فوالله لئن قتل بين اظهركم لاملأنها عليكم خيلا ورجالا ثم اقبل على عمار بن ياسر : فقال : ياعمار ان بالشام مائة الف فارس كل يأخذ العطا مع مثلهم من ابنائهم وعبدانهم لا يعرفون عليا ولا قرابته ولا عمارا ولا سابقته ولا الزبير ولا صحابته ولا طلحة ولا هجرته ولا يهابون ابن عوف ولا ماله ولا يتقون سعداً ولا دعوته فاياك ياعمار ان تقع غداً فى فتنة تنجلى فيقال هذا قاتل عثمان وهذا قاتل على . ثم اقبل على ابن عباس فقال : يا ابن عباس انا كنا واياكم فى زمان لا نرجو فيه ثوابا ولا نخاف عقابا وكنا اكثر منكم فوالله ماظلمناكم ولا قهرناكم ولا اخرناكم عن مقام تقدمناه حتى بعث الله رسوله منكم فسبق اليه صاحبكم فوالله مازال يكره شركنا ويتغافل به عنا حتى ولى الامر علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فأخذ صاحبنا على صاحبكم لسنه ثم غير فنطق ونطق على لسانه فقد اوقدتم ناراً لا تطفأ بالماء فقال ابن عباس كنا كما ذكرت حتى بعث الله رسوله منا ومنكم ثم ولى الامر علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فأخذ صاحبكم على صاحبنا لسنه ولما هو افضل من سنه فوالله ماقلنا الا ماقال غيرنا ولا نطقنا الا بما نطق به سوانا فتركتم الناس جانبا وصيرتمونا بين ان اقمنا متهمين او نزعنا معتبين وصاحبنا من قد علمتم والله لا يهجهج مهجهج الا ركبه ولا يرد حوضاً الا افرطه وقد اصبحت احب منك مااحببت واكره ماكرهت ولعلى لا القاك الا فى خير .

﴿ ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية رضى الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان ابن عباس قال خرجت الى المسجد فانى لجالس فيه مع على حين صليت العصر اذ جاء رسول عثمان يدعو علياً فقال على نعم فلما

ان ولى الرسول اقبل على فقال : لم تراه دعانى قلت له دعاك ليكلمك فقال انطق معى فأقبلت فاذاطلحةوالزبير وسعد واناس من المهاجرين فجلسنا فاذا عثمان عليه ثوبان ابيضان فسكت القوم ونظر بعضهم الى بعض فحمد الله عثمان ثم قال : اما بعد فان ابن عمى معاوية هذا قد كان غائبا عنكم وعن ما نلتم منى دونا عاتبتكم عليه وعاتبتمونى وقد سألنى ان يكلمكم وان يكلمه من اراد فقال سعد بن ابى وقاص : وما عسى ان يقال لمعاوية او يقول الا ماقلت وقيل لك فقال على ذلكم تكلم يامعاوية فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد يامعشر المهاجرين وبقية الشورى فاياكم اعنى واياكم اريد فمن اجابنى بشيء فمنكم واحد فانى لم ارد غيركم . توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع الناس احد المهاجرين التسعة ثم دفنوا بينهم فاصبحوا سالماً امرهم كأن نبيهم بين اظهرهم فلما ايس الرجل من نفسه بايع رجلا من بعده احد المهاجرين فلما احتضر ذلك الرجل شك فى واحد ان يختاره فجعلها فى ستة نفر بقية المهاجرين فأخذوا رجلا منهم لا يألون عن الخير فيه فبايعوه وهم ينظرون الى الذى هو كائن من بعده لا يشكون ولا يمترون . مهلا مهلا معشر المهاجرين فان وراءكم من ان دفعتموه اليوم اندفع عنكم ومن ان تعلموا الذى انتم فيه فارقه بعكم اشد من ركنكم واعد من جمعكم ثم استن عليكم بسنتكم ورأى ان دم الباقى ليس بممتنع بعد دم الماضى فسددوا وارفقوا لا يغلبكم على امركم من حذرتكم . فقال على بن ابى طالب كأنك تريد نفسك يابن اللخناء لست هنالك فقال معاوية مهلا عن بنت عمك فانها ليست بشر نسائكم . يامعشر المهاجرين وولاة هذا الامر ولاكم الله اياه فانتم اهله وهذان البلدان مكة والمدينة مأوى الحق ومنتهاه وانما ينظر التابعون الى السابقين والبلدان الى البلدين فان استقاموا استقاموا وايم الله الذى لا اله الا هو لئن صفقت احدى اليدين على الاخرى لا يقوم السابقون للتابعين ولا البلدان للبلدين وليسلبن امركم ولينقلن الملك من بين اظهركم . وما انتم فى الناس الا كالشامة السوداء فى الثور الابيض فانى رايتكم نشبتم فى الطعن على خليفتكم و بطرتم معيشتكم وسفهتم احلامكم وما كل نصيحة مقبولة والصبر

على بعض المكروه خير من تحمله كله . قال ثم خرج القوم وامسك عثمان ابن عباس فقال له عثمان يابن عمى ويابن خالتى فانه لم يبلغنى عنك فى امرى شيء احبه ولا اكرهه على ولا لى وقد علمت انك رأيت بعض ما رأى الناس فمنعك عقلك وحلمك من ان تظهر ما اظهروا وقد احببت ان تعلمنى رأيك فيما بينى وبينك فاعتذر . قال ابن عباس فقلت يا أمير المؤمنين انك قد ابتليتنى بعد العافية وادخلتنى فى الضيق بعد السعة ووالله ان رأيى لك أن يجل سنك ويعرف قدرك وسابقتك ووالله لوددت انك لم تكن فعلت مما ترك الخليفتان قبلك فان كان شيئاً تركاه لما رأى انه ليس لهما علمت انه ليس لك كما لم يكن لهما وان كان ذلك لهما فتركاه خيفة ان ينال منهم مثل الذى نيل منك تركته لما تركاه له ولم يكونا أحق باكرام أنفسهما منك باكرام نفسك . قال فما منعك أن تشير على بهذا قبل ان افعل ما فعلت قال وما علمى أنك تفعل ذلك قبل ان تفعل قال فهب لى صمتاً حتى ترى رأيى . قال فخرج ابن عباس فقال عثمان لمعاوية : ما ترى فان هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر ولا بد لهم مما فى انفسهم فقال معاوية الرأى أن تأذن لى فى ضرب أعناق هؤلاء القوم قال من . قال على وطلحة والزبير قال عثمان سبحان الله أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث أحدثوه ولا ذنب ركبوه قال معاوية فان لم تقتلهم فانهم سيقتلونك قال عثمان لا أكون أول من خلف رسول الله فى أمته باهراق الدماء قال معاوية فاخترمنى احدى ثلاث خصال قال عثمان وما هى قال معاوية ارتب لك ههنا اربعة آلاف فارس من خيل اهل الشام يكونون لك رداء وبين يديك يداً قال عثمان أرزقهم من اين قال من بيت المال قال عثمان ارزق اربعة آلاف من الجند من بيت مال المسلمين لحرز دمى . لا فعلت هذا . قال فثانية قال وما هى قال فرقهم عنك فلا يجتمع منهم اثنان فى مصر واحد واضرب عليهم البعوث والندب حتى يكون دبر بعير أحدهم أهم عليه من صلاته . قال عثمان سبحان الله شيوخ المهاجرين وكبار أصحاب رسول الله وبقية الشورى اخرجهم من ديارهم وافرق بينهم وبين أهليهم وابنائهم لا أفعل هذا قال معاوية فثالثة قال وما هى قال اجعل لى الطلب بدمك ان

قتلت قال عثمان نعم هذه لك ان قتلت فلا يطل دمى . قال ثم خرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها النـاس ان نصيحتي كذبتني وتفسي منتني وقد سمعت رسول الله يقول : لا تمادوا فى الباطل فان الباطل يزداد من الله بعداً من أساء فليتب ومن أخطأ فليتب وانا اول من اتعظ والله لئن ردنى الحق عبداً لا تسبن نسب العبيد ولا اكونن كالمرفوق الذى ان ملك صبر وان أعتق شكر . ثم نزل فدخل على زوجته نائلة بنت الفرافصة ودخل معه مروان بن الحكم فقال : ياامير المؤمنين أتكلم او أسكت فقالت له نائلة : بل اسكت فوالله لئن تكلمت لتغرنه ولتوبقنه فالتفت اليها عثمان مغضباً فقال اسكتي تكلم يامروان فقال مروان : ياامير المؤمنين انك والله لو قلت الذى قلت وانت فى عز ومنعة لتابعتك ولـكنك قلت الذى قلت وقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين فانفض التوبة ولا تقر بالخطيئة .

﴿ ماانكر الناس على عثمان رحمه الله ﴾

قال وذكروا أنه اجتمع ناس من اصحاب رسول الله عليه السلام كتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس افريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذووالقربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله فى البنيان حتي عدوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من اهله وبناته وبنيان مروان القصور بذى خشب وعمارة الاموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله وما كان من افشائه العمل والولايات فى اهله وبنى عمه من بنى أمية احداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالامور . وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو امير عليها سكران اربعة ركعات ثم قال لهم : ان شئتم ان ازيدكم ركعة زدتكم . وتعطيله اقامة الحد عليـه وتأخيره ذلك عنه وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم على شئ ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم وما كان من الحمى الذى حمى حول المدينـة وما كان من ادراره القطائع والارزاق والاعطيات على اقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه السلام ثم لا يغزون ولا يذبون وما كان من مجاوزته الخيزران الى السوط

وانه اول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب فى يد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وكانوا عشرة فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى عثمان والكتاب فى يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتي بقى وحده فمضى حتي جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له فى يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم واهله من بنى امية فدفع اليه الكتاب فقرأه فقال له انت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال ومن كان معك قال معى نفر تفرقوا فرقاً منك قال ومن هم قال لااخبرك بهم قال فلم اجترأت على من بينهم فقال مروان ياامير المؤمنين ان هذا العبد الاسود (يعنى عماراً) قد جرأ عليك الناس وانك ان قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم حتي فتقوا بطنه فغشى عليه فجروه حتي طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة زوج النبي عليه السلام فأدخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لاقتلن به رجلا عظيما من بنى امية فقال عثمان لست هناك. قال ثم خرج عثمان الى المسجد فاذاهو بعلى وهو شاك معصوب الرأس فقال عثمان والله ياابا الحسن مادرى اشتهى موتك ام اشتهى حياتك فوالله لئن مت ما احب ان ابقى بعدك لغيرك لانى لااجد منك خلفاً ولئن بقيت لاأعدم طاغياً يتخذك سلماً وعضداً ويعدك كهفاً وملجأ لايمنعنى منه إلا مكانه منك ومكانك منه فأنا منك كالابن العاق من أبيه ان مات فجعه وان عاش عقه . فاما سلم فنسالم واما حرب فنحارب فلا تجعلنى بين السماء والارض فانك والله ان قتلتنى لاتجد منى خلفاً ولئن قتلتك لاأجد منك خلفاً ولن يلى امر هذه الامة بادئ فتنة .
فقال على : ان فيما تكلمت به لجوابا ولكنى عن جوابك مشغول بوجعى فاناأقول كما قال العبد الصالح فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون . قال مروان انا والله اذاً لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون فى هذا الامر خير لمن بعدنا فقال له عثمان : اسكت ماأنت وهذا فقام اليه رجل

من المهاجرين فقال له ياعثمان أرأيت ماحميت من الحمى آلله أذن لكم ام على الله تفترون فقال عثمان انه قد حمى الحمى قبلى عمر لا بل الصدقة وانما زادت فزدت فقام عمرو بن العاص فقال : ياعثمان انك ركبت بالناس نهابير من الامر فتب الى الله يتوبوا فرفع عثمان يديه وقال توبوا الى الله من كل ذنب اللهم انى أول من تاب اليك ثم قام رجل من الانصار فقال ياعثمان مابال هؤلاء النفر من اهل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون فى سبيل الله وانما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه الا من كان من هذه الشيوخ من اصحاب محمد عليه السلام فقال عثمان فاستغفر الله وأتوب اليه ثم قال ياأهل المدينة من كان له منكم ضرع فليلحق بضرعه ومن كان له زرع فليلحق بزرعه فانا والله لانعطى مال الله الا لمن غزا فى سبيله الا من كان من هذه الشيوخ من الصحابة . قال فما بال هذا القاعد الشارب لاتقيم عليه الحد (يعنى الوليد بن عقبة) فقال عثمان لعلى دونك ابن عمك فأقم عليه الحد فقال على للحسن قم فاجلده فقال الحسن ماأنت وذاك هذا لغيرك فقال على لا ولكنك عجزت وفشلت ياعبد الله بن جعفر قم فاجلده فقام فضربه وعلى يعد فلما بلغ اربعين أمسك وقال جلد رسول الله اربعين وابو بكر اربعين وكملها عمر ثمانين وكل سنة .

﴿ حصار عثمان رضى الله عنه ﴾

قال وذكروا انه لما اشتد الطعن على عثمان استأذنه على فى بعض بواديه ينتحى اليها فأذن له واشتد الطعن على عثمان بعد خروج على ورجا الزبير وطلحة ان يميلا اليهما قلوب الناس ويغلبا عليهم واغتنما غيبة على فكتب عثمان الى على اذا اشتد الطعن عليه : اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وارتفع امر الناس فى شأنى فوق قدره وزعموا انهم لايرضون دون دمى وطمع فى زمن لايدفع عن نفسه .

وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقدكان يقال : أكل السبع خيرمن افتراس الثعلب . فأقبل على أولى

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولما امزق

قال حويطب بن عبد العزى : ارسل الى عثمان حين اشتد حصاره فقال : قد بدا لى ان اتهم نفسي لهؤلاء فأت عليا وطلحة والزبير فقل لهم هذا أمركم تولوه واصنعوا فيه ماشئتم فخرجت حتي جئت عليا فوجدت على بابه مثل الجبال من الناس والباب مغلق لايدخل عليه احد ثم انصرفت فاتيت الزبير فوجدته في منزله ليس ببابه احد فأخبرته بما ارسلني به عثمان فقال قد والله قضى ماعليه أمير المؤمنين هل جئت عليا قلت نعم فلم اخلص اليه . فقمنا جميعاً فاتينا طلحة بن عبيد الله فوجدناه في داره وعنده ابنه محمد فقصصنا عليه ما قال عثمان فقال قد والله قضى ماعليه امير المؤمنين هل جئتم عليا قلنا نعم فلم نخلص اليه فأرسل طلحة الى الاشتر فاتاه فقال لى اخبره فأخبرته بما قال عثمان فقال طلحة وقد دمعت عيناه قد والله قضى ماعليه امير المؤمنين فقام الاشتر فقال تبعثون الينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وهاهو ذا فأخرج كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من المهاجرين الاولين وبقية الشورى الى من بمصر من الصحابة والتابعين اما بعد ان تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل ان يسلبها اهلها فان كتاب الله قد بدلا وسنة رسوله قد غيرت واحكام الخليفتين قد بدلت فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية اصحاب رسول الله والتابعين باحسان الا اقبل الينا واخذ الحق لنا واعطاناه فاقبلوا الينا ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر واقيموا الحق على المنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء غلبنا على حقنا واستولى على فيئنا وحيل بيننا وبين امرنا وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة وهي اليوم ملكا عضوداً من غلب على شيء اكله . أليس هذا كتابكم الينا ؟ فبكى طلحة فقال الاشتر لما حضرنا اقبلتم تعصرون اعينكم والله لا نفارقه حتي نقتله وانصرف . قال ثم كتب عثمان كتابا بعثه مع نافع بن طريف الى اهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان امير المؤمنين الى من حضر الحج من المسلمين اما بعد فاني كتبت اليكم

كتابى هذا وانا محصور اشرب من بئر القصر ولا آكل من الطعام مايكفينى خيفة ان تنفد ذخيرتى فاموت جوعاً ومن معى لاادعى الى توبة اقبلها ولا تسمع منى حجة اقولها وانشد الله رجلا من المسلمين بلغه كتابى الاقدم على فأخذ الحق فى ومنعنى من الظلم والباطل . قال ثم قام ابن عباس فأتم خطبته ولم يعرض لشىء من شأنه . وكتب الى اهل الشام عامة والى معاوية واهل دمشق خاصة : اما بعد فانى فى قوم طال فيهم مقامى واستعجلوا القدر فى وقد خيرونى بين ان يحملونى على شارف من الابل الدحيل وبين ان انزع لهم رداء الله الذى كسانى وبين ان اقيدهم ممن قتلت . ومن كان على سلطان يخطئ ويصيب فيا غوثاه ياغوثاه ولا أمير عليكم دونى فالعجل العجل يامعاوية وأدرك ثم أدرك وما أدراك تدرك .

﴿ تولية محمد بن أبى بكر على مصر ﴾

قال وذكروا ان اهل مصر جاؤا يشكون بن ابى سرح عاملهم فكتب اليه عثمان كتابا يتهدده فيه فابى ابن ابى سرح ان يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من اتاه به من قبل عثمان من اهل مصر حتى قتله فخرج من اهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا فى المسجد وشكوا الى اصحاب رسول الله فى مواقيت الصلاة ماصنع بهم ابن ابى سرح فقام طلحة فتكلم بكلام شديد وارسلت عائشة الى عثمان فقالت له قد تقدم اليك اصحاب رسول الله وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت إلا واحدة فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك . ودخل عليه على وكان متكلم القوم فقال له انما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم فان وجب لهم عليه حق فانصفهم منه فقال اختاروا رجلا أوله عليهم فقالوا استعمل محمد بن ابى بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين ابن ابى سرح واهل مصر فخرج محمد ومن معه حتى اذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فاذاهم بغلام اسود على بعير يخبط البعير كأنه رجل يطلب او يطلب فقال له اصحاب محمد ماقصتك وما شأنك كأنك طالب او هارب فقال انا غلام أمير المؤمنين وجهنى الى عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر معنا

قال ليس هذا أريد فأخبر محمد بأمره فبعث فى طلبه رجلا فجاء به اليه فقال له غلام من انت فأقبل مرة يقول انا غلام مروان ومرة يقول انا غلام أمير المؤمنين حتي عرفه رجل انه لعثمان فقال له محمد الى من ارسلك قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال اما معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا قال وكانت معه اداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا اداوته فاذا فيها كتاب من عثمان الى عبد الله بن ابى سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار ثم فك الكتاب بمحضر منهم فقرأه فاذا فيه : اذا اتاك محمد بن ابى بكر وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتابهم واقر على عملك حتي يأتيك رأيي فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه ودفعه الى رجل منهم ثم قدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من اصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم واخبرهم بقصة الغلام واقرأهم الكتاب فلم يبق احد من اهل المدينة الا حنق على عثمان وقام اصحاب النبي فلحقوا بمنازلهم وحصر الناس عثمان واحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان معه واجلب عليه محمد بن ابى بكر

﴿ حصار اهل مصر والكوفة عثمان رحمه الله ﴾

قال وذكروا ان اهل مصر اقبلوا الى على فقالوا الم تر عدو الله ماذا كتب فينا قم معنا اليه فقد احل الله دمه فقال على لا والله لاأقوم معكم قالوا فلم كتبت الينا قال على لا والله ما كتبت اليكم كتابا قط فنظر بعضهم الى بعض ثم أقبل الاشتر النخعي من الكوفة فى الف رجل واقبل ابن ابى حذيفة من مصر فى اربعمائة رجل فأقام اهل الكوفة واهل مصر بباب عثمان ليلا ونهاراً وطلحة يحرض الفريقين جميعاً على عثمان ثم ان طلحة قال لهم ان عثمان لا يبالى ماحصرتموه وهو يدخل اليه الطعام والشراب فامنعوه الماء ان يدخل عليه .

﴿ مخاطبة عثمان من اعلى القصر طلحة واهل الكوفة وغيرهم ﴾

قال وذكروا ان عثمان لما منع الماء صعد على القصر واستوى فى اعلاه

ثم نادى ابن طلحة فأتاه فقال ياطلحة اما تعلم ان بئر رومة كانت لفلان اليهودى لايسقى احداً من الناس منها قطرة الا بثمن فاشتريتها باربعين الفاً فجعلتها رشاء فيها كرشاء رجل من المسلمين لم استأثر عليهم ؟ قال نعم . قال فهل تعلم ان احداً يمنع ان يشرب منها اليوم غيرى لم ذلك قال لانك بدلت وغيرت . قال فهل تعلم ان رسول الله قال من اشترى هذا البيت وزاده فى المسجد فله به الجنة فاشتريته بعشرين الفاً وأدخلته فى المسجد قال طلحة نعم قال فهل تعلم اليوم احداً يمنع فيه من الصلاة غيرى قال لا قال لم قال لانك غيرت وبدلت ثم انصرف عثمان و بعث الى على يخبره انه منع من الماء ويستغيث به فبعث اليه على ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه فقال طلحة ماانت وهذا وكان بينهما فى ذلك كلام شديد فبيناهم كذلك اذ اتاهم آت فقال لهم ان معاوية قد بعث من الشام يزيد بن اسيد ممداً لعثمان فى اربعة آلاف من خيل الشام فاصنعوا ماأنتم صانعون والا فانصرفوا .
وكان معه فى الدارمائة رجل ينصرونه منهم عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم والحسن بن على وعبدالله بن سلام وأبو هريرة فلما سمع القوم اقبال اهل الشام قاموا فألهبوا النار بباب عثمان فلما نظرا اهل الدار الى النار نصبوا للقتال وتهيئوا فكره ذلك عثمان قال لاأريد ان تهرق فى محجمة دم وقال لجميع من فى الدار أنتم فى حل من بيعتي لاأحب ان يقتل فى أحد وكان فيهم عبد الله بن عمر فقال ياأمير المؤمنين مع من تأمرنى أكون ان غلب هؤلاء القوم عليك قال عليك بلزوم الجماعة قلت فان كانت الجماعة هى التي تغلب عليك قال عليك بلزوم الجماعة حيث كانت قال ثم دخل عليه الحسن بن على فقال مرنى بما شئت فانى طوع يديك فقال له عثمان ارجع يابن اخى اجلس فى بيتك حتي يأتى الله بأمره ثم دخل عليه أبو هريرة متقلداً سيفه فقال طاب الضراب ياأمير المؤمنين قد قتلوا منا رجلا وقد الهبوا النار فقال عثمان عزمت عليك ياأباهريرة الا ألقيت سيفك قال أبو هريرة فألقيته فلا أدرى من أخذه قال ودخل المغيرة بن شعبة فقال له ياأمير المؤمنين ان هؤلاء قد اجتمعوا عليك فان أحببت فالحق بمكة وان أحببت أن نخرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام ففيها معاوية

وأنصارك من اهل الشام وان أبيت فاخرج ونخرج ونحاكم القوم الى الله تعالى فقال عثمان أما ماذكرت من الخروج الى مكة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الامة من الانس والجن فلن اكون ذلك الرجل ان شاء الله وأما ماذكرت من الخروج الى الشام فان المدينة دار هجرتى وجوار قبر النبي عليه السلام فلا حاجة لى فى الخروج من دار هجرتى وأما ماذكرت من محاكمة هؤلاء القوم الى الله فلن اكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته باهراق الدم ثم قال انى رأيت أبا بكر وعمر أتيانى الليلة فقالا لى صم فانك مفطر عندنا الليلة وانى أصبحت صائما وانى اعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الا خرج من الدار سالما فقالوا انا ان خرجنا لم نأمن على انفسنا منهم فأذن لنا فنكون فى موضع من الدار فلما رأى ذلك على بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من اصحاب محمد كلهم بدرى ثم دخلوا على عثمان ومعهم الكتاب والغلام والبعير فقال على الغلام غلامك والبعير بعيرك فقال نعم قال فأنت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال له فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وكتاب عليه خاتمك لاتعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا وجهت ولا أمرت فشك القوم فى أمر عثمان وعلموا انه لايحلف بباطل فقال قوم منهم لا يبرأ عثمان عن قلوبنا الا ان يدفع الينا مروان حتي نعرف كيف يأمر بقتل رجال من اصحاب رسول الله وقطع ايديهم بغير حق فان كان عثمان كتبه عزلناه وان كان مروان كتبه نظرنا فى امره وما يكون فى امر مروان فانصرف القوم عنه ولزموا بيوتهم وابى عثمان ان يخرج لهم مروان وخشى عليه القتل فبلغ علياً ان عثمان يراد قتله فقال انا اردنا مروان فاما قتل عثمان فلا ثم قال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتي تقوما على باب عثمان ولا تدعا احداً يصل اليه وبعث الزبير ابنه على كره وبعث طلحة ابنه كذلك وبعث عدة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابناءهم يمنعون الناس ان يدخلوا على عثمان ويسألوه ان يخرج مروان فاشرف عليهم عثمان من اعلى القصر فقال : يامعشر المسلمين

اذكركم الله الستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب دار بنى فلان ليوسع بها للمسلمين فى مسجدهم فاشتريتها من خالص مالى وانتم اليوم تمنعونى ان اصلى فيه اذكركم الله يامعشر المسلمين الستم تعلمون ان بئر رومة كانت تباع القربة منها بدرهم فاشتريتها من خالص مالى فجعلت رشائى كرشاء واحد من المسلمين وأنتم تمنعونى ان اشرب من مائها وانا اشتريتها حتى انى ماأفطر الا على ماء البحر الستم تعلمون انكم نقمتم على اشياء فاستغفرت الله وتبت اليه منها وتزعمون انى غيرت وبدلت فابعثوا على شاهدين مسلمين والا فاحلف بالله الذى لا اله الا هو ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا اطلعت عليه.
ياقوم لايجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح ياقوم لاتقتلونى فانكم ان قتلتمونى كنتم هكذا وشبك بين أصابعه ياقوم ان الله رضى لكم السمع والطاعة وحذركم المعصية والفرقة فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عقابه فانكم ان فعلتم الذى أنتم فاعلون لاتقوم الصلاة جميعاً ويسلط عليكم عدوكم وانى اخبركم ان قوما اظهروا للناس انهم انما يدعوننى الى كتاب الله تعالى والحق فلما عرض عليهم الحق رغبوا عنه وتركوه وطال عليهم عمرى واستعجلوا القدر بى وقد كانوا كتبوا اليكم انهم قد رضوا بالذى اعطيتهم ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئاً وكانوا زعموا انهم يطلبون الحدود وترك المظالم وردها الى اهلها فرضيت بذلك وقالوا يؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ومثلهما من ذوى القوة والامانة وكل ذلك فعلت فلم يرضوا وحالوا بينى وبين المسجد فابتزوا ماقدروا عليه بالمدينة وهم يخيروننى بين احدى ثلاث اما أن يقيدونى بكل رجل أصبت خطأ او عمداً واما ان اعتزل عن الامر فيؤمروا احداً واما ان يرسلوا الى من اطاعهم من الجنود واهل الامصار فارسلوا اليكم فأتيتم لتبتزونى من الذى جعل الله لى عليكم من السمع والطاعة فسمعتم منهم واطعتموهم والطاعة لى عليكم دونهم فقلت لهم أما اقادة من نفسى فقد كان قبلى خلفاً ومن يتولى السلطان يخطئ ويصيب فلم يستقد من احد منهم وقد علمت انهم يريدون بذلك نفسى. وأما ان اتبرأ من الامر فان يصلبونى احب الى من اتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول رسول

الله صلى الله عليه وسلم لى : ياعثمان ان الله تعالى سيقمصك قميصاً بعدى فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ولم اكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن انوها طائعين يبتغون بذلك مرضاة الله وصلاح الامة ومن يكن منهم يبتغى الدنيا فلن ينال منها الا ما كتب له فاتقوا الله فانى لاأرضى لكم ان تنكثوا عهد الله وانى انشدكم الله والاسلام ان لا تأخذوا الحق ولا تعطوه منى وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى وانى عاقبت اقواما وما ابتغى بذلك الا الخير وانى اتوب الى الله من كل عمل عملته واستغفره . اما والله لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايحل دم امرئ مسلم الا فى احدى ثلاث الردة عن الاسلام والزنا بعد الاحصان ولا والله ما كان ذلك منى فى جاهلية ولا اسلام او رجل قتل رجلا فيقاد به . فقال بعضهم انه ليقول مقالا وقال آخر لئن سمعتم منه ليصرفنكم فابوا ورموه بالسهام واستقبلوه بما لا يستتمل مثله ثم اشرف عليهم عبد الله بن سلام وكان من اهل الدار فقال يامعشر من حاضر دار عثمان من المهاجرين والانصار ممن انعم الله عليهم بالاسلام لاتقتلوا عثمان فوالله ان حقه على كل مؤمن كحق الوالد على ولده ووالله ان على حوائط المدينة اثنى عشر الف ملك منذ امد الله بهم نبيكم صلى الله عليه وسلم ووالله لئن قتلتموه ليسخطن عليكم ربكم ولتنفرقن ملائكته عنكم وليقتلن بقتله اقواما هم فى الاصلاب والارحام وما خلقوا . وانى لاجده فى التوراة التي انزل الله على موسى عليه السلام وكتب بيده عز وجل اليكم بالعبرانى وبالعربى خليفتكم المظلوم الشهيد والذى نفسى بيده لئن قتلتموه لاتؤدى بعده طاعة الا عن مخافة ولا توصل رحم عن مكافأة وليقتلن به الرجال ومن فى الاصلاب فقالوا له ايا يهودى اشبع بطنك وكسى ظهرك والله لا ينتطح فيه شاتان ولا يتناقر فيه ديكان فقال اما الشاتان والديكان فصدقتم ولكن التيسان الا كبران يتناطحان فيه فحصبوه ورموه حتى شجوه فالتفت الى عثمان فقال له زعموا انك اشبعت بطنى وكسوت ظهرى فاصبر ياأمير المؤمنين فو الذى نفسى بيده انى أجدك فى كتاب الله تعالى المنزل الخليفة المظلوم الشهيد فرميت بالسهام من كل جانب وكان الحسن بن

علي حاضراً فأصابه سهم فخضبه الدم واصاب مروان سهـم وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على فخشي محمد بن ابى بكر ان يغضب بنو هاشم للحسن فيسيرونها فتنه .

﴿ قتل عثمان رضى الله عنه وكيف كان ﴾

قال وذكروا ان محمد بن أبى بكر لما خرج الحسن بن على أخذ بيد رجلين فقال لهما ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجـه الحسن كشفوا الناس عن عثمان و بطل ما تريدون ولـكن قوموا حتي نتسور عليه فنقتله من غير ان يعلم أحـد فتسور هو وصاحباه من دار رجـل من الانصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لان كل من معه كان فوق البيت ولم يكن معه الا امرأته فدخل عليه محمد بن أبى بكر فصرعه وقعد على صدره وأخذ بلحيته وقال يا نعثل ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن عامر وابن أبى سرح فقال له عثمان : لو رآنى أبوك رضي الله عنه لبكانى ولساءه مكانك منى فتراخت يده عنه وقام عنه وخرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ وأخذ مصحفا فوضعه فى حجره ليتحرم به ودخل عليه رجل من أهل الـكوفة بمشقص فى يده فوجأ بها منكبه ممـا يلى الترقوة فادماه ونضح الدم على ذلك المصحف وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فوجأه بقائم سـيفه فغشى عليه ومحمد بن أبى بكر لم يدخل مع هؤلاء فتصايح نساؤه ورش الماء على وجهه فأفاق فدخل محمد بن أبى بكر وقد أفاق فقال له أى نعثل غيرت وبدلت وفعلت ثم دخل رجل من أهل مصر فأخذ بلحيته فنتف منها خصلة وسل سيفه وقال افرجوا لى فعلاه بالسيف فتلقاه عثمان بيده فقطعها فقال عثمان اما والله انها اول يد خطت المفصل وكتبت القرآن . ثم دخل رجل أزرق قصير مجدر ومعه جرز من حديد فمشى اليه فقال على أى ملة أنت يا نعثل فقال لست بنعثل ولـكنى عثمان بن عفان وأنا على ملة ابراهيم حنيفاً وما أنا من المشركين قال كذبت وضربه بالجرز على صدغه الايسر فغسله الدم وخر على وجهه وحالت نائلة بنت الفرافصة زوجته بينه وبينه وكانت جسيمة والقت بنت شيبة نفسها عليه ودخل عليه رجل من أهل مصر ومعه سيف مصلت فقال والله لأقطعن

أنفه فعالج امرأته عنه فكشف عنها درعها فلما لم يصل اليه ادخل السيف بين قرطها ومنكبها فضربت على السيف فقطع أناملها فقالت يارباح غلام لعثمان أسود ومعه سيف أعن عني هذا فضربه الاسود فقتله ثم دخل آخر معه سيف فقال افرجوا لى فوضع ذباب السيف فى بطن عثمان فامسكت نائلة زوجته السيف فحز أصابعها ومضى السيف فى بطن عثمان فقتله فخرجت امرأته وهى تصيح وخرج القوم هاربين من حيث دخلوا فلم يسمع صوت نائلة لما كان فى الدار من الجلبة فصعدت امرأته الى الناس فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مقتولا قد مثل به فأكبوا عليه يبكون وخرجوا فدخل الناس فوجدوه مقتولا فبلغ علياً الخبر وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم فدخلوا عليه واسترجعوا واكبوا عليه يبكون ويعولون حتى غشى على على ثم أفاق فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب فرفع يده فضرب الحسن والحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبدالله بن الزبير وخرج على وقد سلب عقله لايدرى مايستقبل من أمره فقال طلحة مالك ياأبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال ياطلحة يقتل أمير المؤمنين ولم تقم عليه بينة ولا حجة فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال على لو دفع مروان قتل قبل ان تقوم عليه حكومة فخرج على فأتى منزله وأغلق الباب . وكتبت نائلة بنت الفرافصة الى معاوية تصف دخول القوم على عثمان وأخذه المصحف ليتحرم به وما صنع محمد بن أبى بكر وأرسلت بقميص عثمان مضرجاً بالدم ممزقا وبالخصلة التي نتفها محمد بن أبى بكر من لحيته فعقدت الشعر فى زر القميص ثم دعت النعمان بن بشير الانصارى فبعثته الى معاوية ومضى بالقميص حتى أتى على يزيد بن أسيد ممداً لعثمان بعثه معاوية فى أربعة آلاف فاخبرهم بقتل عثمان فانصرفوا الى الشام قال ثم دخل أهل مصر الدار فلما رأوا عثمان مقتولا ندموا واستحيوا وكره أكثرهم ذلك وثار أهل الدار فى وجوههم فأخرجوهم منها منهاثم اقتتلوا عند الباب فضرب مروان بالسيف فصرع

﴿ دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن ازهر قال لم أكن دخلت فى شئ من أمر عثمان لاعليه ولا له فانى لجالس بفناء دارى ليلا بعد ماقتل عثمان بليلة اذ جاءنى المنذر بن الزبير فقال ان أخى يدعوك فقمت اليه فقال لى انا اردنا ان ندفن عثمان فهل لك قلت والله مادخلت فى شئ من شأنه وما أريد ذلك فانصرفت عنه ثم اتبعته فاذا هو فى نفر فيهم جبير بن مطعم وأبوالجهم بن حذيفة والمسور ابن مخرمة وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن الزبير فاحتملوه على باب وان رأسه ليقول طق طق فوضعوه فى موضع الجنائز فقام اليهم رجال من الانصار فقالوا لهم لا والله لاتصلون عليه فقال أبو الجهم الا تدعون نصلى عليه فقد صلى الله تعالى عليه وملائكته فقال له رجل منهم ان كنت فأدخلك الله مدخله فقال له حشرنى الله معه فقال له ان الله حاشرك مع الشياطين والله ان تركناكم به لعجز منا فقال القوم لابى الجهم اسكت عنهم وكف فسكت فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين كانى أسمع وقع رأسه على اللوح حتي وضعوه فى ادنى البقيع فاتاهم جبلة بن عمرو الساعدى من الانصار فقال لا والله لاتدفنوه فى بقيع رسول الله ولا نترككم تصلون عليه: فقال أبو الجهم انطلقوا بنا ان لم نصل عليه فقد صلى الله عليه فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح فى حق حتي اذا اتوا به جسر كوكب حفروا له حفرة ثم قاموا يصلون عليه وأمهم جبير بن مطعم ثم دلوه فى حفرته فلما رأته ابنته صاحت فقال ابن الزبير والله لئن لم تسكتي لاضربن الذى فيه عينيك فدفنوه ولم يلحدوه بلبن وحثوا عليه التراب حثواً

﴿ بيعة على بن ابى طالب كرم الله وجهه وكيف كانت ﴾

قال وذكروا انه لما كان فى الصباح اجتمع الناس فى المسجد وكثر الندم والتأسف على عثمان رحمه الله وسقط فى ايديهم واكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان فقال الناس لهما ايها الرجلان قد وقعتما فى امر عثمان فخليا عن انفسكما فقام طلحة فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انا والله ما نقول اليوم الا ماقلناه أمس ان عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا ولايته

وكرهنا أن نقتلة وسرناان نكفاه وقد كثر فيه اللجاج وأمره الى الله ثم قام الزبير
فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الله قد رضى لكم الشورى فاذهب
بها الهوى وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه واما قتل عثمان فانا نقول فيه ان
امره الى الله وقد احدث احداثا والله وليه فيما كان : فقام الناس فأتوا علياً
فى داره فقالوا نبايعك فمد يدك لابد من أمير فأنت احق بها فقال ليس ذلك
اليكم انما هو لاهل الشورى واهل بدر فمن رضى به أهل الشورى وأهل بدر
فهو الخليفة فنجتمع وننظر فى هذا الامر فابى ان يبايعهم فانصرفوا عنه وكلم
بعضهم بعضا فقالوا يمضى قتل عثمان فى الافاق والبلاد فيسمعون بقتله
ولا يسمعون انه بويع لأحد بعده فيثور كل رجل منهم فى ناحية فلا نأمن
ان يكون فى ذلك الفساد . فارجعوا الى على فلا تتركوه حتي يبايع فيسير مع
قتل عثمان بيعة على فيطمئن الناس ويسكنون فرجعوا الى على وترددوا الى
الاشتر النخعى فقال اعلى ابسط يدك نبايعك فقال له مثل ماقال لهم وقال الاشتر
والله لتمدن يدك نبايعك او لتعصرن عينيك عليها ثالثة ولم يزل به يكلمه ويخوفه
الفتنة ويذكر مثله انه ليس احد يشبهه فمد يده فبايعه الاشتر ومن معه ثم أتو
طلحة فقالوا له اخرج فبايع قال من ؟ فالوا علياً قال تجتمع الشورى وتنظر
فقالوا اخرج فبايع فامتنع عليهم فجاؤا به يلببونه فبايعه بلسانه ومنعه يده فقال
ابو ثور كنت فيمن حاصر عثمان فكنت آخذ سلاحى وأضعه وعلى ينظر
الى لايأمرنى ولا ينهانى فلما كانت البيعة له خرجت فى أثره والناس حوله
يبايعونه فدخل حائطاً من حيطان بنى مازن فألجؤه الى نخلة وحالوا بينى وبينه
فنظرت اليهم وقد أخذت أيدى الناس ذراعه تختلف ايديهم على يده ثم أقبل
الى المسجد الشريف وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت
اصابعه شلاً فتطير منها على فقال ماأخلقها ان تنكث ثم بايعه الزبير وسعد
وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً ثم نزل فدعا الناس وأمر بطلب
مروان فهرب منه وطلب نفراً من بنى أمية وابن أبى معيط فهربوا وخرجت
عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله فقال لها عمار بالامس تحرضين عليه
الناس واليوم تبكينه ثم جاء على الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت

لاادرى دخل عليه رجال لااعرفهم الا ان أرى وجوههم وكان معهم محمد بن أبى بكر فدعا على محمداً فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد صدقت قد والله دخلت عليه فذكر لى أبى فقمت عنه وأنا تائب الى الله تعالى والله ماقتلته ولا أمسكته فقالت صدق ولـكن هو ادخلهم قال ثم خرج طلحة فلقى عائشة فقالت له ماصنع الناس قال قتلوا عثمان قالت ثم ماصنعوا قال بايعوا علياً ثم أتونى فأكرهونى ولببونى حتى بايعت قالت وما لعلى يستولى على رقابنا لاأدخل المدينة ولعلى فيها سلطان فرجعت وكان الزبير خارجا لم يشهد قتل عثمان وكان عمرو بن العاص بفلسطين يوم قتل عثمان فطلع عليه راكب من الحجاز فقال ماوراءك قال تركت عثمان محصوراً فقال عمرو قد يضرط البعير والمكـواة فى النار ثم لبث اياماً فطلع عليه راكب آخر فقال له عمرو ماالخبر قال قتل عثمان قال فما فعل الناس فقال بايعوا علياً قال فما فعل على فى قتلة عثمان قال دخل عليه الوليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال ماأمرت ولا نهيت ولا سرنى ولا ساءنى قال فما فعل بقتلة عثمان فقال آوى ولم يرض وقد قال له مروان ان لاتـكن أمرت فقد توليت الامر وان لاتـكن قتلت فقد آويت القاتلين فقال عمرو بن العاص خلط والله أبو الحسن : قال ثم كتب عمرو بن العاص الى سعد بن أبى وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولى كبره فكتب اليه سعد : انك سالتنى من قتل عثمان وانى أخبرك انه قتل بسيف سلته عائشة وصقله طلحة وسمه ابن أبى طالب وسكت الزبير وأشار بيده وامسكنا نحن ولو شئنـا دفعناه عنه ولـكن عثمان غير وتغير واحسن واساء فان كنا احسنا فقد أحسنا وان كنا أسأنا فنستغفر الله واخبرك ان الزبير مغلوب بغلبة أهله و بطلبه بذنبه وطلحة لو يجد ان يشق بطنه من حب الامارة لشقه قال وكان ابن عباس غائباً بمكة المشرفة فاقبل الى المدينة وقد بايع الناس علياً قال ابن عباس فوجدت عنده المغيرة بن شعبة فجلست حتى خرج ثم دخلت عليه فسألنى وسألته ثم قلت له ماقال لك الخارج من عندك آنفاً قال قال لى قبل هذه الدخلة أرسل الى عبد الله بن عامر بعهده على البصرة والى معاوية بعهده على الشام فانك تهدىء عليك البلاد و تسكن عليك الناس ثم أتانى الآن

فقال لى انى كنت أشرت عليك برأيى لم اتعقبه فلم أرى ذلك رأيا وانى ارى أن تنبذ اليهما العداوة فقد كفاك الله عثمان وهما اهون موتة منه فقال له ابن عباس أما المرة الاولى فقد نصحك فيها وأما الثانية فقد غشك فيها قال فانى قد وليتك الشام فسر اليهــا قال قلت ليس هذا برأيى أثرى معاوية وهو ابن عم عثمان مخلياً بينى وبين عمله ولست آمن ان اظفر بى ان يقتلنى بعثمان وادنى ماهو صانع ان يحبسنى ويحكم علىّ ولكن اكتب الى معاوية فمنه وعده فان استقام لك الامر فابعثنى قال ثم أرسل بالبيعة الى الافاق والى جميع الامصار فجاءته البيعة من كل مكان الا الشام فانه لم يأته منها بيعة. فأرسل الى المغيرة بن شعبة فقال له سر الى الشام فقد وليتكها قال تبعثنى الى معاوية وقد قتل ابن عمه ثم آتيه والياً فيظن انى من قتلة ابن عمه ولكن ان شئت ابعث اليه بعهده فانه بالحرى اذا بعثت له بعهده يسمع ويطيع فكتب على الى معاوية: أما بعد فقد وليتك ماقبلك من الامر والمال فبايع من قبلك ثم اقدم الى فى الف رجل من أهل الشام فلما اتى معاوية كتاب على دعا بطومار فكتب فيه من معاوية الى على: أما بعد فانه

ليس بينى وبين قيس عتاب * غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فلما أتى علياً الكتاب ورأى مافيه وما هو مشتمل عليه كره ذلك وقام فأتى منزله فدخل عليه الحسن ابنه فقال له: أما والله قد كنت أمرتك فعصيتنى فقال له على وما أمرتنى به فعصيتك، فيه قال أمرتك ان تركب رواحلك فتلحق بمكة المشرفة فلا تتهم به ولا تحل شيئا من أمره فعصيتنى وأمرتك حين دعيت الى البيعة ان لا تبسط يدك الا على بيعة جماعة فعصيتنى وأمرتك حين خالف عليك طلحة والزبير ان لاتكرههما على البيعة وتخلى بينهما وبين وجههما وتدع الناس يتشاورون عاما كاملا فوالله لو تشاوروا عاما مازويت عنك ولا وجدوا منك بدأ وأنا آمرك اليوم ان تقيلهما بيعتهما وترد الى الناس أمرهم فان رفضوك رفضتهم وان قبلوك قبلتهم فانى والله قد رأيت الغدر فى رؤسهم وفى وجوههم النكث والكراهية. فقال له على أنا اذاً مثلك لا والله يابنى ولكن أقاتل بمن أطاعنى من عصانى وأيم الله يابنى مازلت مبغيا

على منذ هلك جدك فقال له الحسن وأيم الله ياأبتى ليظهرن عليك معاوية لانه من قتل مظلوما فقدجعلنا لوليه سلطانا فقال على يابنى وما علينا من ظلمه والله ماظلمناه ولا أمرنا ولا نصرنا عليه ولا كتبت فيه الى أحد سواداً فى بياض وانك لتعلم أن أباك أبرأ الناس من دمه ومن أمره فقال له الحسن . دع عنك هذا والله انى لا أظن بل لا أشك أن مافى المدينة عاتق ولا عذراء ولا صبى الا وعليه كفل من دمه فقال يابنى أنك لتعلم ان أباك قد رد الناس عنه مراراً أهل الكوفة وغيرهم وقد ارسلتكما جميعا بسيفيكما لتنصرانه وتموتان دونه فنهاكما عن القتال ونهى أهل الدار أجمعين وأيم الله لو أمرنى بالقتال لقاتلت دونه أو أموت بين يديه قال الحسن دع عنك هذا حتى يحكم الله بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، قال ثم دخل المغيرة بن شعبة فقال له على هل لك يامغيرة فى الله قال فأين هو ياأمير المؤمنين قال تأخذ سيفك فتدخل معنا فى هـذا الامر فتدرك من سبقك وتسبق من معك فانى أرى اموراً لابد للسيوف ان تشحذ لها وتقطف الرؤس بها فقال المغيرة انى والله ياأمير المؤمنين مارأيت عثمان مصيباً ولا قتله صوابا وانها لمظلمة تتلوها ظلمات فأريد ياأمير المؤمنين ان أذنت لى ان اضع سيفى وانا فى بيتى حتى تنجلى الظلمة ويطلع قمرها فسرى مبصرين نقفوا آثار المهتدين ونتقى سبيل الجائرين قال على قد أذنت لك فكن من أمرك على مابدالك . فقام عمار فقال معاذ الله يامغيرة تقعد أعمى بعـد ان كنت بصيرا يغلبك من غلبته ويسبقك من سبقته أنظر ماترى وماتفعل فاما انا فلا أكون الا فى الرعيل الاول . فقال له المغيرة ياأبا اليقظان اياك ان تكون كقاطع السلسلة فر من الضحل فوقع فى الرمضا فقال على لعمار دعه فانه لن يأخذ من الآخرة الاماخالطته الدنيا اما والله يامغيرة انها المثوبة المؤدية تؤدى من قام فيها الى الجنة ولما اختار بعدها فاذا غشيناك فنم فى بيتك فقال المغيرة أنت والله ياأمير المؤمنين اعلم منى ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك فان يكن مافعلت صوابا فاياه أردت وان خطأ فمنه نجوت ولى ذنوب كثيرة لاقبل لى بها الا الاستغفار منها .

خطبة على بن أبى طالب كرم الله وجهه

قال وذكروا ان البيعة لما تمت بالمدينة خرج على الى المسجد الشريف فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ووعد الناس من نفسه خيراً وتألفهم جهده: ثم قال: لايستغنى الرجل وان كان ذا مال وولد عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم وألسنتهم. هم أعظم الناس حيطة من ورائه واليهم سعيه وأعطفهم عليه ان أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الامور ومن يقبض يده عن عشيرته فانه يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله له ماأنفق فى دنياه ويضاعف له فى آخرته. واعلموا ان لسان صدق يجعله الله للمرء فى الناس خير له من المال فلا يزدادن أحدكم كبرياء ولا عظمة فى نفسه ولا يغفل أحدكم عن القرابة ان يصلها بالذى لايزيده ان أمسكه ولا ينقصه ان اهلكه واعلموا ان الدنيا قد أدبرت والآخرة قد أقبلت الا وان المضمار اليوم والسبق غداً الا وان السبقة الجنة والغاية النار الا ان الامل يشهى القلب ويكذب الوعد ويأتى بغفلة ويورث حسرة فهو غرور وصاحبه فى عناء فافزعوا الى قوام دينكم واتمام صلاتكم وأداء زكاتكم والنصيحة لامامكم وتعلموا كتاب الله وأصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوفوا بالعهد اذا عاهدتم وأدوا الامانات اذا ائتمنتم وارغبوا ثواب الله وارهبوا عذابه واعلموا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير

اختلاف الزبير وطلحة على على كرم الله وجهه

قال وذكروا ان الزبير وطلحة أتيا عليا بعد فراغ البيعة فقالا هل تدرى على مابايعناك ياأمير المؤمنين قال على نعم على السمع والطاعة وعلى مابايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان فقالا لا: ولكنا بايعناك على انا شريكاك فى الامر قال على لا ولكنكما شريكان فى القول والاستقامة والعون على العجز والاولاد قال وكان الزبير لا يشك فى ولاية العراق وطلحة فى اليمن فلما استبان لهما ان عليا غير موليهما شيئاً أظهرا الشكاة فتكلم الزبير فى ملأ من قريش فقال هذا جزاؤنا من على قمنا له فى أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس

فى بيته وكفى الامر فلما نال بنا ماأراد جعل دوننا غيرنا فقال طلحة مااللوم الا انا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه مافى أيدينا ومنعنا مافى يده فاصبحنا قد أخطأنا مارجونا . قال فانتهى قولهما الى على فدعا عبد الله بن عباس وكان استوزره فقال له بلغك قول هذين الرجلين قال نعم بلغنى قولهما قال فما ترى قال أرى انهما أحبا الولاية فول البصرة الزبير وول طلحة الكوفة فانهما ليسا بأقرب اليك من الوليد وابن عامر من عثمان فضحك على ثم قال ويحك ان العراقين بهما الرجال والاموال ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ويضربا الضعيف بالبلاء ويتقويا على القوى بالسلطان ولو كنت مستعملا احداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ولولا ماظهر لى من حرصهما على الولاية لكان لى فيهما رأى ثم أتى طلحة والزبير الى على فقالا ياأمير المؤمنين ائذن لنا الى العمرة فان تقم الى انقضائها رجعنا اليك وان تسر نتبعك فنظر اليهما وقال نعم والله ماالعمرة تريدان ان تمضيا الى شأنكما فمضيا

﴿ خلاف عائشة رضى الله عنها على على ﴾

قال وذكروا أن عائشة لما أتاها انه بويع لعلى وكانت خارجة عن المدينة فقيل لها قتل عثمان وبايع الناس عليا فقالت ماكنت أبالى ان تقع السماء على الارض قتل والله مظلوما وانا طالبة بدمه فقال لها عبيد أن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لانت ولقد قلت اقتلوا نعثلا فقد فجر فقالت عائشة قد والله قلت وقال الناس وآخر قولى خير من أوله فقال عبيد عذر والله ضعيف ياأم المؤمنين . ثم قال

منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وانت أمرت بقتل الاما * م وقلت لنا انه قد فجر
فهبنا أطعناك فى قتله * وقاتله عندنا من أمر

قال فلما أتى عائشة خبر أهل الشام انهم ردوا بيعة على وأبوا ان يبايعوه أمرت فعمل لها هودج من حديد وجعل فيه موضع عينيها ثم خرجت ومعها الزبير وطلحة وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة .

﴿ اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة ﴾
﴿ عن مشاهدة على وحروبه ﴾

قال وذكروا ان عمار بن ياسر قام الى على فقال يا أمير المؤمنين ائذن لى آتى عبد الله بن عمر فاكلمه لعله يخف معنا فى هذا الامر فقال على نعم فاتاه فقال له يا أبا عبد الرحمن انه قد بايع عليا المهاجرون والانصار ومن ان فضلناه عليك لم يسخطك وان فضلناك عليه لم يرضك وقد أنكرت السيف فى أهل الصلاة وقد علمت أن على القاتل القتل وعلى المحصن الرجم وهذا يقتل بالسيف وهذا يقتل بالحجارة وان عليا لم يقتل أحداً من أهل الصلاة فيلزمه حكم القاتل فقال ابن عمر يا أبا اليقظان ان أبى جمع أهل الشورى الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فكان احقهم بها على غير انه جاء أمر فيه السيف ولا اعرفه ولكن والله ما أحب ان لى الدنيا وما عليها وانى أظهرت وأضمرت عداوة على قال فانصرف عنه فاخبر علياً بقوله فقال على لو أتيت محمد بن مسلمة الانصارى فأتاه عمار فقال له محمد مرحباً بك يا أبا اليقظان على فرقة ما بينى وبينك والله لولا ما فى يدى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبايعت علياً ولو ان الناس كلهم عليه لكنت معه ولكنه يا عمار كان من النبى أمر ذهب فيه الرأى فقال عمار كيف . قال قال رسول الله اذا رأيت المسلمين يقتتلون أو اذا رأيت أهل الصلاة فقال عمار فان كان قال لك اذا رأيت المسلمين فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفهما ابداً وان كان قال لك أهل الصلاة فمن سمع هذا معك انما انت احد الشاهدين فتريد من رسول الله قولا بعد قوله يوم حجة الوداع : دماؤكم واموالكم عليكم حرام الا بحدث . فتقول يا محمد لا نقاتل المحدثين قال حسبك يا أبا اليقظان . قال ثم أتى سعد بن ابى وقاص فكلمه فأظهر الكلام القبيح فانصرف عمار الى على فقال له على: دع هؤلاء الرهط اما ابن عمر فضعيف واما سعد فحسود وذنبى الى محمد بن مسلمة انى قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهود

﴿ هروب مروان بن الحكم من المدينة المنورة ﴾

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما بويع على هرب من المدينة فلحق

بعائشة بمكة فقالت له عائشة ماوراءك فقال مروان غلبنا على أنفسنا . فقال له رجل من أهل مكة اياك وعلياً فقد طلبك فقر من بين يديه فقال مروان لم فوالله مايجد الى سبيلا أما هو فقد علمت انه لا يأخذنى بظن ولا ينصب على الا اليقين وأيم الله ماأبالى اذا قصر على سيفه ماطال على من لسانه فقال الرجل اذا اطال الله عليك لسانه طال سيفه . قال مروان : كلا ان اللسان أدب والسيف حكم

﴿ خروج على من المدينة ﴾

قال وذكروا ان علياً تردد بالمدينة اربعة اشهر ينتظر جواب معاوية وقد كان كتب اليه كتابا بعد كتاب يمنيه ويعده اولا ثم كتاباً يخوفه ويتوعده فحبس معاوية جواب كتابه ثلاثة أشهر ثم أتاه جوابه على غير مايحب فلما أتاه ذلك شخص من المدينة فى تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والانصار من أهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم بشر كثير من اخلاط الناس . واستخلف على المدينة قثم بن عباس وكان له فضل وعقل وأمره ان يشخص اليه من احب الشخوص ولا يحمل احداً على ما يكره فخف الناس الى على بعده ومضى معه من ولده الحسن والحسين ومحمد فلما كان فى بعض الطريق أتاه كتاب أخيه عقيل بن أبى طالب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد ياأخى كلاك الله والله جارك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه على كل حال وانى خرجت معتمراً فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما وهم متوجهون الى البصرة قد اظهروا الخلاف ونكثوا البيعة وركبوا عليك قتل عثمان وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم وأوباشهم ثم مر عبد الله بن أبى سرح فى نحو من اربعين راكباً من أبناء الطلقاء من بنى أمية فقلت لهم وعرفت المنكر فى وجوههم أبمعاوية تلحقون عداوة . والله انها منكم ظاهرة غير مستنكرة تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمر الله فاسمعنى القوم وأسمعتهم ثم قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدثون ان الضحاك بن قيس اغار على الحيرة واليمامة فاصاب ماشاء من أموالهما ثم انكفأ راجعاً الى الشام فأف لحياة فى دهر جرأ عليك الضحاك وما الضحاك الا فقع بقرقرة فظننت حين بلغنى ذلك ان

انصارك خذلوك فاكتب الى يابن أمى برأيك وامرك فان كنت الموت تريك تحملت اليك بنى أخيك وولد أبيك فعشنا ماعشت ومتنا معك اذا مت فوالله ماأحب ان ابقى بعدك فوالله الاعز الاجل ان عيشاً أعيشه بعدك فى الدنيا لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع والسلام . فكتب اليه على كرم الله وجهه : أما بعد ياأخى فكلاك الله كلاءته من يخشاه انه حميد مجيد قدم على عبد الرحمن الازدى بكتابك تذكر فيه انك لقيت بن أبى سرح فى أربعين من ابناء الطلقاء من بنى أمية متوجهين الى المغرب وابن أبى سرح يا أخى طال ما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصد عن كتابه وسنته وبغاها عوجا فدع ابن أبى سرح وقريشاً وتركاضهم فى الضلال فان قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم وجهلوا حقى وجحدوا فضلى ونصبوا لى الحرب وجدوا فى اطفاء نور الله اللهم فاجز قريشاً عنى بفعالها فقد قطعت رحمى وظاهرت على وسلبتنى سلطان ابن عمى وسلمت ذلك لمن ليس فى قرابتى وحقى فى الاسلام وسابقتى التي لا يدعى مثلها مدع الا ان يدعى مالا أعرف ولا اظن الله يعرفه والحمد لله على ذلك كثيرا . وأما ماذكرت من غارة الضحاك على الحيرة واليمامة فهو أذل وألأم من ان يكون مر بها فضلا عن الغارة ولكن جاء فى خيل جريدة فسرحت اليه جنداً من المسلمين فلما بلغه ذلك ولى هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للاياب فقتلوا وقتل من اصحابه بضعة عشر رجلا ونجا هارباً بعد ان أخذ منه بالمخنق فلولا الليل مانجا واما ماسألت ان اكتب اليك منه برأيى فان رأيى جهاد المحلين حتي ألقى الله لا يزيدنى كثرة الناس حولى عزة ولا تفرقهم عنى وحشة لانى محق والله مع المحق وما اكره الموت على الحق لان الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا الى الحق . وأما ماعرضت به من مسيرك الى ببنيك وبنى أبيك فلا حاجة لى فى ذلك فذرهم راشدا مهديا فوالله ماأحب ان تهلكوا معى ان هلكت . وأنا كما قال اخو بنى سليم

فان تسأليني كيف صبرى فاننى صبور على ريب الزمان صليب
عزيز على ان أرى بكآبة فيشمت واش او يساء حبيب

﴿كتاب أم مسلمة الى عائشة﴾

قال وذكروا انه لما تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير ونصبهم الحرب لعلي وتألبهم الناس كتبت أم مسلمة الى عائشة : أما بعد فانك سدة بين رسول الله و بين أمته وحجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تبذليه وسكن عقيرتك فلا تضحيه الله من وراء هذه الامة قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد اليك وقد علمت ان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع خفرات النساء غض الابصار وضم الذيول ماكنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك باطراف الجبال والفلوات على قعود من الابل من منهل الى منهل ان بعين الله مهواك وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين وقد هتكت حجابه الذي ضرب الله عليك عهيداه ولو أتيت الذى تريدين ثم قيل لى ادخلي الجنة لاستحييت ان ألقى الله هاتكة حجابا قد ضربه علي فاجعلي حجابك الذي ضرب عليك حصنك فابغيه منزلا لك حتي تلقيه فان أطوع ماتكونين اذا مالزمته وأصح ماتكونين اذا ماقعدت فيه ولو ذكرتك كلاما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشتني نهش الحية والسلام . فكتبت اليها عائشة: ماأقبلني لوعظك واعلمني بنصحك وليس مسيرى على ماتظنين ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متناجزتين فان أقعد ففى غير حرج وان أخرج فلا غنى بى عن الازدياد منه والسلام

﴿استنفار عدى بن حاتم قومه لنصرة علي رضى الله عنه﴾

قال وذكروا ان ابن حاتم قام الى على فقال ياأمير المؤمنين لو تقدمت الى قومى أخبرهم بمسيرك واستنفرهم فان لك من طيء مثل الذى معك فقال على نعم فافعل فتقدم عدى الى قومه فاجتمعت اليه رؤساء طيء : فقال لهم : يامعشر طيء انكم امسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشرك ونصرتم الله ورسوله فى الاسلام على الردة وعلي قادم عليكم وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم فخفوا معه وقد كنتم تقاتلون فى الجاهلية على الدنيا فقاتلوا فى الاسلام على الآخرة فان أردتم الدنيا فعند الله مغانم

كثيرة وأنا أدعوكم الى الدنيا والآخرة وقد ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم الناس فاجيبوا قولى فانكم أعز العرب داراً لكم فضل معاشكم وخيلكم فاجعلوا فضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد وقد اظلكم على والناس معه من المهاجرين والبدريين والانصار فكونوا أكثرهم عدداً فان هذا سبيل للحى فيه الغنى والسرور وللقتيل فيه الحياة والرزق فصاحت طىء نعم نعم حتى كاد ان يصم من صياحهم . فلما قدم على طىء أقبل شيخ من طىء قد هرم من الكبر فرفع له من حاجبيه فنظر الى على فقال له أنت ابن أبى طالب ؟ قال نعم . قال مرحباً بك واهلا قد جعلناك بيننا وبين الله وعديا بيننا وبينك ونحن بينه وبين الناس والله لو اتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وايامك الصالحة ولئن كان مايقال فيك من الخير حقاً ان فى أمرك وامر قريش لعجبا اذ اخروك وقدموا غيرك . سر فوالله لايتخلف عنك من طىء الا عبد اودعى الا باذنك فشخص معه من طىء ثلاثة عشر الف راكب

﴿ استنفار زفر بن زيد قومه لنصرة على ﴾

قال وذكروا انزفر بن زيد بن حذيفةالاسدى وكان من سادة بنى اسد قام الى على فقال ياأمير المؤمنين ان طيأ اخواننا وجيراننا قد اجابوا عديا ولى فى قومى طاعة فاذن لى فآتيهم قال نعم . فأتاهم فجمعهم وقال : يابنى اسد ان عدى بن حاتم ضمن لعلى قومه فاجابوه وقضوا عنه ذمامه فلم يعتل الغنى بالغنى ولا الفقير بالفقر وواسى بعضهم بعضاً حتى كأنهم المهاجرون فى الهجرة والانصار فى الأثرة وهم جيرانكم فى الديار وخلطاؤكم فى الاموال فانشدكم الله لايقول الناس غداً نصرت طىء وخذلت بنواسد وان الجار يقاس بالجار كالنعل بالنعل فان خفتم فتوسعوا فى بلادهم وانضموا الى جبلهم وهذه دعوة لها ثواب من الله فى الدنيا والآخرة فقام اليه رجل منهم فقال يازفر انك لست كعدى ولااسد كطىء ارتدت العرب فثبتت طىء على الاسلام وجاد عدى بالصدقة وقاتل بقومه قومك فوالله لونفرت طىء باجمعها لمنعت رعاؤها دارها ولو انمنعنا اضعافنا لخفنا على دارنا فان كان لا يرضيك منا الا ما ارضى عديا من طىء فليس ذلك عندنا وان

كان يرضيك قدر مايرد عناعذر الخذلان واثم المعصية فلك ذلك منا فسار معه من اسد جماعة ليست كجماعة طيء حتى قدم بها على علي

﴿ توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما اجتمع طلحة والزبير وذووهما مع عائشة واجمعوا على المسير من مكة أتاهم عبدالله بن عامر فدعاهم الى النصرة ووعدهم الرجال والاموال فقال سعيد ابن العاصي لطلحة والزبير ان عبدالله بن عامر يدعوكما الى النصرة وقد فر من اهلها فرار العبد الآبق وهم في طاعة عثمان ويريدان يقاتل بهم عليا وهم في طاعة علي وخرج من عندهم اميراً ويعود اليهم طريداً وقد وعدكم الرجال والاموال فاما الاموال فعنده واما الرجال فلا رجل فقال مروان بن الحكم ايها الشيخان مايمنعكما ان تدعوا الناس الى بيعة مثل بيعة علي فان اجابوكما عارضتماه ببيعة كبيعته وان لم يجيبوكما عرفتما مالكما في انفس الناس فقال طلحة يمنعنا ان الناس بايعوا علياً بيعة عامة فبم ننقضها ؟ وقال الزبير ويمنعنا ايضاً من ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان وخفتنا الى بيعة علي . فقال الوليد بن عتبة ان كنتما اسأتما فقد احسنتما وان كنتما أخطأتما فقد اصبتما وانتما اليوم خير منكما امس فقال مروان أما أنا فهواي الشام وهواكما البصرة وانا معكم وان كانت الهلكة فقال سعيد ابن العاصي اما انا فراجع الى منزلي فلما استتام امرهم واجتمعت كلمتهم على المسير قال طلحة للزبير انه ليس شيء انفع ولا ابلغ في استمالة اهواء الناس من ان تشخص لعبد الله بن عمر فاتياه فقولا ياابا عبد الرحمن ان أمنا عائشة خفت لهذا الامر رجاء الاصلاح بين الناس فاشخص معنا فان لك بها اسوة فان بايعنا الناس فانت احق بها فقال ابن عمر ايها الشيخان أتريدان ان تخرجاني من بيتي ثم تلقياني بين مخالب ابن ابي طالب ؟ ان الناس انما يخدعون بالدينار والدرهم واني قد تركت هذا الامر عياناً في عافية انالها فانصرفا عنه . وقدم يعلى ابن منبه عليهم من اليمن وكان عاملا لعثمان فاخرج اربعمائة بعير ودعا الى الحملان فقال الزبير دعنا من ابلك هذه وأقرضنا من هذا المال فاقرض الزبير ستين الفاً وأقرض طلحة أربعين الفاً ثم سار القوم فقال الزبير الشام بها الرجال والاموال وعليها معاوية وهو ابن عم الرجل ومتى نجتمع يولنا عليه وقال عبدالله بن عامر البصرة

فان غلبتم عليا فلكم الشام وان غلبكم على كان معاوية لكم جنة وهذه كتب اهل البصرة الى فقال يعلى بن منبه وكان ذاهبا ايها الشيخان قدراقبل ان ترحلا ان معاوية قد سبقكم الى الشام وفيها الجماعة وانتم تقدمون عليه غداً فى فرقة وهو ابن عم عثمان دونكم أرايتم ان دفعكم عن الشام او قال اجعلها شورى ماأنتم صانعون أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجا منها وأقبح من ذلك ان تأتيا رجلا فى يديه أمر قد سبقكما اليه وتريدان ان تخرجاه منه فقال القوم فالى أين قال الى البصرة فقال الزبير لعبدالله بن عامر من رجال البصرة ؟ قال ثلاثة كلهم سيد مطاع كعب بن سور فى اليمن والمنذر بن ربيعة فى ربيعة والاحنف بن قيس فى البصرة . فكتب طلحة والزبير الى كعب بن سور : أما بعد فانك قاضى عمر بن الخطاب وشيخ اهل البصرة وسيد أهل اليمن وقد كنت غضبت لعثمان من الاذى فاغضب له من القتل والسلام .

وكتبنا الى الاحنف بن قيس : أما بعد فانك وافد عمر وسيد مضر وحليم أهل العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن قادمون عليك والعيان أشفى لك من الخبر والسلام . وكتبنا الى المنذر . اما بعد فان أباك كان رئيساً فى الجاهلية وسيداً فى الاسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق يقال كاد او لحق وقد قتل عثمان من أنت خير منه وغضب له من هو خير منك والسلام . فلما وصلت كتبهما الى القوم قام زياد بن مضر والنعمان بن شوال وعزوان فقالوا مالنا ولهذا الحى من قريش أيريدون ان يخرجونا من الاسلام بعد ان دخلنا فيه ويدخلونا فى الشرك بعد ان خرجنا منه قتلوا عثمان وبايعوا عليا لهم مالهم وعليهم ماعليهم وكتب كعب بن سور الى طلحة والزبير . أما بعد فانا غضبنا لعثمان من الاذى والغير باللسان فجاء أمر الغير فيه بالسيف فان يك عثمان قتل ظالماً فما لكما وله وان كان قتل مظلوما فغيركما اولى به وان كان أمره أشكل على من شهده فهو على من غاب عنه اشكل . وكتب الاحنف اليهما . اما بعد فانه لم يأتنا من قبلكم أمر لانشك فيه الا قتل عثمان وأنتم قادمون علينا فان يكن فى العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم والا يكن فيه فضل فليس فى ايدينا ولا فى أيديكم ثقة والسلام . وكتب المنذر . أما بعد فانه لم يلحقنى بأهل الخير الا ان اكون خيراً من اهل الشر وانما اوجب حق عثمان اليوم حقه أمس وقد كان بين

اظهركم فخذلتموه فتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأى فلما قرأ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا . ثم غدا مروان الى طلحة والزبير فقال لهما عاودا ابن عمر فلعله ينيب . فعاوداه فتكلم طلحة . فقال . ياأبا عبد الرحمن انه والله لرب حق ضيعناه وتركناه فلما حضر العذر قضينا بالحق وأخذنا بالحظ ان علياً يرى انفاذ بيعة وان معاوية لا يرى ان يبايع له وانا نرى ان نردها شورى فان سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت الامور والا فهى الهلكة . فقال ابن عمر . ان يكن قولكما حقا ففضلا ضيعت وان يكن باطلا فشر منه نجوت واعلما ان بيت عائشة خير لها من هودجها وانتما المدينة خير لكما من البصرة والذل خير لكما من السيف ولن يقاتل عليا الا من كان خيراً منه وأما الشورى فقد والله كانت فقدم واخر تماولن يردها الا أولئك الذين حكموا فيها فاكفيانى انفسكما فانصرفا . فقال مروان استعينا عليه بحفصة فأتيا حفصة فقالت لو اطاعنى اطاع عائشة دعاه فاتركاه وتوجها الى البصرة . وأتاهما عبدالله بن خلف فقال لهما . انه ليس احد من اهل الحجاز كان منه فى عثمان شىء الا وقد بلغ اهل العراق وقد كان منكما فى عثمان من التخليب والتأليب مالا يدفعه جحود ولا ينفعكما فيه عذر واحسن الناس فيكما قولا من ازال عنكما القتل وألزمكما الخذل وقد بايع الناس عليا بيعة عامة والناس لاقوكما غداً فما تقولان . فقال طلحة نكر القتل ونقر بالخذل ولا ينفع الاقرار بالذنب الا مع الندم عليه ولقد ندمنا على ما كان منا . وقال الزبير بايعنا علياً والسيف على اعناقنا حيث تواثب الناس بالبيعة اليه دون مشورتنا ولم نصب لعثمان خطأ فتجب علينا الدية ولا عمداً فيجب علينا القصاص . فقال عبدالله بن خلف عذركما أشد من ذنبكما قال فتهيأ القوم للمسير فقال طلحة والزبير اسرعوا السير لعلنا نسبق علياً من خلاف طريقه الى البصرة قال وكتب قثم بن عباس الى على يخبره ان طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة وقد استنفروا الناس فلم يخف معهم الا من لا يعتد بمسيره ومن خلفت بعدك فعلى ماتحب . فلما قدم على على كتابه غمه ذلك واعظمه الناس وسقط فى أيديهم فقام قيس بن سعد بن عبادة فقال : ياأمير المؤمنين انه والله ماغمنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة لان هذين الرجلين حلال الدم عندنا لبيعتهما ونكثهما ولان عائشة من علمت مقامها فى الاسلام ومكانها من رسول الله مع فضلها

ودينها وأمومتها منا ومنك ولكنهما يقدمان البصرة وليس كل اهلها لهما وقدم الكوفة وكل اهلها لك ونسير بحقك الى باطلهم ولقد كنا نخاف ان يسيرا الى الشام فيقال صاحبا رسول الله وأم المؤمنين فيشتد البلاء و تعظم الفتنة فاما اذا أتيا البصرة وقد سبقت اليه طاعتك وسبقوا الى بيعتك وحكم عليهم عاملك ولا والله ما معهما مثل من معك ولا يقدمان على مثل ما تقدم عليه فسر فان الله معك وتتابعت الانصار فقالوا واحسنوا . قال ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من ارض خيبر اقبل عليهم سعيد بن العاصي على نجيب له فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها أين تريدين يا أم المؤمنين قالت اريد البصرة قال وما تصنعين بالبصرة قالت اطلب بدم عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ثم اقبل على مروان فقال له واين تريد أيضاً قال البصرة قال وما تصنع بها قال اطلب قتلة عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ان هذين الرجلين قتلا عثمان « طلحة والزبير » وهما يريدان الامر لانفسهما فلما غلبا عليه قالا نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة . ثم قال المغيرة بن شعبة . أيها الناس ان كنتم انما خرجتم مع امكم فارجعوا بها خيرا لكم وان كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان وان كنتم نقمتم على علي شيئاً فبينوا ما نقمتم عليه أنشدكم الله فتنتين فى عام واحد . فأبوا الا ان يمضوا بالناس فلحق سعيد بن العاصي باليمن ولحق المغيرة بالطائف فلم يشهدا شيئاً من حروب الجمل ولا صفين فلما انتهوا الى ماء الحوأب فى بعض الطريق ومعهم عائشة نبحها كلاب الحوأب فقالت لمحمد بن طلحة اى ماء هذا قال هذا ماء الحوأب فقالت ما أراني الا راجعة قال ولم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه : كأني باحداكن قد نبحها كلاب الحوأب واياك ان تكوني انت يا حميراء . فقال لها محمد بن طلحة تقدمي رحمك الله ودعي هذا القول . وأتى عبدالله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفتيه اول الليل واتاها ببينة زور من الاعراب فشهدوا بذلك فزعموا أنها اول شهادة زور شهد بها فى الاسلام فلما انتهى اقبالهم على اهل البصرة ودنوا منها قام عثمان بن حنيف عامل البصرة لعلي بن أبي طالب فقال : يا أيها الناس انما بايعتم الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد

عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما والله لو علم على ان احداً احق بهذا الامر منه ماقبله ولو بايع الناس غيره لبايع من بايعوا واطاع من ولوا وما به الى احد من صحابة رسول الله حاجة وما باحد عنه غنى ولقد شاركهم فى محاسنهم وما شاركوه فى محاسنه ولقد بايعه هذان الرجلان وما يريد الله فاستعجلا الفطام قبل الرضاع والرضاع قبل الولادة والولادة قبل الحمل وطلبا ثواب الله من العباد وقد زعما انهما بايعامستكرهين فان كان استكرهاقبل بيعتهما وكانا رجلين من عرض قريش لهما ان يقولا ولا يأمرا الاوان الهدى ما كانت عليه العامة والعامة على بيعة على فما ترون ايها الناس ؟ فقام حكم بن جبل العبدى : فقال: ترى ان دخلا علينا قاتلناهما وان وقفا تلقيناهما والله ما أبالى ان اقاتلهما وحدى وان كنت احب الحياة وما أخشى فى طريق الحق وحشة ولا غيرة ولا غشاً ولا سوء منقلب الى بعث وانها لدعوة قتيلها شهيد وحيها فائز والتعجيل الى الله قبل الاجر خير من التأخير فى الدنيا وهذه ربيعة معك

﴿ نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا ان طلحة والزبير نزلا البصرة قال عثمان بن حنيف تعذر اليهما برجلين فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله وأبا الاسود الدؤلى فارسلهما الى طلحة والزبير فذهبا اليهما فناديا ياطلحة فأجابهما فتكلم أبو الاسود الدؤلى فقال ياأبا محمد انكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا فى قتله وبايعتم عليا غير مؤامرين لنا فى بيعته فلم نغضب لعثمان اذ قتل ولم نغضب لعلى اذ بويع ثم بدا لكم فأردتم خلع على ونحن على الامر الاول فعليكم المخرج مما دخلتم فيه . ثم تكلم عمران فقال ياطلحة انكم قتلتم عثمان ولم نغضب له اذ لم تغضبوا ثم بايعتم عليا وبايعنا من بايعتم فان كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا وان كان خطأ فحظكم منه الاوفر ونصيبكم منه الاوفى : فقال طلحة ياهذان ان صاحبكما لايرى ان معه فى هذا الامر غيره وليس على هذا بايعناه وأيم الله ليسفكن دمه : فقال أبو الاسود ياعمران أما هذا فقد صرح انه انما غضب للملك . ثم أتيا الزبير فقالا ياأبا عبد الله انا أتينا طلحة قال الزبير ان طلحة واياى كروح فى جسدين وانه والله ياهذان قد كانت منا فى عثمان فلتات

احتجنافيها الى المعاذير ولو استقبلنا من أمرنا مااستدبرنا نصرناه ثم أتياندخلا على عائشة فقالا يأم المؤمنين ماهذا المسيرأمعك من رسول الله بهعهد قالت: قتل عثمان مظلوما غضبنا لكم من السوط والعصاولا نغضب لعثمان من القتل فقال أبو الاسود وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا فقالت ياأبا الاسود بلغني ان عثمان بن حنيف يريد قتالى فقال أبو الاسود نعم والله قتالا اهونه تندرمنه الرؤس . واقبل غلام من جهينة الى محمد بن طلحة فقال حدثني عن قتلة عثمان قال نعم دم عثمان على ثلاث اثلاث ثلث على صاحبة الهودج وثلث على صاحب الجمل الاحمر وثلث على على بن أبى طالب فضحك الجهني ولحق بعلى بن أبى طالب و بلغ طلحةقول ابنه محمد وكان محمد من عباد الناس فقال له يامحمد اتزعمعنا قولك انى قاتل عثمان كذلك تشهد على ابيك كن كعبد اللهابن الزبير فوالله ماأنت بخير منه ولا أبوك بدون أبيه كف عن قولك والا فارجع فان نصرتك نصرة رجل واحد وفسادك فساد عامة فقال محمد ماقلت الا حقاً ولن أعود .

﴿ نزول على بن أبى طالب الكوفة ﴾

قال وذكروا ان علياً لما نزل قريبا من الكوفة بعث عمار بن ياسرومحمد ابن أبى بكر الى أبىموسى الاشعرى وكان أبو موسىعاملا لعثمان علىالكوفة فبعثهما على اليه والى أهل الكوفة يستفزهم فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن أبى بكر فدعوا الناس الى النصرة لعلى فلما امسوا دخل رجال من أهل الكوفة على أبى موسىفقالوا ماترىانخرجمع هذينالرجلين الىصاحبهما ام لا ؟ فقال ابو موسى : اما سبيل الآخرة ففىان تلزموا بيوتكم واما سبيل الدنيا فالخروج مع من أتاكم فأطاعوه فتباطأالناس على على و بلغ عماراًومحمداً ماأشار أبو موسى على أولئك الرهط فأتياه فاغلظا له فى القول قال أبو موسى ان بيعة عثمان فى عنقى وعنق صاحبكم ولئن اردنا القتال مالنا الى قتال أحد منسبيل حتى نفرغ من قتلة عثمان . ثم خرجأبو موسى فصعد المنبر ثمقال: أيها الناسان أصحابرسول الله الذينصحبوه فى المواطن اعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه وان لكم حقاً على أؤديه اليكم . ان هذه الفتنة النائم فيها خيرمن

اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي والساعي خير من الراكب فاغمدوا سيوفكم حتى تنجلي هذه الفتنة . فقام عمار بن ياسر فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس ان أبا موسى ينهاكم عن الشخوص الى هاتين الجماعتين ولعمري ما صدق فيما قال وما رضي الله من عباده بما ذكر . قال الله عزوجل: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا» وقال : «وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله» فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من ان يجلسوا فى بيوتهم ويخلوا بين الناس فيسفك بعضهم دماء بعض فسيروا معنا الى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه فان أصلح الله أمرهم رجعتم مأجورين وقد قضيتم حق الله وان بغى بعضهم على بعض نظرتم الى الفئة الباغية فقاتلتموها حتى تفيء الى أمر الله كما أمركم الله وافترض عليكم ثم قعد.

فلما انصرفا الى علي من عند ابي موسى واخبراه بما قال أبو موسى بعث اليه الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد وكتب معهم الى أهل الكوفة : أما بعد فاني اخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سامعه كمن عاينه ان الناس طعنوا على عثمان فكنت رجلا من المهاجرين أقل عيبه واكثر استعتابه وكان هذان الرجلان طلحة والزبير اهون سيرهما فيه اللهجة والوجيف وكان من عائشة فيه قول على غضب فانتحى له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين وهما أول من بايعني على ما بويع عليه من كان قبلي ثم استأذنا الى العمرة فأذنت لهما فنقضا العهد ونصبا الحرب واخرجا أم المؤمنين من بيتها ليتخذها فتنة وقد سارا الى البصرة اختياراً لاهلها ولعمري ما اياي يجيبون ما يجيبون الا الله . وقد بعثت ابني الحسن وابن عمي عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد فكونوا عند ظننا بكم والله المستعان .

فسار الحسن ومن معه حتى قدموا الكوفة على أبي موسى فدعوه الى نصرة علي فبايعهم ثم صعد أبو موسى المنبر وقام الحسن أسفل منه فدعاهم الى نصرة علي واخبرهم بقرابته من رسول الله وسابقته وبيعة طلحة والزبير اياه ونكثهما

عهده وأقرأهم كتاب على فقام شريح بن هانئ فقال لقد أردنا ان نركب الى المدينة حتى نعلم قتل عثمان فقد اتانا الله به فى بيوتنا فلا تخالفوا عن دعوته والله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعاً وطاعة ثم قام الحسن بن على : فقال : أيها الناس انه قد كان من مسير أمير المؤمنين على بن أبى طالب ماقد بلغكم وقد أتيناكم مستنفرين لانكم جبهة الانصار ورؤس العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة مابلغكم وتعلمون ان وهن النساء وضعف رأيهن الى التلاشى ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء وأيم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والانصار كفاية فانصروا الله ينصركم ثم قام عمار بن ياسر فقال ياأهل الكوفة ان كان غاب عنكم انباؤنا فقد انتهت اليكم أمورنا ان قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله الى الناس ولا ينكرون ذلك وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم . فيه أحيا الله من أحيا وأمات من أمات . وان طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر وكانا أول من بايع علياً فلما أخطأهما ما أملاه نكثا بيعتهما من غير حدث وهذا ابن بنت رسول الله الحسن قد عرفتموه وقد جاء يستنفركم وقد أظلكم على فى المهاجرين والبدريين والانصار الذين تبوؤا الدار والايمان فانصروا الله ينصركم . ثم قام قيس بن سعد : فقال : أيها الناس ان الامر لو استقبل به أهل الشورى كان على أحق بها وكان قتال من أبى ذلك حلالا فكيف والحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه رغبة وخالفاه حسداً وقد جاءكم المهاجرين والانصار .

﴿ دخول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطف لها الناس فى الطريق يقولون ياأم المؤمنين ماالذى أخرجك من بيتك فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس فحمدت الله واثنت عليه . ثم قالت: أيها الناس والله مابلغ من ذنب عثمان ان يستحل دمه ولقد قتل مظلوماً. غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل وان من الرأى ان تنظروا الى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم يرد هذا الامر شورى على ماجعله عمر

ابن الخطاب . فمن قائل يقول صدقت وآخر يقول كذبت فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض فبينما هم كذلك أتاهم رجل من اشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة فى التأليب على قتل عثمان فقال لطلحة هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما ردك على ما كنت عليه وكنت أمس تكتب الينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا الى الطلب بدمه وقد زعمتما ان علياً دعاكما الى ان تكون البيعة لكما قبله اذ كنتما أسن منه فأبيتما الا ان تقدماه لقرابته وسابقته فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذى عرض عليكما قال طلحة دعانا الى البيعة بعد ان اغتصبها وبايعه الناس فعلمنا حين عرض علينا انه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والانصار وخفنا ان نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين قال فما بدا لكما فى عثمان قال ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا اياه لم نجد من ذلك مخرجاً الا الطلب بدمه . قال ما تأمرانى به قال بايعنا على قتال على ونقض بيعته قال أرأيتما ان أتانا بعدكما من يدعونا الى ماتدعون اليه ما نصنع ؟ قالا لا تبايعه قال ما أنصفتما أتأمرانى ان اقاتل علياً واقض بيعته وهى فى اعناقكما وتنهيانى عن بيعة من لا بيعة له عليكما اما اننا قد بايعنا عليا فان شئتما بايعنا كما بيسار أيدينا . قال ثم تفرق الناس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم جاء جارية ابن قدامة فقال : يا أم المؤمنين لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انه كانت لك من الله تعالى حرمة وستر فهتكت سترك وأبحت حرمتك انه من رأى قتالك فقد رأى قتلك فان كنت يا أم المؤمنين اتيتينا طائعة فارجعى الى منزلك وان كنت أتيتينا مستكرهة فاستعتبي

﴿ قتل أصحاب عثمان بن حنيف عامل على على البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما اختلف القوم اصطلحوا على ان لعثمان بن حنيف دار الامارة ومسجدها وبيت المال وان ينزل أصحابه حيث شاؤا من البصرة وان ينزل طلحة والزبير وأصحابهما حيث شاؤا حتى يقدم على فان اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس وان يتفرقوا يلحق كل قوم باهوائهم عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمة نبيه وأشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً فانصرف

عثمان فدخل دار الامارة وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنازلهم ويضعوا سلاحهم
وافترق الناس وكتموا مافى أنفسهم غير بنى عبد القيس فانهم أظهروا نصرة على
وكان حكيم بن جبل رئيسهم فاجتمعوا اليه فقال لهم : يامعشر عبد القيس ان
عثمان بن حنيف دمه مضمون وامانته مؤداة وأيم الله لو لم يكن على أميرا
لمنعناه لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف له الولاية والجوار
فاشخصوا بانصاركم وجاهدوا العدو فاما ان تموتوا كراما واما ان تعيشوا أحرارا
فمكث عثمان بن حنيف فى الدار اياما ثم ان طلحة والزبير ومروان بن الحكم
أتوه نصف الليل فى جماعة معهم فى ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم فقتلوا
أربعين رجلا من الحرس فخرج عثمان بن حنيف فشد عليه مروان فأسره
وقتل أصحابه فأخذه مروان فنتف لحيته ورأسه وحاجبيه فنظر عثمان بن حنيف
الى مروان فقال اما انك ان فتنى بها فى الدنيا لم تفتنى بها فى الآخرة

﴿ تعبئة الفئتين للقتال ﴾

وذكروا انه لما تعبا القوم للقتال فكانت الحرب للزبير وعلى الخيل طلحة
وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة وعلى المقدمة مروان
وعلى رجال الميمنة عبد الرحمن بن عبادة وعلى الميسرة هلال بن وكيع فلما فرغ
الزبير من التعبئة قال : أيها الناس وطنوا انفسكم على الصبر فانه يلقاكم غدا
رجل لامثل له فى الحرب ولا شبيه ومعه شجعان الناس فلما بلغ عليا تعبئة
القوم عبأ الناس للقتال فاستعمل على المقدمة عبدالله بن عباس وعلى الساقة
هند المرادى وعلى جميع الخيل عباس بن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن
أبى بكر ثم كتب الى طلحة والزبير . اما بعد فقد علمتما انى لم أرد الناس حتى
أرادونى ولم أبايعهم حتى بايعونى وانكما لمن أراد وبايع وان العامة لم تبايعنى
لسلطان خاص فان كنتما بايعتمانى كارهين فقد جعلتما لى عليكما السبيل باظهاركما
الطاعة واسراركما المعصية وان كنتما بايعتمانى طائعين فارجعا الى الله من قريب فا
انت يازبير لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وانك ياطلحة لشيخ
المهاجرين وان دفاعكما هذا الامر قبل ان تدخلا فيه كان أوسع عليكما من
خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما انى قتلت عثمان فبينى وبينكما فيه

بعض من يحلف عني وعنكما من اهل المدينة وزعمتما انى آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا فى طاعتى ثم يخاصموا الى قتلة أبيهم وما انتما وعثمان ان كان قتل ظالماً او مظلوماً ولقد بايعتمانى وانتما بين خصلتين قبيحتين نكث بيعتكما واخراجكما أمكما . وكتب الى عائشة : اما بعد فانك خرجت غاضبة لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً مابال النساء والحرب والاصلاح بين الناس تطلبين بدم عثمان ولعمرى لمن عرضك للبلاء وحملك على المعصية أعظم اليك ذنبا من قتلة عثمان وما غضبت حتى اغضبت وما هجت حتى هيجت فاتقى الله وارجعى الى بيتك . فاجابه طلحة والزبير انك سرت مسيرا له مابعده ولست راجعاً وفى نفسك منه حاجة فامض لامرك اما انت فلست راضيا دون دخولنا فى طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبدا فاقض ماانت قاض . وكتبت عائشة . جل الامر عن العتاب والسلام . قال ورجعت رسل على من البصرة فمنهم من اجابه واتاه ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير وبعث الاحنف بن قيس الى على . ان شئت أتيتك فى مائتي رجل من أهل بيتي وان شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل اليه على بل كف عنى أربعة آلاف سيف وكفى بذلك ناصرا . فجمع الاحنف بنى تميم فقال . يامعشر بنى تميم ان ظهر اهل البصرة فهم اخوانكم وان ظهر على فلم يهجكم وكنتم قد سلمتم . فكف بنو تميم ولم يخرجوا الى احد الفريقين . قال ولما كتب على الى طلحة والزبير أبى زمعة بن الاسود الى طلحة والزبير فقال لهما ان عليا قد أكثر اليكما الرسل كانه طمع فيكما وأطمعتماه فى انفسكما فاتقيا الله ان كنتما بايعتماه طائعين واتقيا الله علينا وعلى انفسكما فان اللبن فى الضرع ومتى يحلب لا يرجع وان كنتما بايعتماه مكرهين فاخرقا هذا الوطب وادفعا هذا اللبن فما أغنانا عن هذه الكتب والرسل . قال فخرج طلحة والزبير وعائشة وهى على جمل عليه هودج قد ضرب عليه صفائح الحديد فبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن أفنية البصرة فلما تواقفوا للقتال امر على مناديا ينادى فى أصحابه لا يرمين أحد سهما ولا حجرا ولا يطعن برمح حتى أعذر الى القوم فاتخذ عليهم الحجة البالغة قال فكلم على طلحة والزبير قبل القتال فقال لهما استجلبتما عائشة بحق النبوة

رسوله عابها اربع خصال ان تصدق فيها . هل تعلم رجلا من قريش اولى مني بالله ورسوله واسلامى قبل كافة الناس اجمعين وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحى وعلى براءتى من دم عثمان وعلى انى لم استكره احداً على بيعة وعلى انى لم اكن احسن قولا فى عثمان منكما . فأجابه طلحة جواباً غليظا ورق له الزبير ثم رجع على الى اصحابه فقالوا ياأمير المؤمنين بم كلمت الرجلين قال على ان شأنهما لمختلف اما الزبير فقاده اللجاج ولن يقاتلكم واما طلحة فسألته عن الحق فأجابنى بالباطل ولقيته باليقين ولقينى بالشك فوالله ما نفعه حتى ولا ضرنى باطله وهو مقتول غداً فى الرعيل الاول . قال ثم خرج على على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفين وهو حاسر فقال ابن الزبير فخرج اليه حتي اذا كانا بين الصفين اعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا ثم قال على ياعبد الله ماجاء بك ههنا قال جئت أطلب دم عثمان . قال على تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان أنشدك الله يازبير هل تعلم انك مررت بى وانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على يدك فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك الى ثم التفت اليك فقال لك يازبير انك تقاتل علياً وأنت له ظالم قال اللهم نعم قال على فعلى م تقاتلنى قال الزبير نسيتها والله ولو ذكرتها ماخرجت اليك ولا قاتلتك فانصرف على الى اصحابه فقالوا ياأمير المؤمنين مررت الى رجل فى سلاحه وانت حاسر قال على . اتدرون من الرجل ؟ قالوا لاقال ذلك الزبير بن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد اعطى الله عهداً انه لا يقاتلكم انى ذكرت له حديثاً قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو ذكرته ماأتيتك . فقالوا الحمد لله ياأمير المؤمنين ما كنا نخشى فى هذا الحرب غيره ولا نتقى سواه انه لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ومن عرفت شجاعته و باسه ومعرفته بالحرب فاذقد كفاناه الله فلا نعدمن سواه الا صرعى حول الهودج .

﴿ رجوع الزبير عن الحرب ﴾

قال وذكروا ان الزبير دخل على عائشة فقال : ياأماه ماشهدت موطنا قط فى الشرك ولا فى الاسلام الا ولى فيه رأى و بصيرة غير هذا الموطن فانه لا رأى لى فيه ولا بصيرة وانى لعلى باطل . قالت عائشة ياأبا عبد الله خفت سيوف بنى عبد المطلب فقال

اما والله ان سيوف بنى عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية انجاد ثم قال لابنه عبد الله عليك بحربك اما انا فراجع الى بيتى فقال له ابنه عبد الله : الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا نغسل رؤسنا منها فقال الزبير لابنه لا تعد هذا منى جبناً فوالله ما فارقت احداً فى جاهلية ولا اسلام قال فما يردك قال يردنى ما ان علمته كسرك . فقام بأمر الناس عبد الله بن الزبير

﴿ قتل الزبير بن العوام ﴾

قال وذكروا ان الزبير لما انصرف راجعاً الى المدينة أتاه ابن جرموز فنزل به فقال ياأبا عبد الله أحييت حربا ظالما أو مظلوما ثم تنصرف أتائب أنت أم عاجز ؟ فسكت عنه ثم عاوده فقال له ياأبا عبد الله حدثنى عن خصال خمس أسألك عنها فقال هات قال خذلك عثمان وبيعتك علياً واخراجك أم المؤمنين وصلاتك خلف ابنك ورجوعك عن الحرب . فقال الزبير نعم أخبرك : أما خذلى عثمان فأمر قدر الله فيه الخطيئة وأخر التوبة واما بيعتي علياً فوالله ماوجدت من ذلك بداً حيث بايعه المهاجرون والانصار وخشيت القتل واما اخراجنا امنا عائشة فأردنا أمراً وأراد الله غيره واما صلاتى خلف ابنى فانما قدمته عائشة أم المؤمنين ولم يكن لى سوى صاحبي أمر واما رجوعى عن هذا الحرب فظن بى ماشئت غير الجبن فقال ابن جرموز والهفاه على ابن صفيه أضرمها ناراً ثم أراد ان يلحق بأهله قتلنى الله ان لم أقتله . ثم أتاه فقال له ياأبا عبد الله كالمستنصح له : ان دون أهلك فيافى فخذ نجيبي هذا وخل فرسك ودرعك فانهما شاهدان عليك بما تكره فقال الزبير انظر فى ذلك ليلتي ثم الح عليه فى فرسه ودرعه فلم يزل حتي أخذهما منه وانما أراد ابن جرموز ان يلقاه حاسراً لما علم بأسه ثم أتى ابن جرموز الاحنف بن قيس فساره بمكان الزبير عنده وبقوله فقال له الاحنف اقتله قتله الله مخادعا . وأتى الزبير رجل من كلب فقال له ياأبا عبد الله أنت لى صهر وابن جرموز لم يعتزل هذا الحرب مخافة الله ولكنه كره ان يخالف الأحنف وقد ندم الاحنف على خذله علياً ولعله ان يتقرب بك اليه وقد أخذ منك درعك وفرسك وهذا تصديق ماقلت لك فبت عندى الليلة ثم اخرج بعد نومه فانك ان فتهم لم يطلبوك

فتهاون بقوله ثم بدا له فقال له فما ترى يا أخا كاب قال أرى ان ترجع الى فرسك ودرعك فتأخذهما فان احداً من الناس لا يقدم عليك وأنت فارس أبداً فاصبح الزبير عاريا وسار معه ابن جرموز وقد كفر على الدرع فلما انتهى الى وادى السباع استغفله فطعنه ثم رجع برأسه وسلبه الى قومه فقال له رجل من قومه يا ابن جرموز فضحت والله اليمن بأسرها قتلت الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته والله لو قتلته فى حرب لعز ذلك علينا ولسنا عارك فكيف فى جوارك وذمتك والله لا يزيدك على على ان يبشرك بالنار فغضب ابن جرموز وقال والله ماقتلته الا له ووالله ما أخاف فيه قصاصاً ولا أرهب فيه قرشياً وان قتله على لهين .

﴿ مخاطبة على لطلحة بين الصفين ﴾

قال وذكروا ان علياً نادى طلحة بعد انصراف الزبير فقال له يا أبا محمد ماجاء بك قال اطاب دم عثمان قال على قتل الله من قتله قال طلحة خل بيننا وبين من قتل عثمان أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يحل دم المؤمن فى أربع خصال زان فيرجم أو محارب لله أو مرتد عن الاسلام أو مؤمن يقتل مؤمنا عمداً فهل تعلم ان عثمان أتى شيا من ذلك فقال على لا قال طلحة فأنت أمرت بقتله قال على اللهم لا قال طلحة فاعتزل هذا الامر وتجعله شورى بين المسلمين فان رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس وان رضوا غيرك كنت رجلا من المسلمين قال على أو لم تبايعنى يا أبا محمد طائعاً غير مكره فما كنت لا ترك بيعتى قال طلحة بايعتك والسيف على عنقى قال ألم تعلم انى ما أكرهت أحداً على البيعة ولو كنت مكرهاً أحداً لاكرهت سعداً وابن عمر ومحمد بن مسلمة . أبوا البيعة واعتزلوا فتركتهم قال طلحة كنا فى الشورى ستة فمات اثنان وقد كرهناك ونحن ثلاثة قال على انما كان لكما ان لا ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة وأما الآن فليس لكما غير مارضيتما به الا ان تخرجا مما بويعت عليه بحدث فان كنت أحدثت حدثا فسموه لى وأخرجتم أمكم عائشة وتركتم نساءكم فهذا أعظم الحدث منكم أرضى هذا لرسول الله ان تهتكوا ستراً ضربه عليها وتخرجوها منه فقال طلحة انما جاءت للاصلاح قال على

هي لعمر الله الى من يصلح لها أمرها أحوج ايها الشيخ اقبل النصح وارض
بالتوبة مع العار قبل ان يكون العار والنار

﴿ التحام الحرب ﴾

قال وذكروا انه بينما كان الناس وقوف اذرمى رجل من اصحاب على فجئ
به الى على فقالوا يا أمير المؤمنين هذا اخونا قد قتل فقال على أعذروا الى القوم فقال
عبد الرحمن بن أبى بكر الى متى قد والله أعذرنا واعذرت ان كنت تريد الاعذار والله
لتأذنن لنا فى لقاء القوم اولننصرفن . الى متى نستهدف نحورنا للقتال والسلاح يقتلوننا
رجلا رجلا فقال على قد والله ارانا اعذرنا أين محمد ابنى فقال ها اناذا فقال أى
بنى خذ الراية فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها فأخرهما عنها وكان على يؤخرهما
شفقة عليهما فأخذ محمد الراية ثم قام على فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم دعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسها ثم قال احزمونى فحزم
بعمامة اسفل من سرته ثم خرج وكان عظيم البطن فقال لابنه تقدم وتضعضع
الناس حين سمعوا به قد تحرك فبينماهم كذلك اذ سمعوا صوتا فقال على ورفع
بصره الى السماء لعن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل . وقد كان على عبأ الناس
اثلاثا فجعل مضر قلب العسكر واليمن ميمنته وربيعة ميسرته وعبأ اهل البصرة
مثل ذلك فاقتتل القوم قتالا شديداً فهزمت يمن البصرة يمن على وهزمت ربيعة
البصرة ربيعة على قال حية بن جهين نظرت على وهو يخفق نعاساً فقلت له
تالله ما رأيت كاليوم قط ان بازائنا لمائة الف سيف وقد هزمت ميمنتك وميسرتك
وانت تخفق نعاساً فانتبه ورفع يديه وقال اللهم انك تعلم انى ما كتبت فى عثمان سواداً
فى بياض وان الزبير وطلحة ألبا وأجلبا على الناس اللهم أولانا بدم عثمان فخذه
اليوم . ثم تقدم على فنظر الى اصحابه يهزمون ويقتلون فلما نظر الى ذلك صاح بابنه
محمد ومعه الراية ان اقتحم فأبطأ وثبت فأتى على من خلفه فضرب به بين كتفيه وأخذ الراية
من يده ثم حمل فدخل عسكرهم وان الميمنتين والميسرتين تضطربان فى احداهما عمار وفى
الاخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن أبى بكر قال فشق على فى عسكر القوم يطعن ويقتل
ثم خرج وهو يقول الماء الماء فأتاه رجل باداوة فيها عسل فقال له يا أمير المؤمنين اما الماء
فانه لا يصلح لك فى هذا المقام ولكن أذوقك هذا العسل فقال هات فحسا منه

حسوة ثم قال ان عسلك لطائى قال الرجل لعجبا منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائى من غيره فى هذا اليوم وقد بلغت القلوب الحناجر فقال له على انه والله يا ابن أخى ماملأ صدر عمك شئ قط ولا هابه شئ ثم اعطى الراية لابنه وقال هكذا فاصنع فتقدم محمد بالراية ومعه الانصار حتى انتهى الى الجمل والهودج وهزم مايليه فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالا شديداً حتي كانت الواقعة والضرب على الركب وحمل الاشتر النخعى وهو يريد عائشة فلقيه عبدالله بن الزبير فضربه الاشتر واعتنقه عبدالله فصرعه وقعد على صدره ثم نادى عبدالله : اقتلونى ومالكا . فلم يدر الناس من مالك فانفلت الاشتر منه فلما رأى كعب بن سور الهزيمة أخذ بخطام البعير ونادى أيها الناس الله الله فقاتل وقاتل الناس معه وعطفت الازد على الهودج . واقبل على وعمار والاشتر والانصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله حتى حال بينهم الليل وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام وان علياً خرج اليهم بعد سبعة أيام فهزمهم فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم ان كنا قد داهنا فى أمر عثمان وظلمناه فخذله اليوم منا حتى ترضى . قال فامضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه فخر وثبتت عائشة وحماها مروان فى عصابة من قيس ومن كنانة و بنى أسد فأحدق بهم على بن أبى طالب ومال الناس الى على وكلما وثب رجل بريد الجمل ضربه مروان بالسيف وقطع يده حتي قطع نحو عشرين يداً من أهل المدينة والحجاز والكوفة حتى أتى مروان من خلفه فضرب ضربة فوقع وعرقب الجمل الذى عليه عائشة وانهزم الناس واسرت عائشة وأسر مروان بن الحكم و[illegible] بن عثمان وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد ابن العاصى فقال عمار لعلى يا أمير المؤمنين اقتل هؤلاء الاسرى فقال على لا أقتل أسير أهل القبلة اذا رجع ونزع فدعا على بموسى بن طلحة فقال الناس هذا أول قتيل يقتل فلما أتى به على قال تبايع وتدخل فيما دخل فيه الناس قال نعم فبايع وبايع الجميع وخلى سبيلهم وسأل الناس عليا ما كان عرض عليهم قبل ذلك فأعطاه ثم أمر المنادى فنادى لا يقتلن مدبر ولا يجهز على جريح ولكم ما فى عسكرهم وعلى نسائهم العدة وما كان لهم من مال فى اهليهم فهو ميراث على فرائض الله [illegible] رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف تحل لنا اموالهم ولا تحل لنا نساؤهم ولا [illegible]

فقال لا يحل ذلك لكم فلما أكثروا عليه فى ذلك قال اقترعوا هاتوا بسهامكم ثم قال أيكم يأخذ أمكم عائشة فى سهمه فقالوا نستغفر الله فقال وأنا أستغفر الله قال ثم ان عليا مر بالقتلى فنظر الى محمد بن طلحة وهو صريع فى القتلى وكان يسمى السجاد لما بين عينيه من أثر السجود فقال : رحمك الله يا محمد لقد كنت فى العبادة مجتهداً آناء الليل قواما وفى الحرور صواما ثم التفت الى من حوله فقال هذا رجل قتله بر أبيه فاختلفوا فى طلحة وابنه محمد أيهما قتل قبل فشهدت عائشة لمحمد انها رأته بعد قتل أبيه فورثوا ولده فى مال طلحة . قال وأتى محمد بن أبى بكر فدخل على اخته عائشة رضى عنها قال لها اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول : على مع الحق والحق مع على ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان ، ثم دخل عليهما على فسلم وقال ياصاحبة الهودج قد أمرك الله ان تقعدى فى بيتك ثم خرجت تقاتلين أترتحلى قالت ارتحل فبعث معها على رضى الله عنه أربعين امرأة وأمرهن ان يلبسن العمائم وتقلدن السيوف وان يكن من الذين يلينها ولا تطلع على انهن نساء فجعلت عائشة تقول فى الطريق فعل الله فى ابن أبى طالب وفعل بعث معى الرجال فلما قدمن المدينة وضعن العمائم والسيوف ودخلن عليها فقالت جزى الله ابن أبى طالب الجنة . قال ودفن طلحة فى ساحة البصرة فأتى عائشة فى المنام فقال حولينى من مكانى فان البرد قد آذانى فحولته . وقال عبدالله بن الزبير أمسيت يوم الجمل وفى بضع وثلاثون بين ضربة وطعنة وما رأيت مثل يوم جرحا الجمل قط ما ينهزم منا احد ولا يأخذ احد منا بخطام الجمل الا قتل او قطعت يده حتى ضاع الخطام من يد بنى ضبة فعقر الجمل . قال دخل موسى بن طلحة على على فقال له على : انى لأرجوا ان اكون انا وابوك ممن قال الله فيهم « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » وامسى على بالبصرة ذلك اليوم الذى أتاه فيه موسى بن طلحة فقال ابن الكواء أمسيت بالبصرة يا أمير المؤمنين فقال كان عندى ابن أخى قال ومن هو قال موسى بن طلحة فقال ابن الكواء لقد شقينا ان كان ابن أخيك . فقال على ويحك ان الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . ثم قال ابن الكواء يا أمير المؤمنين من اخبرك فى قولك هذا الذى سرت فيه تضرب الناس بعضهم ببعض وتستولى بالامر

عليهم أرأى رأيته حين تفرقت الامة واختلفت الدعوة فرأيت انك أحق بهذا الامر منهم لقرابتك فان كان رأيا رأيته أجبناك فيه وان كان عهداً عهده اليك رسول الله فانت الموثوق به المأمون على رسول الله فيما حدثت عنه فقال على أنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه اما أن يكون عندى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا والله ولكن لما قتل الناس عثمان نظرت فى امرى فاذا الخليفتان اللذان أخذاها من رسول الله قد هلكا ولا عهد لهما واذا الخليفة الذى أخذها بمشورة المسلمين قد قتل وخرجت رقته من عنقى لانه قتل ولا عهد له . قال ابن الكواء صدقت وبررت ولكن مابال طلحة والزبير ولم استحللت قتالهما وقد شاركاك فى الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الشورى مع عمر بن الخطاب ؟ قال على : بايعانى بالحجاز ثم خالفانى بالعراق فقاتلتهما على خلافهما ولو فعلا ذلك مع أبى بكر وعمر لقاتلاهما .

﴿ مبايعة أهل الشام بالخلافة معاوية ﴾

قال وذكروا ان النعمان بن بشير لما قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان تذكر فيه دخول القوم عليه وما صنع محمد بن أبى بكر من نتف لحيته فى كتاب رققت فيه وأبلغت حتى اذا سمعه السامع بكى حتى يتصدع قلبه و بقميص عثمان مخضباً بالدم ممزقاً وعقدت شعر لحيته فى زر القميص . قال فصعد المنبر معاوية بالشام وجمع الناس ونشر عليهم القميص وذكر ماصنعوا بعثمان فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم أن تزهق ثم دعاهم الى الطلب بدمه فقام اليه أهل الشام فقالوا هو ابن عمك وأنت وليه ونحن الطالبون معك بدمه فبايعوه أميراً عليهم وكتب و بعث الرسل الى كور الشام وكتب الى شرحبيل ابن السمط الكندى وهو بحمص يأمره ان يبايع له بحمص كما بايع أهل الشام فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناساً من أشراف أهل حمص فقال لهم ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن يبايع لمعاوية أميراً وهذه سقطة ولكنا نبايع له بالخلافة ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة . فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص ثم كتب الى معاوية: أما بعد فانك أخطأت خطأ عظيما حين كتبت الى ان أبايع لك بالامرة وانك تريد ان تطلب بدم الخليفة

المظلوم وأنت غير خليفة وقد بايعت ومن قبلي لك بالخلافة . فلما قرأ معاوية كتابه سره ذلك ودعا الناس وصعد المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل ودعاهم الى بيعته بالخلافة فأجابوه ولم يختلف منهم أحد فلما بايع القوم له بالخلافة واستقام له الامر كتب الى على : سلام الله على من اتبع الهدى أما بعد فانا كنا نحن واياكم يداً جامعة والفة اليفة حتى طمعت يا ابن أبى طالب فتغيرت وأصبحت تعد نفسك قويا على من عاداك بطغام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق وحمقى الفسطاط وغوغاء السواد وايم الله لينجلين عنك حمقاها ولينقشعن عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء . قتلت عثمان بن عفان ورقيت سلما أطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك . وقتلت الزبير وطلحة وشردت أمك عائشة ونزلت بين المصرين فمنيت وتمنيت وخيل لك ان الدنيا قد سخرت لك بخيلها ورجلها وانما تعرف أمنيتك لو قد زرتك فى المهاجرين من أهل الشام بقية الاسلام فيحيطون بك من ورائك ثم يقضى الله علمه فيك والسلام على أولياء الله . فأجابه على : أما بعد فقدر الامور تقدير من ينظر لنفسه دون جنده ولا يشتغل بالهزل من قوله فلعمرى لئن كانت قوتى بأهل العراق أوثق عندى من قوتى بالله ومعونتي به ليس عند الله تعالى يتبين من كان على هذا فناج نفسك مناجاة من يستغنى بالجد دون الهزل فان فى القول سعة ولن يعذر مثلك فيما طمح اليه الرجال . وأما ما ذكرت من انا كنا واياكم يداً جامعة فكنا كما ذكرت ففرق بيننا وبينكم ان الله بعث رسوله منا فآمنا به وكفرتم . ثم زعمت انى قتلت طلحة والزبير فذلك أمر غبت عنه ولم تحضره ولو حضرته لعلمته فلا عليك ولا العذر فيه اليك وزعمت انك زائرى فى المهاجرين وقد انقطعت الهجرة حين أسر أبوك فان يك فيك عجل فستبقه وان أزرك فجدير ان يكون الله بعثنى عليك للنقمة منك والسلام .

﴿ قدوم عقيل بن أبى طالب على معاوية ﴾

قال وذكروا ان عقيل بن أبى طالب قدم على أخيه على بالكوفة فقال له على مرحبا بك وأهلا ما أقدمك ياأخى قال تأخر العطاء عنا وغلاء السعر ببلدنا وركبنى دين عظيم فجئت لتصلنى فقال على والله مالى مما ترى شيئا

الا عطائى فاذا خرج فهو لك فقال عقيل وانما شخوصى من الحجاز اليك من أجل عطائك وماذا يبلغ منى عطاؤك وما يدفع من حاجتى ؟ فقال على هل تعلم لى مالا غيره أم تريد أن يحرقنى الله فى نار جهنم فى صلتك باموال المسلمين؟ فقال عقيل والله لأخرجن الى رجل هو أوصل لى منك « يريد معاوية » فقال له على راشداً مهديا . فخرج عقيل حتى أتى معاوية فلما قدم عليه قال له معاوية مرحباً وأهلا بك يابن أبى طالب ما أقدمك على فقال قدمت عليك لدين عظيم ركبنى فخرجت الى أخى ليصلنى فزعم انه ليس له مما يلى الا عطاؤه فلم يقع ذلك منى موقعا ولم يسد منى مسداً فاخبرته انى سأخرج الى رجل هو أوصل منه لى فجئتك . فازداد معاوية فيه رغبة وقال ياأهل الشام هذا سيد قريش وابن سيدها عرف الذى فيه أخوه من الغواية والضلالة فأثاب الى أهل الدعاء الى الحق ولكنى أزعم ان جميع ماتحت يدى لى فما أعطيت فقربة الى الله وما أمسكت فلا جناح على فيه . فأغضب كلامه عقيلا لما سمعه ينتقص أخاه فقال : صدقت خرجت من عند أخى على هذا القول وقد عرفت من فى عسكره لم أفقد والله رجلا من المهاجرين والانصار ولا والله مارأيت فى عسكر معاوية رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال معاوية عند ذلك ياأهل الشام أعظم الناس من قريش عليكم حقا ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وسيد قريش ها هو ذا تبرأ من الله مما عمل به أخوه . قال وأمر له معاوية بثلثمائة ألف دينار قال له هذه مائة ألف تقضى بها ديونك ومائة ألف تصل بها رحمك ومائة ألف توسع بها على نفسك .

﴿ نعى عثمان بن عفان الى معاوية ﴾

قال عبد الله بن مسلم وذكر ابن عفير عن عون بن عبد الله بن عبد الرحمن الانصارى قال قدم الحجاج بن خزيمة الشام بكتاب معاوية بعد قتل عثمان بايام فقال له أتعرفنى قال نعم انت ابن الحجاج خزيمة فما وراءك قال الحجاج أنا النذير العريان انعى اليك امير المؤمنين عثمان ثم قال انى كنت ممن خرج معينا لعثمان مع يزيد بن اسد فتقدمت الى الربدة فلقينا بها رجلا حدثنا عن قتل عثمان وزعم انه ممن قتله فقتلناه وانى اخبرك يامعاوية انك تقوى على على بدون

مايقوى به عليك لأن من معك لا يقولون اذا قلت ولا يسألون اذا أمرت ولأن من مع على يقولون اذا قال و يسألون اذا أمر فقليل ممن معك خيرمن كثير ممن معه . واعلم ان علياً لايرضيه الا الرضا وان رضاه يسخطك ولست وعلى بالسواء لايرضى على بالعراق دون الشام و رضاؤك بالشام دون العراق .
قال وذكروا انه لما فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعاً و بايع له أهل العراق واستقام له الامر بها كتب الى معاوية : اما بعد فان القضاء السابق والقدر النافذ ينزل من السماء و يقطر المطر فتمضى احكامه عز وجل وتنفذ مشيئته بغير تحاب المخلوقين الا رضا الا دميين وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله و بيعة الناس عامة اياى ومصارع الناكثين لى فادخل فيما دخل الناس فيه والا فأنا الذى عرفت وحولى من تعلمه والسلام . فلما قدم على معاوية كتاب على مع الحجاج بن عدى الانصارى القاه وهو يخطب الناس بدمشق فلما قرأه اغتم بذلك واعظمه واسره عن اهل الشام ثم قام الحجاج ابن عدى خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ياأهل الشام ان أمر عثمان أشكل على من حضره المخبر عنه كالأعمى والسميع كالأصم عابه قوم فقتلوه وغدره قوم فلم ينصروه فكذبوا الغائب واتهموا الشاهد وقد بايع الناس علياً على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة عامة من رغب عنها رد اليها صاغراً داحراً فانظروا فى ثلاث وثلاث ثم اقضوا على أنفسكم : ابن الشام من الحجاز واين معاوية من على واين انتم من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان .
قال فغضب معاوية لقوله وقال ياحجاج أنت صاحب زيد بن ثابت يوم الدار قال نعم فان كان بلغك والا احدثك قال هات قال : أشرف علينا زيد بن ثابت وكان مع عثمان فى الدار وقال يامعشر الانصار انصروا الله مرتين فقلت يازيد انا نكره ان نلقى الله فنقول كما قال القوم « ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل » فقال معاوية انصرف الى على واعلمه ان رسولى على أثرك ثم ان معاوية انتخب رجلا من عبس وكان له لسان فكتب معاوية الى على كتابا عنوانه : من معاوية الى على وداخله : بسم الله الرحمن الرحيم :لاغير. فلما قدم الرسول دفع الكتاب الى على فعرف على مافيه وأن معاوية

محارب له وانه لا يجيبه الى شيء مما يريد وقام رسول معاوية خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال هل ههنا احد من ابناء قيس عيلان و بنى عبس ذبيان قالوا نعم هم حولك قال فاسمعوا ماأقول لكم : يامعشر قيس انى احلف بالله لقد خلفت بالشام خمسين الف شيخ خاضبين لحاهم من دموع اعينهم تحت قميص عثمان رافعيه على الرماح مخضوبا بدمائه قد اعطوا الله عهداً ان لا يغمدوا سيوفهم ولا يغمضوا جفونهم حتى يقتلوا قتلة عثمان يوصى به الميت الحى ويرثه الحى من الميت حتى والله نشأ عليه الصبى وهاجر عليه الاعرابى وترك القوم لمس الشيطان وقالوا تعساً لقتلة عثمان واحلف بالله ليأتينكم من خضر الخيل اثنا عشر الفا فانظروا كم الشهب وغيرها. فقال له على ماتريدون بذلك قال يريدون بذلك والله خبط رقبتك فقال على تربت يداك وكذب فوك أما والله لو ان رسولا قتل لقتلتك فقام الصلت بن زفر : فقال : ليس وافد أهل الشام أنت و رائد أهل العراق ونعم العون لعلى و بئس العون لمعاوية ياأخا عبس أتخوف المهاجرين والانصار بخضر الخيل وغضب الرجال أما والله ماتخاف غضب رجالك ولا خضر خيلك فأما بكاء أهل الشام على قميص عثمان فوالله ماهو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام لقد خذلوه بالحجاز واما قتالهم علياً فان الله يصنع فى ذلك ماأحب . قال وان العبسى أقام بالعراق عند على حتى اتهمه معاوية ولقيه المهاجرون والانصار فأشربوه حب على وحدثوه عن فضائله حتي شك فى أمره .

﴿ قدوم ابن عم عدى بن حاتم الشام ﴾

قال وذكروا ان عدى بن حاتم قدم الى على بالكوفة قبل ان يسير الى البصرة فقال ياأمير المؤمنين لسنا نخاف احداً الا معاوية وعندى رجل من قومى يريد ان يزور ابن عم له بالشام يقال له حابس بن سعد فلو أمرناه ان يلقى معاوية لعله ان يكسره ويكسر أهل الشام فقال له على افعل فأغروه بذلك فلما قدم على ابن عمه وكان سيد طىء بالشام سأله فأخبره انه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة وسار مع على الى الكوفة وكان له لسان وهيبة فغدا به حابس الى معاوية فقال هذا ابن عمى قدم من الكوفة وكان مع على وشهد قتل عثمان

بالمدينة وهو ثقة فقال معاوية حدثنا عن أمر عثمان قال نعم : وليه محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر وتجرد فى أمره ثلاث نفر عدى بن حاتم والاشتر النخعى وعمرو بن الحصين ودب فى أمره رجلان طلحة والزبير وابرأ الناس منه على ابن أبى طالب ثم تهافت الناس على على بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلت النعل وسقط الرداء ووطىء الشيخ . ولم يذكر عثمان ولم يذكروه ثم تهيأ للمسير فخف معه المهاجرون والانصار وكره القتال معه ثلاث نفر عبد الله بن عمر وسعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة فلم يستكره أحداً واستغنى بمن خف عمن ثقل ثم سار حتى انتهى الى جبل طىء فأتاه منهم جماعة عظيمة حتى اذا كان فى بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة الى البصرة فسرح رسله الى الكوفة فأجابوا دعوته ثم قدمها فحملوا اليه الصبي ودبت اليه العجوز وخرجت اليه العروس فرحاً به وسروراً وشوقاً اليه ثم سار الى البصرة فبرز اليه القوم طلحة والزبير واصحابهما فلم يلبثوا الا يسيراً حتى صرعهم الله وابرزهم الى مضاجعهم ثم صارت البصرة ومن حولها فى كفه قال وتركته وليس له هم الا أنت والشام. فانكسر معاوية لقوله وقال والله ما أظنه الا عيناً لعلى أخرجوه لا يفسد أهل الشام ثم قال معاوية وكيف لا يضيع عثمان ويقتل وقد خذله أهل ثقاته وأجمعوا عليه أما والله لئن بقينا لهم لندرسنهم درس الجمال هشيم اليبيس.

﴿ استعمال على عبد الله بن عباس على البصرة ﴾

قال وذكروا ان عليا لما سار من البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل استعمل عليها عبدالله بن عباس وقال له : أوصيك بتقوى الله عزوجل والعدل على من ولاك الله أمره اتسع للناس بوجهك وعلمك وحكمك واياك والاحن فانها تميت القلب والحق واعلم ان ما قربك من الله بعدك من النار وما قربك من النار بعدك من الله . اذكر الله كثيرا ولا تكن من الغافلين . فلم يلبث على حين قدم الكوفة وأراد المسير الى الشام ان انضم اليه ابن عباس واستعمل على البصرة زياد بن أبى سفيان .

﴿ ما أشار به الاحنف بن قيس على على ﴾

قال وذكروا أن الاحنف بن قيس قام الى على : فقال : ياأمير المؤمنين

انه ان يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل فلن ينصروا عليك غيرك وقد عجبوا ممن نصرك يومئذ وعجبوا اليوم ممن خذلك لانهم شكوا فى طلحة والزبير ولم يشكوا فى عمر ومعاوية وان عشيرتنا بالبصرة فلو بعثنا اليهم فقدموا علينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم من الناس وادركوا اليوم مافاتهم أمس . وهذا جمع قد حشره الله عليك بالتقوى لم تستكره شاخصا ولم تشخص فيه مقيما ومن كان معك نافعك ورب مقيم خير من شاخص . وانما نشوب الرجاء بالمخافة والله لوددنا ان أمواتنا رجعوا الينا فاستعنا بهم على عدونا وليس لك الامن كان معك ولنا من قومنا عدد ولا نلقى بهم عدواً أعدى من معاوية ولا نسد بهم ثغراً أشد من الشام .

﴿ كتاب الاحنف الى قومه يدعوهم به الى نصرة على ﴾

قال وذكروا ان عليا قال للاحنف بن قيس اكتب الى قومك قال نعم فكتب الاحنف الى بنى سعد : أما بعد فانه لم يبق احد من بنى تميم الا وقد شقوا برأى سيدهم غيركم وعصمكم الله برأيى حتى نلتم مارجوتم وأمنتم مما خفتم وأصبحتم منقطعين من اهل البلاء لاحقين باهل العافية وانى أخبركم أنا قدمنا على تميم بالكوفة فأخذوا علينا بفضلهم مرتين مسيرهم الينا مع على وتهيؤهم للمسير الى الشام ثم انحشرنا معهم فصرنا كانا لا نعرف الا بهم فأقبلوا الينا ولا تتكلوا علينا فان لهم اعدادنا من رؤسائهم فلا تبطأوا عنا فان من تأخير العطاء حرمانا ومن تأخير النصر خذلانا . فحرمان العطاء القلة وخذلان النصر الابطاء . ولا تنقضى الحقوق الا بالرضى وقد يرضى المضطر بدون الامل ، فلما اتى كتاب الاحنف الى بنى سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة

﴿ كتاب اهل العراق الى مصقلة ﴾

قال وذكروا انه قدم الى على بعد انصرافه من البصرة الى الكوفة وجوه بكر بن وائل فقالوا ياأمير المؤمنين ان نعيما أخا مصقلة يستحى منك لما صنع مصقلة وقد أتانا اليقين انه لا يمنع مصقلة من الرجوع اليك الا الحياء ولم يبسط منذ فارقنا لسانه ولا يده فلو كتبنا اليه كتابا وبعثنا من قبلنا رسولا فانه نستحى ان يكون فارقنا مثل مصقلة من أهل العراق الى معاوية ، فقال على اكتبوا فكتبوا

أما بعد فقد علمنا انك لم تلحق بمعاوية رضي بدينه ولا رغبة في دنياه ولم يعطفك عن علي طعن فيه ولا رغبة عنه ولكن توسطت أمراً فقويت فيه الظن وأضعفت فيه الرجاء فكان أولاهما عندك أن قلت أفوز بالمال وألحق بمعاوية ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق ولا السكاسك بربيعة ولا معاوية بعلي ولا أصبت دنيا تهنأ بها ولا حظاً تحسد عليه وان أقرب ما تكون مع الله أبعد ما تكون مع معاوية فارجع الى مصرك فقد اغفر أمير المؤمنين الذنب واحتمل الثقل واعلم ان رجعتك اليوم خير منها غداً وكانت أمس خيراً منها اليوم وان كان عليك حياء من أبي الحسن فما انت فيه أعظم فقبح الله أمراً ليس فيه دنيا ولا آخرة . فلما انتهى كتابهم الى مصقلة وكان لرسولهم عقل ولسان فقال الرسول : يامصقلة انظر فيما خرجت منه وفيما صرت اليه وانظر من أخذت ومن تركت وانظر من جاورت ومن زايلت ثم اقض بعقلك دون هواك . قال وان مصقلة مضى الى معاوية بالكتاب فأقرأه اياه فقال معاوية يامصقلة انك عندي بغير ظنين فاذا أتاك شيء فستره عني فانصرف مصقلة الى منزله فدعا الرسول فقال ياأخا بكر انما هربت بنفسي من علي ولا والله ما يطول لساني بغيبته ولا قلت فيه قط حرفا بسوء اذهب بكتابي هذا الى قومي .

﴿ جواب مصقلة الى قومه ﴾

قال وذكروا ان مصقلة كتب الى قومه . أما بعد فقد جاءني كتابكم واني أخبركم انه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد علمتم الامر الذي قطعني من علي وأضافني الى معاوية وقد علمت اني لو رجعت الى علي واليكم لكان ذنبي مغفوراً ولكني أذنبت الى علي وصحبت معاوية فلو رجعت الى علي أحدثت عيباً وأحييت عاراً وكنت بين لائمين أولهما خيانة وآخرهما غدر ولكني أقيم بالشام فان غلب معاوية فداري العراق وان غلب علي فداري أرض الروم فأما الهوى فاليكم طائر وكانت فرقتي علياً على بعض العذر أحب الى من فرقتي معاوية ولا عذر لي . ثم قال للرسول يابن أخي استعرض الناس عن قولي في علي فقال قد سألت فقالوا خيراً قال فاني والله عليه حتى أموت . فرجع الرسول بالكتاب فأقرأه علياً فقال كفوا عن صاحبكم فليس براجع حتى يموت فقال

حصين أما والله مابه الا الحياء .

﴿ لحوق عبدالله بن عامر ﴾

قال وذكروا ان عبدالله بن عامر لحق بالشام ولم يأت معاوية وخاف يوما كيوم الجمل فبعث اليه معاوية ان يأتيه وألح عليه فكتب ابن عامر . أما بعد فانى اخبرك انى أقحمت طلحة والزبير الى البصرة وانا أقول اذا رأى الناس أم المؤمنين مالوا اليها وان فر الناس لم يفر الزبير وان غدر الناس لم يغدر مروان فغضبت عائشة ورجع الزبير وقتل مروان طلحة وذهب مالى بما فيه والناس أشباه واليوم كامس فان اتبعتنى هواى والا ارتحل عنك والسلام . فكتب معاوية اليه . أما بعد فانك قلدت أمر دينك قتلة عثمان وانفقت مالك لعبد الله بن الزبير وآثرت العراق على الشام فأخرجك الله من الحرب صفر اليدين ليس لك حظ الحق ولا ثار القتيل فلما انتهى كتابه الى ابن عامر اتاه فغمس يده معه وبايعه فلاطفه معاوية وعرف له قرابته من عثمان ،

﴿ ماأشار به عمار بن ياسر على على ﴾

قال وذكروا ان عمار بن ياسر قام الى على . فقال . ياأمير المؤمنين انما بايعناك ولا نرى احداً يقاتلك فقاتلك من بايعك واعطاك الله فيهم ماوعد فى قوله عز وجل « ومن بغى عليه لينصرنه الله » وقوله « ياايها الناس انما بغيكم على انفسكم » وقوله « ومن نكث فانما ينكث على نفسه » وقد كانت الكوفة لنا والبصرة علينا فاصبحنا على ماتحب بين ماض مأجور وراجع معذور وان بالشام الداء العضال رجلا لا يسلمها ابداً الا مقتولا او مغلوبا فعاجله قبل ان يعاجلك وانبذ اليه قبل الحرب .

﴿ ماأشار به الاشتر على على ﴾

قال وذكروا ان الاشتر النخعى قام الى على فقال ياأمير المؤمنين انما لناان نقول قبل أن تقول فاذا عزمت لم نقل فلو سرت بنا الى الشام بهذا الحد والجد لم يلقوك بمثله فان القلوب اليوم سليمة والابصار صحيحة فبادر بالقلوب القسوة وبالابصار العمى .

﴿ كتاب على الى جرير بن عبد الله ﴾

قال وذكروا ان عليا كتب الى جرير بن عبدالله وكان على ثغر همذان

كان استعمله عليه عثمان فكتب على اليه مع زفر بن قيس : اما بعد فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . ثم انى اخبرك عنا وعمن سرنا اليهم من جمع طلحة والزبير عند نكثهما بيعتهما وماصنعا بعاملي عثمان بن حنيف انى هبطت من المدينة بالمهاجرين والانصار حتي اذا كنت ببعض الطريق بعثت الى الكوفة الحسن ابني وعبدالله بن العباس ابن عمى وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة فاستنفرتهم بحق الله وحق رسوله فأجابوا وسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة فأعذرت فى الدعاء وأقلت فى العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم فأبوا الا قتالى فاستعنت الله عليهم فقتل من قتل وولوا مدبرين الى مصرهم فسألونى ما كنت دعوتهم اليه قبل اللقاء فقبلت العافية ورفعت عنهم السيف واستعملت عليهم عبدالله بن عباس وبعثت اليك زفر بن قيس فاسأله عنا وعنهم .

﴿ خطبة زفر بن قيس ﴾

قال وذكروا انه لما قدم زفر على جرير بكتاب على وقرأه جرير قام زفر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان علياً كتب اليكم بكتاب لا يقول بعده الا رجيعاً من القول ان الناس بايعوا علياً بالمدينة غير محاباة ببيعتهم لعلمه بكتاب الله ويرى الحق فيه وان طلحة والزبير نقضا بيعة على على غير حدث ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب والبا عليه الناس وأخرجا أم المؤمنين عائشة من حجاب ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها فلقيهما فأعذر فى الدعاء وخشي البغي وحمل الناس على مايعرفون فهذا عيان ماغاب عنكم وان سألتم الزيادة زدناكم .

﴿ خطبة جرير بن عبد الله البجلي ﴾

قال وذكروا ان جرير بن عبدالله قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه فقال : أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبى طالب وهو المأمون على الدين والدنيا وكان من أمره وأمر عدوه ماقد سمعتم والحمد لله على اقضيته وقد بايعه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والتابعون باحسان ولو جعل الله هذا الامر شورى بين المسلمين لكان على أحق بها الا وان البقاء فى الجماعة

والفناء في الفرقة وعلى حاملكم على الحق مااستقمتم له فان ملتم أقام ميلكم .
قال الناس سمعا وطاعة ورضانا رضى من بعدنا .

﴿ كتاب على الى الاشعث بن قيس ﴾

قال وذكروا ان علياً كتب الى الاشعث بن قيس مع زياد بن كعب والاشعث يومئذ بأذربيجان عاملا لعثمان كان استعمله عليها : أما بعد فلولا هنات كن فيك كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس فلعل أمراً يحمل بعضه بعضاً ان اتقيت الله وقد كان من بيعة الناس إياى ما قد بلغك وكان طلحة والزبير أول من بايعني ثم نقض بيعتي على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين الى البصرة فسرت اليهما في المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهما الى ان يرجعا الى ماخرجا منه فأبيا فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البقية وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه أمانة في عنقك والمال مال الله وأنت من خزاني عليه حتى تسلمه الى ان شاء الله وعلى أن لا أكون شر ولاتك .

﴿ خطبة زيد بن كعب ﴾

قال وذكروا ان الاشعث بن قيس لما قرأ كتاب على قام زيد بن كعب خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وان أمر عثمان لا ينفع فيه العيان ولا يشفى منه الخبر غير ان من سمعه ليس كمن عاينه وان المهاجرين والانصار بايعوا علياً راضين به وان طلحة والزبير نقضا بيعة على على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين على غير رضى فسار اليهم ولم يقاتلهم فتركهم وما في نفسه منهم حاجة فأورثه الله الارض وجعل له عاقبة المتقين .

﴿ خطبة الاشعث بن قيس ﴾

قال فقام الاشعث بن قيس خطيباً فقال : أيها الناس ان عثمان رحمه الله ولاني أذربيجان وهلك وهى في يدى وقد بايع الناس علياً وطاعتناله لازمة وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم وهو المأمون على ماغاب عنا وعنكم من ذلك .

﴿ مشورة الاشعث ثقاته في اللحوق بمعاوية الى الشام ﴾

قال وذكروا ان الاشعث رجع الى منزله فدعا أهل ثقته من أصحابه فقال لهم ان كتاب على جاءنى وقد أوحشني وهو آخذى بمال اذربيجان وأنا لاحق بمعاوية .

فقال القوم الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام .

كتاب جرير الى الاشعث

قال وذكروا ان جريراً كتب الى الاشعث : أما بعد فانه أتتني بيعة على وقبلتها ولم أجد الى دفعها سبيلا واني نظرت فيما غاب عني من أمر عثمان فلم أجده يلزمني وقد شهده المهاجرون والانصار فكان أوثق أمرهم فيه الوقوف فاقبل بيعته فانك لا تلتفت الى خير منه . واعلم ان بيعة على خير من مصارع أهل البصرة وقد تجنب الناقة الضجور ويحلس العود على البعير الدبر فانظر لنفسك والسلام .

(ارسال على جريراً الى معاوية)

قال وذكروا ان جريراً لما قدم على على قال له يا جرير انطلق الى معاوية بكتابي هذا وكن عند ظني فيك واعلم يا جرير انك ترى من حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والبدريين والعقبيين واني اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير ذي يمن جرير فاذهب الى معاوية بكتابي هذا ورسالتي فان دخل فيما دخل فيه المسلمون والا فانبذ اليه بالحرب واعلمه اني لا أرضى به أميراً ولا العامة ترضى به والياً : فقال جرير اني لا أكره ان أعمل معونتي وما أطمع لك في معاوية ويصنع الله ما يشاء .

(كتاب على الى معاوية مرة ثانية)

قال وذكروا ان علياً كتب الى معاوية مع جرير : أما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لانه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل فسموه اماماً كان ذلك لله رضاً فان خرج منهم خارج ردوه الى ما خرج منه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وأولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً . وان طلحة والزبير بايعاني بالمدينة ثم نقضا بيعتهما فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما بعد ما أعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان أحب أمورك الى العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تتعرض للبلاء قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد أكثرت

الكلام فى قتلة عثمان فادخل فى الطاعة ثم حاكم القوم الى أحملك واياهم على كتاب الله فأما التى تريدها فهى خدعة الصبى عن اللبن ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان واعلم يامعاوية انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الامامة ولا تعرض فيهم الشورى وقد بعثت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة السابقة فبايع ولا قوة الا بالله

(قدوم جرير الى معاوية)

قال وذكروا ان جريراً لما قدم على معاوية بكتاب على قام جرير بالشام خطيباً فقال : أيها الناس ان أمر عثمان قد أعيا علياً ومن شهده فما ظنكم بمن غاب عنه ان الناس بايعوا علياً وان طلحة والزبير كانا ممن بايع ثم نقضا بيعته الا وان هذا الدين لا يحتمل الغبن . الا وان هذا الدين لا يحتمل السيف وقد كانت بالبصرة ملحمة ان يشفع العلاء بمثلها فلا بقاء للناس وقد بايعت العامة علياً ولو ملكنا أمرنا لم نختر لها غيره فمن خالف هذا استعتب فادخل يامعاوية فيما دخل الناس فيه فان قلت ان عثمان ولانى ولم يعزلنى فان هذا لو كان لم يقم لله دين وكان لكل امرئ ما هو فيه .

(اشارة الناس على على بالمقام بالكوفة)

قال وذكروا ان علياً استشار الناس فاشاروا عليه بالمقام بالكوفة غير ذلك غير الاشتر النخعى وعدى بن حاتم وشريح بن هانئ فانهم قاموا الى على فتكلموا بلسان واحد فقالوا ان الذين أشاروا عليك بالمقام انما خوفوك بحرب الشام وليس فى حربهم شئ أخوف من الموت ونحن نريده فقال لهم ان استعدادى لحرب الشام وجرير صارف لهم عن خير ان أرادوه ولكنى قد وقت له وقتاً لا يقيم بعده الا ان يكون مخدوعاً أو عاصيا ولا أكره لكم الاعداد وابطأ جرير على على بالشام حتى يأس منه وان جريراً لما ابطأ عليه معاوية برأيه استحثه بالبيعة فقال معاوية لجرير : ياجرير ان البيعة ليست بخلسة وانه أمر له ما بعد فأبلعنى ريقى .

(مشورة معاوية أهل ثقته)

قال وذكروا ان معاوية دعا أهل ثقته فاستشارهم فقال عتبة بن أبى سفيان استعن على هذا الامر بعمرو بن العاص فانه من قد عرفت وقد اعتزل عثمان فى حياته وهو لامرك أشد اعتزالا الا ان ترضيه .

(كتاب معاوية الى عمرو بن العاص)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى عمرو بن العاص وهو بفلسطين : أما بعد فقد كان من أمر على وطلحة والزبير ماقد بلغك وقد سقط علينا مروان بن الحكم في رافضة من أهل البصرة وقدم على جرير بن عبد الله فى بيعة على وقد حبست نفسي عليك فأقدم على بركة الله والسلام .

(ماسأل معاوية من على من الاقرار بالشام ومصر)

قال وذكروا ان معاوية قال لجرير انى قد رأيت رأيا قال جرير هات قال اكتب الى على ان يجعل لى الشام ومصر فان حضرته الوفاة لم يجعل لاحد من بعده فى عنقى بيعة واسلم اليه هذا الامر واكتب اليه بالخلافة قال جرير اكتب ماشئت . وانما أراد معاوية فى طلبه الشام ومصر ان لا يكون لعلى فى عنقه بيعة وان يخرج نفسه مما دخل فيه الناس فكتب الى على يسأله ذلك فلما أتى عليا كتاب معاوية عرف انها خديعة منه .

(كتاب على الى جرير بن عبد الله)

قال وذكروا ان عليا كتب الى جرير : اما بعد فان معاوية انما أراد بما طلب ان لا يكون لى فى عنقه بيعة وان يختار من أمره ما أحب وقد كان المغيرة بن شعبة أشار على وأنا بالمدينة ان استعمله على الشام فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله ليرانى ان أتخذ المضلين عضدا فان بايعك الرجل والا فاقبل .

(استشارة عمرو بن العاص ابنيه ومواليه)

قال وذكروا انه لما انتهى الى عمرو بن العاص كتاب معاوية وهو بفلسطين استشار ابنيه عبدالله ومحمداً وقال : يابنى انه قد كان منى فى أمر عثمان فلتات لم أستقبلها بعد وقد كان من هروبى بنفسي حين ظننت انه مقتول ماقد احتمله معاوية عنى وقد قدم على معاوية جرير ببيعة على وقد كتب الى معاوية بالقدوم عليه فما تريان ؟ فقال عبد الله وهو الاكبر : أرى والله ان نبى الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده كذلك وقتل عثمان وأنت غائب عنه فأقم فى منزلك فلست مجعولا خليفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة وستهلكا فتستويا فيها جميعاً . وقال محمد : أرى انك شيخ قريش وصاحب أمرها فان

ينصرم هذا الامر وأنت فيه خامل يصغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام واطلب بدم عثمان فانك به تستميل الى بني أمية فقال عمرو : أما أنت ياعبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني وأما أنت يامحمد فقد أمرتني بما هو خير لي في دنياي. ثم دعا غلاماً له يقال له وردان وكان داهياً فقال له عمرو ياوردان احطط ياوردان ارحل ياوردان احطط ياوردان ارحل فقال وردان : أما انك ان شئت نبأتك بما في نفسك فقال عمرو هات ياوردان فقال اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت مع على الآخرة بلا دنيا ومع معاوية الدنيا بغير آخرة فأنت واقف بينهما فقال عمرو ما اخطأت ما في نفسي فما ترى ياوردان فقال أرى ان تقيم في منزلك فان ظهر أهل الدين عشت في دينهم وان ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك . فقال عمرو الآن حين شهرتني العرب بمسيري الى معاوية

قدوم عمرو الى معاوية

قال وذكروا ان عمرو بن العاص لما قدم الى معاوية وعرف حاجته اليه باعده وكايد كل واحد منهما صاحبه فقال عمرو لمعاوية اعطني مصر فتلكأ معاوية وقال ألم تعلم ان مصر كالشام قال بلى ولكنها انما تكون لي اذا كانت لك وانما تكون لك اذا طلبت عليا على العراق وقد بعث أهلها بطاعتهم الى علي فدخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية فقال أما ترضى ان تشتري عمراً بمصر ان هي صفت لك ليتك لا تغلب على الشام فلما سمع معاوية قول عتبة بعث الى عمرو فاعطاه مصر ولما كتب معاوية لعمرو بمصر كتب في أسفل الكتاب : ولا ينقض شرط طاعة وكتب عمرو : ولا تنقض طاعة شرطا وكايد كل واحد منهما صاحبه وكان مع عمرو بن العاص ابن أخ له جاءه من مصر فلما جاء عمرو بالكتاب مسرور رأى به عجب ابن أخيه من سروره فقال . ياعمرو ألا تخبرني باي رأي تعيش في قريش وقد أعطيت دينك غيرك أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها الى معاوية وعلي حي أوتراها ان صارت الى معاوية لا يأخذك بالجدل الذي قدمه فقال عمرو يابن اخي انه لامر الله دون معاوية وعلي يابن اخي لو كنت مع علي وسعني بيتي ولكني مع معاوية فقال الفتى لم ترد مع معاوية ولكنك تريد دنياه ويريد دينك فبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلي وحدث عليا بأمر معاوية وعمرو وما قاله فسر علي بذلك وقربه

﴿ مشورة معاوية عمراً رضى الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو ياأبا عبدالله طرقتنى فى ليلتى هذه ثلاثة اخبار ليس فيها ايراد ولاصدر : منها ان ابن أبى حذيفة كسر سجن مصر ومنها ان قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها ان عليا قد تهيأ للمجىء الينا فما عندك ؟ قال عمرو كل هذا عظيم أما ابن أبى حذيفة فخرج فى اشياعه من الناس فان تبعث اليه يقتل وان يقتل فلا يضرك واما قيصر فاهد له من وصائف الروم ومن الذهب والفضة واطلب اليه الموادعة تجده اليها سريعاً واما على فوالله ان له فى الحرب لحظاً ماهو لاحد من الناس وانه لصاحب الامر قال معاوية صدقت ولكنى أقاتله على ما بايدينا ونلزمه دم عثمان فقال عمرو : واسوأتاه ان أحق الناس ان لايذكر عثمان لانا وأنت قال معاوية ولم فقال عمرو : اما انت فخذلته ومعك أهل الشام واستغاثك فابطأت عليه واما أنا فتركته عيانا وهربت الى فلسطين . قال معاوية دعنى من هذا هلم فبايعنى فقال عمرو لا والله لاأعطيك من دينى حتى آخذ من دنياك قال معاوية صدقت سل تعط قال عمرو مصر طعمة . فغضب مروان بن الحكم وقال مابالى لا أشترى فقال معاوية اسكت : يابن العم فانما نشترى لك الرجال . فكتب معاوية لعمرو مصر طعمة

﴿ كتاب معاوية الى أهل مكة والمدينة وجوابها ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو : انى أريد ان اكتب الى أهل مكة والمدينة كتاباً أذكر فيه قتل عثمان فاما ان ندرك حاجتنا او نكفهم عن المسير . فقال له عمرو الى من نكتب قال : الى ثلاثة نفر رجل لعلى لايريد غيره ولا يزيده كتابنا فيه الا بصيرة او رجل يهوى عليا فلا نرده عما هو عليه أو رجل معتزل لا يريد القتال قال عمرو على ذلك قال نعم . قال اكتب فكتب الى اهل مكة والمدينة : أما بعد فانه مهما غاب عنا فانه لم يغب علينا ان علياً قتل عثمان والدليل على ذلك ان قتلته عنده وانما نطلب بدمه حتى يدفع الينا قتلته فنقتلهم بكتاب الله تعالى فان دفعهم الينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ماجعلها عمر بن الخطاب فاما الخلافة فلسنا نطلبها فأعينونا يرحمكم الله وانهضوا من ناحيتكم

(جوابهما)

قال وذكروا انه لما قرئ عليهم كتابه اجتمع رأيهم على ان يسندوا أمرهم الى المسور بن مخرمة فجاوب عنهم فكتب اليه : أما بعد فانك أخطأت خطأ عظيما وأخطأت مواضع النصرة وتناولها من مكان بعيد وما أنت والخلافة يامعاوية وأنت طليق وابوك من الاحزاب. فكف عنا فليس لك قبلنا ولى ولا نصير

(كتاب معاوية الى ابن عمر)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى ابن عمر كتابا خاصا دون كتابه الى أهل المدينة : أما بعد فانه لم يكن أحد من قريش أحب الى ان يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان فذكرت خذلك اياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك وقدهون ذلك على خلافك عليا وطعنك عليه وردنى اليك بعض ما كان منك فأعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فانى لست أريد الامارة عليك ولكنى أريدها لك فان أبيت كانت شورى بين المسلمين

(جوابه)

فكتب اليه عبدالله بن عمر : اما بعد فان الرأى الذى أطمعك فى هذا هو الذى صيرك الى مصيرك. تركت عليا فى المهاجرين والانصار وتركت طلحة والزبير وعائشة واتبعك من اتبعك وأما قولك انى طعنت على على فلعمرى ما أنا كعلى فى الاسلام والهجرة ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أحدث أمراً لم يكن الينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ففزعت الى الوقوف وقلت ان كان هذا فضلا تركته وان كان ضلالة فشر منه نجوت فاغن عنى نفسك

(كتاب معاوية الى سعد بن أبى وقاص)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعد بن أبى وقاص : أما بعد فان أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشام والذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك فى الامر والشورى ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكرهن ماركبوا ولا تردن ماقبلوا فانما نريدها شورى بين المسلمين

(جواب سعد بن أبى وقاص لمعاوية)

قال وذكروا ان سعداً كتب اليه : أما بعد فان أهل الشورى ليس منهم أحق بها من صاحبه غير ان علياً كان من السابقة ولم يكن فينا مافيه فشاركنا فى

محاسننا ولم نشاركه فى محاسنه وكان احقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره . وقد علمنا انه أحق بها منا ولكن لم يكن بد من الكلام فى ذلك والتشاجر فدع ذا . وأما أمرك يامعاوية فانه امر كرهنا اوله وآخره . واما طلحة والزبير فلو لزما بيعتهما لكان خيراً لهما والله تعالى يغفر لعائشة أم المؤمنين .

(كتاب معاوية الى محمد بن مسلمة الانصارى)

وكان فارس الانصار رضى الله عنهم وذا النجدة فيهم : أما بعد فانى لم اكتب اليك وانا ارجو مبايعتك ولكنى اذكرك النعمة الذى خرجت منها انك كنت فارس الانصار وعدة المهاجرين فادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً لم تستطع منه الامضاء فهذا اعنى وعن قتال اهل الصلاة فهلا نهيت اهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضاً او ترى ان عثمان واهل الدار ليسوا بمسلمين واما قولك الانصار فقد عصوا الله تعالى وخذلوا عثمان وسائلهم وسائلك الله تعالى عن الذى كان يوم القيامة .

﴿ جوابه ﴾

قال وذكروا ان محمد بن مسلمة كتب اليه . أما بعد فقد اعتزل هذا الامر من ليس فى يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى فى يدى وقد أخبرت بالذى هو كائن قبل ان يكون فلما كان كسرت سيفى ولزمت بيتي واتهمت الرأى على الدين اذ لم يصح لى أمر بمعروف آمر به ولا منكر انهى عنه ولعمرى يامعاوية ماطلبت الا الدنيا ولا اتبعت الا الهوى ولئن كنت نصرت عثمان ميتاً لقد خذلته حياً ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والانصار أولى بالصواب : قال : فلما أجاب القوم معاوية بما أجابوه من الخلاف الى مادعاهم اليه قال له عمرو وكيف رأيت يامعاوية رأيي ورأيك أخبرتك بالامر قبل ان يقع قال معاوية رجوت ماخفت

(كتاب معاوية الى على رضى الله عنه)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى على . أما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت برئ من دم عثمان كنت كابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولكنك اغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل

وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتي تدفع اليهم قتلة عثمان فاذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين وقد كان اهل الحجاز أعلا الناس وفى أيديهم الحق فلما تركوه صار الحق فى أيدى أهل الشام ولعمرى ماحجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك على كحجتك على طلحة والزبير لان أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك احد من أهل الشام وان طلحة والزبير بايعاك ولم أبايعك وأما فضلك فى الاسلام وقرابتك من النبي عليه السلام فلعمرى ماادفعه ولا أنكره

(جواب على الى معاوية)

قالوا فكتب اليه على . أما بعد فقد جاءنى منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاستقاده . زعمت انه انما أفسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا واصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وما أمرت فيلزمنى خطيئة عثمان ولا قتلت فيلزمنى قصاص القاتل . وأما قولك ان أهل الشام هم الحكام على الناس فهات رجلا من قريش الشام يتول فى الشورى أوتحل له الخلافة فان سميت كذبك المهاجرون والانصار والا أتيتك من قريش الحجاز . وأما قولك ندفع اليك قتلة عثمان فما أنت وعثمان انما أنت رجل من بنى أمية وبنو عثمان أولى بعثمان منك فان زعمت انك أقوى على ذلك فادخل فى الطاعة ثم حاكم القوم الى واما تمييزك بين الشام والبصرة وذكرك طلحة والزبير فلعمرى ما الامر الا واحد انها بيعة عامة لا ينثنى عنها البصير ولا يستأنف فيها الخيار واما ولوعك فى امر عثمان فوالله ماقلت ذلك عن حق العيان ولا عن تيقن الخبر واما فضلى فى الاسلام وقرابتي من رسول الله عليه السلام وشرفى فى قريش فلعمرى لو استطعت دفعه لدفعته

﴿ قدوم عبيد الله بن عمر على معاوية ﴾

قال وذكروا ان عبيد الله بن عمر قدم على معاوية الشام فسر به سروراً شديدا وسر به أهل الشام وكان اشد قريش سروراً به عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو ومامنع عبد الله ان يكون كعبيد الله فضحك عمرو وقال شبهت غير شبيه

انما اتاك عبيد الله مخافة ان يقتله على بقتله الهرمزان ورأى عبد الله ان لا يكون عليك ولا لك ولو كان معك لنفعك او عليك لضرك

(تعبئة معاوية اهل الشام لقتال على)

قال وذكروا ان معاوية بعث الى رؤساء اهل الشام فجمعهم ثم قال : انتم اهل الفضل فليقم كل رجل منكم يتكلم فقام رجل فقال : اما والله لو شهدنا أمر عثمان فعرفنا قتلته بأعيانهم ما استغنينا عن اخبار الناس ولكن نصدقك على ماغاب عنا وان ابغض الناس الينا من يقاتل على بن أبى طالب لقدمه فى الاسلام وعلمه بالحرب ثم قام حوشب فقال : والله ما اياك ننصر ولا لك نغضب ولا عنك نحامى ماننصر الا الله ولا نغضب الا للخليفة ولا نحامى الا عن الشام فلف الخيل بالخيل والرجال بالرجال وقد دعونا قومنا الى ما دعوتنا اليه أمس وأمرناهم بما أمرتنا به فجعلوك بيننا وبين الله ونحن بينك وبينهم فمرنا بما تحب وانهنا عما نكره : قال فلما عزم معاوية على المسير الى صفين عبأ أهل الشام فجعل على مقدمته أبا الاعور السلمى وعلى ساقته بشير بن أرطاة وعلى الخيل عبيد الله بن عمر ودفع اللواء الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعلى الميمنة يزيد العبسى وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ثم قال يا أهل الشام انكم قد سرتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق ولعمرى ما للشام رجال العراق وأموالها ولا لاهل العراق بصر أهل الشام ولا بصائرهم مع ان القوم بعدهم غيرهم مثلهم وليس بعدكم غيركم فان غلبتموهم فلم تغلبوا الا من قد أتاكم وان غلبوكم غاقبوا من بعدكم والقوم لاقوكم ببصائر أهل الحجاز ورقة أهل أهل اليمن وقسوة اهل مصر وكيد أهل العراق وانما يبصر غداً من أبصر اليوم فاستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين . ثم سار معاوية فى ثلاثة آلاف وثمانين ألفا حتى نزل بصفين وذلك فى نصف محرم وسبق الى سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات وكتب الى على يخبره بمسيره

﴿ تعبئة على أهل العراق للقتال ﴾

قال وذكروا ان عليا لما بلغه تأهب معاوية : قال : أيها الناس انما بايع معاوية أهل الشام وليس له غيرهم ولى ولا نصير وانكم أهل الحجاز وأهل العراق واهل اليمن وأهل مصر وقد جعل القوم معاوية بينهم وبين الله وليس له دعوة فى الدنيا

ولا فى الآخرة وقد وادع القوم الروم فان غلبتموهم استعانوا بهم ولحقوا بارضهم وان غلبوكم فالغاية الموت والمفر الى الله العزيز الحكيم . وقد زعم معاوية ان أهل الشام أهل صبر ونصر ولعمرى لأنتم اولى بذلك منهم لانكم المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وانما الصبر اليوم والنصر غداً . قال فجد الناس ونشطوا وتأهبوا فسار على بالناس من الكوفة فى مائة الف وتسعين الفا فجعل على المقدمة الاشتر النخعى وعلى ساقته شريح بن هانئ وعلى المهاجرين والانصار محمد بن أبى بكر وعلى أهل البصرة عبد الله بن عباس وعلى الكوفة عبد الله بن جعفر وعلى جماعة الخيل عمار بن ياسر وعلى القلب الحسن بن على . وسار حتى نزل صفين وقد سبقه معاوية الى سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات

﴿ منع معاوية الماء من أصحاب على ﴾

قال وذكروا انه لما نزل معاوية بصفين بعث أبا الاعور بمن معه ليحولوا بينهم وبين الفرات وان أهل العراق لما نزلوا بعثوا غلمانهم ليستقوا لهم من الفرات فحالت خيل معاوية بينهم و بين الماء فانصرفوا فساروا الى على فأخبروه فقال على للاشعث اذهب الى معاوية فقل له ان الذى جئنا له غير الماء ولو سبقناك اليه لم نحل بينك و بينه فان شئت خليت عن الماء وان شئت تناجزنا عليه وتركنا ماجئنا . فانطلق الاشعث الى معاوية فقال انك تمنعنا الماء وايم الله لنشربنه فمرهم يكفوا عنه قبل ان تغلب عليه والله لانموت عطشاً وسيوفنا على رقابنا فقال معاوية لاصحابه ماترون فقال رجل منهم نرى ان نقتلهم عطشاً كما قتلوا عثمان ظلما. فقال عمرو بن العاص لاتظن يامعاوية ان علياً يظمأ وأعنة الخيل بيده وهو ينظر الى الفرات حتى يشرب او يموت دونه خل عن القوم يشربوا . فقال معاوية هذا والله اول الظفر لاسقانى الله من حوض الرسول ان شربوا منه حتى يغلبونى عليه . فقال عمرو وهذا اول الجور اما تعلم ان فيهم العبد والاجير والضعيف ومن لاذنب له لقد شجعت الجبان وحملت من لايريد قتالك على قتالك

﴿ غلبة اصحاب على على الماء ﴾

قال وذكروا ان معاوية لما غلب على الماء اغتم على لما فيه الناس من العطش فخرج ليلا والناس يشكون بعضهم الى بعض مخافة ان يغلب أهل الشام على الماء

فقال الاشعث ياأمير المؤمنين أيمنعنا القوم الماء وانت فينا ومعنا السيوف خل عنا وعن القوم فوالله لاأرجع اليك حتي أرده أو أموت دونه وامر الاشتر ان يعلو الفرات فى الخيل حتي آمره بامرى فقال على ذلك لك فانصرف الاشعث فنادى فى الناس من كان يريد الماء فيعادها الصبح فانى ناهض الى الماء فأجابه بشر كثير فتقدم الاشعث فى الرجالة والاشتر فى الخيل حتى وقفا على الفرات فلم يزل الاشعث فى الرجالة يمضى حتي خالط القوم ثم حسر عن رأسه فنادى : انا الاشعث بن قيس خلوا عن الماء . فقال ابو الاعور اما والله قبل ان تاخذنا واياكم السيوف فلا . فقال الاشعث أظنها والله قد دنت منا ومنكم قال وبعث الى الاشتر ان اقحم الخيل فقحمها الاشتر حتى وضع سنابكها فى الفرات وحمل الاشتر فى الرجالة فأخذ القوم السيوف فانكشف ابو الاعور وأصحابه وبعث الاشتر الى على هلم ياأمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء فلما غلب أهل العراق على الماء شمت عمرو بن العاص بمعاوية وقال يامعاوية ماظنك ان منعك على الماء كما منعته أمس اتراك ضاربهم كما ضربوك . فقال دع مامضى عنك فان عليا لا يستحل منك مااستحللت منه وان الذى جاء له غير الماء

(دعاء على معاوية الى البراز)

قال وذكروا ان الناس مكثوا بصفين اربعين ليلة يغدون الى القتال ويروحون فاما القتال الذى كان فيه الفناء فثلاثة أيام . فلما رأى على كثرة القتال والقتل فى الناس برز يوما من الايام ومعاوية فوق التل فنادى بأعلا صوته يامعاوية فأجابه فقال ماتشاء ياابا الحسن قال على علام يقتتل الناس ويذهبون على ملك ان نلته كان لك دونهم وان نلته انا كان لى دونهم ابرز الى ودع الناس فيكون الامر لمن غلب قال عمرو بن العاص : أنصفك الرجل يامعاوية فضحك معاوية وقال طمعت فيها ياعمرو فقال عمرو : والله ما أراه يجمل بك الا أن تبارزه فقال معاوية ماأراك الا مازحاً نلقاه بجمعنا

﴿ براز عمرو بن العاص لعلى ﴾

قال وذكروا ان عمراً قال لمعاوية أتجبن عن على وتتهمنى فى نصيحتي اليك والله لأبارزن عليا ولو مت الف موتة فى أول لقائه . فبارزه عمرو فطعنه على

فصرعه فاتقاه بعورته فانصرف عنه علي وولى بوجهه دونه . وكان علي رضي الله عنه لم ينظر قط الى عورة احد حياء وتكرماً وتنزهاً عما لا يحل ولا يجمل بمثله كرم الله وجهه

﴿ قطع الميرة من اهل الشام ﴾

قال وذكروا ان عليا دعا زحر بن قيس فقال له سر في بعض هذه الخيل الى القطقطانة فاقطع الميرة عن معاوية ولا تقتل الا من يحل لك قتله وضع السيف موضعه . فبلغ ذلك معاوية فدعا الضحاك بن قيس فامره ان يلق زحر بن قيس فيقاتله فسار الضحاك فلقيه زحر فهزمه وقتل من اصحابه وقطع الميرة عن اهل الشام ورجع الضحاك الى معاوية منهزماً فجمع معاوية الناس فقال : اتاني خبر من ناحية من نواحي أمر شديد فقالوا ياأمير المؤمنين لسنا في شيء مما أتاك انما علينا السمع والطاعة وبلغ عليا قول معاوية وقول اهل الشام فاراد أن يعلم ماراًى اهل العراق فجمعهم فقال ايها الناس انه اتاني خبر من ناحية من نواحي فقال ابن الكواء واصحابه ان لنا في كل امر رأيا فما أتاك فأطلعنا عليه حتي نشير عليك فبكى علي ثم قال : ظفر والله ابن هند باجتماع اهل الشام واختلافكم علي والله ليغلبن باطله حقكم انما اتاني ان زحر بن قيس ظفر بالضحاك وقطع الميرة واتى معاوية هزيمة صاحبه فقال ياأهل الشام انه أتاني أمر شديد فقلدوه امرهم واختلفتم علي فقام قيس بن سعد فقال أما والله لنحن كنا أولى بالتسليم من أهل الشام

﴿ قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء على معاوية وعلي ﴾

قال وذكروا ان أبا هريرة وأبا الدرداء قدما علي معاوية من حمص وهو بصفين فوعظاه وقال يامعاوية علام تقاتل علياً وهو أحق بهذا الامر منك في الفضل والسابقة لانه رجل من المهاجرين الاولين السابقين باحسان وأنت طليق وأبوك من الاحزاب أما والله ما نقول لك ان تكون العراق أحب الينا من الشام ولكن البقاء أحب الينا من الفناء والصلاح أحب الينا من الفساد . فقال معاوية لست أزعم اني أولى بهذا الامر من علي ولكني أقاتله حتى يدفع الي قتلة عثمان فقالا اذا دفعهم اليك ماذا يكون . قال أكون رجلا من المسلمين فأتيا علياً فان دفع اليكما قتلة عثمان جعلتها شورى فقدما على عسكر علي فأتاهما الاشتر فقال ياهذان انه لم ينزلكما الشام حب معاوية وقد زعمتما انه يطلب قتلة عثمان

فعمن اخذتماذلك فقبلتماه أعمن قتله فصدقتموهم على الذنب كما صدقتموهم على القتل أم عمن نصره فلاشهادة لمن جرالى نفسه أم عمن اعتزل اذعلموا ذنب عثمان وقدعلموا ما الحكم فى قتله أوعن معاوية وقد زعم ان علياً قتله . اتقيا الله فانا شهدنا وغبتما ونحن الحكام على من غاب فانصرفا ذلك اليوم فلما أصبحا أتيا علياً فقالا له ان لك فضلا لا يدفع وقد سرت مسيرفتي الى سفيه من السفهاء ومعاوية يسألك ان تدفع اليه قتلة عثمان فان فعلت ثم قاتلك كنا معك قال على أتعرفانهم قالا نعم قال فخذاهم فأتيا محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر والاشتر : فقالا : أنتم من قتلة عثمان وقد أمرنا بأخذكم فخرج اليهما اكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا نحن قتلنا عثمان فقالا نرى أمراً شديداً ألبس علينا الرجل . وان أباهريرة وأباالدرداء انصرفا الى منزلهما بحمص فلما قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان فسألهما عن مسيرهما فقصا عليه القصة فقال : العجب منكما انكما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لئن كففتما أيديكما ما كففتما ألسنتكما أتأتيان علياً وتطلبان اليه قتلة عثمان وقد علمتما ان المهاجرين والانصار لوحرموا دم عثمان نصروه وبايعوا علياً على قتلته فهل فعلوا واعجب من ذلك رغبتكما عما صنعوا وقولكما لعلى اجعلها شورى واخلعها من عنقك وانكما لتعلمان ان من رضى بعلى خير ممن كرهه وان من بايعه خير ممن لم يبايعه ثم صرتما رسولى رجل من الطلقاء لا تحل له الخلافة . ففشى قوله وقولهما فهم معاوية بقتله ثم راقب فيه عشيرته

﴿ وقوع عمرو بن العاص فى على ﴾

قال وذكروا ان رجلا من همدان يقال له برد قدم على معاوية فسمع عمراً يقع فى على فقال له يا عمرو ان أشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كنت مولاه فعلى مولاه . فحق ذلك أم باطل فقال عمرو حق وأنا أزيدك انه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب على ففزع الفتى فقال عمرو انه أفسدها بأمره فى عثمان فقال برد هل أمر أو قتل قال لا ولكنه آوى ومنع قال فهل بايعه الناس عليها قال نعم قال فما أخرجك من بيعته قال اتهامى اياه فى عثمان قال له وأنت أيضاً قد اتهمت قال صدقت فيها خرجت الى فلسطين فرجع الفتى الى قومه فقال انا أتينا قوما أخذنا الحجة عليهم من أفواههم . على على الحق فاتبعوه

﴿كتاب معاوية الى أبى أيوب الانصارى﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى ابى أيوب الانصارى وكان أشد الانصار على معاوية : أما بعد فنى سيتك مالا تنسى الشيباء . فلما قرأ كتابه أتى به عليا فقرأه اياه قال على يعنى بالشيباء المرأة الشمطاء لا تنسى ثكل ابنها فأنا لا أنسى قتل عثمان . فكتب اليه أبو أيوب : انه لا تنسى الشيباء ثكل ولدها وضربتها مثلا لقتل عثمان فما نحن وقتله عثمان ان الذى تربص بعثمان وثبط أهل الشام عن نصرته لانت وان الذين قتلوه غير الانصار والسلام

﴿ما خاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد﴾

قال وذكروا ان النعمان بن بشير الانصارى وقف بين الصفين . فقال : ياقيس بن سعد أما أنصفكم من دعاكم الى ما رضى لنفسه انكم يامعشر الانصار أخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار وقتلكم أنصاره يوم الجمل واقحامكم على أهل الشام بصفين فلو كنتم اذ خذلتم عثمان خذلتم عليا كان هذا بهذا ولكنكم خذلتم حقا ونصرتم باطلا ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى اشعلتم الحرب ودعوتم الى البراز فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعا الى برازكم غير انكاث عن حربكم ثم لم ينزل بعلى أمر قط الا هونتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر وقد والله أخلفتموه وهان علينا بأسكم وما كنتم لتخلوا به أنفسكم من شدتكم فى الحرب وقدرتكم على عدوكم وقد أصبحتم أذلاء على أهل الشام لا يرون حربكم شيئا وأنتم أكثر منهم عددا ومددا وقد والله كاثروكم بالقلة فكيف لو كانوا مثلكم فى الكثرة والله لا تزالون أذلاء فى الحرب بعدها أبدا الا ان يكون معكم أهل الشام وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم ونحن أحسن بقية وأقرب الى الظفر فاتقوا الله فى البقية . فضحك قيس وقال والله ما كنت أراك يانعمان تجترىء على هذا المقام أما المنصف المحق فلا ينصح اخاه من غش نفسه وانت والله الغاش لنفسه المبطل فيما انتصح غيره . أما ذكرك عثمان فان كان الايجاز يكفيك فخذه . قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث وأما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الانصار وأما قولك انا لسنا كالناس فنحن فى هذه الحرب كما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتقى

السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ولكن انظر يانعمان هل ترى مع معاوية الا طليقاً اعرابياً أو يمانياً مستدرجا وانظر أين المهاجرون والانصار والتابعون باحسان الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك ولستما والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة فى الاسلام ولا آية فى القرآن

﴿كتاب عمرو الى ابن عباس﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو بن العاص ان رأس اهل العراق مع على عبد الله بن عباس فلو القيت اليه كتابا ترقق فيه فان قال شيأ لم يخرج منه على وقد أكلتنا هذه الحرب ولا ارانا نطيق العراق الا بهلاك الشام . فقال له عمرو ان ابن عباس لا يخدع ولو طمعت فيه طمعت فى على قال معاوية على ذلك فكتب عمرو الى ابن عباس . أما بعد فان الذى نحن وانت فيه ليس اول امر قاده البلاء وساقته العافية وانك رأس هذا الجمع بعد على فانظر فيما بقى بغير ما مضى فوالله ما ابقت هذه الحرب لنا ولكم حياة ولا صبراً واعلم ان الشام لاتهلك الا بهلاك العراق وان العراق لاتهلك الا بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعدادنا منكم وما خيركم بعد اعدادكم منا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن وان فينا من يكره البقاء كما فيكم وانما هى ثلاثة امير مطاع او مأمور مطيع او مشاور مأمون . فاما العاصى السفيه فليس بأهل ان يدعى فى ثقات اهل الشورى ولا خواص اهل النجوى

﴿جواب عبد الله بن عباس الى عمرو بن العاص﴾

قال وذكروا انه لما انتهى كتاب عمرو الى ابن عباس اتى به الى على فاقرأه اياه فقال على قاتل الله ابن العاص اجبه . فكتب اليه . اما بعد فانى لا اعلم رجلا اقل حياء منك فى العرب انك مال بك الهوى الى معاوية و بعته دينك بالثمن الاوكس ثم خبطت الناس فى عشواء طمعاً فى هذا الملك فلما تراميناا عظمت الحرب والرماء اعظام اهل الدين واظهرت فيها كراهية اهل الورع لا تريد بذلك الا تمهيد الحرب وكسر اهل الدين فان كنت تريد الله فدع مصر وارجع الى بيتك فان هذه حرب ليس فيها معاوية كعلى بدأها على بالحق وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالبغى

وانتهى فيها الى السرف وليس اهل الشام فيها كأهل العراق ، بايع اهل العراق علياً وهو خير منهم وبايع اهل الشام معاوية وهم خير منه ولست انا وانت فيها سواء اردت الله وانت اردت مصر . وقد عرفت الشئ الذى باعدك منى ولا اعرف الشئ الذى قربك من معاوية فان ترد شراً لا تقتنابه وان ترد خيراً لا تسبقنا اليه

﴿ امر معاوية مروان بحرب الاشتر ﴾

قال وذكروا ان معاوية دعا مروان بن الحكم فقال يا مروان ان الاشتر قد غمني فاخرج بهذه الخيل فقاتله بها غداً . فقال مروان ادع لها عمراً فانه شعارك دون دثارك . قال معاوية وأنت نفسي دون وزيرى . قال مروان لو كنت كذلك الحقتني به العطاء والحقته بى الحرمان ولكنك اعطيته ما فى يدك ومنيتني ما فى يدى غيرك فان غلبت طاب المقام وان غلبت خف عليك المهرب . قال معاوية يغنى الله عنك قال اما اليوم فلا . فدعا معاوية عمراً فأمره بأمره فقال : اما والله لئن فعلت لقد قدمتني كافياً وادخلتني ناصحاً وقد غمك القوم فى مصر فان كان لا يرضيهم الا اخذها فخذها عليها لعنة الله أما والله يا امير المؤمنين ان مروان يباعدك منا ويباعدنا منك ويأبى الله الا ان يقربنا اليك

﴿ كتاب معاوية الى ابن عباس ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : اما بعد فانكم معشر بنى هاشم لستم الى احد اسرع منكم بالمساءة الى انصار عثمان فان يك ذلك لسلطان بنى أمية فقد ورثها عدى وتيم وقد وقع من الامر ما قد ترى وأدالت هذه الحرب بعضنا من بعض حتى استوينا فيها فما أطمعكم فينا اطمعنا فيكم وما أيأسكم منا أيأسنا منكم وقد رجونا غير الذى كان وخشينا دون ما وقع ولستم ملاقينا اليوم باحد من جدكم أمس وقد منعنا بما كان منا الشام وقد منعتم بما كان منكم العراق اتقوا الله فى قريش فما بقى من رجالها الا ستة : رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز : فأما اللذان بالحجاز فسعد وعبد الله بن عمر : وأما اللذان بالشام فأنا وعمرو وأما اللذان بالعراق فعلى وأنت ، ومن الستة رجلان ناصبان لك وآخران واقفان عليك وأنت رأس هذا الجمع اليوم وغدا ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنا أسرع اليك منا الى على

﴿ جوابه ﴾

قال وذكروا انه لما أتى كتاب معاوية الى ابن عباس تحك ثم قال حتي متى يخطب الى معاوية عقلي وحتى متى أجمجم له عما رفي نفسي فكتب اليه : أما بعد فقد جاءني كتابك فأما ماذكرت من سرعتنا بالمساءة الى انصار عثمان لسلطان بني أمية فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك لقد استنصرك لم تنصره حتى صرت الى ماصرت اليه وبيني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عتبة ، وأما قولك انه لم يبق من رجال قريش غير ستة فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا الا من خذلك ، وأما اغراؤك ايانا بعدي وتيم فأبو بكر وعمر كانا خيراً منك ومن عثمان كما ان علياً خير منك ، وأما قولك انا لن تلقاك الا بما لقيتك به فقد بقي لك منا يوم ينسيك ما قبله وتخاف له ما بعده ، وأما قولك انه لو بايعني الناس استقمت فقد بايعوا علياً وهو خير مني فلم تستقم له وان الخلافة لا تصلح الا لمن كان في الشورى فما أنت والخلافة وانت طليق الاسلام وابن رأس الاحزاب وابن آكلة الاكباد من قتلى بدر

﴿ خطبة علي كرم الله وجهه ﴾

قال وذكروا ان علياً قام خطيباً فقال : أيها الناس الآن هذا الغدر ينزل من السماء كقطر المطر على كل نفس بما كسبت من زيادة أو نقصان في أهل ومال فمن اصابه نقصان في اهل او مال فلا يغش نفسه ، الا وانما المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام وقد دخل في هذا العسكر طمع من معاوية فضيعوا عنكم هم الدنيا بفراقها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها فان نازعتكم انفسكم الى غير ذلك فردوها الى الصبر ووطنوها على العزاء فوالله ان ارجي ما ارجوه الرزق من الله من حيث لا نحتسب وقد فارقكم مصقلة بن هبيرة فآثر الدنيا على الآخرة وفارقكم بشر بن ارطاة فأصبح ثقيل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال وفارقكم زيد بن عدي بن حاتم فأصبح يسأل الرجعة . وايم الله لودت رجال مع معاوية انهم معي فباعوا الدنيا بالآخرة ولودت رجال معي انهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا

﴿ قدوم ابن أبي محجن على معاوية ﴾

قال وذكروا ان عبدالله بن أبي محجن الثقفي قدم على معاوية فقال ياأمير المؤمنين انى أتيتك من عند الغبي الجبان البخيل ابن أبى طالب فقال معاوية : لله أنت تدري ماقلت ، أما قولك الغبي فوالله لوان ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان علي وأما قولك انه جبان فثكلتك أمك هل رأيت أحداً قط بارزه الاقتله . وأما قولك انه بخيل فوالله لو كان له بيتان احدهما من تبر والآخر من تبن لانفد تبره قبل تبنه . فقال الثقفي فعلى م تقاتله اذاً ؟ قال على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذى من جعله فى يده جازت طينته وأطعم عياله وادخر لاهله . فضحك الثقفي ثم لحق بعلى فقال ياأمير المؤمنين هب لى يدى بجرمى لادنيا أصبت ولا آخرة . فضحك على ثم قال : انت منها على رأس أمرك وانما يأخذ الله العباد باحد الامرين

(رفع اهل الشام المصاحف)

قال وذكروا ان اهل العسكرين باتوا بشدة من الالم ونادى على اصحابه فاصبحوا على راياتهم ومصافهم فلما رآهم معاوية وقد برزوا للقتال قال لعمرو ابن العاص ياعمرو ألم تزعم انك ماوقعت فى امر قط الا وخرجت منه قال بلى قال افلا تخرج مماترى . قال والله لادعونهم ان شئت الى امر افرق به جمعهم ويزداد جمعك اليك اجتماعا ان اعطوكه اختلفوا وان منعوكه اختلفوا ، قال معاوية وما ذلك قال عمرو تأمر بالمصاحف فترفع ثم تدعوهم الى مافيها فوالله لئن قبله لتفترقن عنه جماعته ولئن رده ليكفرنه اصحابه . فدعا معاوية بالمصحف ثم دعا رجلا من اصحابه يقال له ابن هند فنشره بين الصفين ثم نادى الله الله فى دمائنا ودمائكم البقية بيننا و بينكم كتاب الله . فلما سمع الناس ذلك ثاروا الى على فقالوا قد اعطاك معاوية الحق ودعاك الى كتاب الله فاقبل منه . ورفع صاحب معاوية المصحف وهو يقول بيننا و بينكم هذا المصحف ثم تلى : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » ثم نادى من الفارس من الروم فقال الاشعث والله لا نأتى هذه أبداً ونرضى معك او نقاتل معك وتابعه اشراف اهل اليمن

وركنوا الى الصلح وكرهوا القتال

(ماتكلم به عبدالله بن عمرو وأهل العراق)

قال وذكروا ان معاوية دعا عبدالله بن عمرو بن العاص فأمره ان يكلم أهل العراق فأقبل عبدالله بن عمرو حتى اذا كان بين الصفين نادى : ياأهل العراق انا عبدالله بن عمرو بن العاص انه قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا فان تك للدين فقد والله اسرفنا واسرفتم وان تك للدنيا فقدوالله اعذرنا واعذرتم وقد دعوناكم لامر لو دعوتموناالیه اجبناكم فان يجمعنا وایاكم الرضا فذلك من الله والا فاغتنموا هذه الفرجة لعل الله ان ينعش بها الحى وينسى بها القتيل فان بقاء المهالك بعد الهالك قليل . فقال على لسعيد بن قيس اجب الرجل وقد كان عبدالله بن عمرو قاتل يوم صفين بسيفين وكان من حجته أن قال امرنى رسول الله ان اطيع ابى . فتقدم سعيد بن قيس حتى اذا كان بين الصفين نادى . ياأهل الشام انه كانت بيننا وبينكم امور حامينا فيها على الدين والدنيا وقد دعوتمونا الى ماقاتلناكم عليه امس ولم يكن له ليرجع اهل العراق الى عراقهم ولا أهل الشام الى شامهم بامر اجمل منه فان يحكم فيه بما انزل الله فالامر فى ايدينا والا فنحن نحن وأنتم أنتم . وان الناس ثاروا الى على عند كلام عبد الله بن عمرو فقالوا اجب القوم الى مادعوك اليه فانادعونا عن ان ندعوك الى مادعاك القوم اليه فانى فقاتلناه . فبعث على الاشعث الى اهل الرايات يأمرهم ان ينقضوها ويرجعوا الى رحالهم حتى يبرموا رأيهم

﴿ ماخاطب به عتبة بن أبى سفيان الاشعث بن قيس ﴾

قال وذكروا ان معاوية دعا عتبة فقال له : ألن الى لاشعث كلاما فانه ان رضى بالصلح رضيت به العامة فخرج عتبة حتى اذا وقف بين الصفين نادى الاشعث فأتاه فقال عتبة أيها الرجل ان معاوية لو كان لاقيا احداً غيرك وغير على لقيك انك رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن ومن قد سلف اليه من عثمان ماقد سلف من الصهر والعمل ولست كاصحابك اما الاشتر فقتل عثمان ، واما عدى فحض ، واماسعيدبن قيس فقلد علياً دينه ، واما شريح بن هانئ وزحر بن قيس فلا يعرفان غير الهوى واما انت فحاميت عن اهل العراق

تكرما وحاربت اهل الشام حمية وقد والله بلغنا منك ماأردنا وبلغت منا ماأردته وانا لاندعوك الى مايكون منك من تركك عليا ولا نصرة معاوية ولكنا ندعوك الى البقية التى فيها صلاحك وصلاحنا

(فتكلم الاشعث)

فقال : ياعتبة اما قولك ان معاوية لايلقى الا عليا فلو لقينى مازاد ولاعظم فى عينى ولا صغرت عنه وان أحب ان أجمع بينه وبين على لافعلن ، واما قولك انى رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن فالرأس الامير والسيد المطاع وهاتان لعلى ، وأما ما سلف الى من عثمان فوالله مازادنى صهره شرفا ولا عمله غنى . واما عيبك أصحابى فان هذا الامر لايقربك منى واما محاماتى عن العراق فمن نزل بيننا حميناه وأما البقية فلسنا بأحوج منها اليكم

﴿ كتاب معاوية الى على رضى الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان عليا اظهر انه مصبح معاوية للقتال فبلغ ذلك معاوية ففزع اهل الشام فانكسروا لذلك فقال معاوية لعمرو انى قد رايت رأيا ان اعيد الى على كتابا اسأله فيه الشام . فضحك عمرو ثم قال اين انت يامعاوية من خدعة على . فقال معاوية ألسنا بنى عبد مناف فقال بلى ولكن لهم النبوة دونكم فان شئت ان تكتب فاكتب . فكتب معاوية الى على : اما بعد فانى اظنك ان لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك مابلغت لم يجنها بعضنا على بعض وان كنا قد غلبنا على عقولنا فلنا منها ماندم به مامضى ونصلح مابقى وقد كنت سألتك ان لايلزمنى لك طاعة ولا بيعة فابيت ذلك على فاعطانى الله مامنعت وانى ادعوك الى مادعوتك اليه أمس فانك لاترجو من البقاء الا ماأرجو ولا تخاف من الفناء الا ماأخاف . وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر

﴿ جوابه ﴾

فلما انتهى كتابه الى على دعا كاتبه عبيدالله بن رافع فقال اكتب : أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ مابلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا واياك فى غاية لم نبلغها بعد ، واما طلبك الى الشام فانى

لم اكن اعطيك اليوم مامنعتك امس ، واما استواؤنا فى الخوف والرجاء فانك لست امضى على الشك منى على اليقين وليس اهل الشام بأحرص من اهل العراق على الآخرة واماقولك انا بنى عبد مناف فكذلك ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبدالمطلب ولا ابوسفيان كأبى طالب ولا المهاجر كالطليق ولا المحق كالمبطل وفى ايدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز ونعنا بها الحر والسلام ، فلما أتى معاوية الكتاب أقرأه عمراً فشمت به عمرو ولم يكن أحد أشد تعظيما لعلى من عمرو بن العاص بعد يوم مبارزته فقال معاوية لعمرو قد علمت ان اعظامك لعلى لما فضحك قال عمرو لم يفتضح امرؤ بارز عليا وانما افتضح من دعاه الى البراز فلم يجبه

﴿ اختلاف أهل العراق فى الموادعة ﴾

قال وذكروا انه لما عظم الامر واستمر القتال قال له رأس من أهل العراق ان هذه الحرب قد اكلتنا واذهبت الرجال والرأى الموادعة . وقال بعضهم لا بل نقاتلهم اليوم على ماقاتلناهم عليه أمس وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة وجنحت الى الصلح والمسالمة . فقام على خطيبا فقال : أيها الناس انه لم أزل من أمرى على ماأحب حتى قدحتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهى لعدوكم أنهك . وقد كنت بالامس أميراً فأصبحت اليوم مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت اليوم منهيا فليس لى ان احملكم على ماتكرهون

(مارد كردوس بن هانئ على على)

قال وذكروا ان كردوس بن هانئ قام فقال . ايها الناس انه والله ماتولينا معاوية منذ تبرأنا منه ولا تبرأنا من على منذ توليناه وان قتيلنا لشهيد وان حينا لفائز وان عليا على بينة من ربه وما اجاب القوم الا انصافا وكل محق منصف فمن سلم له نجا ومن خالفه هوى

(ماقاله سفيان بن ثور)

قال وذكروا ان سفيان بن ثور قال . ايها الناس انادعونا اهل الشام الى كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم وانهم دعونا الى كتاب الله فان رددناه عليهم حل لهم منا ماحل لنامنهم ولسنا نخاف ان يحيف الله علينا ورسوله وان عليا

ليس بالراجع الناكص وهواليوم على ما كان عليه أمس وقد أكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاء الا فى الموادعة

﴿ ماقال حريث بن جابر ﴾

ثم قام حريث بن جابر فقال : أيها الناس ان علياً لو كان خلواً من هذا الامر لكان المرجع اليه فكيف وهو قائده وسابقته وانه والله ماقبل من القوم اليوم الا الامر الذى دعاهم اليه أمس ولو رده عليهم كنتم له أعيب ولا احد فى هذا الامر الا راجع على عقبيه او مستدرج مغرور وما بيننا وبين من طعن علينا الا السيف

﴿ ماقال خالد بن معمر ﴾

ثم قام خالد بن معمر فقال ياأمير المؤمنين انا والله ماأخرنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ولكن قلنا أحب الامور الينا ما كفينا مؤنته فاما اذا استغنينا فانا لانرى البقاء الا فيما دعاك القوم اليه اليوم ان رأيت ذلك وان لم تره فرأيك أفضل

﴿ ماقال الحصين بن المنذر ﴾

ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحدث القوم سناً فقال : أيها الناس انما بنى هذا الدين على التسليم فلا تدفعوه بالقياس ولا تهدموه بالشبهة وانا والله لو انا لا نقبل من الامور الا ما نعرف لاصبح الحق فى الدنيا قليلا ولو تركنا وما نهوى لاصبح الباطل فى ايدينا كثيراً وان لنا راعياً قد حمدنا ورده وصدره وهو المأمون على ماقال وفعل فان قال لاقلنا لا : وان قال نعم قلنا نعم

﴿ ماقال عثمان بن حنيف ﴾

ثم قام عثمان بن حنيف وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عاملا لعلى على البصرة وكان له فضل فقال : أيها الناس اتهموا رأيكم فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يوم أبى جندل وانا لنريد القتال انكارا للصلح حتى ردنا عنه رسول الله وان أهل الشام دعوا الى كتاب الله اضطراراً فأجبناهم اليه اعذاراً فلسنا والقوم سواء انا والله ماعدلنا الحى بالحى ولا القتيل بالقتيل ولا الشامى بالعراقى ولا معاوية بعلى وانه لأمر منعه غير نافع واعطاؤه غير ضائر وقد كلت البصائر التي كنا نقاتل بها وقد حمل الشك

اليقين الذى كنا نؤل اليه وذهب الحياء الذى كنا نمارى به فاستظلوا فى هذا الفىء واسكنوا فى هذه العافية فان قلتم نقاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس هيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد . فاعجب علياً قوله وافتخرت به الانصار ولم يقل احد باحسن من مقالته

﴿ ماقال عدى بن حاتم ﴾

ثم قام عدى بن حاتم فقال : ايها الناس انه والله لو غير على دعانا الى قتال اهل الصلاة ماجبناه ولا وقع بأمر قط الا ومعه من الله برهان وفى يديه من الله سبب وانه وقف عن عثمان بشبهة وقاتل اهل الجمل على النكث واهل الشام على البغى فانظروا فى اموركم وامره فان كان له عليكم فضل فليس لكم مثله فسلموا له والا فنازعوا عليه ، والله لئن كان الى العلم بالكتاب والسنة انه لاعلم الناس بهما . ولئن كان الى الاسلام انه لاخو نبى الله والرأس فى الاسلام . ولئن كان الى الزهد والعبادة لانه أظهر الناس زهداً وانهكهم عبادة ولئن كان الى العقول والنحائز انه لاشد الناس عقلا واكرمهم نحيزة ، ولئن كان الى الشرف والنجدة انه لاعظم الناس شرفا ونجدة ، ولئن كان الى الرضى لقد رضى به المهاجرون والانصار فى شورى عمر رضى الله عنهم وبايعوه بعد عثمان ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام فما الفضل الذى قربكم الى الهدى وما النقص الذى قربه الى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد لاتاح الله له من يقاتل لامر ماض وكتاب سابق . فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ورجع كل من تشعب على على رضى الله عنه

﴿ ماقال عبدالله بن حجل ﴾

ثم قام عبدالله بن حجل فقال : ياأمير المؤمنين انك امرتنا يوم الجمل بأمور مختلفة كانت عندنا أمراً واحداً فقبلناها بالتسليم وهذه مثل تلك الامور ونحن أولئك أصحابك وقد اكثر الناس فى هذه القضية وأيم الله ماالمكثر المنكر بأعلم بها من المقل المعترف وقد أخذت الحرب بأنفاسنا فلم يبق الارجاء ضعيف فان تجب القوم الى مادعوك اليه فأنت أولنا ايمانا وآخرنا بنبى الله عهداً وهذه سيوفنا على اعناقنا وقلوبنا بين جوانحنا وقد اعطيناك بقيتنا وشرحت بالطاعة

صدورنا ونفدت فى جهاد عدوك بصيرتنا فأنت الوالى المطاع ونحن الرعية الاتباع ، أنت أعلمنا بربنا وأقربنا بنبينا وخيرنا فى ديننا وأعظمنا حقا فينا ، فسدد رأيك نتبعك واستخر الله تعالى فى امرك واعزم عليه برأيك فأنت الوالى المطاع . قال فسر على كرم الله وجهه بقوله واثنى خيراً

﴿ ثم قام صعصعة بن صوحان ﴾

فقال : ياأمير المؤمنين انا سبقنا الناس اليك يوم قدوم طلحة والزبير عليك فدعانا حكيم الى نصرة عاملك عثمان بن حنيف فأجبناه فقاتل عدوك حتى أصيب فى قوم من بنى عبد قيس عبدوا الله حتي كانت أكفهم مثل أكف الابل وجباههم مثل ركب المعز فأسر الحى وسلب القتيل فكنا أول قتيل وأسير ثم رأيت بلاءنا بصفين وتدكنت البصائر وذهب الصبر وبقى الحق موفوراً وأنت بالغ بهذا حاجتك والامر اليك ما أراك الله فمرنا به

﴿ ماقال المنذر بن الجارود ﴾

ثم قام المنذر بن الجارود فقال : ياأمير المؤمنين انى أرى أمراً لايدين له الشام الا بهلاك العراق ولايدين له العراق الا بهلاك الشام ولقد كنا نرى أن مازادنا نقصهم وما نقصنا أضرهم فاذا فى ذلك أمران فان رايت غيرك فقينا والله مايفعل به الحد ويرد به الكلب وليس لنا معك ايراد ولا صدر

﴿ ماقال الاحنف بن قيس ﴾

ثم قام الاحنف بن قيس فقال : ياأمير المؤمنين ان الناس بين ماض وواقف وقائل وساكت وكل فى موضعه لحسن وانه لو يكل الآخر عن الاول لم يقل شيئاً الا ان يقول اليوم ماقد قيل أمس ولكنه حق يقضى ولم نقاتل القوم لنا ولا لك انما قاتلناهم لله فان حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله فانك أولى بالحق واحقنا بالتوفيق ولا أرى الا القتال

﴿ ماقال عمير بن عطارد ﴾

ثم قام عمير بن عطارد فقال : ياأمير المؤمنين ان طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس الى معاوية وكانت البصرة اقرب الينا من الشام وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً من الذين وثبوا

عليك من أصحاب معاوية اليوم فوالله مامنعنا ذلك من قتل المحارب وعيب الواقف فقاتل القوم انا معك

﴿ ماقال على رضى الله عنه بعده ﴾

ثم قام على خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انه قد بلغ بكم وبعدوكم ماقد رأيتم ولم يبق منهم الا آخر نفس وان الامور اذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا وانا غاد عليهم بنفسى بالغداة فأحاكمهم بسيفى هذا الى الله

﴿ نداء أهل الشام واستغاثتهم علياً رضى الله عنه ﴾

قال فلما بلغ معاوية قول على دعا عمرو بن العاص فقال له ياعمرو انما هى الليلة حتى يغدوا علينا على بنفسه فما ترى قال عمرو ان رجالك لا يقومون لرجاله ولا أنت ولا أنا لا نقوم له . انت تقاتله على أمر ويقاتلك على غيره وأنت تريد البقاء وعلى يريد الفناء وليس يخاف أهل الشام من على مايخاف منك أهل العراق وان هلكتم . ولكن ادعهم الى كتاب الله فانك تقضى منه حاجتك قبل أن ينشب مخلبه فيك . فأمر معاوية أهل الشام أن ينادوهم فنادوا فى سواد الليل نداء معه صراخ واستغاثة يقولون ياأبا الحسن من لذرارينا من الروم ان قتلتنا الله الله البقيا كتاب الله بيننا وبينكم . فاصبحوا وقد رفعوا المصاحف على الرماح وقلدوها أعناق الخيل والناس على راياتهم قد اصبحوا للقتال

﴿ ماأشار به عدى بن حاتم ﴾

فقام عدى بن حاتم فقال : ياأمير المؤمنين ان أهل الباطل لا تعوق لأهل الحق وقد جزع القوم حين تأهبت للقتال بنفسك وليس بعد الجزع الا ماتحب ناجز القوم .

﴿ ماقال الاشتر وأشار به ﴾

ثم قام الاشتر فقال : ياأمير المؤمنين ماأجبناك لدنيا ان معاوية لا خلف له من رجاله ولكن بحمد الله الخلف لك ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرتك فافرج الحديد بالحديد واستعن بالله

﴿ ماقال عمرو بن الحمق ﴾

ثم قام عمرو بن الحمق فقال ياأمير المؤمنين ماأجبناك لدنيا ولا نصرناك على

باطل ما أجبناك الا لله تعالى ولا نصرناك الا للحق ولو دعانا غيرك الى مادعوتنا اليه لكثر فيه اللجاج وطالت له النجوى وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأى

﴿ ماقال الاشعث بن قيس ﴾

ثم قام الاشعث بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ولست أدرى كيف يكون غداً وما القوم الذين كلموك بأحمد لاهل العراق منى ولا باوتر لاهل الشام منى فأجب القوم الى كتاب الله فانك احق به منهم وقد احب الله البقيا

﴿ ماقال عبد الرحمن بن حارث ﴾

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال يا أمير المؤمنين امض لامر الله ولا يستخفنك الذين لا يوقنون . احكم بعد حكم وأمر بعد أمر مضت دماؤنا ودماؤهم ومضى حكم الله علينا وعليهم

﴿ مارآه على كرم الله وجهه ﴾

قال فمال على الى قول الاشعث بن قيس وأهل اليمن فأمر رجلا ينادى انا اجبنا معاوية الى ما دعانا اليه . فأرسل معاوية الى على ان كتاب الله لا ينطق ولكن تبعث رجلا منا و رجلا منكم فيحكمان بما فيه . فقال على قد قبلت ذلك

﴿ ماقال عمار بن ياسر ﴾

فلما أظهر على أنه قد قبل ذلك قام عمار بن ياسر فقال : يا أمير المؤمنين أما والله لقد أخرجها اليك معاوية بيضاء من أقربها هلك ومن انكرها هلك مالك يا أبا الحسن اشككتنا فى ديننا ورددتنا على اعقابنا بعد مائة الف قتلوا منا ومنهم أفلا كان هذا قبل السيف وقبل طلحة والزبير وعائشة وقد دعوك الى ذلك فابيت وزعمت أنك اولى بالحق وان من خالفنا منهم ضال حلال الدم وقد حكم الله تعالى فى هذا المال ماقد سمعت فان كان القوم كفاراً مشركين فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى يفيؤا الى امر الله وان كانوا اهل فتنة فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله والله ما أسلموا ولا أدوا الجزية ولا فاؤا الى امر الله ولا طفئت الفتنة فقال على والله انى لهذا الامر كاره

﴿ قتل عمار بن ياسر ﴾

قال فلما رد على على عمار انه كاره للقضية وانه ليس من رأيه نادى عمار : أيها

الناس هل من رائح الى الجنة فخرج اليه خمسمائة رجل منهم أبو الهيثم وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فاستسقى عمار الماء فأتاه غلام له بأداوة فيها لبن فلما رآه كبر وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « آخر زادك لبن » ثم قال عمار اليوم التي الاحبة محمداً وحزبه . ثم حمل عمار وأصحابه فالتقى عليه رجلان فقتلاه واقبلا برأسه الى معاوية يتنازعان فيه كل يقول انا قتلته فقال لهما عمرو بن العاص : والله ان تتنازعان الا فى النار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول : تقتل عماراً الفئة الباغية فقال معاوية قبحك الله من شيخ فما تزال تنزلق فى قولك اونحن قتلناه انما قتله الذين جاؤوا به ثم التفت الى أهل الشام فقال : انما نحن الفئة الباغية التي تبغي دم عثمان . فلما قتل عمار اختلط الناس حتي ترك أهل الرايات مراكزهم وأقحم أهل الشام وذلك من آخر النهار وتفرق الناس عن علي فقال عدى ابن حاتم : والله ياأمير المؤمنين ما ابقت هذه الواقعة لنا ولا لهم عميداً فقاتل حتي يفتح الله تعالى لك فان فينا بقية فقال علي ياعدى قتل عمار بن ياسر ؟ قال نعم فبكى علي : وقال ! رحمك الله ياعمار استوجب الحياة والرزق الكريم كم تريدون ان يعيش عمار وقد نيف على التسعين

﴿ هزيمة أهل الشام ﴾

ثم اقبل الاشتر جريحا فقال : ياأمير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل الى ساعتنا هذه فعد الى مكانك الذى كنت فيه فان الناس انما يطلبون حيث تركوك . وان علياً دعا بفرسه التى كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء ثم نادى : من يبع نفسه اليوم يربح غدا يوم له مابعده وان عدوكم قد قدح كما قدحتم فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى اثنى عشر ألفا واضعى سيوفهم على عواتقهم وتقدموا فحمل علي والناس حملة واحدة فلم يبق لاهل الشام صف الا أنمد حتى افضى الامر الى معاوية وعلي يضرب بسيفه ولا يستقبل أحدا الا ولى عنه فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع رجله فى الركاب نظر الى عمرو بن العاص فقال له يابن العاص . اليوم صبر وغدا فخر قال صدقت فترك الركوب وصبر وصبر القوم معه الى الليل فبات الناس يتحارسون وكرهوا القتال وهو اليوم الذى فيه

البلاء العظيم يوم قتل عمار وكل يظن ان الدائرة عليه وأسرف الفريقان في القتل ولم يكن في الاسلام بلاء ولا قتل أعظم منه في تلك الثلاثة الايام وان علياً نادى بالرحيل في جوف الليل فلما سمع معاوية رضي الله عنه رغاء الابل دعا عمرو بن العاص فقال ما ترى هاهنا قال عمرو أظن الرجل هاربا فلما أصبحوا اذا على وأصحابه الى جانبهم قد خالطوهم فقال معاوية كلا زعمت ياعمرو انه هارب فضحك وقال من فعلاته والله فعندها أيقن معاوية بالهلكة ونادى أهل الشام كتاب الله بيننا و بينكم ويومئذ استبان ذل أهل الشام ورفعوا المصاحف ثم ارتحلوا فاعتصموا بجبل منيف وصاحوا الا ترد كتاب الله ياابا الحسن فانك اولى به منا واحق من اخذ به

﴿ ماقال الاشعث بن قيس ﴾

قال فاقبل الاشعث بن قيس في اناس كثير من اهل اليمن فقالوا لعلى لا ترد مادعاك القوم اليه قد انصفك القوم والله لئن [illegible] منا منهم لا وفاء معك ولا نرمى معك بسهم ولا حجر ولا نقف معك موقفا

﴿ ماقال القراء ﴾

قال فلما سمع على قول الاشعث ورأى حال الناس قبل القضية واجاب الى الصلح وقام الى على اناس وهم القراء منهم عبدالله بن وهب الراسبي في اناس كثير قد اخترطوا سيوفهم ووضعوها على عواتقهم فقالوا لعلى اتق الله فانك قد اعطيت العهد واخذته منا لنفنين انفسنا ولنفنين عدونا او يفئ الى امر الله وانا نراك قد ركنت الى امر فيه الفرقة والمعصية لله والذل في الدنيا فانهض بنا الى عدونا فلنحاكمه الى الله بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين لا حكومة الناس .

﴿ ماقال عثمان بن حنيف ﴾

ثم قام عثمان بن حنيف فقال ايها الناس اتهموا رأيكم فانا والله قد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو راينا قتالا قاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين اهل مكة . فامض على القضية واتمم هذا الصلح

﴿ ماقال الاشتر وقيس بن سعد ﴾

قال فانكرها الاشتر وقيس بن سعد وكانا أشد الناس على على فيها قولا فكان الذين عملوا في الصلح الاشعث بن قيس وعدى بن حاتم وشريح بن هانى

وعمرو بن الحمق وزحر بن قيس ومن أهل الشام زيد بن أسد ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك فلما رأى ذلك أبو الاعور قام الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين ان القوم لم يجيبوا الى مادعوناهم اليه حتى لم يجدوا من ذلك بداً وانهم ان ينصرفوا العام يعودوا فى قابل فى سنة يبرأ الجريح وينسى القتيل وقد أخذت بالحرب منا ومنهم غير انهم اختلفوا على على ولم يختلف عليك أحد والخلاف أشد من القتل ناجز القوم . فقال بشر بن أرطاة والله ان الشام خير من العراق لعلى وما فى يدك لك وما فى يد على لاصحابه دونه فان كنت انما سألت المدة لاعداد العدة وانتظار المدد فنعم وان كنت سألتها بغضا للحرب وبقيا على أهل الشام فلا

﴿ ذكر الاتفاق على الصلح وارسال الحكمين ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لاصحابه حين استتمت المدة ولم يسم الحكمين من ترون عليا يختار فاما نحن فصاحبنا عمرو بن العاص . قال عتبة بن أبى سفيان أنت أعلم بعلى منا فقال معاوية : ان لعلى خمسة رجال من ثقاته منهم عدى بن حاتم وعبد الله بن عباس وسعد بن قيس وشريح بن هانئ والاحنف ابن قيس وأنا أصفهم لك : أما عباس فانه لا يتوى . وأما عدى بن حاتم فيرد عمراً سائلا ويسأله مجيبا ، وأما شريح بن هانئ فلا يدع لعمرو حياضا ، وأما الاحنف بن قيس فبديهته كرويته ، وأما سعد بن قيس فلو كان من قريش بايعته العرب ومع هذا ان الناس قد ملوا هذه الحرب ولم يرضوا الا رجلا له تقية وكل هؤلاء لا تقية لهم ولكن انظروا أين أنتم من رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمنه أهل الشام وترضى به أهل العراق فقال عتبة ذلك أبو موسى الاشعرى

﴿ اختلاف أهل العراق فى الحكمين ﴾

قال وذكروا ان عليا لما استقام رايه على أن يرسل عبد الله بن عباس مع عمرو ابن العاص قام اليه الاشعث بن قيس وشريح بن هانئ وعدى بن حاتم وسعد ابن قيس ومعهم ابو موسى الاشعرى فقالوا يا امير المؤمنين هذا ابوموسى الاشعرى وافد أهل اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب مغانم أبى بكر وعامل عمر بن الخطاب وقد عرضنا على القوم بن عباس فزعموا انه قريب القرابة

منك ضنين فى امرك وايم الله لو لقيت به عمرا لاخذ بصره وغم صدره .
ولكن الناس قدرضوا برجل يتق اهل العراق واهل الشام بتقيته . فتكلم شبيب
ابن ربعى فقال انا والله ان خفنا على ابى موسى من عمرو مالايخافه اهل الشام
على عمرو من ابى موسى فلعل ماخفناه لايضرنا ولعل مارجوا لاينفعهم فان
قلت فى ابى موسى ضعف فضعفه ونفاذه خير من قوة عمرو وفجوره فاغلق به البلاء
وافتح به العافية . ثم تكلم ابن الكواء فقال ياأمير المؤمنين انك أجبت الله ذا أجبناك
ولكنا نقول الله بيننا و بينك ان كنت تخشى من أبى موسى عجزاً فشر من
أرسلت الخائن العاجز . ولست تحتاج من عقله الا الى حرف واحد ان لا يجعل
حقك لغيرك فيدرك حجه منك . واعلم ان معاوية طليق الاسلام وان اباه
رأس الاحزاب وانه ادعى الخلافة من غير مشورة فان صدقك فقد حل خلعه
وان كذبك فقد حرم عليك كلامه وان ادعى ان عمر وعثمان استعملاه فقد
صدق استعمله عمر وهو الوالى بمنزلة الطبيب من المريض يحميه مايشتهى ويوجره
مايكره ثم استعمله عثمان وما كان من استعماله ثم لم يدع الخلافة ومهما نسيته
فلا تنس ان عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وانها بيعة هذا ولم يقاتل
الاعاصيا أوناكثا. فقال : ابوموسى رحمك الله أما والله انى لواقف عندما أرى
ورضاء الله تعالى أحب الى من رضاء الناس وما أنا وأنت الا بالله تعالى

﴿ ماقال أهل الشام لاهل العراق ﴾

قال وذكروا ان اهل الشام قالوا لاهل العراق اعطونا رجلا نسميهم لكى
يكونون شهوداً على مايقوله صاحبنا وصاحبكم بيننا و بينكم صحيفة فقال على سموا
من احببتم فسموا ابن عباس والاشعث بن قيس وزياد بن كعب وشريح بن
هانئ وعدى بن حاتم وحجر بن عدى وعبدالله بن الطفيل وسفيان بن ثور
وعروة بن عامر وعبدالله بن حجر وخالد بن معمر وطلب اهل العراق من اهل
الشام عتبة بن أبى سفيان وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد و يزيد بن أسيد وأبا الاعور
والحصين بن نمير وحمزة بن مالك و بسر بن أرطاة والنعمان بن بشير ومخارق بن
الحارث فلما سمى اهل العراق رجال اهل الشام وسمى اهل الشام رجال اهل
العراق قال معاوية أين يكون هذين الرجلين فرضى الناس ان يكونا بدومة الجندل

﴿ ماقال الاحنف بن قيس لعلى ﴾

قال فلم يبق الا الكتاب قال الاحنف بن قيس لعلى ياأمير المؤمنين ان أبا موسى رجل يمانى وقومه مع معاوية فابعثنى معه فوالله لايحل لك عقدة الاعقدت لك أشد منها فان قلت انى لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابعث ابن عباس وابعثنى معه

﴿ ماقال على كرم الله وجهه ﴾

فقال على ان الانصار والقراء أبونى بأبى موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه والله بالغ أمره

﴿ الاختلاف فى كتاب صحيفة الصلح ﴾

قال فوضع الناس السلاح والتقوا بين العسكرين فلما جئ بالكتاب قال على اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب أمير المؤمنين ومعاوية بن أبى سفيان فقال معاوية على م قاتلتك اذ كنت أمير المؤمنين اكتب : على بن أبى طالب . قال الاشعث اطرح هذا الاسم فانه لايضرك فضحك على ثم قال . دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبيه حين صده المشركون عن مكة فقال ياعلى اكتب هذا ماتقاضى عليه محمد رسول الله ومشركو قريش فقال سهيل بن عمرو لقد ظلمناك اذاً يامحمد ان قاتلناك وأنت رسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال صلى الله عليه وسلم اكتب محمد ابن عبد الله وانى رسول الله . وكنت اذ أمرنى شئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعت واذا قال مشركو قريش أبطأت به واذا كتبت شيئاً قال نبى الله امحها فتعاظمنى ذلك . فدعا بمقراض فقرضته وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فقال أبو الاعور أو معاوية وعلى فقال الاشعث لا لعمر الله ولكن نبدأ بأولهما ايمانا وهجرة وأدناهما من الغلبة فقال معاوية : قدموا أو أخروا تقاضوا على ان علياً ومن معه من شيعته من أهل العراق ومعاوية ومن معه من أهل الشام انا ننزل عند حكم الله وكتابه من فاتحته الى خاتمته ماأحيا القرآن أحييناه وما أمات القرآن امتناه فلما لم يجد عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص فى القرآن حكما بما يجدان فى

السنة العادلة غير المفرقة وعلى علي ومعاوية وتبيعتهما وضع السلاح الى انقضاء هذه المدة وهي من رمضان الى رمضان وعلى ان عبدالله بن قيس وعمراً آمنان على دمائهما واموالهما وحريمهما والامة على ذلك انصار وعليهما مثل الذى أخذا ان يقضيا بما في كتاب الله تعالى وما لم يجدا في كتاب الله قضيا بما يجدان في السنة وعليهما ان لا يؤخرا أمرهما عن هذه المدة فان أحبا ان لا يتولا قبل انقضائها فلهما ان يتولا عن تراض منهما على ان يرجع اهل العراق الى العراق واهل الشام الى الشام فيكون الاجتماع الى دومة الجندل فان رضيا ان يجتمعا بغيرها فلهما ذلك ولهما ان لا يحضرهما الا من احبا ولا يشهدا الا من أرادا وهؤلاء النفر من أهل العراق وأهل الشام ضامنون بالوفاء الى هذه المدة فكتب أهل العراق بهذا كتابا لاهل الشام وكتب أهل الشام كتابا بهذا لاهل العراق بخط عمرو بن عبادة كاتب معاوية وشهد شهود أهل الشام على أهل العراق وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام فلما كتب الكتابان أقبل رجل من بني يشكر على فرس له أبلق حتى وقف بين الصفين على علي فقال ياعلي أكفر بعد اسلام ونقض بعد توكيد وردة بعد معرفة أنا من صحيفتكما بريء وممن أقربها بريء ثم حمل على اصحاب معاوية فطعن فيهم حتى اذا عطش أتى عسكر علي فاستسقى فسقى ثم حمل على عسكر علي فطعن فيهم حتى اذا عطش أتى عسكر معاوية فاستسقى فسقى

﴿ ماوصى به شريح بن هانئ أبا موسى ﴾

قال وذكروا ان شريح بن هانئ اخذ بيد أبي موسى فقال : ياأباموسى انك نصبت لامر لايجبر صدعه ولا تستقال فلتته ومهما تقل من شيء لك أو عليك يثبت حقه ويزيل باطله انه لا بقاء لاهل العراق ان ملكها معاوية ولا بأس لاهل الشام ان ملكها علي فانظر في ذلك نظر من يعرف هذا الامر حقاً

﴿ ماوصى به الاحنف بن قيس ابا موسى ﴾

قال ثم جاء الاحنف بن قيس فأخذ بيده ثم قال : ياأبا موسى اعرف خطب هذا المسير واعلم ان لك ما بعده وانك ان ضيعت العراق فلا عراق لك فاتق الله فانك تجمع بذلك دنيا واخرى . اذا لقيت عمراً غداً فلا تبادره بالسلام فليس من أهله ولا تعطيه يدك فانها امانة واياك ان تقعد على صدر الفراش فانها خدعة ولا تلقه

وحدك وإياك ان يكلمك في بيت فيه مخدع يخبأ لك فيه رجالا وان لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلى فخيره ان يختار أهل العراق رجلا من قريش أهل الشام من شاؤا فانهم ان يولوا الخيار يختاروا من يريدون فان ابى فلتختار أهل الشام من قريش اهل العراق من شاؤا فان فعلوا كان الامر بيننا

(ماقال معاوية لعمرو)

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو ان اهل العراق اكرهوا علياً على أبي موسى وانا واهل الشام راضون بك وارجو في دفع هذه الحرب قوة لاهل الشام وفرقه لاهل العراق وامداداً لاهل اليمن وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى وله على ذلك دين وفضل فدعه يقول فاذا هو قال فصمت واعلم ان حسن الرأى زيادة في العقل ان خوفك العراق فخوفه بالشام وان خوفك مصر فخوفه باليمن وان خوفك علياً فخوفه بمعاوية وان أتاك الجميل فانه بالجميل قال عمرو ياأمير المؤمنين أقلل الاهتمام بما قبلي وارج الله تعالى فيما وجهتني له انك من أمرك على مثل حد السيف لم تنل في حربك ما رجوت ولم تأمن ما خفت ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً وقد ذكرت لابي موسى ديناً وان الدين منصور أرأيت ان ذكر علياً وجاءنا بالاسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول فقال معاوية قل ما تريد وترى قال فانصرف عمرو الى منزله فقال لاصحابه هل ترون ما أراد معاوية من تصغير أبى موسى قالوا لا قال عرف انه خادعه غداً

﴿ ماقال شرحبيل لعمرو ﴾

قال وأتى شرحبيل بن السمط الى عمرو فقال ياعمرو انك رجل قريش وان معاوية لم يبعثك الا لثقته بك واعلم انك لم تؤت من عجز وقد علمت ان وطأة هذا الامر لصاحبك ولك فكن عند ظننا بك

﴿ اجتماع أبى موسى وعمرو ﴾

قال وذكروا ان أباموسى وعمراً لما اجتمعا بدومة الجندل وحضرهما من يليهما من العرب ليستمعوا قول الرجلين فلما التقيا استقبل عمرو أباموسى فاعطاه يده وضم عمرو أباموسى الى صدره فقال ياأخي قبح الله أمراً فرق بيننا ثم أقعد أبا موسى على صدر الفراش وأقبل عليه بوجهه والناس مجتمعون فلم يزالا حتي تفرقا ومكثا أياما

يلتقيان فى أمرهما سراً وجهراً وأقبل الاشعث بن قيس وكان من أحرص الناس على اتمام الصلح والراحة من الحرب فقال ياهذان اناقد كرهنا هذه الحرب ان تزداد الينا فانها مرة الرضاع والفطام فكفاها بما شئتما

﴿ ماقال سعيد بن قيس للحكمين ﴾

قال فقبل سعيد بن قيس وكان من النصحاء لعلى كرم الله وجهه فقال : أيها الرجلان انى أراكما قد أبطأتما بهذا الامر حتى أيس القوم منكما فان كنتما اجتمعتما على خير فاظهراه نسمعه ونشهد عليه وان كنتما لم تجتمعا رجعنا الى الحرب

﴿ ماقال عدى بن حاتم لعمرو ﴾

قال وذكروا ان عدياً قال لعمرو أما والله ياعمرو انك لغير مأمون الغناء وانك يا أبا موسى لغير مأمون الضعف وما ننتظر بالقول منكما الا أن تقولا والله مالكما مع كتاب الله ايراد ولا اصدر فقال أبوموسى كفوا اعنا فانا انما نقول فيما بقى ولسنا نقول فيما مضى

﴿ ماقال عمرو لابى موسى ﴾

قال وذكروا ان عمراً غدا على أبى موسى فقال ياأباموسى قد عرفت حال معاوية فى قريش وشرفه فى بنى عبد مناف وانه ابن هند وابن أبى سفيان فما ترى فقال أبو موسى أما معاوية فليس باشرف فى قريش من على ولو كان هذا الامر على شرف الجاهلية كان أخوال ذى أصبح ولكننى أرى وترى وباعده أبوموسى ثم غدا عليه عمرو فقال ياأباموسى ان قال قائل ان معاوية من الطلقاء وابوه رأس الاحزاب لم يبايعه المهاجرون والانصار فقد صدق واذا قال أن عليا آوى قتلة عثمان وقتل أنصاره يوم الجمل وبرز على أهل الشام بصفين فقد صدق وفينا وفيكم بقية وان عادت الحرب ذهب مابقى فهل لك ان تخلعهما جميعاً وتجعل الامر لعبد الله بن عمر فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبسط فى هذه الحرب يداً ولا لساناً وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه فقال أبوموسى جزاك الله بنصيحتك خيراً وكان ابوموسى لا يعدل بعبد الله بن عمر احداً لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من ابيه لفضل عبدالله فى نفسه وافترقا على هذا الامر واجتمع رأيهما على ذلك . ثم ان عمراً غداً على أبى موسى ناشدتك الله تعالى من احق بهذا الامر من اوفى اومن غدر قال ابوموسى من اوفى قال عمرو ياابا موسى نشدتك الله

تعالى ماتقول فى عثمان قال ابوموسى قتل مظلوما قال عمرو ففا الحكم فيمن قتل قال ابوموسى يقتل بكتاب الله تعالى قال فمن يقتله قال اولياء عثمان قال فان الله يقول فى كتابه العزيز « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا » قال فهل تعلم ان معاوية من أولياء عثمان قال نعم قال عمرو للقوم اشهدوا قال أبوموسى للقوم اشهدوا على مايقول عمرو ثم قال أبو موسى لعمرو قم ياعمرو فقل وصرح بما اجتمع عليه رأيى و رأيك وما اتفقنا عليه فقال عمرو سبحان الله اقوم قبلك وقد قدمك الله قبلى فى الايمان والهجرة وانت وافد اهل اليمن الى رسول الله ووافد رسول الله اليهم و بك هداهم الله وعرفهم شرائع دينه وسنة نبيه وصاحب مغانم ابى بكر وعمر . ولكن قم انت فقل ثم اقوم فأقول فقام ابوموسى فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان خير الناس للناس خيرهم لنفسه وانى لا أهلك دينى بصلاح غيرى . ان هذه الفتنة قد اكلت العرب وانى رأيت وعمراً ان نخلع علياً ومعاويه ونجعلها لعبد الله بن عمر فانه لم يبسط فى هذه الحرب يداً ولا لساناً ثم قام عمرو فقال : أيها الناس هذا أبوموسى شيخ المسلمين وحكم أهل العراق ومن لا يبيع الدين بالدنيا قد خلع علياً واثبت معاوية فقال أبوموسى مالك عليك لعنة الله ما أنت الا كمثل الكلب تلهث فقال عمرو ولكنك مثل الحمار يحمل أسفاراً . واختلط الناس فقالوا والله لو اجتمعنا على على هذا ما حولتمانا عما نحن عليه وما صلحكما بلازمنا وانا اليوم على ما كنا عليه أمس ولقد كنا ننظر الى هذا قبل ان يقع وما أمات قولكما حقا ولا أحيا باطلا ثم تشاتم ابو موسى وعمرو ثم التفت عمرو الى معاوية ولحق ابوموسى بمكة وانصرف القوم الى على فقال عدى أما والله ياامير المؤمنين لقد قدمت القرآن وأخرت الرجال وجعلت الحكم لله فقال على أما انى قد اخبرتكم ان هذا يكون بالامس وجهدت أن تبعثوا غير أبى موسى فابيتم على ولا سبيل لحرب القوم حتى تنقضى المدة . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قم ياحسن فتكلم فى امر هذين الرجلين أبى موسى وعمرو ، فقام الحسن فتكلم فقال . أيها الناس قد اكثرتم فى امر ابى موسى وعمرو وانما بعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى فحكما بالهوى دون القرآن فمن كان هكذا لم يكن حكما ولكنه محكوم عليه وقد كان من خطأ ابى موسى أن جعلها لعبد الله بن عمر فأخطأ فى ثلاث خصال خالف يعنى ابا موسى أباه عمر اذ لم يرضه لها ولم يره اهلا لها وكان ابوه اعلم به

من غيره ولا ادخله فى الشورى الا على انه لا شىء له فيها شرطا مشروطا من عمر على اهل الشورى فهذه واحدة ، وثانية لم تجمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الامامة ويحكمون على الناس ، وثالثة لم يستأمر الرجل فى نفسه ولا علم ما عنده من رد او قبول . ثم جلس ثم قال على لعبد الله بن عباس قم فتكلم فقام عبد الله ابن عباس وقال . أيها الناس ان للحق اناسا اصابوه بالتوفيق والرضا والناس بين راض به وراغب عنه وانما سار ابو موسى بهدى الى ضلال وسار عمرو بضلال الى هدى فلما التقيا رجع ابو موسى عن هداه ومضى عمرو على ضلاله فوالله لو كانا حكما عليه بالقرآن لقد حكما عليه ولئن كانا حكما بهواهما على القرآن ولئن مسكا بما سارا به لقد سار ابو موسى وعلى امامه وسار عمرو ومعاوية امامه ثم جلس فقال على لعبد الله ابن جعفر قم فتكلم فقام وقال . أيها الناس هذا أمر كان النظر فيه لعلى والرضا فيه الى غيره جئتم بابى موسى فقلتم قد رضينا هذا فارض به وايم الله ما اصلحا بما فعلا الشام ولا افسدا العراق ولا اماتا حق على ولا احييا باطل معاوية ولا يذهب الحق قلة رأى ولا نفخة شيطان وانا لعلى اليوم كما كنا امس عليه ثم جلس

﴿ كتاب ابن عمر الى ابى موسى ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن عمر لما بلغه ما كان من رأى ابى موسى كتب اليه . اما بعد يا ابا موسى فانك تقربت الى بامر لم تعلم هواى فيه اكنت تظن انى ابسط يداً الى امر نهانى عنه عمر او كنت ترانى اتقدم على على وهو خير منى لقد خبت اذاً وخسرت وما أنا من المهتدين فأغضبت بتولك وفعلك على علياً ومعاوية : ثم أعظم من ذلك خديعة عمرو اياك وأنت حامل القرآن ووافد اهل اليمن الى نبى الله وصاحب مقاسم ابى بكر وعمر وتقدمك عمرو للقول مخادعا حتى خلعت علياً قبل ان تخلع معاوية لعمرى ما يجوز لك على على ما جاز لعمرو على معاوية ولا ما جاز لنا عليه وما نرضى ما رضيت واردت ان الحاكم بما حكم الله بين الناس ولم تبلغ من خطيئتك عنده ما غير امرك فى خلاف هواه فلما أتى أباموسى كتاب ابن عمر كتب اليه : اما بعد فانى والله ما اردت بتوليتي اياك ويعى لك القربة اليك ما أردت بذلك الا الله عز وجل وأما تقلدى امر هذه الامة غير مستكره فانهم كانوا على مثل حد السيف فقلت الى سنة محيا وممات ان يصطلحوا فهو الذى اردت والا لم

يرجعوا الى اعظم مما كانوا عليه ، وأما غضابى عليك علياً ومعاوية فقد غضبا عليك قبل ذلك ، وأما خديعة عمرو اياى فوالله ما ضر بخديعته عليا ولا نفع معاوية وقد كان الشرط ما اجتمعنا عليه لا ما اختلفنا فيه وأما نهيي اليك فوالله لو تم الامر لا كرهت عليه

﴿ كتاب معاوية الى ابى موسى ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى ابى موسى بعد الحكومة وهو بمكة أما بعد فاكره من اهل العراق ما كرهوا منك واقبل الى الشام فانى خير لك من على والسلام .

﴿ جوابه ﴾

فكتب اليه أبو موسى : أما بعد فانه لم يكن منى فى على الا ما كان من عمرو فيك غير أنى أردت بما صنعت وجه الله واراد عمرو بما صنع ما عندك وقد كان بينى وبينه شروط عن تراض فلما رجع عمرو رجعت وأما قولك ان الحكمين اذا حكما على امر فليس للمحكوم عليه ان يكون بالخيار انما ذلك فى الشاة والبعير ، وأما فى أمر هذه الامة فليست تساق الى ما تكره وان تذهب بين عجز عاجز ولا كيد كائد ولا خديعة فاجر . وأما دعاؤك اياى الى الشام فليس لى بدل ولا ايثار عن قبر ابن ابراهيم ابى الانبياء

﴿ كتاب على الى ابى موسى ﴾

قال وذكروا انه لما بلغ عليا كتاب ابى موسى رق له وأحب ان يضمه اليه : اما بعد فانك امرؤ ضلك الهوى واستدرجك الغرور فاستقل الله يقلك عثرتك فانه من استقال الله اقاله ان الله يغفر ولا يغير وأحب عباده اليه المتقون والسلام ، فلما انتهى كتاب على الى ابى موسى هم ان يرجع ثم قال لاصحابه انى امرؤ غلب على الحياء ولا يستطيع هذا الامر رجل فيه حياء

(جوابه)

فكتب أبو موسى الى على : أما بعد فلولا انى خشيت ان يؤل منع الجواب الى اعظم مما فى نفسك لم أجبك لانه ليس عذر ينفعنى ولا عذر يمنعنى منك واما التزامى مكة فانى استفسرت الى اهل الشام وانقطعت من اهل العراق وأصبت اقواما صغروا من ذنبي ماعظمتم وعظموا من حقى ماصغرتم فأقمت بين اظهرهم اذ لم يكن لى منكم ولى ولا نصير

﴿ ذكر قيام الخوارج على علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ﴾

قال وذكروا انه لما كان من الحكمين ما كان لقيت الخوارج بعضها بعضا فاجتمعوا فى منزل عبدالله بن وهب الراسبي فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن و ينسبون الى حكم القرآن ان تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق وان ضر ومر فانه ان يضر ويمر فى هذه الدنيا فان ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم اهلها الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدعة المضلة والاحكام الجائرة فقال . حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعوكم زينتها وبهجتها الى المقام بها ولا تلوينكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ياقوم ان ان الرأى ماقد رأيتم والحق ماقد ذكرتم فـكلوا امركم رجلا منكم فانه لابد لكم من عماد وسند ومن راية تحفون حولها وترجعون اليها ثم اجتمعوا فى منزل زفر بن حصين الطائى فقالوا ان الله اخذ عهودنا ومواثيقنا على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق والجهاد فى تقويم السبيل وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام « ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد » وقال « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون » فاشهدوا على أهل دعوتنا ان قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم القرآن وجاروا فى الحكم والعمل وان جهادهم على المؤمنين فرض واقسم بالذى تعنو له الوجوه وتخشع دونه الابصار لو لم يكن احد على تغيير المنكر وقتال القاسطين مساعداً لقاتلتهم وحدى فرداً حتى ألقى الله ربى فيرى انى قد غيرت ارادة رضوانه بلسانى يااخواننا اضربوا جباههم ووجوههم بالسيف حتى يطاع الرحمن عزوجل فان يطع الله كما اردتم أثابكم ثواب المطيعين له الآمرين بأمره وان قتلتم فأى شىء أعظم من المسير الى رضوان الله وجنته واعلموا ان هؤلاء القوم خرجوا لاقضاء حكم الضلالة فاخرجوا بنا الى بلد نتعد فيه الاجتماع من مكاننا هذا فانكم قد أصبحتم بنعمة ربكم وأنتم أهل الحق بين الخلق اذ قلتم بالحق وصمدتم

لقول الصدق فاخرجوا بنا الى المدائن نسكنها فنأخذ بابوابها ونخرج منها سكانها
ونبعث الى اخواننا من اهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين الطائى
ان المدائن بها قوم يمنعونكم منها و يمنعونها منكم ولكن اكتبوا الى اخوانكم من
أهل البصرة فاعلموهم بخروجكم وسيروا أنتم على المدائن فتنزلوا بجسر
النهروان قالوا هذا هو الرأى فاجتمعوا على ذلك وكتبوا الى اخوانهم من أهل
البصرة : أما بعد فان أهل دعوتنا حكموا الرجال فى أمر الله ورضوا بحكم
القاسطين على عباده فخالفناهم ونابذناهم نريد بذلك الوسيلة الى الله وقد قعدنا بجسر
النهروان وأحببنا اعلامكم لتأخذوا بنصيبكم من الاجر والسلام

﴿ الجواب ﴾

فكتبوا اليهم : أما بعد فقد بلغنا كتابكم وفهمنا ما ذكرتم وقد وهبنا لكم
الرأى الذى جمعكم الله عليه من الطاعة واخلاص الحكم لله واعمالكم أنفسكم
فيما يجمع الله به كلمتكم وقد أجمعنا على المسير اليكم عاجلا . وكان بدء خروجهم
انهم اجتمعوا فى منزل حرقوص بن زهير ليلة الخميس فقالوا متى أنتم خارجون
قالو الليلة القابلة من يوم الجمعة فقال لهم حرقوص بن أقيموا ليلة الجمعة تتعبدوا
لربكم وأوصوا فيها بوصاياكم ثم اخرجوا ليلة السبت مثنى ووحدانا لا يشعر بكم

﴿ خطبة على كرم الله وجهه ﴾

قالوا فلما خرج جميع الخوارج وتوافوا الى النهروان قام على بالكوفة على
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد فان معصية العالم الناصح تورث
الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة
بأمرى فأبيتم الا ما اردتم فأحييا ما أمات القرآن وأماتا ما أحيا القرآن واتبع
كل واحد منهما هواه يحكم بغير حجة ولا سنة ظاهرة واختلفا فى أمرهما وحكمهما
فكلاهما لم يرشد الله فبرئ الله منهما ورسوله وصالحو المؤمنين فاستعدوا للجهاد
وتأهبوا للمسير ثم أصبحوا فى معسكركم يوم الاثنين بالنخيلة وانما حكمنا من حكمنا
ليحكما بالكتاب فقد علمتم انهما حكما بغير الكتاب وبغير السنة ووالله لا غزونهم
ولو لم يبق احد غيرى لجاهدتهم . واعطى الناس العطاء وهم بالجهاد

﴿ كتاب على كرم الله وجهه للخوارج ﴾

قالوا فأجمع رأى على والناس على المسير الى معاوية بصفين فتجهز معاوية وخرج حتي نزل بصفين واصبح على قد تجهز وعسكر فقيل له ياأمير المؤمنين انه قد افترقت منا فرقة فذهبت قال فكتب اليهم على . أما بعد فان هذين الرجلين الخاطئين الحا كمين اللذين ارتضيتم حكمين قد خالفا كتاب الله واتبع هواهما بغير هدى من الله فلا يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ، اذ بلغكم كتابنا هذا فاقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدكم ونحن على الامر الذى كنا عليه والسلام . قال فكتبوا اليه : أما بعد فانك لم تغضب لله انما غضبت لنفسك والله لايهدى كيد الخائنين . قال فلما رأى على كتابهم ايس منهم ورأى ان يدعهم ويمضى بالناس الى معاوية وأهل الشام فيناجزهم فقام على خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان من ترك الجهاد وداهن فى امر الله كان على شفا هلكة الا ان يتداركه الله برحمته فاتقوا الله عباد الله قاتلوا من حاد الله وحاول ان يطفئ نور الله قاتلوا الخاطئين القاتلين لاولياء الله المحرفين لدين الله الذين ليسوا بقراء للكتاب ولا فقهاء فى الدين ولا علماء بالتأويل ولا لهذا الامر بأهل فى دين ولا سابقة فى الاسلام ووالله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بعمل كسرى وقيصر . فسيروا وتأهبوا للقتال وقد بعثت لاخوانكم من أهل البصرة ليتقدموا عليكم فاذا قدموا واجتمعتم شخصنا ان شاء الله

﴿ كتاب على الى ابن عباس ﴾

قالوا وقد كان على قد كتب الى ابن عباس والى أهل البصرة أما بعد فانا أجمعنا على المسير الى عدونا من أهل الشام فاشخص الى من قبلك من الناس وأقم حتى آتيك والسلام

﴿ ماقال ابن عباس الى أهل البصرة ﴾

فلما قدم كتاب على على ابن عباس فقراه على الناس ثم امرهم بالشخوص مع الاحنف بن قيس فشخص معه منهم الف وخمسمائة رجل فاستقبلهم ابن عباس . فقام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ياأهل البصرة قد جاءنى كتاب أمير المؤمنين

يأمرني باشخاصكم فامرتكم بالمسير اليه مع الاحنف بن قيس فلم يشخص اليه منكم الا ألف وخمسمائة وأنتم فى الديوان ستون ألفا سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم . ألا فانفروا ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلا فانى موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته عاصيا لامامه حزنا يعقب ندما وقد أمرت أبا الاسود بحشدكم فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه الا نفسه

﴿ ماقال على كرم الله وجهه لاهل الكوفة ﴾

قال فحشد أبو الاسود الناس بالبصرة فاجتمع اليه الف وسبعماية فاقبل هو والاحنف بن قيس حتي وافيا عليا بالنخيلة فلما رأى على انه انما قدم عليه من أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل جمع اليه رؤساء الناس وامراء الاجناد ووجوه القبائل فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة انتم اخوانى وانصارى واعوانى على الحق ومحبي الى جهاد المحلين ، بكم اضرب المدبر وارجو اتمام طاعة المقبل ، وقد بعثت الى أهل البصرة فاستنفرتهم فلم يأتنى منهم غير ثلاثة آلاف ومائتين فاعينونى بمناصحة سمحة خلية من الغش وانى آمركم ان يكتب الى رئيس كل قوم منكم ما فى عشيرته من المقاتلة وابنائهم الذين ادركوا القتال والعبدان والموالى وارفعوا ذلك الى ننظر فيه ان شاء الله . فقام سعد بن قيس الهمدانى . فقال : يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة وودا ونصيحة انا اول الناس وأول من اجابك بما سألت وطلبت . ثم قام عدى بن حاتم وحجر بن عدى واشراف القبائل فقالوا مثل ذلك ثم كتبوا ورفعوا الى على فكان جميع ما رفعوا اليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفاً من الابناء وثمانية آلاف من عبيدهم ومواليهم وكانت العرب يومئذ سبعة وخمسين ألفاً من أهل الكوفة ومن مماليكهم ومواليهم ثمانية آلاف ومن أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل . فقام على فيهم خطيباً فقال : أما بعد فقد بلغنى قولكم لو ان أمير المؤمنين سار بنا الى هذه الخارجة التى خرجت علينا فبدأنا بهم الا ان غير هذه الخارجة اهم على أمير المؤمنين سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا فى الارض جبارين ملوكا ويتخذهم المؤمنون أربابا ويتخذون عباد الله خولا ودعوا ذكر الخوارج . قال فنادى الناس من كل جانب سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت فنحن حزبك وأنصارك نعادى من عاداك ونشايع من اناب اليك والى طاعتك فسر بنا الى عدوك

كائنامن كان فانك لن تؤتى من قلة ولا ضعف فان قلوب شيعتك كقلب رجل واحد فى الاجتماع على نصرتك والجد فى جهاد عدوك فابشر ياأمير المؤمنين بالنصر واشخص الى أى الفريقين أحببت فانا شيعتك التي ترجو فى طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله وتخاف من الله فى خذلانك، والمختلف عنك شديد الوبال

﴿ ماقال على رضى الله عنه فى الخثعمى ﴾

فبايعوه على التسليم والرضاء وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من خثعم فقال له على : بايع على كتاب الله وسنة نبيه قال لا ولكن أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وسنة أبى بكر وعمر فقال على ومايدخل سنة أبى بكر وعمر مع كتاب الله وسنة نبيه انما كانا عاملين بالحق حيث عملا فأبى الخثعمى الاسنة أبى بكر وعمر وابى على ان يبايعه الا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له حيث ألح عليه تبايع قال لا الا على ماذكرت لك فقال له على أما والله لكأنى بك قد نفرت فى هذه الفتنة وكأنى بحوافر خيلى قد شدخت وجهك فلحق بالخوارج فقتل يوم النهروان ، قال قبيصة فرأيته يوم النهروان قتيلا قدوطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه ومثلت به فذكرت قول على وقلت لله در أبى الحسن ماحرك شفتيه قط بشىء الا كان كذلك

﴿ اجتماع على للذهاب الى صفين ﴾

فاجمع على والناس على المسير الى صفين وتجهز معاوية حتى نزل صفين فلما خرج على بالناس عبر الجسر ثم مضى حتى نزل دير أبى موسى على شاطئ الفرات ثم أخذ على الانبار . وان الخارجة التي خرجت على على بينماهم يسيرون فاذاهم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا اليه الفرات فقالوا له من أنت قال انا رجل مؤمن قالوا فما تقول فى على بن أبى طالب قال أقول انه أمير المؤمنين وأول المسلمين ايمانا بالله ورسوله قالوا فما اسمك قال انا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له افزعناك قال نعم قالوا لاروع عليك حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله لعل الله أن ينفعنا به قال نعم حدثنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ستكون فتنة بعدى يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمنا ويصبح كافراً . فقالوا لهذا الحديث سألناك والله لنقتلنك قتلة ماقتلناها أحداً .

فأخذوه وكتفوه ثم اقبلوا به و بامرأته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل فسقطت رطبة منها فأخذها بعضهم فقذفها في فيه فقال له أحدهم بغير حل أو بغير ثمن أكلتها فالقاها من فيه ، ثم اخترط بعضهم سيفه فضرب به خنزيرا لاهل الذمة فقتله قال له بعض أصحابه ان هذا من الفساد في الارض فلقي الرجل صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره فلما رأى منهم عبد الله بن خباب ذلك قال لئن كنتم صادقين فيما أرى ما علي منكم بأس ووالله ما أحدثت حدثا في الاسلام واني لمؤمن وقد امنتموني وقلتم لا روع عليك فجاؤا به و بامرأته فاضجعوه على شفير النهر على ذلك الخنزير فذبحوه فسال دمه في الماء ثم اقبلوا الى امرأته فقالت : انما انا امرأة أما تتقون الله قال فبقروا بطنها وقتلوا ثلاثة نسوة فيهم أم سنان قد صحبت النبي عليه السلام فبلغ عليا خبرهم فبعث اليهم الحارث بن مرة لينظر فيما بلغه من قتل عبد الله بن خباب والنسوة و يكتب اليه بالامر فلما انتهى اليهم ليسائلهم خرجوا اليه فقتلوه فقال الناس يا أمير المؤمنين ندع هؤلاء القوم و راءنا يخلفونا في عيالنا واموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا منهم نهضنا الى عدونا من أهل الشام

﴿ مسير علي الى الخوارج وما قال لهم ﴾

قال فسار علي ومن معه حتى نزلوا المدائن ثم خرج حتي أتى النهروان فبعث اليهم : ان ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا افارقكم وأكف عنكم حتي ألقى أهل الشام فبعثوا اليه : انا كلنا قتلناهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ثم أتاهم علي فوقف عليهم فقال أيتها العصابة اني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا وأنتم صرعى بازاء هذا النهر بغير برهان ولا سنة الم تعلموا اني نهيتكم عن الحكومة واخبرتكم ان طلب القوم لها مكيدة وأنبأتكم ان القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن واني اعرف بهم منكم قد عرفتم أطفالا وعرفتم رجالا فهم شر رجال وشر اطفال وهم أهل المكر والغدر وانكم ان فارقتموني و رأيي جانبتم الخير والحزم فعصيتموني واكرهتموني حتي حكمت فلما ان فعلت شرطت واستوثقت وأخذت على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن وان يميتا ما امات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة وعملا بالهوى فنبذنا أمرهم ونحن على أمرنا الاول فما نبأكم ومن اين أتيتم . قالوا انا حيث حكمنا الرجلين اخطأنا بذلك وكنا كافرين وقد تبنا من ذلك فان

شهدت على نفسك بالكفر وتبت كتابنا واشهدنا فنحن معك ومنك والا فاعتزلنا وان ابيت فنحن منابذوك على سواء . فقال : على ابعد ايماني بالله وهجرتي وجهادي مع رسول الله ابوء واشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذاً وما انا من المهتدين . ويحكم بم استحللتم قتالنا والخروج من جماعتنا ان اختار الناس رجلين فقالوا لهما انظرا بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ويوضع آخر مكان آخر . أحل لكم ان تضعوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دماءهم ان هذا لهو الخسران المبين . قال فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم تهيأوا للقاء الحرب الرواح الرواح الى الجنة

﴿ قتل الخوارج ﴾

قال فرجع على فعبأ اصحابه فجعل على الميمنة حجر بن عدى وعلى الميسرة شبث بن ربعى وعلى الخيل ابا ايوب الانصارى وعلى الرجالة ابا قتادة وعلى اهل المدينة وهم ثمانمائة رجل من الصحابة قيس بن سعد بن عبادة ووقف على فى القلب فى مضر . قال ثم رفع لهم راية امان مع ابى ايوب الانصارى فناداهم ابو ايوب من جاء منكم الى هذه الراية فهو آمن ومن دخل المصر فهو آمن ومن انصرف الى العراق ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن فانه لا حاجة لنا فى سفك دمائكم . قال وقدم الخيل دون الرجالة وصف الناس صفين وراء الخيل وصف الرماة صفا امام صف وقال لاصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم . قال واقبلت الخوارج حتى اذا دنو من الناس نادوا لا حكم الا الله ثم نادوا الرواح الرواح الى الجنة . قال وشدوا على أصحاب على شدة رجل واحد والخيل امام الرجال فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل فخمدوا . قال الثعلبى لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معز اتقت المطر بقرونها ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة ونهض على فى القلب بالسيوف والرماح فلا والله ما لبثوا فواقا حتى صرعهم الله كأنما قيل لهم موتوا فماتوا . قال وأخذ على ما كان فى عسكرهم من كل شئ فاما السلاح والدواب فقسمه على بيننا وأما المتاع والعبيد والاماء فانه حين قدم الكوفة رده على أهله . قال ولما أراد على الانصراف من النهروان قام خطيباً فحمد الله ثم قال : اما بعد فان الله قد احسن

بلاؤكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى معاوية واشياعه الناسطين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون . فقالوا ياأمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت اذرعنا وتقطعت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا بأحسن عدتنا ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا عدة فان ذلك اقوى لنا على عدونا فأقبل على بالناس حتى نزل بالنخيلة فعسكر بها وامر الناس ان يلزموا معه عسكرهم ويوطنوا انفسهم على الجهاد وان يقلوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتي يسيروا الى عدوهم من أهل الشام فأقاموا معه اياما ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ويتلذذون بنسائهم وابنائهم ولذاتهم حتي تركوا علياً وما معه الا نفر من وجود الناس يسير وترك العسكر خاليا

﴿ خطبة على كرم الله وجهه ﴾

قال فقام على على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس استعدوا للمسير الى عدو فى جهاده القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده فأعدوا له ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى به وكيلا ثم تركهم اياما ودعا رؤسائهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذى ثبطهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره واقلهم من نشط فقال لهم على : عباد الله مالكم اذا أمرتكم ان تنفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ورضيتم بالذل والهوان من العز خلفا كلما دعوتكم الى الجهاد دارت اعينكم كأنكم من الموت فى سكرة وكانت قلوبكم قاسية فانتم لا تعقلون وكأن ابصاركم كمه فأنتم لا تبصرون ، لله أنتم ما انتم الا اسود رواعة وثعالب رواغة عند الناس تكادون ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم فلا تحاشون وأنتم فى غفلة ساهون ، ان أخا الحرب اليقظان . أما بعد فان لى عليكم حقا ولكم على حقا أما حقكم على فالنصيحة فى ذات الله وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا . وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لى فى الاجابة حين ادعوكم والطاعة حين آمركم ، فان يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما اكره وترجعوا الى ما احب تنالوا بذلك ماتحبون وتدركوا ماتأملون ، ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم ماعزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم كلامكم يوهى

الصم وفعلكم يطمع فيكم عدوكم اذا امرتكم بالمسير قلتم كيت وكيت اعاليل باضاليل دبهات لايدرك الحق الا بالجد والصبر اى دار بعد داركم تمنعون ، ومع اى امام بعدى تقاتلون ، المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب اصبحت لاأطمع فى نصرتكم ولا اصدق قولكم ، فرق الله بيني وبينكم واعقبنى بكم من هو خير لى وأعقبكم بعدى من شر لكم منى أما انكم ستلقون بعدى ذلا شاملا وسيفا قاتلا واثرة يتخذها الظالمون بعدى عليكم سنة تفرق جماعتكم وتبكى عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم ، تتمنون والله عندها ان لو رأيتمونى ونصرتمونى وستعرفون ما أقول لكم عما قليل . استنفرتكم فلم تنفروا ونصحت لكم فلم تقبلوا وأسمعتكم فلم تعوا أنتم شهود كأغياب وصم ذووا أسماع ، اتلوا عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظة النافعة وأحثكم على جهاد المحلين الظلمة الباغين ، فما آتى على آخر قولى حتى أراكم متفرقين اذا تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقاً عزين تضربون الامثال وتناشدون الاشعار تربت أيديكم وقد نسيتم الحرب واستعدادها وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها وشغلتموها بالاباطيل والاضاليل ، ويحكم اغزوا عدوكم قبل ان يغزوكم فوالله ماغزى قوم قط فى عقر دارهم الا ذلوا وأيم الله ماأظنكم تفعلون حتى يفعل بكم وأيم الله لوددت انى قد رأيتهم فلقيت الله على نيتي و بصيرتى فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم ، ويحكم ما انتم الا كابل جامحة ضل عنها رعاؤها فكلما ضمت من جانب انتشرت من جانب والله لكانى انظر اليكم وقد حمى الوطيس لقد انفرجتم على انفراج الراس وانفراج المرأة عن قبلها ، فقام اليه الاشعث بن قيس الكندى فقال : ياامير المؤمنين افهلا فعلت كما فعل عثمان قال على ويلك وكما فعل عثمان رأيتنى فعلت عائذاً بالله من شر ماتقول والله ان الذى فعل عثمان لمخزأة على من لادين له ولا حجة معه فكيف وانا على بينة من ربى والحق معى والله ان امرأ امكن عدوه من نفسه فنهش عظمه وسفك دمه لعظيم عجزه وضعيف قلبه انت يابن قيس فكن ذلك فأما انا فوالله دون اعطى ذلك ضرباً بالمشرفى يطير له فراش الراس وتطيح منه الاكف والمعاصم وتجد به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك مايشاء والله يااهل العراق ما اظن هؤلاء القوم من اهل الشام الا

ظاهرين عليكم ، فقالوا ابعلم تقول ذلك ياأمير المؤمنين ؟ فقال : نعم والذى فلق الحبة وبرأ النسمة انى ارى امورهم قد علت وارى اموركم قد خبت واراهم جادين فى باطلهم واراكم وانين فى حقكم واراهم مجتمعين واراكم متفرقين واراهم لصاحبهم معاوية مطيعين واراكم لى عاصين . اما والله لئن ظهروا عليكم بعدى لتجدنهم ارباب سوء كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم فى بلادكم وحملوا الى بلادهم منكم ، وكأنى انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لاتأخذون لله حقا ولا تمنعون له حرمة وكأنى انظر اليهم يقتلون صلحاءكم ويخيفون علماءكم وكأنى انظر اليكم يحرمونكم ويحجبونكم ويدنون الناس دونكم فلو قد رأيتم الحرمان ولقيتم الذل والهوان ووقع السيف ونزل الخوف لندمتم وتحسرتم على تفريطكم فى جهاد عدوكم وذكرتم ما انتم فيه من الخفض والعافية حين لا ينفعكم التذكار . فقال الناس قد علمنا ياامير المؤمنين ان قولك كله وجميع لفظك يكون حقاً اترى معاوية يكون علينا اميراً ؟ فقال لا تكرهون إمرة معاوية فان امرته سلم وعافية فلو مات رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحنظل وعداً كان مفعولا ، فاما امرة معاوية فلست اخاف عليكم شرها ما بعدها ادهى وامر ثم قام ابو ايوب الانصارى فقال : ان امير المؤمنين اكرمه الله قد اسمع من كانت له اذن واعية وقلب حفيظ ان الله قد اكرمكم به كرامة ماقبلتموها حق قبولها حيث نزل بين اظهركم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير المسلمين وافضلهم وسيدهم بعده يفقهكم فى الدين ويدعوكم الى جهاد المحلين ؟ فوالله لكانكم صم لاتسمعون وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون عباد الله أليس انما عهدكم بالجور والعدوان امس وقد شمل العباد وشاع فى الاسلام فذو حق محروم ومشتوم عرضه ومضروب ظهره وملطوم وجهه وموطوء بطنه وملقى بالعراء فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق ونشر العدل وعمل بالكتاب فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولوا مجرمين ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون ، اشحذوا السيوف وجددوا آلة الحرب واستعدوا للجهاد فاذا دعيتم فأجيبوا واذا امرتم فاطيعوا تكونوا بذلك من الصادقين . قال ثم قام رجال من أصحاب على فقالوا : ياأمير المؤمنين أعط

هؤلاء هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالى ممن يتخوف خلافه على الناس وفراقه وانما قالوا له هذا الذى كان معاوية يصنعه بمن أتاه وانما عامة الناس همهم الدنيا ولها يسعون وفيها يكدحون فاعط هؤلاء الاشراف فاذا استتام لك ما تريد عدت الى احسن ما كنت عليه من القسم . فقال على أتأمرونى أن اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الاسلام فوالله لاأفعل ذلك مالاح فى السماء نجم ، والله لو كان لهم مال لسويت بينهم فكيف وانما هى اموالهم . فقال رجل ياأمير المؤمنين ان الموت نازل لابد منه فان حل فمن صاحبنا ؟ فقال على احدثك عن خاصة نفسى أما الحسن فصاحب خوان وفتى من الفتيان ولو قد التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم فى الحرب حثالة عصفور . وأما ابن أخى عبدالله بن جعفر فصاحب لهو . وأما الحسين ومحمد ابنى فانا منهم وهما منى ؟ والله لقد احببت ان يدال هؤلاء القوم عليكم باصلاحهم فى ارضهم وفسادكم فى ارضكم واداتهم الامانة لمعاوية وخيانتكم وطاعتهم له ومعصيتكم لى واجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم . وايم الله لايدعوا بعدى محرما الا استحلوه ولا يبقى بيت وبر ولا مدر الا ادخلوه ظلمهم حتى يقوم الباكيان منكم باك لدينه وباك لدنياه . وحتى تكون نصرة أحدكم كنصرة العبد لسيده اذا شهد أطاعه واذا غاب سبه . فقال رجل ياأمير المؤمنين اتظن ذلك كائنا قال ماهو بالظن ولكنه باليقين .

ما كتب على لاهل العراق

قال فقام حجر بن عدى وعمرو بن الحمق وعبدالله بن وهب الراسبى فدخلوا على على فسألوه عن أبى بكر وعمر ماتقول فيهما وقالوا بين لنا قولك فيهما وفى عثمان قال على كرم الله وجهه أوقد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتى فيها قد قتلت انى مخرج اليكم كتابا أنبئكم فيه ماسألتمونى عنه فاقرأوه على شيعتى فأخرج اليهم كتابا فيه : أما بعد فان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نذيراً للعالمين وأمينا على التنزيل وشهيدا على هذه الامة وانتم يامعشر العرب على غير دين وفى شر دار تسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل فمن الله عليكم فبعث محمدا اليكم بلسانكم فكنتم أنتم المؤمنون وكان الرسول فيكم

ومنكم تعرفون وجهه ونسبه فعلمكم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأمركم بصلة الرحم وحقن الدماء واصلاح ذات بينكم وان تؤدوا الامانات الى أهلها وان توفوا بالعهد وان تعاطفوا وتبادروا وتراحموا ونهاكم عن التظالم والتحاسد والتقاذف والتباغي وعن شرب الحرام وعن بخس المكيال والميزان ، وتقدم اليكم فيما انزل عليكم ان لا تزنوا ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلما فكل خير يبعدكم عن النار قد حضكم عليه وكل شر يبعدكم عن الجنة قد نهاكم عنه فلما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدته من الدنيا توفاه الله وهو مشكور سعيه مرضى عمله مغفور له ذنبه شريف عند الله نزله : فيالموته مصيبة خصت الاقربين وعمت المؤمنين ! فلما مضى تنازع المسلمون الامر بعده فوالله ما كان باقى فى روعى ولا يخطر على بالى ان العرب تعدل هذا الامر عنى فما راعنى الا اقبال الناس على أبى بكر واجفالهم عليه فأمسكت يدى ورأيت أنى أحق بمقام محمد فى الناس ممن تولى الامور على فلبثت بذلك ماشاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى محو دين محمد وملة ابراهيم عليهما السلام فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان أرى فى الاسلام ثلماً وهدماً تكون المصيبة به على أعظم من فوة ولاية أمركم التى انما هى متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، فمشيت عند ذلك الى أبى بكر فبايعته ونهضت معه فى تلك الاحداث حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هى العليا وان يرغم الكافرون. فتولى أبو بكر رضى الله عنه تلك الامور فيسر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً فلما احتضر بعث الى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وبايعنا وناصحنا فتولى تلك الامور فكان مرضى السيرة ميمون النقيبة أيام حياته ، فلما احتضر قلت فى نفسى ليس يصرف هذا الامر عنى فجعلها عمر شورى وجعلنى سادس ستة فما كانوا لولاية احد منهم باكره منهم لولايتى لانهم كانوا يسمعوننى وأنا أحاجج أبا بكر فاقول يامعشر قريش انا احق بهذا الامر منكم ما كان منا من يقرأ القرآن ويعرف السنة فخشوا ان وليت عليهم أن لا يكون لهم فى هذا الامر نصيب فبايعوا اجتماع رجل واحد حتى صرفوا الامر عنى لعثمان فاخرجونى منها رجاء ان يتداولوها حين يئسوا أن ينالوها ثم قالوا لى هلم فبايع عثمان والا جاهدناك فبايعت مستكرها وصبرت محتبسا وقال قائلهم انك

يابن أبي طالب على الامر لحريص قالت لهم أنتم أحرص أما أنا اذا طلبت
ميراث ابن أبي وحقه وانتم دخلتم بيني وبينه وتصرفون وجهي دونه اللهم اني
استعين بك على قريش فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي وفضلي واجتمعوا
على منازعتي حقاً كنت اولى به منهم ثم قالوا اصبر كمداً وعش .. أسفا فنظرت
فاذا ليس معي رفاقة ولا مساعد الا أهل بيتي فضننت بهم عن الهلاك فاغضيت
عيني عن القذى وتجرعت ريقي على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمر
من العلقم طعماً وآلم للقلب من حر الحديد ، حتى اذا نقمتم على عثمان أتيتموه
فقتلتموه ثم جئتموني تبايعوني فأبيت عليكم وأبيتم على فنازعتموني ونافستموني
ولم امد يدي تمنعاً عنكم ثم ازدحمتم على حتي ظننت ان بعضكم قاتل بعض او
انكم قاتلي وقلتم لانجد غيرك ولا نرضى الا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف
فبايعتكم ودعوتم الناس الى بيعتى فمن بايع طائعاً قبلت منه ومن ابى تركته فاول
من بايعني طلحة والزبير ولو أبيا ما اكرهتهما كما لم اكره غيرهما فما لبثا الا يسيرا
حتي قيل لى قد خرجا متوجهين الى البصرة فى جيش مامنهم رجل الا وقد
اعطاني الطاعة وسمح لى بالبيعة ، فقدموا على عمالى بالبصرة وخزائن بيوت
اموالى وعلى أهل مصر وكلهم فى طاعتى وعلى شيعتي فشتتوا كلمتهم وأفسدوا
على جماعتهم ثم وثبوا على شيعتى فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة صبراً وطائفة
عصراً باسيافهم فضاربوهم حتي لقوا الله صابرين محتسبين فوالله لو لم يصيبوا
منهم الا رجلا واحداً متعمدين لقتله لحل لى بذلك قتل الجيش كله مع انهم
قد قتلوا من المسلمين اكثر من العدة التى دخلوا عليهم بها فقد اداك الله منهم
فبعداً للقوم الظالمين ، ثم نظرت بعد ذلك فى أهل الشام فاذاهم اعراب واحزاب
وأهل طمع جفاة طغام تجمعوا من كل أوب ممن ينبغى ان يؤدب ويولى عليه
ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا من التابعين باحسان
فسرت اليهم ودعوتهم الى الجماعة والطاعة فابوا الا اشقاقا ونفاقا ونهضوا فى وجوه
المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ينضحونهم بالنبل ويشجونهم بالرماح
فهنالك نهضت اليهم فقاتلتهم فلما عضهم السلاح ووجدوا الم الجراح رفعوا المصاحف
يدعونكم الى مافيها فنبأتكم انهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وانما رفعوها

اليكم خديعة ومكيدة فامضوا على قتالهم ، فاتهمتمونى وقلتم اقبل منهم فانهم ان أجابوا الى مافى الكتاب جامعونا على مانحن عليه من الحق وان ابوا كان أعظم لحجتنا عليهم ، فقبلت منهم وخففت عنهم وكان صلحى بينهم على رجلين حكمين يحييان ماأحييا القرآن ويميتان ماأمات القرآن فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا حكم القرآن وخالفا مافى الكتاب واتبعا هواهما بغير هدى من الله فجنبهما الله السداد وأهوى بهما فى غمرة الضلال وكانا اهل ذلك فانخذلت عنا فرقة منهم فتركناهم ماتركونا حتى اذا عاثوا فى الارض مفسدين وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقلنا لهم ادفعوا الينا قتلة اخواننا فقالوا كلنا قتلهم وكلنا استحللنا دماءهم ودماءكم وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع القوم الظالمين ثم امرتكم ان تمضوا من فوركم الى عدوكم فانه افزع لقلوبهم وأنهك لمكرهم واهتك لكيدهم فقلتم كلت اذرعنا وسيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فأذن لنا فلنرجع حتى نستعد بأحسن عدتنا واذا رجعت زدت فى مقاتلتنا عدة من هلك منا ومن قد فارقنا فان ذلك قوة منا على عدونا فاقبلتم حتى اذا اطللتم على الكوفة أمرتكم ان تلزموا معسكركم وتضموا قواصيكم وتتوطنوا على الجهاد ولا تكثروا زيارة اولادكم ونسائكم فان ذلك يرق قلوبكم ويلويكم وان اصحاب الحرب لا يتوحدون ولا يتوجعون ولا يسأمون من سهر ليلهم ولا من ظمأ نهارهم ولا من خمص بطونهم حتى يدركوا بثارهم وينالوا بغيتهم ومطلبهم فنزلت طائفة منكم معذرة ودخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من نزل معى صبر فثبت ولا من دخل المصر عاد الى ، ولقد نظرت الى عسكرى وما فيه معى منكم الا خمسون رجلا فلما رأيت ماأتيتم دخلت اليكم فما قدرتم ان تخرجوا معى الى يومكم هذا ، لله آباؤكم فما تنتظرون اما ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى مصركم قد افتتح فما بالكم تؤفكون ، الا ان القوم قد اجتمعوا وجدوا وتناصحوا وانكم تفرقتم واختلفتم وتغاششتم فأنتم ان اجتمعتم تسعدون فايقظوا رحمكم الله نائمكم وتحرزوا لحرب عدوكم انما تقاتلون الطلقاء وابناء الطلقاء من أسلم كرها وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حربا ، أعداء السنة والقرآن وأهل الاحزاب والبدع والاحداث ومن كانت بوائقه تتقى وكان عن

الدين منحرفا واكلة الرشا وعبيد الدنيا لقد نمى الى ان ابن الباغية لم يبايع معاوية حتى شرط عليه ان يؤتيه اتاوة هى اعظم مما فى يديه من سلطانه ، فصفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا وتربت يد هذا المشترى نصرة غادر فاسق بأموال الناس وان منهم لمن شرب فيكم الخمر وجلد حداً فى الاسلام ، فهؤلاء قادة القوم ومن تركت ذكر مساويه منهم شر واضر وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لاظهروا فيكم الغضب والفخر والتسلط بالجبروت والتطاول بالغضب والفساد فى الارض ولاتبعوا الهوى وحكموا بالرشاد وأنتم على ما فيكم من تخاذل وتواكل خير منهم واهدى سبيلا ، فيكم الحكماء والعلماء والفقهاء وحملة القرآن والمتهجدون بالاسحار والعباد والزهاد فى الدنيا وعمار المساجد واهل تلاوة القرآن أفلا تسخطون وتنقمون ان ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والاراذل والاشرار منكم . اسمعوا قولى اذا قلت وأطيعوا أمرى اذا امرت واعرفوا نصيحتى اذا نصحت واعتقدوا حزمى اذا حزمت والتزموا عزمى اذا عزمت وانهضوا لنهوضى وقارعوا من قارعت ولئن عصيتمونى لا ترشدوا ولا تجتمعوا . خذوا للحرب اهبتها واعدوا لها التهيأ فانها قد وقدت نارها وعلا سناها وتجرد لكم الظالمون كيما يطفئوا نور الله ويقهركم ، عباد الله ، الا انه ليس اولياء الشيطان من اهل الطمع والجفاء بأولى فى الجد فى غيهم وضلالهم وباطلهم من اهل النزاهة والحق والاخبات بالجد فى حقهم وطاعة ربهم ومناصحة امامهم انى والله لو لقيتهم وحيدا منفرداً وهم فى اهل الارض ان باليتهم او استوحشت منهم انى فى ضلالهم الذى هم فيه والهدى الذى انا عليه لعلى بصيرة ويقين وبينة من ربى وانى للقاء ربى لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج ولكن أسفا يعترينى وجزعا يريبنى من ان يلى هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا وعباد الله خولا والصالحين حربا والقاسطين حزبا ، وايم الله لولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم فوالله انى لعلى الحق وانى للشهادة لمحب انا نافر بكم ان شاء الله فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ان الله مع الصابرين

﴿ مقتل على عليه السلام ﴾

قال المدائنى حج ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل على وعامل معاوية فاصطلح الناس على شبيب بن عثمان فلما انقضى الموسم أقام النفر من الخوارج مجاورين بمكة فقالوا كان هذا البيت معظما فى الجاهلية جليل الشأن فى الاسلام وقد انهك هؤلاء حرمته فلو ان قوما شروا انفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد افسدا فى الارض واستحلا حرمة هذا البيت استراحت الامة واختار الناس لهم اماماً . فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله أنا اكفيكم امر على ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك انا أقتل معاوية فقال زاذويه مولى بنى العنبر واسمه عمرو بن بكر والله ما عمرو ابن العاص بدونها فانا به . فتعاقدوا على ذلك ثم اعتمروا عمرة رجب واتفقوا يوم واحد يكون فيه وقوع القتل منهم فى على ومعاوية وعمرو ثم ساروا كل منهم فى طريقه فندم ابن ملجم الكوفة وكتم امره وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة وكانت خارجية وكان على قد قتل اخاها فى حرب الخوارج وتزوجها على ان يقتل عليا فاقام عندها مدة فقالت له فى بعض الايام وهو مختف : لطالما احببت انك عند أهلك وأضربت عن الامر الذى جئت بسببه فقال ان لى وقتا واعدت فيه اصحابى ولن اجاوزه فلما كان اليوم الذى تواعدوا فيه خرج عدو الله فقعد لعلى حين خرج لصلاة الصبح صبيحة نهار الجمعة ليلة عشر بقيت من رمضان سنة اربعين فلما خرج على للصلاة وثب عليه وقال الحكم لله لا لك ياعلى وضربه على قرنه بالسيف فقال على فزت ورب الكعبة ثم قال لا يفوتكم الرجل فشد الناس عليه فاخذوه وكان على رضى الله عنه شديد الادمة ثقيل العينين ضخم البطن اصلع ذا عضلات فى أذنيه شعر يخرج منها وكان الى القصر أقرب . وكان ابن ملجم يعرض سيفه فاذا اخبر ان فيها عيباً أصلحه فلما قتل عليا قال لقد احددت سيفى بكذا وكذا وسممته بكذا وضربت به عليا ضربة لو كانت باهل المصر لاتت عليهم . وروى عن الحسن انه قال اتيت ابى فقال لى أرقت الليلة ثم ملكتنى عينى فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاولاد واللدد فقال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم خيراً لى منهم وابدلهم

بى شراً لهم منى وخرج الى الصلاة فاعترصه ابن ملجم ، وأدخل ابن ملجم
على على بعد ضربه اياه فقال اطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان اعش فأنا ولى
دمى اماعفوت واما قصصت وان امت فالحقوه بى ولا تعتدوا ان الله لايحب
المعتدين قالوا و بكت ام كلثوم وقالت لابن ملجم ياعدو الله قتلت أميرالمؤمنين
قال ماقتلت أمير المؤمنين ولكنى قتلت اباك قالت والله انى لارجو ان لا يكون
عليه بأس قال . ولم تبكين اذاً ؟ والله لقد ارهفت السيف ونفيت الخوف
وجبت الاجل وقطعت الامل وضربت ضربة لو كانت باهل الشرق لاتت
عليهم ومكث على يوم الجمعة ويوم السبت وتوفى ليلة الاحد وغسله الحسن
والحسين ومحمد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها
قميص وصلى عليه الحسن ابنه ودفن فى قصر الامارة بالكوفة وغمى قبره
مخافة ان تنبشه الخوارج وقيل انه نقل بعد صلح معاوية والحسن الى المدينة
واخذ ابن ملجم فقطعت يديه ورجليه واذنيه وانفه وأتوا يقطعون لسانه فصرخ
فقيل له قد قطعت منك أعضاء ولم تنطق فلما أتوا يقطعون لسانك صرخت
قال انى اذكر الله به فلم يسهل على قطعه ثم قتلوه بعد هذه المثلة . وكانت خلافة
على اربع سنين وتسعة أشهر : وكان عمره ثلاثا وستين سنة . واما البرك فانه
انطلق ليلة ميعادهم فقعد لمعاوية فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه بسيفه
فأدبر معاوية فضرب رانفة اليته ففلقها ووقع السيف فى لحم كثير وأخذ فقال
لمعاوية ان لك عندى خبراً ساراً قد قتل الليلة على وحدثه الحديث وعولج
معاوية فبرئ وأمر بقتل البرك وقيل ضرب البرك معاوية وهو ساجد فمذ ذاك
جعل الحرس على رؤس الخلفاء واتخذ معاوية المقصورة . واما الثالث فقصد
عمرو بن العاص ليلة الميعاد فلم يخرج تلك الليلة لعلة وجدها فى بطنه وصلى
بالناس خارجة بن جزافة العدوى فشد عليه الخارجى وهو يظن انه ابن العاص
فقتله وأخذ فأتى به عمرو بن العاص فلما رآه قال ومن المقتول قالوا خارجة
فقال أردت عمراً وأراد الله خارجة ثم قال لعمرو بن العاص الحديث وما كان
من اتفاقه مع صاحبيه فأمر بقتله . فلما قتل على تداعى اهل الشام الى بيعة
معاوية وقال له عبدالرحمن بن خالد بن الوليد نحن المؤمنون وأنت أميرنا فبايعوه

وهو بايليا لخمس ليال خلون من شوال سنة اربعين

فصل

روى عن النبي عليه السلام انه قال : ياعلى : أتدرى من أشقى الاولين والآخرين قال الله ورسوله اعلم قال اشقى الاولين عاقر الناقة وأشقى الآخرين الذى يطعنك ياعلى وأشار الى حيث طعن قال وخرج على فى ليلة قتل وهو يقول :

أشدد حيازيمك للمو * ت فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حـل بواديكا

وقال الشاعر فى قتل ابن ملجم علياً :

تضمن للآثام لادر دره * ولاقى عقابا غير ما متصرم
فلا مهر اغلا من على وان غلا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم

قال هبيرة بن شريم : سمعت الحسن رضى الله عنه يخطب فذكر أباه وفضله وسابقته ثم قال والله ماترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد ان يشترى بها خادما . وجاء رجل من مراد الى على فقال له ياأمير المؤمنين احترس فان هنا قوما يريدون قتلك فقال ان لكل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خلياه . قيل ولما ضرب على دعى أولاده وقال لهم : عليكم بتقوى الله وطاعته وألا تأسوا على ماصرف عنكم منها وانهضوا الى عبادة ربكم وشمروا عن ساق الجد ولا تثاقلوا الى الارض وتقروا بالخسف وتبوؤا بالذل اللهم اجمعنا واياهم على الهدى وزدنا واياهم فى الدنيا واجعل الآخرة خيراً لنا ولهم من الاولى والسلام

بيعة الحسن بن على رضى الله عنه لمعاوية

قال وذكروا انه لما قتل على بن أبى طالب ثار الناس الى الحسن بن على بالبيعة فلما بايعوه قال لهم تبايعون لى على السمع والطاعة وتحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت فلما سمعوا ذلك ارتابوا وامسكوا ايديهم وقبض هو يده فاتوا الحسين فقالوا له ابسط يدك نبايعك على مابايعنا عليه اباك وعلى حرب المحلين الضالين أهل الشام فقال الحسين معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً قال فانصرفوا الى الحسن فلم يجدوا بداً من بيعته على ماشرط عليهم فلما تمت البيعة له وأخذ عهودهم ومواثيقهم

على ذلك كاتب معاوية فاتاه فخلابه فاصطلح معه على ان لمعاوية الامامة ما كان حياً فاذا مات فالامر للحسن فلما تم صلحهما صعد الحسن الى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان الله هدى أولكم باولنا وحقن دمائكم بآخرنا وكانت لى فى رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين واشار الى معاوية

﴿ انكار سليمان بن صرد ﴾

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق وانصرف راجعا الى الشام اتاه سليمان بن صرد وكان غائبا عن الكوفة وكان سيد أهل العراق ورأسهم فدخل على الحسن فقال السلام عليك يامذل المؤمنين فقال الحسن وعليك السلام اجلس لله أبوك قال فجلس سليمان فقال : أما بعد فان تعجبنا لا ينقضى من بيعتك معاوية ومعك مائة الف مقاتل من أهل العراق وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من ابنائهم ومواليهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك بقية فى العهد ولا حظاً من القضية فلو كنت اذ فعلت ما فعلت واعطاك ما اعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليك بذلك كتابا وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب ان هذا الامر لك من بعده كان الامر علينا أيسر ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله ثم قال وزعم على رؤس الناس ما قد سمعت انى كنت شرطت لقوم شروطاً ووعدتهم عدات ومنيتهم أمانى ارادة اطفاء نار الحرب ومداراة لهذه الفتنة اذ جمع الله لنا كلمتنا والفتنا فان كل ما هنالك تحت قدمى هاتين ووالله ما أعنى بذلك الا نقض ما بينك وبينه فأعد للحرب خدعة وأذن لى أشخص الى الكوفة فأخرج عامله منها واظهر فيها خلعه وانبذ اليه على سواء ان الله لا يهدى كيد الخائنين. ثم سكت فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته وكلهم يقول ابعث سليمان بن صرد وابعثنا معه ثم الحقنا اذا علمت انا قد أشخصنا عامله وأظهرنا خلعه فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال : أما بعد فانكم شيعتنا وأهل مودتنا ومن نعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم فى أمر الدنيا وللدنيا اعمل وانصب ما كان معاوية بأبأس منى بأساً وأشد شكيمة ولكان رأيى غير ما رأيتم ولكنى اشهد الله واياكم انى لم ارد بما رأيتم الا حقن دمائكم واصلاح ذات بينكم فاتقوا الله وارضوا

بقضاء الله وسلموا الامر لله والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم حتي يستريح بر أو يستراح من فاجر مع ان ابى كان يحدثني ان معاوية سيلي الامر فوالله لو سرنا اليه بالجبال والشجر ما شككت انه سيظهر ان الله لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، وأما قولك يامذل المؤمنين فوالله لئن تذلوا وتعاقوا أحب الى من ان تعزوا وتقتلوا فان رد الله علينا حقنا فى عافية قبلنا وسألنا الله العون على أمره وان صرفه عنا رضينا وسألنا الله ان يبارك فى صرفه عنا فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً فان يهلك ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا وان لا يكلنا الى انفسنا فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

﴿ كراهية الحسين رضى الله عنه للبيعة ﴾

قال ثم خرج سليمان بن صرد من عنده فدخل على الحسين فعرض عليه ما عرض على الحسن واخبره بما رد عليه الحسن فقال الحسين ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً فانها بيعة كنت والله لها كارها فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم .

﴿ ما أشار به المغيرة بن شعبة على معاوية من البيعة ليزيد ﴾

قال وذكروا انه لما استقامت الامور لمعاوية استعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة ثم هم ان يعزله ويولي سعيد بن العاص فلما بلغ ذلك المغيرة قدم الشام على معاوية فقال يا أمير المؤمنين قد علمت ما لقيت هذه الامة من الفتنة والاختلاف وفى عنقك الموت وأنا أخاف ان حدث بك حدث ان يقع الناس فى مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان فاجعل للناس بعدك علما يفزعون اليه واجعل ذلك يزيد ابنك . فدخل معاوية على امرأته فاختة بنت قرظة بن حبيب بن عبد شمس وكان ابنها منه عبد الله ابن معاوية وقد كان بلغها ما قال المغيرة وما أشار به عليه من البيعة ليزيد وكان يزيد بن الكلبية ميسرة ابنة عبد عبد الرحمن بن بحدل الكلبي . فقالت فاختة وكانت معادية للكلبية ما أشار به عليك المغيرة أراد ان يجعل لك عدواً من نفسك يتمنى هلاك كل يوم فشق ذلك على معاوية ثم بدا له أن يأخذ بما أشار عليه المغيرة

﴿ ما حاول معاوية فى بيعة يزيد ﴾

قال فلما اجتمعت عند معاوية وفود الامصار وفيهم الاحنف بن قيس دعا

معاوية الضحاك بن قيس الفهري اقال له : اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي فاستأذني للقيام فاذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذي يحق له عليك من حسن الثناء عليه ثم ادعني الى توليته من بعدي فاني قد رأيت واجمعت على توليته فاسأل الله في ذلك وفي غيره الخيرة وحسن القضاء . ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن مسعدة الفزاري وثور بن معن السلمي وعبد الله بن عصام الاشعري فأمرهم ان يقوموا اذا فرغ الضحاك وان يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد

﴿ ما تكلم به الضحاك بن قيس ﴾

قال فلما جلس معاوية على المنبر وفرغ من بعض موعظته وهؤلاء النفر في المجلس قد قعدوا للكلام قام الضحاك بن قيس فاستأذن في الكلام فأذن له فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به انا قد بلونا الجماعة والالفة والاختلاف والفرقة فوجدناها ألم لشعثنا وآمنة لسبلنا وحاقنة لدمائنا وعائدة علينا في عاجل ما نرجو به الجماعة من الالفة ولا خير لنا أن نترك سدى والايام عوج رواجع والله يقول كل يوم هو في شأن ولسنا ندري ما يختلف به العصران ، وأنت يا أمير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه نسأل الله تعالى بك المتاع وقد رأينا من دعة يزيد بن أمير المؤمنين وحسن مذهبه وقصد سيرته ويمن نقيبته مع ما قسم الله من المحبة في المسلمين والشبه بأمير المؤمنين في عقله وسياسته وشيمته المرضية ما دعانا الى الرضا به في أمورنا والقنوع به في الولاية علينا فايوله أمير المؤمنين اكرمه الله عهده وليجعله لنا ملجأ ومفزعاً بعده نأوي اليه ان كان كون ، فانه ليس أحد أحق به منه فاعزم على ذلك عزم الله لك في رشدك ووفقك في أمورنا . ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اصلح الله أمير المؤمنين انا قد أصبحنا في زمان مختلفة أهواؤه ، قد احدودبت علينا سيساؤه واقطوطبت علينا ادواؤه ، واناخت علينا أنباؤه ونحن نشير عليك بالرشاد وندعوك الى السداد ، وأنت يا أمير المؤمنين أحسننا نظراً وأثبتنا بصراً ويزيد بن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته وبلونا علانيته ورضينا ولايته وزادنا بذلك انبساطاً وبه اغتباطاً مع ما منحه الله بالشبه بأمير المؤمنين والمحبة في المسلمين فاعزم على ذلك ولا تضيق به ردعا فالله

تعالى يقيم به الأود ويردع به الألد وتأمن به السبل ويجمع به الشمل ويعظم به الاجر ويحسن به الذخر ثم جلس . فقام ثور بن معن السلمى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اصلح الله أمير المؤمنين اناقد اصبحنا فى زمان صاحبه مشاغب وظله ذاهب مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة وأنت يا أمير المؤمنين ميت نسأل الله بك المتاع ويزيد بن أمير المؤمنين أقدمنا شرفاً وابذلنا عرفاً وقد دعانا الى الرضا به والقنوع بولايته والحرص عليه والاختيار له ماقد عرفنا من صدق لسانه ووفائه وحسن بلائه فاجعله لنا بعدك خلفا فانه اوسعنا كنفا واقدمنا سلفاً ، وهو رتق لما فتق وزمام لما شعث ونكال لمن فارق ونافق وسلم لمن واظب وحافظ للحق اسأل الله لامير المؤمنين افضل البقاء والسعادة والخيرة فيما اراد والتوطن فى البلاد وصلاح أمر جميع العباد . ثم جلس فقام عبدالله بن عصام فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين وامتع به اناقد أصبحنا فى دنيا منقضية واهواء منجذمة ، نخاف حدها وننتظر جدها ، شديد منحدرها كثير وعرها ، شامخة مراقبها ثابتة مراتبها ، صعبة مراكبها . فالموت يا أمير المؤمنين وراءك ووراء العباد لايخلد فى الدنيا أحد ولا تبقى لنا أمد وأنت يا أمير المؤمنين مسؤل عن رعيتك ومأخوذ بولايتك وأنت انظر للجماعة وأعلا عيناً بحسن الرأى لاهل الطاعة وقد هديت ليزيد فى أكمل الامور وافضلها رأياً وأجمعها رضا فقطع بيزيد قالة الكلام ونخوة المبطل وشعث المنافق وأكبت به الباذخ المعادى فان ذلك ألم للشعث واسهل للوعث فاعزم على ذلك ولا تترامى بك الظنون . ثم قام عبدالله بن مسعدة الفزارى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ان الله قد آثرك بخلافته واختصك بكرامته وجعلك عصمة لاوليائه وذا نكاية لاعدائه فأصبحت بأنعمه جذلا ولما حملك محتملا ، يكشف الله تعالى بك العمى ويهدى بك العدى ويزيد بن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيتك رأفة وأحقهم بالخلافة بعدك قد ساس الامور وأحكمته الدهور ، ليس بالصغير الفهيه ولا بالكبير السفيه قد احتجن المكارم وارتجى لحمل العظائم وأشد الناس فى العدو نكاية واحسنهم صنعا فى الولاية وأنت أغنى بأمرك واحفظ لوصيتك واحرز لنفسك . اسأل الله لامير المؤمنين العافية فى غير جهد والنعمة فى غير تغيير . قال فقال معاوية أوكلكم قد أجمع على هذا رأيه فقالوا كلنا قد أجمع رايه على ماذكرنا .

قال فأين الاحنف فأجابه قال الاتتكلم فقام الاحنف فحمد الله وأثنى ثم : قال :
اصلح الله أمير المؤمنين ان الناس قد أمسوا فى منكر زمان قد سلف ومعروف زمان
مؤتنف ، ويزيد بن أمير المؤمنين نعم الخلف وقد حلبت الدهر اشطره يا أمير المؤمنين
فاعرف من تسند اليه الامر من بعدك ثم اعص امر من يأمرك لا يغررك من يشير
عليك ولا ينظر لك . وانت انظر للجماعة وأعلم باستقامة الطاعة مع ان أهل الحجاز
واهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا

﴿ مارد الضحاك بن قيس عليه ﴾

قال فغضب الضحاك بن قيس فقام الثانية فحمد الله واثنى عليه ثم قال أصلح
الله أمير المؤمنين ان أهل النفاق من أهل العراق مروءتهم فى انفسهم الشقاق والفتهم
فى دينهم الفراق . [illegible] ون الحق على اهوائهم كانما ينظرون بقفائهم اختالوا جهلا وبطرا
لا يرقبون من الله راقبة ولا يخافون وبال عاقبة اتخذوا ابليس لهم ربا واتخذهم ابليس
حزبا فمن يقاربوه لا يسروه ومن يفارقوه لا يضروه فدفع رايهم يا أمير المؤمنين فى
نحورهم وكلامهم فى صدورهم ما للحسن وذوى الحسن فى سلطان الله الذى استخلف
به معاوية فى ارضه هيهات لا تورث الخلافة عن كلالة ولا يحجب غير الذكر العصبة
فوطنوا انفسكم يا أهل العراق على المناصحة لامامكم وكاتب نبيكم وصهره يسلم لكم
العاجل وتربحوا من الآجل ثم قام الاحنف بن قيس فحمد الله واثنى عليه ثم قال :
يا امير المؤمنين انا قد فررنا عنك قريشا فوجدناك اكرمها زنداً واشدها عقدا واوفها
عهداً ، وقد علمت انك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً ولكنك اعطيت
الحسن بن على من عهود الله ما قد علمت ليكون له الامر من بعدك فان تف فانت
اهل الوفاء وان تغدر تعلم والله ان وراء الحسن خيولا جياداً واذرعا شدادا وسيوفا
حداداً . ان تدن له شبراً من غدر تجد وراءه باعا من نصر ، وانك تعلم ان اهل العراق
ما احبوك منذ ابغضوك ولا ابغضوا عليا وحسناً منذ احبوهما وما نزل عليهم فى ذلك
غير من السماء وان السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم والقلوب
التى ابغضوك بها لبين جوانحهم وايم الله ان الحسن لاحب الى اهل العراق من
على . ثم قام عبد الله بن عثمان الثقفى فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اصلح الله امير
المؤمنين ان راى الناس مختلف وكثير منهم منحرف لا يدعون احداً الى رشاد

ولا يجيبون داعياً الى سداد ، مجانبون لرأى الخلفاء مخالفون لهم فى السنة والقضاء وقد وقفت ليزيد فى احسن القضية وارضاها لحمل الرعية فاذا خار الله لك فاعزم ثم اقطع قالة الكلام فان يزيد اعظمنا حلما وعلما واوسعنا كنفا وخيرنا سلفا . قد احكمته التجارب . وقصدت به سبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف ولا يقفن بك دونها واقف ممن هو شاسع عاص ينوص للفتنة كل مناص ، لسانه ملتو وفى صدره داء دوى ، ان قال فشر قائل وان سكت فداء غائل قد عرفت من هم أولئك وماهم عليه لك من المجانبة للتوفيق والكلف للتفريق فاجل ببيعته عنا الغمة واجمع به شمل الامة فلا تحدعنه اذا هديت له ولا تنبش عنه اذا وفقت له فان ذلك الراى لنا ولك والحق علينا وعليك اسأل الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه . فقام معاوية فقال : أيها الناس ان لا بليس من الناس اخوانا وخلانا بهم يستعد واياهم يستعين وعلى السنتهم ينطق ان رجوا طمعا اوجفوا وان استغنى عنهم ارجفوا ثم يلحقون الفتن بالفجور ويشققون لها حطب النفاق عيابون مرتابون ان لووا عروة أمر حنقوا وان دعوا الى غى اسرفوا وليسوا أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ولا متعظين حتى تصيبهم صواعق خزى وبيل وتحل بهم قوارع امر جليل ، تجتث اصولهم كاجتثاث اصول الفقع فأولى لاولئك ثم اولى فانا قد قدمنا وانذرنا ان اغنى التقدم شيأ اونفع النذر . فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ودعا عبد الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام ابو حنيف فقال : ياأمير المؤمنين انا لا نطيق السنة مضر وخطبها أنت أمير المؤمنين فان هلكت فيزيد بعدك فمن ابى فهذا وسل سيفه فقال معاوية أنت أخطب القوم واكرمهم . ثم قام الاحنف بن قيس فقال : ياأمير المؤمنين أنت اعلمنا بليله ونهاره وبسره وعلانيته فان كنت تعلم انه خير لك فوله فاستخلفه وان كنت تعلم انه شر لك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة فانه ليس لك من الآخرة الا ماطاب واعلم انه لا حجة لك عند الله ان قدمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما والى ما هما ، وانما علينا ان نقول سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

﴿ قدوم معاوية المدينة وما فوض فيه العبادلة ﴾

قالوا فاستخار الله معاوية وأعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمسين فتلقاه الناس فلما استقر فى منزله ارسل الى عبدالله بن عباس وعبدالله

ابن جعفر بن أبي طالب والى عبدالله بن عمر والى عبدالله بن الزبير وامر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر فلما جلسوا تكلم معاوية فقال : الحمدلله الذي امرنا بحمده ووعدنا عليه ثوابه نحمده كثيراً كما أنعم علينا كثيراً واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله أما بعد : فاني قد كبر سني ووهن عظمي وقرب اجلي واوشكت ان ادعى فاجيب ، وقد رأيت ان استخلف عليكم بعدي يزيد ورأيته لكم رضا وانتم عبادلة قريش وخيارها وابناء خيارها ولم يمنعني ان احضر حسنا وحسيناً الا انهما اولاد ابيهما علي حسن رأيي فيهما وشديد محبتي لهما فردوا على أمير المؤمنين خيراً يرحمكم الله فتكلم عبدالله بن عباس فقال : الحمدلله الذي الهمنا ان نحمده واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن بلائه واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله وصلى الله على محمد وآل محمد : أما بعد فانك قد تكلمت فانصتنا وقلت فسمعنا وان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه اختار محمداً صلى الله عليه وسلم لرسالته واختاره لوحيه وشرفه على خلقه فاشرف الناس من تشرف به وأولاهم بالامر أخصهم به وانما على الامة التسليم لنبيها اذ اختاره الله لها فانه انما اختار محمداً بعلمه وهو العليم الخبير وأستغفر الله لي ولكم . فقام عبدالله بن جعفر فقال : الحمد لله اهل الحمد ومنتهاه نحمده على الهامنا حمده ونرغب اليه في تأدية حقه وأشهد أن لااله الا الله واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وان محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم : أما بعد فان هذه الخلافة ان أخذ فيها بالقرآن فأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وان أخذ فيها بسنة رسول الله فألو رسول الله وان أخذ بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأي الناس أفضل وأكمل واحق بهذا الامر من آل الرسول . وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الامر موضعه لحقه وصدقه ولاطيع الرحمن وعصي الشيطان وما اختلف في الامة سيفان فاتق الله يامعاوية فانك قد صرت راعياً ونحن رعية فانظر لرعيتك فانك مسئول عنها غداً . وأما ماذكرت من ابني عمي وتركك ان تحضرهما فوالله ما أصبت الحق ولا يجوز لك ذلك الا بهما وانك لتعلم انهما معدن العلم والكرم فقل أودع واستغفر الله لي ولكم . فتكلم

عبدالله بن الزبير فقال : الحمدلله الذى عرفنا دينه واكرمنا برسوله احمده على ماابلى واولى واشهد ان لااله الا اللهوان محمداً عبده ورسوله اما بعد فانهذه الخلافةلقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وافعالها المرضية مع شرف الآباء وكرم الابناء ؛ فاتق الله يامعاوية وانصف من نفسك فان هذاعبدالله بن عباس بن عم رسول اللهوهذا عبدالله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وانا عبدالله بن الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى خلف حسناً وحسيناً وانت تعلم من هما وما هما فاتق الله يامعاوية وانت الحكم بيننا وبين نفسك . فتكلم عبد الله بن عمر فقال . الحمد لله الذى اكرمنا بدينه وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم اما بعد فانهذه الخلافةليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الابناءعلى الآباءولو كان كذلك كنت القائم بها بعدابى فوالله ما ادخلنى مع الستة من أصحاب الشورى الا على ان الخلافة ليست شرطا مشروطاوانما هى فى قريش خاصةلمن كان لها اهلا ممن ارتضاه المسلمون لانفسهم من كان اتقى وارضى فان كنت تريد الفتيان من قريش فلعمرى ان يزيد من فتيانها واعلم انه لايغنى عنك من الله شيئاً ، فتكلم معاوية فقال .قد قلت وقلتم وانه قد ذهبت الآباء وبقيت الابناءفابنى احب الى من ابنائهم مع ان ابنى ان قاولتموه وجد مقالا وانما كان هذا الامر لبنى عبد مناف لانهم اهل رسول الله فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى الناس ابا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة غير انهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك الى بنى عبد مناف فلا يزال فيهم الى يوم القيامةوقداخرجكالله يابن الزبير وانت يابن عمر منها فأما ابنا عمى هذان فليس بخارجين من الراى ان شاء الله . ثم امر بالرحلة واعرض عن ذكر البيعة ليزيد ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم وأعطياتهم ثم انصرف راجعاً الى الشام وسكت عن لها البيعة فلم يعرض الى سنة احدى وخمسين .

﴿ موت الحسن بن على رضى الله عنهما ﴾

قال فلما كانت سنة احدى وخمسين مرض الحسن بن على مرضه الذى مات فيه فكتب عامل المدينة الى معاوية يخبره بشكاية الحسن فكتب اليه :

معاوية ان استطعت ان لا يمضى يوم بى يمر الا يأتينى فيه خبره فافعل فلم يزل يكتب اليه بحاله حتى توفى . فكتب اليه بذلك فلما أتاه الخبر أظهر فرحا وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه فبلغ ذلك عبدالله بن عباس وكان بالشام يومئذ . فدخل على معاوية فلما جلس قال معاوية : يابن عباس هلك الحسن بن على فقال ابن عباس نعم هلك انا لله وانا اليه راجعون ترجيعاً مكرراً وقد بلغنى الذى اظهرت من الفرح والسرور لوفاته أما والله ما سد جسده حفرتك ولا زاد نقصان اجله فى عمرك ولقد مات وهو خير منك ، ولئن اصبنا به لقد اصبنا بمن كان خيراً منه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده احسن الخلافة . ثم شهق ابن عباس و بكى و بكى من حضر فى المجلس و بكى معاوية فما رأيت يوما اكثر باكيا من ذلك اليوم . فقال معاوية بلغنى انه ترك بنين صغاراً فقال ابن عباس كلنا كان صغيراً فكبر . قال معاوية كم اتى له من العمر فقال ابن عباس أمر الحسن أعظم من ان يجهل احد مولده قال فسكت معاوية يسيراً ثم قال يابن العباس اصبحت سيد قومك من بعده فقال ابن عباس اما ما ابقى الله أبا عبدالله الحسين فلا . قال معاوية لله ابوك يابن عباس ما استنبأتك الا وجدتك معداً

﴿ بيعة معاوية ليزيد بالشام واخذه اهل المدينة ﴾

قالوا ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله الا يسيراً حتي بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته الى الآفاق وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب اليه يذكر الذى قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد و يأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من اهل المدينة ثم يبايعوا ليزيد

﴿ عزل مروان عن المدينة ﴾

قال فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبى من ذلك وأبته قريش فكتب لمعاوية : ان قومك قد أبوا اجابتك الى بيعتك ابنك فأرنى رأيك . فلما بلغ معاوية كتاب مروان عرف ذلك من قبله . فكتب اليه يأمره ان يعتزل عمله ويخبره انه قد ولى المدينة سعيد بن العاص فلما بلغ مروان كتاب معاوية اقبل مغاضبا فى اهل بيته وناس كثير من قومه حتي نزل باخواله بنى كنانة

فشكا اليهم واخبرهم بالذى كان من رأيه فى أمر معاوية وفى عزله واستخلافه يزيد ابنه عن غير مشورة ومبادرة له فقالوا : نحن نبلك فى يدك وسيفك فى قرابك فمن رميته بنا أصبناه ومن ضربته قطعناه الرأى رأيك ونحن طوع يمينك . ثم اقبل مروان فى وفد منهم كثير ممن كان معه من قومه واهل بيته حتي نزل دمشق فخرج فيهم حتى اتى سدة معاوية وقد اذن للناس فلما نظر الحاجب الى كثرة من معه من قومه وأهل بيته منعه من الدخول فوثبوا اليه فضربوا وجهه حتي خلى عن الباب ثم دخل مروان ودخلوا معه حتي اذا كان من معاوية بحيث تناله يده قال بعد التسليم عليه بالخلافة : ان الله عظيم خطره لا يقدر قادر قدره خلق من خلقه عباداً جعلهم لدعائم دينه اوتاداً . هم رقباؤه على البلاد وخلفاؤه على العباد اسفر بهم الظلم والف بهم الدين وشدد بهم اليقين ، ومنح بهم الظفر ووضع بهم من استكبر ، فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك فى سالف زماننا وكنا نكون لهم على الطاعة اخوانا وعلى من خالف عنها اعوانا يشد بنا العضد ويتام منا الاود ونستشار فى القضية ونستأمر فى امر الرعية وقد اصبحنا اليوم فى امور مستخيرة ذات وجوه مستديرة تفتح بازمة الضلال وتجلس بأسوأ الرجال ، يؤكل جزورها وتمق احلابها فما لنا لا نستأمر فى رضاعها ونحن فطامها واولاد فطامها وأيم الله لولا عهود مؤكدة ومواثيق معقدة لأقمت اودوليها فأقم الامر يابن أبى سفيان واهدأ من تأميرك الصبيان واعلم ان لك فى قومك نظراً وان لهم على مناوأتك وزراً ، فغضب معاوية من كلامه غضبا شديداً ثم كظم غيظه بحلمه واخذ بيد مروان ثم قال : ان الله قد جعل لكل شئ اصلا وجعل لكل خير أهلا ثم جعلك فى الكرم منى محتداً والعزيز منى والداً ؟ اخترت من قروم قادة ثم استللت سيد سادة فأنت ابن ينابيع الكرم فرحبا بك وأهلا من ابن عم ذكرت خلفاء مفقودين شهداء صديقين كانوا كما نعت وكنت لهم كما ذكرت وقد اصبحنا فى امور مستخيرة ذات وجوه مستديرة وبك والله يابن العم نرجوا استقامة أودها وذلولة صعوبتها وسفور ظلمتها حتى يتطأطأ جسيمها ويركب بك عظيمها فانت نظير أمير المؤمنين بعده وفى كل شدة عضده واليك بعد عهده ، فقد وليتك قومك واعظمنا فى الخراج سهمك وانا مجيز وفدك ومحسن رفدك وعلى امير المؤمنين غناك والنزول عند رضاك ، فكان

أول مارزق الف دينار فى كل هلال وفرض له فى أهل بيته مائة مائة

﴿كراهية أهل المدينة البيعة وردهم لها﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره ان يدعو أهل المدينة الى البيعة ويكتب اليه بمن سارع ممن لم يسارع . فلما أتى سعيد ابن العاص الكتاب دعا الناس الى البيعة ايزيد واظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدة وسطا بكل من ابطأ عن ذلك فأبطأ الناس عنها الا اليسير لا سيما بنى هاشم فانه لم يجبه منهم أحد وكان ابن الزبير من اشد الناس انكاراً لذلك وردّاً له . فكتب سعيد ابن العاص الى معاوية : أما بعد فانك أمرتنى ان ادعو الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين وان اكتب اليك بمن سارع ممن أبطأ وانى اخبرك ان الناس عن ذلك بطاء لاسيما أهل البيت من بنى هاشم فانه لم يجبنى منهم أحد وبلغنى عنهم ما اكره ، واما الذى جاهر بعداوته وابائه لهذا الامر فعبد الله بن الزبير ولست اقوى عليهم الا بالخيل والرجال أو تقدم بنفسك فترى رأيك فى ذلك والسلام . فكتب معاوية الى عبدالله بن عباس والى عبد الله بن الزبير والى عبدالله بن جعفر والى الحسين بن على رضى الله عنهم كتباً وامر سعيد بن العاص ان يوصلها اليهم و يبعث بجواباتها . وكتب الى سعيد بن العاص : اما بعد فقد اتانى كتابك وفهمت ماذكرت فيه من ابطاء الناس عن البيعة ولاسيما بنى هاشم وماذكر ابن الزبير وقد كتبت الى رؤسائهم كتبا فسلمها اليهم وتنجز جواباتها وابعث بها الىّ حتى أرى فى ذلك رأيى ولتشد عزيمتك ولتصلب شكيمتك وتحسن نيتك وعليك بالرفق واياك والخرق فان الرفق رشد والخرق نكد . وانظر حسينا خاصة فلا يناله منك مكروه فان له قرابة وحقا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة وهو ليث عرين ولست آمنك ان شاورته ان لا تقوى عليه ، فاما من يرد مع السباع اذا وردت و يكنس اذا كنست فذلك عبدالله بن الزبير فاحذره أشد الحذر ولا قوة الا بالله وأنا قادم عليك ان شاء الله والسلام . وكتب الى ابن عباس : أما بعد فقد بلغنى ابطاؤك عن البيعة ليزيد بن أمير المؤمنين وانى لو قتلتك بعثمان لكان ذلك الىّ لأنك ممن ألب عليه واجلب وما منعك من امان فتطمئن به ولا عهد فتسكن اليه فاذا أتاك كتابى هذا فاخرج الى المسجد والعن قتلة عثمان و بايع عاملى فقد أعذر من أنذرت وأنت بنفسك ابصر والسلام . وكتب

الى عبدالله بن جعفر : أما بعد فقد عرفت أثرتى اياك على من سواك وحسن رأيى فيك وفى أهل بيتك وقد أتانى عنك ما أكره فان بايعت تشكر وان تأب تجبر والسلام . وكتب الى الحسين : أما بعد فقد انتهت الى منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها وان أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك فى خطرك وشرفك ومنزلتك التى أنزلك الله بها فلا تنازعن الى قطيعتك واتق الله ولا تردن هذه الامة فى فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد ولا يستخفنك الذين لا يوقنون . وكتب الى عبد الله بن الزبير :

رأيت كرام الناس ان كف عنهم * بحلم رأوا فضلا لمن قد تحلما
ولا سيما ان كان عفوا بقدرة * فذلك أحرى ان يجل ويعظما
ولست بذى لؤم فتعذر بالذى * أتيته من أخلاق من كان ألوما
ولكن غش لست تعرف غيره * وقد غش قبل اليوم ابليس آدما
فما غش الا نفسه فى فعاله * فاصبح ملعونا وقد كان مكرما
وانى لاخشى ان انالك بالذى * أردت فيجزى الله من كان أظلما

﴿ ما أجابه القوم به رضى الله عنهم ﴾

فكان أول من أجابه عبد الله بن عباس فكتب اليه : أما بعد فقد جاءنى كتابك وفهمت ماذكرت وان ليس معى منك أمان وانه والله مامنك يطلب الامان يامعاوية وانما يطلب الامان من الله رب العالمين ، واما قولك فى قتلى فوالله لو فعلت للقيت الله ومحمد صلى الله عليه وسلم خصمك فما اخاله افلح ولا أنجح من كان رسول الله خصمه . وأما ماذكرت من أنى ممن ألب فى عثمان واجلب فذلك أمر غبت عنه ولو حضرته ما نسبت الى شيأ من التأليب عليك وأيم الله ما أرى أحداً غضب لعثمان غضبى ولا أعظم أحداً قتله اعظامى ولو شهدته لنصرته أو أموت دونه ولقد قلت وتمنيت يوم قتل عثمان ليت الذى قتل عثمان لقينى فقتلنى معه ولا ابقى بعده ، وأما قولك لى العن قتلة عثمان فلعثمان ولد وخاصة وقرابة هم أحق بلعنهم منى فان شاؤا ان يلعنوا فليلعنوا وان شاؤا ان يمسكوا فليمسكوا والسلام . وكتب اليه عبد الله بن جعفر اما بعد فقد جاءنى كتابك وفهمت ماذكرت فيه من اثرتك اياى على من سواى فان تفعل فبحظك أصبت وان تأب فبنفسك قصرت وأما ماذكرت من جبرك اياى على البيعة ليزيد فلعمرى لئن أجبرتنى عليها لقد اجبرناك

وأباك على الاسلام حتى أدخلنا كما كارهين غير طائعين والسلام . وكتب اليه عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما :

الا سمع الله الذى أنا عبده * فاخزى اله الناس من كان أظلما
واجرى على الله العظيم بحلمه * وأسرعهم فى الموبقات تقحما
أغرك ان قالوا حليم بعزة * وليس بذى حلم ولكن تحلما
ولو رمت ما ان قد عزمت وجدتنى * هزبر عرين يترك القرن اكتما
واقسم لولا بيعة لك لم اكن * لانقضها لم تنج منى مسلما

وكتب اليه الحسين رضى الله عنه : أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انه انتهت اليك عنى امور لم تكن تظنى بها رغبة بى عنها وان الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد لها الا الله تعالى وأما ما ذكرت انه رقى اليك عنى فانما رقاه الملاقون المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب الغاوون المارقون ما أردت حربا ولا خلافا وانى لاخشى الله فى ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين حزب الظلمة وأعوان الشيطان الرجيم . السمت قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما اعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جراءة على الله واستخفافا بعهده اولست بقاتل عمرو بن الحمق الذى أخلقت وأبلت وجهه العبادة فقتلته من بعد ما اعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من سقف الجبال أولست المدعى زيادا فى الاسلام فزعمت انه ابن ابى سفيان وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل. سبحان الله يا معاوية لكأنك لست من هذه الامة وليسوا منك . اولست قاتل الحضرمى الذى كتب اليك فيه زياد انه على دين على كرم الله وجهه ودين على هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم الذى أجلسك مجلسك الذى انت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم وقلت فيما قلت لا ترد هذه الامة فى فتنة وانى لا أعلم لها فتنة أعظم من امارتك عليها وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولامة محمد وانى والله ما أعرف

أفضل من جهادك فان أفعل فانه قربة الى ربى وان لم أفعله فأستغفر الله لديني واساله التوفيق لما يحب ويرضى وقلت فيما قلت متى تكدني أكدك فكدني يامعاوية فيما بدالك فلعمرى لقديما يكاد الصالحون وانى لارجوان لاتضر الا نفسك ولا تمحق الا عملك فكدنى ما بدالك واتق الله يامعاوية واعلم ان لله كتابا لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها واعلم ان الله ليس بناس لك قبلك بالظنة وأخذك بالتهمة وامارتك صبياً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ما اراك الا وقد اوبقت نفسك وأهلكت دينك وأوضعت الرعية والسلام

﴿ قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة ﴾

قال وذكروا انه لما جاوب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لامره والكراهية لبيعته ليزيد كتب الى سعيد بن العاص يأمره ان ياخذ اهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذاً بغلظة وشدة ولايدع احداً من المهاجرين والانصار وابنائهم حتى يبايعوا وامره ان لايحرك هؤلاء النفر ولا يهيجهم فلما قدم كتاب معاوية اخذهم بالبيعة اعنف مايكون من الاخذ وأغلظه فلم يبايعه احد منهم . فكتب الى معاوية انه لم يبايعني احد وانما الناس تبع لهؤلاء النفر فلو بايعوك بايعك الناس جميعاً ولم يتخلف عنك احد فكتب اليه معاوية يأمره ان لايحركهم الى ان يقدم فقدم معاوية المدينة حاجاً فلما ان دنى من المدينة خرج اليه الناس يتلقونه ما بين راكب وماش وخرج النساء والصبيان فلقيه الناس على حال طاقتهم وماتسارعوا به فى النوت والقرب فلان لمن كالحه وفاوض العامة بمحادثته وتألفهم جهده مقاربة ومصانعة ليستميلهم الى ما دخل فيه الناس حتى قال فى بعض ما يجتلبهم به : اهل المدينة مازلت اطوى الحزن من وعثاء السفر بالحب لمطالعتكم حتى انطوى البعيد ولان الخشن وحق لجار رسول الله ان يتاق اليه . فرد عليه القوم بنفسك ودارك ومهاجرك امان لك منهم كاشفاق الحميم البر والحفى قال حتى اذا كان بالجرف لقيه الحسين بن على وعبد الله بن عباس فقال معاوية مرحباً يابن بنت رسول الله وابن صنو ابيه ثم انحرف الى الناس فقال هذان شيخا بنى عبد مناف وأقبل عليهما بوجهه وحديثه فرحب وقرب وجعل يواجه هذا مرة ويضاحك هذا اخرى حتى ورد المدينة فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون عليه

ويسايرونه الى أن نزل فانصرفا عنه . فمال الحسين الى منزله ومضى عبدالله
ابن عباس الى المسجد فدخله واقبل معاوية ومعه خلق كثير من اهل الشام حتى
اتى عائشة ام المؤمنين فاستأذن عليها فأذنت له وحده لم يدخل عليها معه احد
وعندها مولاها ذكوان فقالت عائشة يامعاوية اكنت تأمن ان اقعدلك رجلا
فأقتلك كما قتلت اخي محمد بن ابي بكر فقال معاوية ما كنت لتفعلين ذلك قالت
لم قال لانى فى بيت آمن بيت رسول الله . ثم ان عائشة حمدت الله وأثنت عليه
وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت ابا بكر وعمر وحصنته على
الاقتداء بهما والاتباع لأثرهما ثم صمتت قال فلم يخطب معاوية وخاف ان
لا يبلغ ما بلغت فارتجل الحديث ارتجالا . ثم قال انت والله ياام المؤمنين العالمة
بالله وبرسوله دللتنا على الحق وحضضتنا على حظ انفسنا وانت اهل لان يطاع
امرك ويسمع قولك وان امر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من
امرهم وقد اكد الناس بيعتهم فى اعناقهم واعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم
افترى ان ينقضوا عهودهم ومواثيقهم فلماسمعت ذلك عائشة علمت انه سيمضى
على امره فقالت : اما ماذكرت من عهود ومواثيق فاتق الله فى هؤلاء الرهط
ولا تعجل فيهم فلعلهم لا يصنعون الاما احببت . ثم قام معاوية فلما قام قالت
عائشة يامعاوية قتلت حجراً واصحابه العابدين المجتهدين فقال معاوية دعى هذا
كيف انا فى الذى بينى وبينك وفى حوائجك ؟ قالت صالح قال فدعينا واياهم
حتى نلقى ربنا ثم خرج ومعه ذكوان فاتكأ على يد ذكوان وهو يمشى ويقول
تالله ان رأيت كاليوم قط خطيباً ابلغ من عائشة بعد رسول الله ثم مضى حتى
اتى منزله فأرسل الى الحسين بن على فخلا به فقال له يابن أخى قد استوثق
الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش انت تقودهم يابن اخى فما رأيك
الى الخلاف قال الحسين ارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم ولا تكن
عجلت على بأمر قال نعم قال فأخذ عليه ان لا يخبر بحديثهما احداً فخرج
وقد أقعد له ابن الزبير رجلا بالطريق فقال يقول لك اخوك ابن الزبير ما كان
فلم يزل به حتى استخرج منه شيئاً قال ثم ارسل معاوية بعده الى ابن الزبير فخلا
به فقال له قد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش انت تقودهم

يابن اخي فما أربك الى الخلاف قال فارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم والا تكن عجلت على بامر قال وتفعل قال نعم فاخذ عليه ان لايخبر بحديثهما أحداً ، قال فارسل بعده الى ابن عمر فاتاه وخلا به فكلمه بكلام هو ألين من صاحبيه وقال انى كرهت ان ادع امة محمد بعدى كالضأن لا راعى لها وقد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر انت تقودهم فما أربك الى الخلاف قال ابن عمر : هل لك فى امر تحقن به الدماء وتدرك به حاجتك فقال معاوية وددت ذلك فقال ابن عمر تبرز سريرك ثم اجئ فابايعك على انى ادخل فيما اجتمعت عليه الامة فوالله لوان الامة اجتمعت على عبد حبشى لدخلت فيما تدخل فيه الامة ، قال وتفعل قال نعم ثم خرج وأرسل الى عبد الرحمن بن ابى بكر فخلا به قال باى يد او رجل تقدم على معصيتى فقال عبد الرحمن ارجو ان يكون ذلك خيراً لى فقال معاوية والله لقد هممت ان اقتلك فقال لو فعلت لاتبعك الله فى الدنيا ولادخلك فى الآخرة النار ، قال ثم خرج عبد الرحمن بن ابى بكر و بقى معاوية يومه ذلك يعطى الخواص و يدنى بذمة الناس فلما كان صبيحة اليوم الثانى أمر بفراش فوضع له وسويت مقاعد الخاصة حوله وتلقاءه من أهله ثم خرج وعليه حلة يمانية وعمامة دكناء وقد اسبل طرفها بين كتفيه وقد تغلف وتعطر فقعد على سريره واجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يامر به وأمر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس وان قرب . ثم ارسل الى الحسين بن على وعبدالله بن عباس فسبق ابن عباس فلما دخل وسلم عليه اقعده فى الفراش على يساره فحادثه ملياً ثم قال : يابن عباس لقد وفر الله حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول عليه السلام فقال ابن عباس نعم اصلح الله أمير المؤمنين وحظنا من القناعة بالبعض والتجافى عن الكل اوفر فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجادلة و يعدل الى ذكر الاعمار على اختلاف الغرائز والطبائع حتى اقبل الحسين بن على فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه فدخل الحسين وسلم فاشار اليه فاجلسه عن يمينه مكان الوسادة فسأله معاوية عن حال بنى اخيه الحسن واسنانهم فاخبره ثم سكت قال ثم ابتدأ معاوية فقال : أما بعد فالحمد لله ولى النعم ومنزل النقم واشهد ان لااله الا الله المتعالى عما يقول الملحدون علواً كبيراً وان محمداً عبده المختص المبعوث الى

الجن والانس كافة لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فادى عن الله وصدع بامره وصبر عن الاذى فى جنبه حتى أوضح دين الله وأعز اولياءه وقمع المشركين وظهر أمر الله وهم كارهون فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا مابذل له واختار منها الترك لما سخر له زهادة واختياراً لله وانفة واقتداراً على الصبر بغيا لما يدوم ويبقى فهذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك و بين ذلك خوض طال ماعالجناه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعا وما أعلم منه فوق ماتعلمان وقد كان من أمر يزيد ماسبقتم اليه والى تجويزه وقد علم الله ماأحاول به من أمر الرعية من سد الخلل ولم الصدع بولاية يزيد بما ايقظ العين واحمد الفعل هذا معناى فى يزيد وفيكما فضل القرابة وحظوة العلم وكمال المروءة وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة مااعيانى مثله عندكما وعند غيركما مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذى يرجح بالصم الصلات وقد علمتما ان الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدم على الصديق والفاروق ومن دونهما من اكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة فى قرابة موصولة ولا سنة مذكورة فقادهم الرجل بامره وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيئهم وقال ولم يقل معه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فمهلا بنى عبد المطلب فانا وانتم شعبا نفع وجد ومازلت ارجو الانصاف فى اجتماعكما فما يقول القائل الا بفضل قولكما فردا على ذى رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة فى عتابكما واستغفر الله لى ولكما . قال فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة فاشار اليه الحسين وقال على رسلك فانا المراد ونصيبي فى التهمة اوفر فامسك ابن عباس فقام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول ثم قال أما بعد يامعاوية فلن يؤدى القائل وان اطنب فى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزءاً وقد فهمت مالبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة وهيهات هيهات يامعاوية فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس انوار السرج ولقد فضلت حتي افرطت واستأثرت حتي اجحفت ومنعت حتي بخلت وجرت حتي جاوزت مابذلت لذى حق من اتم حقه بنصيب حتى

أخذ الشيطان حظه الاوفر ونصيبه الاكمل وفهمت ماذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لامة محمد تريد ان توهم الناس فى يزيد كأنك تصف محجوبا اوتنعت غائبا اوتخبر عما كان احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما اخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام السبق لاترابهن والقينات ذوات المعارف وضروب الملاهى تجده ناصرا ودع عنك ماتحاول ، فما أغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق باكثر مما أنت لاقيه فوالله مابرحت تقدم باطلا فى جور وحنقا فى ظلم حتى ملأت الاسقية وما بينك و بين الموت الاغمضة فتقدم على عمل محفوظ فى يوم مشهود ولات حين مناص ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الامر ومنعتنا عن آبائنا تراثا ولقد لعمر الله أورثنا الرسول عليه السلام ولادة وجئت لنا بها ماحججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك ورده الايمان الى النصف فركبتم الاعاليل وفعلتم الافاعيل وقلتم كان و يكون حتى اتاك الامر يامعاوية من طريق كان قصدها لغيرك فهناك فاعتبروا ياأولى الابصار . وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأميره له وقد كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول و بيعته له وما صار لعمرو يومئذ حتى انف القوم امرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه افعاله فقال صلى الله عليه وسلم : لاجرم معشر المهاجرين لايعمل عليكم بعد اليوم غيرى . فكيف يحتج بالمنسوخ من فعل الرسول فى أوكد الاحوال واولاها بالمجتمع عليه من الصواب ام كيف صاحبت بصاحب تابعا وحولك من لايؤمن فى صحبته ولا يعتمد فى دينه وقرابته وتتخطاهم الى مسرف مفتون تريد ان تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقى فى دنياه وتشقى بها فى آخرتك أن هذا لهو الخسران المبين واستغفر الله لى ولكم ، قال فنظر معاوية الى ابن عباس فقال ماهذا يابن عباس ولما عندك ادهى وامر فقال ابن عباس لعمر الله انها لذرية الرسول واحد اصحاب الكساء ومن البيت المطهر فاله عما تريد فان لك فى الناس مقنعا حتى يحكم الله بامره وهو خير الحاكمين فقال معاوية : اعود الحلم التحلم وخيره التحلم عن الاهل انصرفا فى حفظ الله ، ثم ارسل معاوية الى عبد الرحمن بن ابى بكر والى عبدالله بن عمر والى عبدالله

ابن الزبير فجلسوا فحمدالله واثنى عليه معاوية ثم قال ياعبدالله بن عمر قد كنت
تحدثنا انك لاتحب ان تبيت ليلة وليس فى عنقك بيعة جماعة وان لك الدنيا
وما فيها وانى احذرك ان تشق عصا المسلمين وتسعى فى تفريق ملائهم وان
تسفك دماءهم وان امر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من
امرهم وقد وكد الناس بيعتهم فى اعناقهم واعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم
ثم سكت . فتكلم عبدالله بن عمر فحمدالله واثنى عليه ثم قال : اما بعد يامعاوية
لقد كانت قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من ابنائهم فلم يروا فى
ابنائهم مارأيت فى ابنك فلم يحابوا فى هذا الأمر أحدا ولكن اختاروا لهذه الامة
حيث علموهم وان تحذرنى ان اشق عصا المسلمين وافرق ملأهم واسفك
دماءهم ولم اكن لافعل ذلك ان شاء الله ولكن ان استقام الناس فسأدخل فى
صالح ماتدخل فيه أمة محمد فقال معاوية يرحمك الله ليس عندك خلاف ثم قال
معاوية لعبد الرحمن بن أبى بكر نحوما قاله لعبدالله بن عمر فقال له عبدالرحمن انك
والله لوددنا ان نكلك الى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد والذى نفسى
بيده لتجعلنها شورى اولاعيدها جذعة ، ثم قام ليخرج فتعلق معاوية بطرف
ردائه ثم قال على رسلك اللهم اكفنيه بما شئت لاتظهرن لاهل الشام فانى
اخشى عليك منهم ثم قال لابن الزبير نحو ماقاله لابن عمر ثم قال له انت ثعلب
رواغ كلما خرجت من جحر انجحرت فى آخر أنت ألبت هذين الرجلين
وأخرجتهما الى ماخرجا اليه فقال ابن الزبير أتريد أن تبايع ليزيد أرأيت
ان بايعناه ايكما نطيع أنطيعك ام نطيعه ان كنت مللت الخلافة فاخرج منها
وبايع ليزيد فنحن نبايعه فكثر كلامه وكلام ابن الزبير حتى قال له معاوية
فى بعض كلامه والله ماأراك الا قاتلا نفسك ولكأنى بك قد تخبطت فى
الحبالة ثم أمرهم بالانصراف واحتجب عن الناس ثلاثة ايام لايخرج ثم
خرج فأمر المنادى ان ينادى فى الناس ان يجمعوا لامر جامع فاجتمع الناس
فى المسجد وقعد هؤلاء حول المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر يزيد وفضله
وقراءته القرآن ثم قال : ياأهل المدينة لقد هممت ببيعة يزيد وما تركت قرية
ولامدرة الا بعثت اليها ببيعته فبايع الناس جميعا وسلموا واخرت المدينة

بيعته وقلت بيضته وأصله ومن لا اخافهم عليه وكان الذين ابوا البيعة منهم من كان اجدر ان يصله ووالله لو علمت مكان احد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له ، فقام الحسين فقال : والله لو تركت من هو خير منه أباً وأماً ونفساً فقال معاوية كأنك تريد نفسك فقال الحسين نعم اصلحك الله فقال معاوية اذاً اخبرك أما قولك خير منه أماً فلعمري أمك خير من امه ولو لم يكن الا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش أفضلهن فكيف وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فاطمة في دينها وسابقتها فأمك لعمر الله خير من أمه واما أبوك فقد حاكم أباه الى الله فقضى لابيه على أبيك فقال الحسين حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل فقال معاوية وأما ماذكرت من انك خير من يزيد نفساً فيزيد والله خير لامة محمد منك فقال الحسين هذا هو الافك والزور يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خير مني فقال معاوية مهلا عن شتم ابن عمك فانك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك ثم التفت معاوية الى الناس وقال ايها الناس قد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف احداً فرأى المسلمون ان يستخلفوا أبا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى ان يستخلف عمر فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين فصنع أبو بكر مالم يصنعه رسول الله وصنع عمر مالم يصنعه أبو بكر كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين فلذلك رأيت ان ابايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظراً لهم بعين الانصاف

﴿ ماقال عبد الله بن الزبير لمعاوية ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن الزبير قام الى معاوية فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فترك الناس الى كتاب الله فرأى المسلمون ان يستخلفوا ابا بكر ثم رأى ان يستخلف عمر وهو اقصى قريش منه نسباً ورأى عمر ان يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين وفي المسلمين ابنه عبد الله وهو خير من ابنك فان شئت ان تدع الناس على ما تركهم رسول الله فيختارون لانفسهم وان شئت ان تستخلف من قريش كما استخلف أبو بكر خير من يعلم وان شئت ان تصنع

مثل ماصنع عمر تختار رهطاً من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل ، فنزل معاوية عن المنبر وانصرف ذاهبا الى منزله وامر من حرسه وشرطته قوما ان يحضروا هؤلاء النفر الذين أبوا البيعة وهم الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبى بكر واوصاهم معاوية قال انى خارج العشية الى أهل الشام فاخبرهم ان هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا فان تكلم أحد منهم بكلام يصدقنى أو يكذبنى فيه فلا ينقضى كلامه حتى يطير رأسه فحذر القوم ذلك فلما كان العشي خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاحكهم ويحدثهم وقد البسهم الحلل فألبس ابن عمر حلة حمراء والبس الحسين حلة صفراء والبس عبدالله ابن عباس حلة خضراء والبس ابن الزبير حلة يمانية ، ثم خرج بينهم واظهر لاهل الشام الرضا عنهم أى القوم وانهم بايعوا فقال يا أهل الشام ان هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين فوجدهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلموا قال ذلك والقوم سكوت لم يتكلموا شيأ حذر القتل فوثب اناس من اهل الشام فقالوا يا أمير المؤمنين ان كان رابك منهم ريب فخل بيننا وبينهم حتى نضرب اعناقهم فقال معاوية سبحان الله ما احل دماء قريش عندكم يا أهل الشام لا اسمع لهم ذكرا بسوء فانهم قد بايعوا وسلموا وارتضونى فرضيت عنهم رضى الله عنهم ، ثم ارتحل معاوية راجعا الى مكة وقد أعطى الناس اعطياتهم واجزل العطاء واخرج الى كل قبيلة جوائزها واعطياتها ولم يخرج لبنى هاشم جائزة ولا عطاء فخرج عبدالله بن عباس فى اثره حتى لحقه بالروحاء فجلس ببابه فجعل معاوية يقول من بالباب فيقال عبدالله بن عباس فلم يأذن لاحد فلما استيقظ قال من بالباب فقيل عبدالله بن عباس فدعا بدابته فادخلت اليه ثم خرج راكبا فوثب اليه عبد الله بن عباس فأخذ بلجام البغلة ثم قال اين تذهب قال الى مكة قال فاين جوائزنا كما اجزت غيرنا فأومأ اليه معاوية فقال والله مالكم عندى جائزة ولا عطاء حتى يبايع صاحبكم قال ابن عباس فقد أبى ابن الزبير فاخرجت جائزة بنى أسد وابى عبدالله بن عمر فاخرجت جائزة بنى عدى فما لنا ان أبى صاحبنا وقد أبى صاحب غيرنا فقال معاوية لستم كغيركم لا والله لا أعطيكم درهما حتى يبايع صاحبكم فقال ابن عباس أما والله لئن لم تفعل لالحقن بساحل من سواحل الشام ثم لاقولن ما تعلم والله لاتركتهم عليك خوارج فقال معاوية لا بل اعطيكم جوائزكم فبعث

بها من الروحاء ومضى راجعا الى الشام . فلم يلبث الا قليلا حتي توفى عبد الرحمن ابن أبى بكر فى نومة نامها رحمه الله

﴿ ماقال سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية ﴾

فلما قدم معاوية الشام اتاه سعيد بن عثمان بن عفان وكان شيطان قريش ولسانها قال يا أمير المؤمنين على م تبايع ليزيد وتتركنى فوالله لتعلم ان ابى خير من أبيه وأمى خير من أمه وانك انما نلت ما أنت فيه بابى فضحك معاوية وقال يابن أخى أما قولك ان اباك خير من ابيه فيوم من عثمان خير من معاوية واما قولك ان امك خير من امه فقضل قرشية على كلبية فضل بين واما ان اكون نلت ما انا فيه بابيك فانما هو الملك يؤتيه الله من يشاء قتل ابوك رحمه الله فتواكلته بنو العاصى وقامت فيه بنو حرب فنحن أعظم بذلك منة عليك ، واما ان تكون خيراً من يزيد فوالله ما أحب ان دارى مملوءة رجالا مثلك بيزيد ولكن دعنى من هذا القول وسلنى اعطك ، فقال سعيد ابن عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين لا يعدم يزيد مزكيا مادمت له وما كنت لارضى ببعض حتى دون بعض فاذا أبيت فاعطنى مما أعطاك الله فقال معاوية لك خراسان قال سعيد وما خراسان قال انها لك طعمة وصلة رحم ، فخرج راضياً وهو يقول :

ذكرت أمير المؤمنين وفضله * فقلت جزاه الله خيراً بما وصل
وقد سبقت منى اليه بوادر * من القول فيه آفة العقل والزلل
فعاد أمير المؤمنين بفضله * وقد كان فيه قبل عودته ميل
وقال خراسان لك اليوم طعمة * فجوزى أمير المؤمنين بما فعل
فلو كان عثمان الغداة مكانه * لما نالنى من ملكه فوق مابذل

فلما انتهى قوله الى معاوية امر يزيد ان يزوده وامر اليه بخلعة وشيعه فرسخا

﴿ قدوم أبى الطفيل على معاوية ﴾

قال وذكروا أنه لم يكن أحد أحب الى معاوية أن يلقاه من أبى الطفيل الكنانى وهو عامر بن واثلة وكان فارس أهل صفين وشاعرهم وكان من اخص الناس بعلى كرم الله وجهه فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية فاخبر معاوية بقدومه فأرسل اليه فأتاه وهو شيخ كبير فلما دخل عليه قال له معاوية أنت أبو الطفيل عامر بن واثلة قال نعم قال معاوية اكنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين قال لا ولكن ممن

شهده فلم ينصره قال ولم قال لم ينصره المهاجرون والانصار فقال معاوية : أما والله ان نصرته كانت عليهم وعليك حقا واجبا وفرضا لازما فاذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما انتم اهله واصاركم الى ما رأيتم ، فقال أبو الطفيل فما منعك يا أمير المؤمنين اذ تربصت به ريب المنون ان لا تنصره ومعك أهل الشام ، قال معاوية أو ترى طلبي لدمه فضحك أبو الطفيل وقال : بلى ولكني واياك كما قال عبيد بن الابرص :

لاعرفنك بعد الموت تندبني * وفى حياتى مازودتني زادى

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر اليهم معاوية ثم قال اتعرفون هذا الشيخ قالوا لا فقال معاوية : هذا خليل على بن أبى طالب وفارس صفين وشاعر أهل العراق هذا أبو الطفيل ، قال سعيد ابن العاص قد عرفناه يا أمير المؤمنين فما يمنعك منه وشتمه القوم فزجرهم معاوية قال مهلا فرب يوم ارتفع عن الاسباب قد ضقتم به ذرعا ثم قال اتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل قال : ما انكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير ، وانشد شعرا

فان تكن العداوة قد اكنت * فشر عداوة المرء السباب

فقال معاوية يا أبا الطفيل ما بقى لك الدهر من حب على قال حب أم موسى واشكوا الى الله التقصير فضحك معاوية قال ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عنى ما قالوا هذا فقال مروان أجل والله لا نقول الباطل قال ثم جهزه معاوية والحقه بالكوفة

﴿ ماحاول معاوية من ترويج يزيد ﴾

قال وذكروا أن يزيد بن معاوية سهر ليلة من الليالى وعنده وصيف لمعاوية يقال له رقيق فقال يزيد يستديم الله بقاء امير المؤمنين وعافيته اياه وارغب اليه فى تولية امره فقد كنت اعرف من جميل رأى أمير المؤمنين فى وحسن نظره فى جميع الاشياء ما الثقة فى ذلك والتوكل عليه منعنى من البوح بما جمجمت فى صدرى له وطلابه اليه فاضاع وترك من النظر فى شأنى وقد كان فى حلمه وعلمه ورضائه ومعرفته بما يحق لمثله النظر فيه غير غافل عنه ولا تارك له مع ما يعلم من هيبتى له وخشيتى منه فالله يجزيه عنى باحسانه ويغفر له ما اجترح من عهده ونسيانه ، فقال الوصيف وما ذلك جعلت فداك لا تلم على تضييعه اياك

فانك تعرف تفضيله وحرصه عليك وما يخامر دمن حبك وان ليس شيء احب اليه ولا آثر عنده منك لديه . فاذكر بلاءه واشكر حياءه فانك لا تبلغ من شكره الا بعون من الله . قال فاطرق يزيد اطراقا عرف الوصيف منه ندامته على مابدا منه وباح به ، فلما آب من عنده توجه نحو سدة معاوية ليلا وكان غير محجوب عنه ولا محبوس دونه فعلم معاوية انه ماجاء به ليلا الا خبر اراد اعلامه به . فقال له معاوية ماوراءك وما جاء بك فقال اصلح الله أمير المؤمنين كنت عند يزيد ابنك فقال فيما استجر من الكلام كذا وكذا فوثب معاوية وقال ويحك مااضعنا منه رحمة له وكراهية لما شجاه وخالف هواه وكان معاوية لا يعدل بما يرضيه شيئا فقال على به وكان معاوية اذا اتته الامور المشكلة المعضلة بعث الى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها واستسهال معضلاتها فلما جاءه الرسول قال أجب أمير المؤمنين فحسب يزيد انه انما دعاه الى تلك الامور التى يفزع اليه منها ويستعين برأيه عليها فاقبل حتى دخل عليه ثم جلس فقال معاوية : يايزيد مالذى اضعنا من امرك وتركنا من الحيطة عليك وحسن النظر لك حيث قلت ماقلت وقد تعرف رحمتي بك ونظرى فى الاشياء التى تصلحك قبل ان تخطر على وهمك فكنت اظنك على تلك النعماء شاكراً فاصبحت بها كافراً اذ فرطت من قولك ما الزمتنى فيه اضاعتي اياك واوجبت على منه بالتقصير ، لم يزجرك عن ذلك تخوف سخطى ولم يحجزك دون ذكره سالف نعمتي ولم يردعك عنه حق ابوتى فاى ولد اعق منك او اكيد وقد علمت انى تخطأت الناس كلهم فى تقديمك ونزلتهم لتوليتي اياك ونصبتك اماما على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم من عرفت وحاولت منهم ماعلمت . قال فتكلم يزيد وقد خنقه من شدة الحياء الشرق واخضله من الم الوجد العرق . قال : لاتلزمني كفر نعمتك ولا تنزل بى عقابك وقد عرفت نعمة مواصلتك ببرك وحظونى الى كل مايسرك فى سرى وجهرى فليسكن سخطك فان الذى أرثى له من أعباء حمله وثقله اكثر مما ارثى لنفسى من الم مابها وشدته وسوف أنبئك واعلمك امرى . كنت قد عرفت من أمير المؤمنين استكمل الله بقاءه نظراً فى خيار الامور لى وحرصا على سياقها الى . وأفضل ماعسيت استمد مبدا اسلامى

المرأة الصالحة وقد كان ماتحدث به من فضل جمال أرينب بنت اسحاق وكمال ادبها ماقدسطع وشاع فى الناس فوقع منى بموقع الهوى فيها والرغبة فى نكاحها فرجوت ألا تدع حسن النظر لى فى امرها فتركت ذلك حتى استنكحها بعلها فلم يزل ماوقع فى خلدى ينمو ويعظم فى صدرى حتي عيل صبرى فبحت بسرى فكان مما ذكرت تقصيرك فى امرى فالله يجزيك افضل من سؤالى وذكرى .
فقال له معاوية . مهلا يايزيد فقال على م تأمرنى بالمهل وقد انقطع منها الامل فقال له معاوية فاين حجاك ومروءتك وتقاك فقال يزيد : قد يغلب الهوى على الصبر والحجا ولوكان احد ينتفع فيما يبتلى به من الهوى بتقاه او يدفع ماقصده بحجاه لكان اولى الناس بالصبر داود عليه السلام وقد خبرك القرآن بأمره ،
فقال معاوية فما منعك قبل الفوت من ذكره قال ما كنت اعرفه واثق به من جميل نظرك قال صدقت ولكن اكتم يابنى أمرك بحلمك واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ امره ولابد مما هو كائن وكانت ارينب بنت اسحاق مثلا فى اهل زمانها فى جمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فتزوجها رجل من بنى عمها يقال له عبدالله بن سلام من قريش وكان من معاوية بالمنزلة الرفيعة فى الفضل ووقع امر يزيد من معاوية موقعاً ملأه هما واوسعه غما فأخذ فى الحيلة والنظر ان يصل اليها وكيف يجمع بينه وبينها حتى يبلغ رضا يزيد فيها . فكتب معاوية الى عبدالله بن سلام وكان قد استعمله على العراق ان اقبل حين تنظر فى كتابى هذا لامر حظك فيه كامل ولا تتأخر عنه فأغذ المسير والاقبال ؞ وكان عند معاوية بالشام ابو هريرة وابو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عبدالله بن سلام الشام أمر معاوية ان ينزل منزلا قد هيىء له واعد له فيه نزله ثم قال لابى هريرة وصاحبه : ان الله قسم بين عباده قسما ووهبهم نعما اوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها وأمره برعاية حقها وسلطان طريقها بجميل النظر وحسن التفقد لمن طوقهم الله امره كما فوضه اليهم حتى يؤدوا الى الله الحق فيهم كما اوجبه عليهم فحبانى عزوجل بأعز الشرف وسمو السلف وافضل الذكر وأغدق اليسر وأوسع على فى رزقه وجعلنى راعي خلقه وامينه فى بلاده والحاكم فى امر عباده ليبلونى اشكر آلاءه أم أكفرها فاياه اسأله اداء شكره وبلوغ ماارجو بلوغه من عظيم

أجره واول ماينبغي للمرء ان يتفقده وينظر فيه فيمن استرعاه الله امر ممن أهله ومن لاغنى به عنه . وقد بلغت لى ابنة أردت انكاحها والنظر فى تبعل من يريد ان يباعلها لعل من يكون بعدى يهتدى منه بهديي وتتبع فيه أثرى فانى قد تخوفت ان يدعو من يلى هذا الامر من بعدى زهوة السلطان وسرفه الى عضل نسائهم والا يرون لهن فيمن ملكهن امره كفؤا ولا نظيراً وقد رضيت لها عبدالله بن سلام لدينه وفضله ومروءته وأدبه . فقال ابو هريرة وأبو الدرداء ان اولى الناس برعاية أنعم الله وشكرها وطاب مرضاته فيما خصه به منها أنت صاحب رسول الله وكاتبه . فقال معاوية اذكراله ذلك عنى وقد كنت جعلت لها فى نفسها شورى غير انى ارجو انها لاتخرج من رأيى ان شاءالله . فلما خرجا من عنده متوجهين الى منزل عبدالله بن سلام بالذى قال لهما قال ودخل معاوية الى ابنته فقال لها اذا دخل عليك ابو هريرة وابوالدرداء فعرضا عليك امر عبدالله بن سلام وانكاحى اياك منه ودعواك الى مباعلته وحضاك على ملائمة رأيى والمسارعة الى هواى فقولى لهما عبدالله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير انه تحته ارينب بنت اسحاق وانا خائفة ان يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء فاتولى منه ما اسخط الله فيه فيعذبنى عليه فافارق الرجاء واستشعر الاذى ولست بفاعلة حتى يفارقها . فذكر ذلك ابو هريرة وابو الدرداء لعبدالله بن سلام واعلماه بالذى أمرهما معاوية فلما اخبراه سربه وفرح وحمد الله عليه ثم قال : نستمتع الله بأمير المؤمنين لندوالى على من نعمه وأسدى الى من منه فاطول ما أقول فيه قصير واعظم الوصف لها يسير ثم اراد اخلاطى بنفسه والحاقى بأهله اتماما لنعمته واكمالا لاحسانه فالله استعين على شكره وبه اعوذ من كيده ومكره ، ثم بعثهما اليه خاطبين عليه فلما قدما قال لهما معاوية قد تعلمان رضائى به وتنخلى اياه وحرصى عليه وقد كنت اعلمتكما بالذى جعلت لها فى نفسها من الشورى فادخلا اليها واعرضا عليها الذى رأيت لها فدخلا عليها واعلماها بالذى ارتضاها لها أبوها لما رجا من ثواب الله عليه فقالت لهما كالذى قال لها ابوها فاعلماه بذلك فلما ظن انه لايمنعها منها الا امرها فارق زوجته واشهدهما على طلاقها وبعثهما خاطبين اليه ايضاً فخطبا واعلما معاوية بالذى كان من فراق عبدالله ابن سلام امرأته طلابا لما يرضيها وخروجا عما يشجيها فاظهر معاوية كراهة لفعله

وقال : ما أستحسن له طلاق امرأته ولا احببته ولو صبر ولم يعجل لـكان امره الى مصيره فان كون ماهو كائن لابد منه ولا محيص عنه ولا خيرة فيه للعباد والاقدار تالية وما سبق فى علم الله لابد جار فيه فانصرفا فى عافية ثم تعودان الينا فيه وتأخذان ان شاء الله رضانا. ثم كتب الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق ارينب بنت اسحاق عبدالله بن سلام فلما عادا بوهريرة وابو الدرداء الى معاوية امرهما بالدخول عليها وسألاها عن رضاها تبريا من الامر ونظراً فى القول والعذر فيقول لم يكن لى ان اكرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا عليها واعلماها بالذى رضيه ان رضيت هى و بطلاق عبدالله بن سلام امرأته ارينب طلابا لمسرتها وذكرا من فضله وكمال مروءته وكريم محتده ما القول يقصر عن ذكره . فقالت لهما جف القلم بما هو كائن وانه فى فرش ترفيع غير ان الله عز وجل يتولى تدبير الامور فى خلقه و ... بين عباده حتى ينزلها منازلها فيهم و يضعها على ما سبق فى اقدارها واسن ... خيرى لاحد على ما يهوى ولو كان لبلغ منها غاية ماشاء . وقد تعرفان ان التزيد هزله جد وجد ندم النادم عليه يدوم والعثور فيه لا يكاد يقوم والاناة فى الامور اوثق لما يخاف فيها من المحذور ، فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها كان المرأ بحسن العزاء خليقاً وبالصبر عليها حقيقاً ، وعلمت ان الله ولى التدبير فهم تلم النفس على التقصير وانى بالله استعين سائله عنه حتى اعرف دخيلة خبره ... الذى اريد عسه من امره ومستخيرة وان كنت اعلم انه لا خيرة لاحد ... هو كائن ومعلمنكما الذى يرينيه الله فى امره ولا قوة الا بالله . فقالا وفقك الله ... ثم انصرفا عنها فلما اعلماه بقولها تمثل وقال :

فان يك صدر هذا اليوم ولى * فان غداً لناظره قريب

وتحدث الناس بالذى كان من طلاق عبدالله امرأته قبل ان يفرغ من طلبته وقبل ان يوجد له الذى كان من بغيته ولم يشكوا فى غدر معاوية اياه فاستحث عبدالله ابن سلام اباهريرة وابا الدرداء وسألهما الفراغ من أمره فأتياها فقالا لها قد اتيناك لما أنت صانعة فى امرك وان تستخيرى الله يخر لك فيما تختارين فانه يهدى من استهداه و يعطى من اجتداه وهو اقدر القادرين قالت : الحمدلله أرجوا ان يكون الله قد خار لى فانه لا يكل الى غيره من توكل عليه . وقد استبرأت امره وسألت

عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما اريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهي عنه ومنهم الآمر به واختلافهم اول ما كرهت من الله فعلم عبدالله انه خدع فهلع ساعة واشتد عليه الهم . ثم انتبه فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال متعزيا ليس لامر الله راد ولا لما لابدان يكون منه صاد ، أمور في علم الله سبقت فجرت بها اسبابها حتي امتلأت منها اقرابها وان امرؤ اثال له حلمه واجتمع له عقله واستد له رأيه ليس بدافع عن نفسه قدراً ولا كيداً ولا انحرافاً عنه ولا حيداً ولا آل ماسروا به واستجذلوا له لا يدوم لهم سروره ، ولا بصرف عنهم محذوره . قال وذاع امره في الناس وشاع ، ونقله الى الامصار وتحدثوا به في الاسمار ، وفي الليل والنهار وشاع في ذلك قولهم وعظم لمعاوية عليه لومهم وقالوا اخدعه معاوية حتى طلق امرأته وانما أرادها لابنه فبئس ما استرعاه الله أمر عباده ومكنه في بلاده واشركه في سلطانه يطلب أمراً بخدعة من جعل الله اليه أمره ويحيره ويصرعه جرأة على الله فلما بلغ معاوية ذلك من قول الناس قال لعمري ماخدعته . قال فلما انقضت أقراؤها وجه معاوية ابا الدرداء الى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي وهو سيد اهل العراق فقهاً وحالا وجودا وبذلا فقال ابو الدرداء اذ قدم العراق . ماينبغي لذوي الحجا والمعرفة والتقى ان يبدأ به ويؤثره على مهم أمره مما يلزمه حمده ويجب عليه حفظه وهذا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب اهل الجنة يوم القيامة فلست بناظر في شئ قبل الالمام به والدخول عليه والنظر الى وجهه الكريم واداء حقه والتسليم عليه ثم أستقبل بعد ان شاء الله ما جئت له و بعثت اليه فقصد حتى اتى الحسين فلما رآه الحسين قام اليه فصافحه اجلالا له ومعرفته لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعه من الاسلام . ثم قال الحسين : مرحباً بصاحب رسول الله وجليسه ياأبا الدرداء حدثت لي رؤيتك شوقاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوقدت مطلقات احزاني عليه فاني لم أر منذ فارقته احداً كان له جليساً واليه حبيباً الاهملت عيناي واحرقت كبدي اسى عليه وصبابة اليه . ففاضت عينا أبي الدرداء لذكر رسول الله وقال : جزى الله لبانة اقدمتنا عليك وجمعتنا بك خيراً . فقال الحسين والله اني لذو حرص عليك ولقد كنت بالاشتياق اليك فقال

ابو الدرداء : وجهني معاوية خاطباً على ابنه يزيد ارينب بنت اسحاق فرايت ان لا أبدأ بشيء قبل احداث العهد بك والتسليم عليك . فشكر له الحسين ذلك واثني عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها بعد انقضاء اقرائها فلم يمنعني من ذلك الا تخيير مثلك فقد أتى الله بك فاخطب رحمك الله على وعليه فلتختر من اختاره الله لها وانها أمانة في عنقك حتى تؤديها اليها وأعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال ابو الدرداء أفعل ان شاء الله . فلما دخل عليها قال لها : ايتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مستحاص ولا عن الخروج عن علمه مستناص ، فكان مما سبق لك وقدر عليك الذي كان من فراق عبد الله بن سلام اياك ولعل ذلك لا يضرك وان يجعل الله لك فيه خيراً كثيراً وقد خطبك أمير هذه الامة وابن الملك وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اول من آمن به من امته وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما وجئتك خاطباً عليهما فاختار ايهما شئت . فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء : لو أن هذا الامر جاءني وأنت غائب عني أشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم اقطعه دونك على بعد مكانك ونأي دارك فاما اذا كنت المرسل فيه فقد فوضت أمري بعد الله اليك وبرئت منه اليك وجعلته في يديك فاختر لي ارضاهما لديك والله شهيد عليك واقض فيه قضاء ذي التحري المتقي ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى فليس امرهما عليك خفياً وما أنت عما طوقتك عمياً . فقال أبو الدرداء : ايتها المرأة انما على اعلامك وعليك الاختيار لنفسك قالت : عفا الله عنك انما انا بنت أخيك ومن لا غنى بها عنك فلا يمنعك رهبة احد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك اداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعي وخيف انه بنا خبير لطيف . فلما لم يجد بدا من القول والاشارة عليها قال اي بنيه ابن بنت رسول الله أحب الي وارضاهما عندي والله اعلم بخيرهما لك وقد كنت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتك حيث وضعها رسول الله ، قالت قد اخترته ورضيته فاستنكحها الحسين بن علي وساق اليها مهراً عظيما وقال الناس . وبلغ معاوية الذي كان من

فعل ابي الدرداء في ذكره حاجة احد مع حاجته وما بعثه هوله ونكاح الحسين اياها فتعاظمه ذلك جداً ولامه لوماً شديداً وقال : من يرسل ذا بلاهة وعماً يركب في امره خلاف مايهوى ورأى كان من رأيه أسوأ ولقد كنا بالملامة منه أولى حين بعثناه ولحاجتنا انتحلناه . وكان عبدالله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها بدرات مملوءة دراً كان ذلك الدر اعظم ماله واحبه اليه وكان معاوية قد اطرحه وقطع جميع رواقده عنه لسوء قوله فيه وتهمته اياه على الخديعة فلم يزل يجفوه ويغضبه ويكدى به عنه ما كان يجديه حتى عيل صبره وطال امره وقل ما في يديه ولام نفسه على المقام لديه فخرج من عنده راجعاً الى العراق وهو يذكر ماله الذي كان استودعها ولا يدري كيف يصنع وأني يصل اليه ويتوقع جحودها عليه لسوء فعله بها وطلاقه اياها على غير شيء انكره منها ولا تهمة عليها فلما قدم العراق لقي الحسين فسلم عليه . ثم قال قد علمت جعلت فداك الذي كان من قضاء الله في طلاق أرينب بنت اسحاق وكنت قبل فراقي اياها قد استودعتها مالاً عظيماً دراً وكان الذي كان ولم أقبضه والله ما انكرت منها في طول ما صحبتها فتيلاً ولا اظن بها الا جميلاً فذاكرها امري واحضضها على الرد علي فان الله يحسن عليك ذكرك ويجزل به اجرك .

فسكت عنه فلما انصرف الحسين الى اهله قال لها قدم عبدالله بن سلام . . يحسن الثناء عليك ويجمل النشر عنك في حسن صحبتك وما آنسه قديماً من امانتك فسرني ذلك واعجبني ، وذكر انه كان استودعك مالاً قبل فراقه اياك فأدي اليه امانته وردي عليه ماله فانه لم يقل الا صدقاً ولم يطلب الا حقاً . قالت صدق قد والله استودعني مالاً لا ادري ما هو وانه لمطبوع عليه بطابعه ما أخذ منه شيئاً الى يومه هذا فاثنى عليها الحسين خيراً وقال بل ادخله عليك حتى تبرئي اليه منه كما دفعه اليك . ثم لقي عبدالله بن سلام فقال له ما انكرت مالك وزعمت انه لـ[illegible] دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا عليها وتوف مالك منها فقال عبدالله بن سلام [illegible] بدفعه الى جعلت فداك قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه اذ [illegible] . فلما دخلا عليها قال لها الحسين هذا عبدالله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فاديها اليه كما قبضتيها منه فاخرجت البدرات فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر لها واثنى عليها وخرج الحسين ففض عبدالله خاتم بدرة فحثا لها من ذلك الدر حثوات

وقال خذى فهذا قليل منى لك واستعبرا جميعاً حتى تعالت اصواتهما بالبكاء اسفاً على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذى سمع منهما . فقال : اشهد الله انها طالق ثلاثا اللهم انك تعلم انى لم استنكحها رغبة فى مالها ولا جمالها ولكنى اردت احلالها لبعلها وثوابها على ما عالجته فى امرها فأوجب لى بذلك الاجر واجزل لى عليه الذخر انك على كل شئ قدير . ولم يأخذ مما ساق اليها فى مهرها قليلا ولا كثيراً . وكان عبدالله بن سلام سال ذلك أر ينب أى التعويض على الحسين فأجابته الى رد ماله عليه شكراً لما صنعه بهما فلم يقبله وقال الذى ارجو عليه من الثواب خير لى منه . فتزوجها عبدالله بن سلام وعاشا متحابين متصافيين حتى قبضهما الله وحرمها الله على يزيد . والحمد لله رب العالمين

﴿ وفاة معاوية رحمه الله ﴾

قال وذكروا ان عتبة بن مسعود قال مر بنا نعى معاوية بن أبى سفيان ونحن بالمسجد الحرام قال فقمنا فاتينا ابن عباس فوجدناه جالساً قد وضع له الخوان وعنده نفر فقلنا أما علمت بهذا الخبر يا ابن عباس قال وما هو قلنا هلك معاوية فقال ارفع الخوان ياغلام وسكت ساعة : ثم قال : جبل تزعزع ثم مال بكلكله أما والله ما كان كمن كان قبله و لما يكن بعده مثله . اللهم انت اوسع لمعاوية فينا وفى بنى عمنا هؤلاء الذى لب معتبر اشتجرنا بيننا فقتل صاحبهم غيرنا وقتل صاحبنا غيرهم وما اغراهم بنا الا انهم لا يجدون مثلنا وما اغرانا بهم الا انا لا نجد مثلهم . كما قال القائل مالك تظلمنى قال لا أجد من أظلم غيرك . ووالله ان ابنه لخير أهله أعد طعامك ياغلام قال فما رفع الخوان حتى جاء رسول خالد بن الحكم الى ابن عباس ان انطلق فبايع فقال للرسول اقرئ الامير السلام وقل له والله ما بقى فى ما تخافون فاقض من امرك ما أنت قاض فاذا سهل الممشى وذهبت حطمة الناس جئتك ففعلت ما أحببت . قال ثم اقبل علينا فقال : مهلا معشر قريش ان تقولوا عند موت معاوية ذهب جد بنى معاوية وانقطع ملكهم ذهب لعمر الله جدهم وبقى ملكهم وشرها بقية هى أطول مما مضى الزموا مجالسكم وأعطوا بيعتكم قال فما برحنا حتى جاء رسول خالد فقال يقول لك الامير لابد لك ان تأتينا قال فان كان لابد فلا بد مما لا بد منه . ياتوار هلمى ثيابى ثم قال وما ينفعكم اتيان رجل ان جلس لم يضركم

قال فقلت له أتبايع لزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش قال مه فاين ماقلت لكم وكم بعده من آت ممن يشرب الخمر اوهو شر من شاربها أنتم الى بيعته سراع أما والله انى لانها كم وأنا اعلم انكم فاعلون ماأتم فاعلون حتى يصلب مصلوب قريش بمكة يعنى عبدالله بن الزبير

﴿ كتاب يزيد بالبيعة الى اهل المدينة ﴾

قال وذكروا ان نافع بن حبير قال انى بالشام يوم موت معاوية وكان يزيد غائبا واستخلف معاوية الضحاك بن قيس بعده حتى يقدم يزيد فلما مات معاوية خرج الضحاك على الناس فقال لايحملن اليوم نعش أمير المؤمنين الاقرشى قال فحملته قريش ساعة ثم قال اهل الشام اصلح الله الاميراجعل لنا من امير المؤمنين نصيباً فى موته كما كان لنا فى حياته قال فاحملوه فحملوه وازدحموا عليه حتى شقوا البرد الذى كان عليه صدعين قال فلما قدم يزيد دمشق بعد موت ابيه الى عشرة ايام كتب الى خالد ابن الحكم وهو عامل المدينة : أما بعد فان معاوية بن أبى سفيان كان عبداً استخلفه الله على العباد ومكن له فى البلاد وكان من حادث قضاء الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه فيه ماسبق فى الاولين والآخرين لم يدفع عنه ملك مقرب ولا نبى مرسل فعاش حميداً ومات سعيداً وقد قلدنا الله عز وجل ما كان اليه فيالها مصيبة ماأجلها ونعمة ماأعظمها نقل الخلافة وفقد الخليفة فنستوزعه الشكر ونستلهمه الحمد ونسأله الخيرة فى الدارين معاً ومحمود العقبى فى الآخرة والاولى انه ولى ذلك وكل شئ بيده لاشريك له . وان أهل المدينة قومنا ورجالنا ومن لم نزل على حسن الرأى فيهم والاستعداد بهم واتباع أثر الخليفة فيهم والاحتذاء على مثاله لديهم من الاقبال عليهم والتقبل من محسنهم والتجاوز عن مسيئهم فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا بيعة منشرحة بها صدوركم طيبة عليها انفسكم . وليكن اول من يبايعك من قومنا واهلنا الحسين وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر ويحلفون على ذلك بجميع الايمان اللازمة ويحلفون بصدقة اموالهم غير عشرها وجزية رفيقهم وطلاق نسائهم بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم ولا قوة الا بالله والسلام

﴿ اباية القوم المتمنعين عن البيعة ﴾

قال وذكروا ان خالد بن الحكم لما اتاه الكتاب من يزيد قطع به فدعا مروان بن

الحكم وكان على المدينة قبله فلما دخل عليه مروان وذلك فى اول الليل فقال له خالد احتسب صاحبك يامروان فقال له مروان اكتم ما بلغك انا لله وانا اليه راجعون ثم اقرأه الكتاب وقال له ما الرأى فقال ارسل الساعة الى هؤلاء النفر فخذ بيعتهم فانهم ان بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من اهل الاسلام فعجل عليهم قبل ان يفشى الخبر فيمتنعوا فارسل الى الحسين بن على وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر فلما أتاهم الرسول قال عبدالله بن الزبير للحسين : ظن ياأبا عبدالله فيما ارسل الينا فقال الحسين لم يرسل الينا الا للبيعة فما ترى قال آتيه فان اراد تلك امتنعت عليه . فدعا الحسين مواليه وأهل بيته وأقعدهم على الباب وقال لهم ان ارتفع صوتى فاقتحموا الدار على والا فكانكم حتى اخرج اليكم . ثم دخل على خالد فاقرأه الكتاب فقال الحسين رحم الله معاوية فقال له بايع فقال الحسين : لاخير فى بيعة سر والظاهرة خير فاذا حضر الناس كان امراً واحداً ثم وثب الى اهله . فقال مروان لخالد اشدد يدك بالرجل فلا يخرج حتى يبايعك فان ابى فاضرب عنقه . فقال له ابن الزبير : قد علمت انا كنا أبينا البيعة اذ دعانا اليها معاوية وفى نفسه علينا من ذلك مالا نجهله ومتى ما نبايعك ليلا على هذه الحال نرى انك أغضبتنا على أنفسنا دعنا حتى نصبح وندعو الناس الى البيعة فنأتيك نبايعك بيعة سليمة صحيحة فلم يزالا به حتى خلا عنهما وخرجا : فقال مروان لخالد : تركتهما والله لاتظفر بمثلها منهما ابداً فقال ويحك أتشير على ان اقتل الحسين فوالله ما يسرنى ان لى الدنيا ومافيها وما أحسب ان قاتله يلقى الله بدمه الا خفيف الميزان يوم القيامة فقال له مروان مستهزءاً ان كنت انما تركت ذلك لذلك فقد اصبت

﴿ خلع اهل المدينة يزيد ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل خالد بن الحكم عن المدينة وولاها عثمان بن محمد ابن أبى سفيان الثقفى وخرج الحسين بن على وعبد الله بن الزبير الى مكة واقبل عثمان بن محمد من الشام واليا على المدينة ومكة وعلى الموسم فى رمضان فلما استوى على المنبر بمكة رعف فقال رجل مستقبله جئت والله بالدم فتلقاه رجل آخر بعمامته فقال مه والله عم الناس . ثم قام يخطب فتناول عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله أمر الناس ثم نزل فقال الناس للحسين ياأبا عبدالله لو تقدمت فصليت بالناس فانه

ليهم بذلك اذ جاء المؤذن فاقام الصلاة فتقدم عثمان فكبر فقيل للحسين يا أبا عبد الله
اذا ابيت ان تتقدم فاخرج فقال الصلاة فى الجماعة أفضل قال فصلى ثم خرج فلما
انصرف عثمان بن محمد من الصلاة بلغه ان الحسين خرج قال : اركبوا كل بعير
بين السماء والارض فاطلبوه فطلب فلم يدرك . قال ثم قدم المدينة فاقبل ابن ميثاء
بسراح له من الحرة يريد الاموال التى كانت لمعاوية فمنع منها وازاحه أهل المدينة
عنها وكانت اموالا اكتسبها معاوية ونخيلا يجد منها مائة الف وست وستين الفاً
ودخل نفر من قريش والانصار على عثمان فكلموه فيها فقالوا قد علمت ان هذه
الاموال كلها لنا وان معاوية آثر علينا فى عطائنا ولم يعطنا قط درهما فمافوقه حتى مضنا
الزمان ونالتنا المجاعة فاشتراها منا بجزء من مئة من ثمنها فاغلظ لهم عثمان فى القول واغلظوا
له فقال لهم لاكتبن الى امير المؤمنين بسوء رأيكم وما أنتم عليه من كمون الاضغان
القديمة والاحقاد التى لم تزل فى صدوركم فافترقوا على موجدة ثم اجتمع رأيهم على
منع ابن ميثاء القيم عليها فكف عثمان بن محمد عنهم وكتب بأمرهم الى يزيد بن
معاوية قال عبد الله بن جعفر جاء كتاب عثمان بن محمد بعد هدأة من الليل وقد
كنت انصرفت من عند يزيد فلم ألبث ان جاءنى رسوله فدخلت عليه والشمعة
بين يديه وهو مغضب قد حسر عن ذراعيه والكتاب بين يديه فقال دونك يا أبا
جعفر هذا الكتاب فاقرأه فرايت كتابا قبيحا فيه تعريض لاهل المدينة وتحريش
ثم قال : والله لأطأنهم وطأة آتى منها على انفسهم قال ابن جعفر فقلت له ان الله لم
يزل يعرف أباك فى الرفق خيراً فان رأيت ان ترفق بهم وتتجاوز عنهم فعلت فانما
هم أهلك وعشيرتك وانما تقتل بهم نفسك اذا قتلتهم . قال اقتل واشفى نفسى فلم
ازل الح عليه فيهم وارفقه عليهم وكان لى سامعا ومطيعا . فقال لى : ان ابن الزبير حيث
علمت من مكة وهو زعم انه قد نصب الحرب فانا ابعث اليه الجيوش وآمر
صاحب أول جيش ابعثه ان يتخذ المدينة طريقا وان لا يقاتل فان أقروا بالطاعة
ونزعوا من غيهم وضلالهم فلهم على عهد الله وميثاقه ان لهم عطاءين فى كل عام
مالا افعله باحد من الناس طول حياتى عطاء فى الشتاء وعطاء فى الصيف ولهم على
عهد ان اجعل الحنطة عندهم كسعر الحنطة عندنا والحنطة عندهم سبع آصع
والعطاء الذى يذكرون انه احتبس عنهم فى زمان معاوية فهو على ان اخرجه لهم

وافراً كاملا فان انابوا وقبلوا ذلك جاوزوا الى ابن الزبير وان ابوا قاتلهم ثم ان ظفر بها انهبها ثلاثا هذا عهدى الى صاحب جيشي لمكانك ولطلبتك فيهم ولما زعمت انهم قومى وعشيرتى . قال عبدالله بن جعفر فرأيت هذا الهم فرجاً فرجعت الى منزلى فكتبت اليهم من ليلتى كتاباً الى اهل المدينة اعلمهم فيه قول يزيد واحضهم على الطاعة والتسليم والرضا والقبول لما بذل لهم وانهاهم ان يتعرضوا لجيوشه وقلت لرسولى اجهد السير فدخلها فى عشر فما ارادوا ذلك ولا قبلوه وقالوا والله لا يدخلها عنوة أبداً

﴿ كتاب يزيد الى أهل المدينة ﴾

قال وكتب يزيد الى المدينة كتابا وأمر عثمان بن محمد يقرأه عليهم فقدم بالكتاب الى المدينة وعثمان خائف فقرأه عليهم فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد فانى قد نفستكم حتى اخلقتكم ورفعتكم حتى أخرتكم ورفعتكم على رأسى ثم وضعتكم وايم الله لئن اشرت ان أضعكم تحت قدمى لأطأنكم وطأة أقل منها اعددكم واتركم احاديث تتناسخ كاحاديث عاد وثمود وأيم الله ليأتينكم منى أولى من عقوبتى فلا أفلح من ندم

﴿ ما أجمع عليه أهل المدينة ورأوه من اخراج بنى أمية ﴾

قال وذكروا انه لما قرىء الكتاب تكلم عبد الله بن مطيع ورجال معه كلاما قبيحاً فلما استبان لهم ان يزيداً باعث الجيوش اليهم أجمعوا على خلافهم واختلفوا فى الرئاسة أيهم يقوم بهذا الامر . فقال قائل ابن مطيع وقال قائل ابراهيم بن نعيم ثم اجتمع رأيهم ان يقوم بامرهم ابن حنظلة وهرب عثمان بن محمد منهم ليلا فلحق بالشام ثم اخذ مروان بن الحكم وكبراء بنى أمية فاخرجوهم عن المدينة فقالوا الشقة بعيدة ولا بدلنا مما يصلحنا ولنا عيال وصبية ونحن نريد الشام قال فاستنظروا عشرة أيام فانظروا ثم اجتمع رأى أهل المدينة ان يحلفوا كبراء بنى أمية عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لقوا جيش يزيد ليردونهم عنهم ان استطاعوا فان لم يستطيعوا مضوا الى الشام ولم يرجعوا معهم فحلفوا لهم على ذلك وشرطوا عليهم ان يقيموا بذى خشب عشرة ايام فخرجوا من المدينة وتبعهم الصبيان وسفهاء الناس يرمونهم بالحجارة حتى انتهوا الى ذى خشب ولم يتحرك احد من آل عثمان بن محمد ولم يخرج من المدينة فلما رأت بنوا امية ما صنع بهم أهل المدينة من اخراجهم منها اجتمعوا الى مروان فقالوا يا أبا عبد الملك ما الرأى

قال من قدر منكم ان يغيب حريمه فليفعل فانما الخوف على الحرمة فغيبوا حرمهم فأتى مروان عبدالله بن عمر فقال ياأبا عبدالرحمن بلغنى انك تريد الخروج الى مكة وتغيب عن هذا الامر فاحب ان اوجه عيالى معك فقال ابن عمر انى لا أقدر على مصاحبة النساء قال فتجعلهم فى منزلك مع حرمك قال لا آمن ان يدخل على حريمى من أجل مكانكم . فكلم مروان على بن الحسين فقال نعم فضمهم على اليه و بعث بهم مع عياله ، قال ثم ارتحل القوم من ذى خشب على اقبح اخراج يكون واجتثاث منهم خوفا ان يبدو للقوم فى حبسهم وجعل مروان يقول لابنه عبد الملك يابنى ان هؤلاء القوم لم يدروا ولم يستشيروا فقال ابنه وكيف ذلك قال اذ لم يقتلونا او يحبسونا فان بعث اليهم بعثاً كنا فى ايديهم وما أخوفنى ان يفطنوا لهذا الامر فيبعثوا فى طلبنا فالوحا الوحا والنجا النجا

﴿ ارسال يزيد الجيوش اليهم ﴾

قال فلما اجمع رأى يزيد على ارسال الجيوش صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد ياأهل الشام فان أهل المدينة اخرجوا قومنا منها والله لئن تقع الخضراء على الغبراء احب الى من ذلك ، وكان معاوية قد اوصى يزيد فقال له ان رابك منهم ريب او انتقض عليك منهم أحد فعليك باعور بنى مرة مسلم بن عقبة فدعا به فقال سر الى هذه المدينة بهذه الجيوش وان شئت اعفيتك فانى اراك مدنفا منهوكا فقال نشدتك الله ان لا تحرمنى اجراً ساقه الله الى او تبعث غيرى فانى رأيت فى النوم شجرة غرقد تصيح اغصانها ياثارات عثمان فاقبلت اليها وجعلت الشجرة تقول الى يامسلم ابن عقبة فاتيت فاخذتها فعبرت ذلك ان أكون أنا القائم بأمر عثمان ووالله ما صنعوا الذى صنعوا الا أن الله أراد بهم الهلاك . فقال يزيد فسر على بركة الله فانت صاحبهم فخرج مسلم فعسكر وعرض الاجناد فلم يخرج معه أصغر من ابن عشرين ولا أكبر من ابن خمسين على خيل عراب وسلاح شاك واداة كاملة ووجه معه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد حتى خرج نخرج معه يزيد فودعه وقال له ان حدث بك حدث فأمر الجيوش الى حصين بن نمير فانهض باسم الله الى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقا اليه فان صدوك اوقاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثا . فقال مسلم بن عقبة أصلح الله الامير لست با خذ من كل ماعهدت به الا بحرفين

قال يزيد وماهماويحك قال اقبل من المقبل الطائع واقتل المدبر العاصي فقال يزيد : حسبك ولكن البيان لا يضرك والتأكيد ينفعك فاذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها او نصب لك الحرب فالسيف السيف اجهز على جريحهم واقبل على مدبرهم واياك ان تبقى عليهم وان لم يتعرضوا لك فامض الى ابن الزبير . فمضت الجيوش فلما نزلوا بوادي القرى لقيتهم بنو امية خارجين من المدينة فرجعوا معهم واستخبرهم مسلمة بن عقبة عما خلفهم وعما لقوا وعن عددهم فقال مروان عددهم كثيراً أكثر مما جئت به من الجيوش ولكن عامتهم ليس لهم نيات ولا بصائر وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف وليس لهم كراع ولا سلاح وقد خندقوا عليهم وحصنوا . قال مسلم هذه اشدها اينا ولكنا نقطع عنهم مشربهم ونردم عليهم خندقهم فقال مروان عليه رجال لا يسلمونه ولكن عندى فيه وجه سأخبرك به قال هاته فقال اطوه ودعه حتي يحضر ذلك ثم فدعه اذاً . ثم قال لهم مسلم تريدون ان تسيروا الى أمير المؤمنين او تقيموا موضعكم هذا او تسيروا معنا فقال بعضهم نسير الى امير المؤمنين ونحدث به عهداً ، فقال مروان أما أنا فراجع فقال بعضهم لبعض قد حلفنا لهم عند المنبر لئن استطعنا ان نرد الجيش عنهم نردهم فكيف بالرجوع اليهم فقال مروان أما أنا فراجع اليهم فقال له قوم ما نرى ان تفعل فانما تقتلون بهؤلاء انفسكم والله لا أكثرنا عليهم لمسلم جمعا أبداً فقال مروان انا والله ماض مع مسلم الى المدينة فمدرك ثاري من عدوي وممن اخرجني من بيتي وفرق بيني وبين أهلي وان قتلت بهم نفسي فلم يرجع مع مسلم من بني امية غير مروان وابنه عبد الملك وكان مجدوراً فجعله بذي خشب . فلما ايقن اهل المدينة بقدوم الجيوش اليهم تشاوروا في الخندق وقالوا قد خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخندقوا المدينة من كل نواحيها . ثم جمع عبدالله بن حنظلة أهل المدينة غير المنبر فقال تبايعوني على الموت والا فلا حاجة في بيعتكم فبايعوه على الموت ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انما خرجتم غضباً لدينكم فابلوا الى الله بلاء حسناً ليوجب لكم به الجنة ومغفرته ويحل بكم رضوانه واستعدوا باحسن عدتكم وتأهبوا باكمل اهبتكم فقد اخبرت بان القوم نزلوا بذي خشب ومعهم مروان بن الحكم والله ان شاء مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم فتصايح الناس وجعلوا ينالون منه ويسبونه فقال لهم ان الشتم ليس بشيء ولكن نصدقهم اللقاء والله ما صدق قوم قط الا نصروا ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم انا بك واثقون وعليك متوكلون واليك الجأنا ظهورنا ثم نزل وكان عبد الله بن حنظلة لا يبيت الا في المسجد الشريف وكان لا يزيد على شربة من سويق يفطر عليها الى مثلها من الغد

﴿ قدوم الجيوش الى المدينة ﴾

قال وذكروا ان أهل الشام لما انتهوا الى المدينة عسكروا بالجرف ومشوا رجالا من رجالهم فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية لا يجدون مدخلا لانهم قد خندقوها عليهم والناس متلبسون السلاح فدقاموا على أفواه الخنادق وقد حرسوا ان لا يتكلم منهم متكلم وجعل أهل الشام يطوفون بها والناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الاكام والبيوت حتى خرجوا فيهم وفي خيلهم فقال مسلم لمروان أين ما قلت لي بوادي القرى . فخرج مروان حتى جاء بني حارثة فكلم رجلا منهم ورغبه في الصنيعة وقال افتح لنا طريقا فانا أكتب بذلك الى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان بذل لاهل المدينة من العطاء وتضعيفه ففتح له طريقا ورغب فيما بذل له وتبذل ما تضمن له عن يزيد فاقتحمت الخيل فجاء الخبر الى عبد الله بن حنظلة فاقبل وكان من ناحية الطورين وأقبل عبد الله بن مقطع وكان من ناحية ذناب واقبل ابن أبي ربيعة فاجتمعوا جميعا بمن معهم بحيث اقتحم عليهم اهل الشام فاقتتلوا حتى عاينوا الموت ثم تفرقوا

﴿ غلبة أهل الشام على اهل المدينة ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن أبي سفيان قال وقعت مع قوم عند مسجد بني عبد الاشهل منهم عبد الله بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل مسيلمة الكذاب ومعه عبد الله بن حنظلة ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وابراهيم بن فارط وابراهيم بن نعيم بن النجار فهم يقاتلون ويقولون للناس أين الفرار والله لئن يقتل الرجل مقبلا خير له من ان يقتل مدبرا قال فاقتتلوا ساعة والنساء والصبيان يصيحون على قتالهم حتى جاءهم ما لا طاقة لهم به وجعل مسلم يقول من جاء برأس رجل فله كذا وكذا وجعل يغري قوما لا دين لهم فقتلوا وظهروا على

اكثر المدينة قال وكان على بشر بن حنظلة يومئذ درعان فلماهزم القوم طرحهما ثم جعل يقاتلهم وهو حاسرحتى قتلوه ضربه رجل من اهل الشام ضربة بالسيف قطع منكبه فوقع ميتا فلمامات ابن حنظلة صار أهل المدينة كالنعم بلاراع شرود يقتلونهم أهل الشام من كل وجه فاقبل محمد بن عمرو بن حزم الانصارى وان جراحه لتنفت دماً وهو يقاتل ويحمل على الكردوس منهم فيفض جماعتهم وكان فارسا فحمل عليه أهل الشام حملة واحدة حتى نظموه بالرماح فمال ميتا فلماقتل انهزم من بقى من الناس فى كل وجه ودخل القوم المدينة فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون قال وخرج يومئذ عبدالله بن زيد بن عاصم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيل تسرع فى كل وجه قتلا ونهبا فقيل له لوكلمت القوم باسمك وصحبتك لم يهيجوك فنزعاتهم تكافت . فقال والله لاأقبل لهم أمانا ولاأبرح حتى اقتل لاأفلح من ندم وكان رجلا ابيض طويلا اصلع فاقبل عليه رجل من اهل الشام وهو يقول والله لاأبرح حتى اضرب صلعتك وهوحاسر فقال عبد الله ثم انك خير لى فضربه فاس فى يده فرأيت نوراً ساطعا فى السماء فسقط ميتا وكان يومه ذلك صائما رحمه الله . قال فجعل مسلم يطوف على فرس له ومعه مروان بن الحكم على القتلى فمر على عبدالله بن حنظلة وهو ماد اصبعه السبابة فقال مروان اما والله لئن نصبتها ميتا فطالما نصبتها حيا داعيا الى الله ومر على ابراهيم بن نعيم ويده على فرجه فقال اما والله لئن حفظته فى الممات لقد حفظته فى الحياة ومر على محمد بن عمرو بن حزم وهو على وجهه واضعاً جبهته بالارض فقال اما والله لئن كنت على وجهك فى الممات لطال ماافترشته حياً ساجداً لله فقال مسلم والله ماأرى هؤلاء الامن أهل الجنة ومر على عبد الله بن زيد وبين عينيه أثر السجود فلما نظر اليه مروان عرفه وكره ان يعرفه لمسلم فيحز رأسه فقال له مسلم من هذا فقال بعض هذه الموالى وجاوزه فقال له مسلم كلا وبيت الله لقد سكيت عنه لشئ فقال له مروان هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن زيد فقال ذاك أخزى ناكث بيعته حزوا راسه . وكان قصر بنى حارثة أماناً لمن أراد أهل الشام ان يؤمنوه وكان بنو حارثة آمنين ماقتل منهم احد وكان كل من نادى باسم الامان الى احد من قبيلة أمنوه رجلا كان او امرأة ثم ذبوا عنه حتى يبلغوه قصر بنى حارثة

فاجير يومئذ رجال كثيرة ونساء كثيرة فلم يزالوا فى قصر بنى حارثة حتى انقضت الثلاث قال واول دور انتهبت والحرب قائمة دور بنى عبد الاشهل فما تركوا فى المنازل من اثاث ولا حلى ولا فراش الا نقض صوفه حتى الحمام والدجاج كانوا يذبحونها فدخلوا دار محمد بن مسلمة فصاح النساء فاقبل زيد بن محمد بن مسلمة الى الصوت فوجد عشرة ينهبون فقاتلهم ومعه رجلان من أهله حتى قتل الشاميون جميعا وخلصوا ما أخذ منهم فالقوا متاعهم فى بئر لا ماء فيها والقى عليها التراب ثم اقبل نفر من أهل الشام فقاتلوهم ايضا حتى قتل زيد بن محمد ار بعد عشر رجلا فضربه بالسيف منهم اربعة فى وجهه ، ولزم أبو سعيد الخدرى فى بيته فدخل عليه نفر من اهل الشام فقالوا ايها الشيخ من انت فقال انا أبو سعيد الخدرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مازلنا نسمع عنك فبحظك اخذت فى تركك قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك ولكن اخرج الينا ما عندك قال والله ما عندى مال فنتفوا لحيته وضربوه ضربات ثم اخذوا كلما وجدوه فى بيته حتى الثوم وحتى زوج حمام كان له . وكان جابر بن عبد الله يومئذ قد ذهب بصره فجعل يمشى فى بعض ازقة المدينة وهو يقول تعس من أخاف الله ورسوله فقال له رجل ومن أخاف الله ورسوله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جبى . فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله فتراى عليه مروان فاجاره وأمر ان يدخله منزله ويغلق عليه بابه . وكان سعيد بن المسيب رحمه الله لم يبرح من المسجد . ولم يكن يخرج الا من الليل الى الليل وكان يسمع اذا جاء وقت الاذان اذانا يخرج من قبل القبر الشريف حتى أمن الناس فكان سعيد يقول ما رأيت خيراً من الجماعة ثم امر مسلم بالاسارى فغلوا بالحديد ثم دعا الى بيعة يزيد . فكان اول من بايع مروان بن الحكم ثم أكابر بنى امية حتى أتى على آخرهم ثم دعا بنى اسد وكان عليهم حنقاً فقال اتبايعون لعبد الله يزيد بن امير المؤمنين ولمن استخلف عليكم بعده على ان أموالكم ودمائكم وانفسكم خول له يقضى فيها ما شاء . فقال يزيد بن عبد الله بن زمعة : انما نحن نفر من المسلمين لنا ما لهم وعلينا ما عليهم فقال مسلم والله لا أقيلك ولا تشرب البارد بعدها ابداً فامر به فضربت عنقه . ثم أتى بمعقل بن سنان وكان معقل حاملا لواء قومه الفتح مع رسول الله فلما دخل عليه قال أعطشت يا معقل قال

أصلح الله الامير قال له حوصوا له شربة من سويق اللوز الذى زودنا به أمير المؤمنين فلما شربها قال له رويت قال نعم فقال مسلم أما والله لا تبولها من مثانتك أبداً أقدم فضربت عنقه ثم قال ما كنت لادعك بعد كلام سمعته منك تطعن به على امامك وكان معقل قد طعن بعض الطعن على يزيد قبل ذلك فيما بينه وبين مسلم على الاستراحة بذلك ثم امر بمحمد بن أبى الجهم وجماعة من وجوه قريش والانصار وخيار الناس والصحابة والتابعين ثم أتى بعبد الله بن الحارث مغلولا فقال مسلم انت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بنى امية لا تروا شراً ابداً قال قد قلتها ولكن لا يسمع من اسير امر ارسل يدى وقد برئت منى الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه وايم الله لو اطاعونى ما اشرت به عليهم ما تحكمت فيهم ابداً. فقال مسلم والله لاقدمنك الى نار تلظى ثم امر به فضربت عنقه فقال مروان قد والله سقيتنى من دماء هؤلاء القوم الا ما كان من قريش فانك اثخنتها وافنيتها فقال مسلم والله لا أعلم عند احد غشا لامير المؤمنين الا سألت الله ان يسقينى دمه فقال ان عند امير المؤمنين عفواً لهم وحلما عنهم ليس عندك. وجعل مروان يعتذر الى قريش ويقول والله لقد ساءنى قتل من قتل منكم فقالت له قريش انت والله الذى قتلتنا ما عذرك الله ولا الناس لقد خرجت من عندنا وحلفت لنا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لتردنهم عنا فان لم تستطع لتمضين ولا ترجع معهم فرجعت ودللت على العورة وأعنت على الهلكة فالله لك بالجزاء. قال فبلغ عدة قتلى الحرة يومئذ من قريش والانصار والمهاجرين ووجوه الناس الف وسبعمائة وسائرهم من الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان. قال ابو معشر دخل رجل من اهل الشام على امرأة نفساء من نساء الانصار ومعها صبي لها فقال لها : هل من مال قالت لا والله ما تركوا لى شيئا فقال والله لتخرجن الى شيئا اولا قتلنك وصبيك هذا فقالت له ويحك انه ولد ابن أبى كبشة الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم معه يوم بيعة الشجرة على ان لا أزنى ولا اسرق ولا اقتل ولدى ولا آتى ببهتان افتريه فما اتيت شيئاً فاتق الله. ثم قالت لابنها يا بنى والله لو كان عندى شئ لافتديتك به قال فاخذ برجل الصبي والثدى فى فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه فى الارض قال فلم يخرج من البيت

حتى اسود نصف وجهه وصار مثلا . قال ابو معشر قال لى رجل بينا انا فى بعض اسواق الشام فاذا برجل ضخم فقال لى ممن انت قلت رجل من اهل المدينة قال من أهل الخبيثة قال فقلت له سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وسميتها خبيثة قال فبكى فقلت له ما يبكيك قال العجب والله : كنت اغزو الصائفة كل عام زمن معاوية فأتيت فى المنام فقيل لى انك تغزو المدينة وتقتل فيها رجلا يقال له محمد بن عمرو بن حزم وتكون بقتله من اهل النار . قال فقلت ماهذا من شأن المدينة ولا يقع فى نفسى مدينة الرسول قال فقلت لعلها بعض مدائن الروم فكنت اغزو ولا أسل فيها سيفاً حتى مات معاوية وولى يزيد فضرب بعث المدينة فاصابتنى القرعة قال فقلت هي هذه والله فاردت ان يأخذوا منى بديلا فابوا فقلت فى نفسى أما اذا ابوا فانى لا أسل فيها سيفا . قال فحضرت الحرة فخرج اصحابى يقاتلون وجلست فى فسطاطى فلما فرغوا من القتال جاءنا اصحابنا فقالوا دخلنا وفرغنا من الناس . فقال بعض اصحابى لبعض تعالوا حتى ننظر الى القتلى فتناولت سيفى وخرجت فجعلنا ننظر الى القتلى ونقول هذا فلان وهذا فلان فاذا رجل فى بعض تلك الدارات فى يده سيف وقد ازبد شدقاه وحوله صرعى من أهل الشام فلما ابصرنى قال يا كلب احقن عنى دمك قال فنسيت والله كل شىء فحملت عليه فقاتلته فقتلته فسطع نور بين عينيه وسقط فى يدى قلت من هذا فقيل لى هذا محمد بن عمرو بن حزم فجعلت ادور مع اصحابى فيقولون هذا فلان وهذا فلان فمر انسان لا يعرف فقال من قتل هذا ويحكم يريد محمد بن عمرو ابن حزم قتله الله والله لا يرى الجنة بعينه أبداً

﴿ عدة من قتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم ﴾

قال وذكروا انه قتل يوم الحرة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بدرى بعد ذلك ومن قريش والانصار سبعمائة ومن سائر الناس من الموالى والعرب والتابعين عشرة آلاف وكانت الوقعة فى ذى الحجة لثلاث بقين منها سنة ثلاث وستين . قالوا وكان الناس يعجبون من ذلك ان ابن الزبير لم يصلوا اليه الا بعد ستة اشهر ولم يكن مع ابن الزبير الا نفر قليل وكان بالمدينة أكثر من عشرة آلاف رجل والله ما استطاعوا ان يناهضوهم يوما الى الليل

﴿ كتاب مسلم بن عقبة الى يزيد ﴾

قال وذكروا ان مسلماً لما فرغ من قتال أهل المدينة ونهبها كتب الى يزيد ابن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من مسلم بن عقبة سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فانى أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو أما بعد تولى الله حفظ أمير المؤمنين والكفاية له فانى أخبر أمير المؤمنين أبقاه الله انى خرجت من دمشق ونحن على التعبئة التي رأى أمير المؤمنين يوم فراقنا بوادي القرى فرجع معنا مروان بن الحكم وكان لنا عوناً على عدونا وانا انتهينا الى المدينة فاذا أهلها قد خندقوا عليها الخنادق وأقاموا على انقابها الرجال بالسلاح وأدخلوا ماشيتهم وما يحتاجون لحصارهم سنة فيما يتقولون وانا اعذرنا اليهم وأخبرناهم عهد أمير المؤمنين وما بذل لهم فأبوا ففرقت اصحابى على افواه الخنادق فوليت الحصين بن نمير ناحية ذناب وما والاها عليها الموالى ووجهت حبيش بن دجله الى ناحية بنى سلمة ووجهت عبد الله بن مسعدة الى ناحية بقيع الغرقد وكنت ومن معى من قواد أمير المؤمنين ورجاله فى وجوه بنى حارثة فادخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار من ناحية عبد الاشهل بطريق فتحه لنا رجل منهم لما دعاه اليه مروان بن الحكم الى صنيع أمير المؤمنين وقد تضمن له عنه من قرب المكان وجزيل العطاء وايجاب الحق وقضاء الذمام وقد بعثت به الى أمير المؤمنين وارجو من الله عز وجل ان يلهم خليفته وعبده عرفان ما أولى من الصنع وأسدى من الفضل وكان اكرم الله امير المؤمنين من محمود مقام مروان بن الحكم وجميل مشهده وشديد بأسه وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين مالا اخال ذلك ضائعاً عند امام المسلمين وخليفة رب العالمين ان شاء الله . وسلم الله رجال أمير المؤمنين فلم يصب احدمنهم بمكروه ولم يقم لهم عدوهم ساعة من ساعات نهارهم فما صليت الظهر اصلح الله أمير المؤمنين الا فى مسجدهم بعد القتل الزريع والانتهاب العظيم واوقعنا بهم السيوف وقتلنا من اشرف لنا منهم واتبعنا مدبرهم واجهزنا على جريحهم وانتهبناها ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين أعز الله نصره وجعلت دور بنى الشهيد المظلوم عثمان بن عفان فى حرز وأمان فالحمد لله الذى شفا صدرى من قتل اهل الخلاف القديم والنفاق العظيم فطالما عتوا وقديماً ما طغوا وكتب الى أمير المؤمنين وأنا فى منزل سعيد

ابن العاص مدنفا مريضاً ماأراني الالمابي فما كنت ابالي متي مت بعد يومي هذا وكتب لهلال المحرم سنة ثلاث وستين. فلما جاء الكتاب أرسل الى عبدالله ابن جعفر والى ابنه معاوية بن يزيد فأقرأهما الكتاب فاسترجع عبد الله بن جعفر وأكثر وبكى معاوية بن يزيد حتي كادت نفسه ان تخرج وطال بكاؤه فقال يزيد لعبدالله بن جعفر الم أجبك الى ماطلبت واسعفتك فيما سالت فبذلت لهم العطاء واجزلت لهم الاحسان واعطيت العهود والمواثيق على ذلك. فقال عبد الله بن جعفر فمن هنالك استرجعت وتأسفت عليهم اذ اختاروا البلاء على العافية والفاقة على النعمة ورضوا بالحرمان دون العطاء ثم قال يزيد لابنه معاوية: فما بكاؤك انت يابني قال أبكي على قتل من قتل بهم وانا قتلنا بهم انفسنا فقال يزيد هو ذاك قتلت بهم نفسي وشفيتها. قال وسأل مسلم بن عقبة قبل ان يرتحل عن المدينة عن على بن الحسين احاضر هو فقيل له نعم فأتاه على بن الحسين ومعه ابناه فرحب بهما وسهل وقرب وقال ان أمير المؤمنين اوصاني بك فقال على بن الحسين وصل الله أمير المؤمنين وأحسن جزاءه ثم انصرف عنه. ولم يكن احد نصب للحرب من بني هاشم ولزموا بيوتهم فسلموا الا ثلاثة منهم تعرضوا للقتال فاصيبوا

﴿ موت مسلم بن عقبة ونبشه ﴾

قال وذكروا ان مسلم بن عقبة ارتحل عن المدينة وهو يجود بنفسه يريد ابن الزبير بمكة فنزل في بعض الطريق فدعا الحصين بن نمير فقال له يابرذعة الحمار انه كان من عهد امير المؤمنين ان حدث بي حدث الموت ان اعهد اليك فاسمع فاني بك عالم لاتمكن قريشا من اذنك اذا قدمت مكة فانما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف. ثم مات فدفن في ثنية المشلل فلما تفرق القوم عنه اتته ام ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة وكانت من وراء العسكر تترقب موته فنبشت عنه فلما انتهت الى لحده وجدت اسود من الاساود منطويا في رقبته فاتحا فاه فتهيبته ثم لم تزل به حتي تنحى لها عنه فصلبته على المشلل. قال الضحاك: فحدثني من رآه يرمى كما يرمى قبر ابي رغال

﴿ فضائل قتلى اهل الحرة رحمهم الله ﴾

قال وذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في سفر من اسفاره فلما مر بحرة بني زهرة وقف فاسترجع فقالوا ماهو يارسول الله قال: يقتل في هذه

الحرة خيار امتى بعد اصحابى . قال وذكروا ان عبدالله بن سلام وقف بالحرة زمان معاوية بن ابى سفيان فقال اجد فى كتاب يهود الذى لم يبدل ولا يغير انه يكون ههنا مقتلة قوم يحشرون يوم القيامة واضعى سيوفهم على رقابهم حتي يأتوا الرحمن تبارك وتعالى فيقفون بين يديه فيقولون قتلنا فيك . قال وذكروا عن داود بن الحصين قال عندنا قبور قوم من قتلى الحرة فقل ماحركت الا فاح منها ريح المسك . وقال بعضهم عن عبدالله بن ابى سفيان عن ابيه قال رأيت عبدالله بن حنظلة فى منامى باحسن صورة معه لواؤه فقلت يااباعبد الرحمن أقتلت قال بلى فلقيت ربى فادخلنى الجنة فانا اسرح فى ثمارها حيث شئت قلت فاصحابك فما صنع بهم قال هم معى وحول لوائى هذا الذى ترى لم يحل عقده بعد . وقال الاعرج كان الناس لا يلبسون المصبوغ من الثياب قبل الحرة فلما قتل الناس بالحرة استحبوا ان يلبسوها وقد مكث النوح فى الدور على اهل الحرة سنة لا يهدؤن . وقال عبدالله بن ابى بكر كان اهل المدينة اعز الناس واهيبهم حتي كانت الحرة فاجترأ الناس عليهم فهانوا . قال الزهرى بلغ القتلى يوم الحرة من قريش والانصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبعمائة وسائر الناس عشرة آلاف من اخلاط الناس والموالى والعبيد وأصيب نساء وصبيان وكان . قدوم أهل الشام المدينة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين فانهبوها ثلاثا حتى رأوا هلال المحرم ثم امسكوا بعد ان لم يبقوا احداً به رمق . وقتل بها من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بعد ذلك بدرى . وقالوا قال عيسى بن طلحة : قلت لعبد الله بن مطيع كيف نجوت يوم الحرة ؟ قال: رأيت ما رأيت من غلبة أهل الشام وصنع بنى حارثة الذى صنعوا من ادخالهم علينا اهل الشام فذكرت قول الحارث بن هشام يوم بدر وعلمت انى لا يضر عدوى مشهدى ولا ينفع وليي فتواريت ثم لحقت بابن الزبير وكنت اعجب كل العجب ان ابن الزبير لم يصلوا اليه ستة اشهر ولم يكن معه الا نفر يسير قوم من قريش من الخوارج وكان معنا يوم الحرة الفارجل كلهم ذو وحفاظ فما استطعنا ان نحبسهم يوما الى آخر الليل .

(تم الجزء الاول من كتاب الامامة والسياسة ويليه الجزء الثانى)

كتاب



تأليف

(الامام الفقيه ابى محمد عبد الله بن مسلم)
(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ ه رحمه الله)

﴿ الجزء الثاني ﴾

طبعت على نفقة
منصور عبد المتعال
(صاحب المكتبه المصريه بشارع محمد على)
(وسوق عكاظ بشارع الحلوجى بجهة الازهر)

﴿ طبع بمطبعة الأمه بدرب شغلان جهة الدرب الاحمر بمصر سنة ١٣٢٨ ه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ ذكر اختلاف الرواة فى وقعة الحرة وخبر يزيد ﴾

قال وذكروا انه لما بويع يزيد بن معاوية خرج الحسين حتى قدم المدينة فأقام هو وابن الزبير . قال وقدم عمرو بن سعيد بن العاص فى رمضان أميراً على المدينة وعلى الموسم وعزل الوليد بن عقبة فلما استوى على المنبر رعف فقال اعرابى مستقبله مه جاءنا والله بالدم فتلقاه بعمامته فقال مه عم والله الناس . ثم قام يخطب فناوله عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله الناس ثم خرج الى مكة فقدمها يوم التروية فصلى الحسين ثم خرج . فلما انصرف عمر بلغه ان الحسين خرج فقال : اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه . قال فكان الناس يعجبون من قوله هذا قال فطلبوه فلم يدركوه فارسل عبدالله بن جعفر ابنيه عوناً ومحمداً ليرد الحسين فابى ان يرجع وخرج الحسين بابنى عبدالله بن جعفر معه ورجع عمر بن سعيد بن العاص الى المدينة فارسل الى ابن الزبير فابى ان يأتيه وامتنع برجال معه من قريش وغيرهم قال فبعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة يقاتلون ابن الزبير قال فضرب على أهل الديوان البعث الى مكة وهم كارهون للخروج فقال لهم اما ان تأتوا ببدل واما ان تخرجوا . قال فجاء الحارث بن مالك بن البرصاء برجل استأجره بخمسمائة درهم الى عمرو بن سعيد فقال قد جئت برجل بدلى فقال الحارث للرجل الذى استأجره هل لك ان ازيدك خمسمائة أخرى وتنكح أمك فقال له أما تستحى فقال انما حرمت عليك أمك فى مكان واحد وحرمت عليك الكعبة فى كذا وكذا مكان من القرآن قال فجاء به الى عمرو بن سعيد قال قد جئتك برجل لو أمرته ان ينكح أمه لنكحها

فقال عمرو لعنك الله من شيخ قال فبعثهم الى مكة يقاتلون ابن الزبير فهزم عمرو بن الزبير و بعث يزيد بن معاوية عبدالله بن مسعدة الفزارى يخطب الناس بالمدينة فقال فى خطبته : أهل الشام جندالله الاعظم وأهل الشام خير الخلق فقال الحارث بن مالك ائذن لى اتكلم فقال اجلس لا أجلسك الله قال فتشهد الحارث وقال : لعمر الله لنحن خير من أهل الشام ما نقمت من أهل المدينة الالانهم قتلوا اباك وهو يسرق لقاح النبي صلى الله عليه وسلم أنسيت طعنة ابى قيادة أست أبيك بالرمح فخرج منه جعموص مثل هذا وأشار الى ساعده ثم جلس .

﴿ ولاية الوليد المدينة وخروج الحسين بن على ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل عمرو بن سعيد وأمر الوليد بن عقبة وخرج الحسين بن على الى مكة فمال الناس اليه وكثروا عنده واختلفوا اليه وكان عبدالله بن الزبير فيمن يأتيه . قال فأتاه كتاب أهل الكوفة فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : للحسين بن على من سليمان بن صرد والمسيب ورفاعة بن شداد وشيعته من المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة أما بعد فالحمدلله الذى قصم عدوك الجبار العنيد الذى اعتدى على هذه الامة فانتزعها حقوقها واغتصبها امورها وغلبها على فيئها وتأمر عليها على غير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها فبعداً له كما بعدت ثمود انه ليس علينا امام فاقدم علينا لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى فان النعمان بن بشير فى قصر الامارة ولسنا نجتمع معه فى جمعة ولا نخرج معه الى عيد ولو قد بلغنا مخرجك اخرجناه من الكوفة والحقناه بالشام . قال فبعث الحسين بن على مسلم بن عقيل الى الكوفة يبايعهم له وكان على الكوفة النعمان بن بشير فقال : لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بحدل قال فبلغ ذلك يزيد فاراد ان يعزله فقال لاهل الشام اشيروا على من استعمل على الكوفة فقالوا أترضى برأى معاوية قال نعم قالوا فان الصك بامرة عبدالله بن زياد على العراقين قد كتبه فى الديوان قال فاستعمله على الكوفة فقدم الكوفة قبل ان يقدم الحسين وبايع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين الفا من أهل الكوفة فنهضوا معه يريدون عبد الله بن زياد فجعلوا كلما أشرفوا على زقاق انسل منهم ناس حتى بقى مسلم فى شرذمة قليلة قال فجعل أناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت فلما راى ذلك دخل دار هانئ بن عروة

المرادي وكان له فيهم رأي فقال له هانئ بن عروة ان لي من ابن زياد مكانا وسوف أتمارض له فاذا جاء يعودني فاضرب عنقه فقيل لابن زياد ان هانئ شاك يقيء الدم قال وشرب المغرة فجعل يقيؤها قال فجاء ابن زياد يعوده وقال هانئ اذا قلت اسقوني فاخرج اليه فاضرب عنقه فابطؤا عليه فقال ويحكم اسقوني ولو كان فيه ذهاب نفسي قال فخرج عبيد الله بن زياد ولم يصنع الآخر شيئا وكان من اشجع الناس ولكنه أخذته كبوة فقيل لابن زياد والله ان في البيت رجلا متسلحاً قال فارسل ابن زياد الي هانئ فقال اني شاك لا أستطيع النهوض فقال ائتوني به وان كان شاكيا قال فأخرج له دابة فركب ومعه عصا وكان اعرج فجعل يسير قليلا ويقف ويقول مالي اذهب الى ابن زياد فمازال كذلك حتى دخل عليه فقال له عبيد الله بن زياد ياهانئ اما كانت يد زياد عندك بيضاء قال بلى قال ويدي قال بلى فقال ياهانئ قد كانت لكم عندي يد بيضاء وقد أمنتك على نفسك ومالك فتناول العصا التي كانت في يد هانئ فضرب بها وجهه حتى كسرها ثم قدمه فضرب عنقه قال وأرسل جماعة الى مسلم بن عقيل فخرج عليهم بسيفه فمازال يقاتلهم حتى اخرج وأسر . فلما اسر بعث الرجال فقال اسقوني ماء قال ومعه رجل من بني معيط ورجل من بني سليم يقال له شهر بن حوشب فقال شهر بن حوشب لا أسقيك الا من البئر فقال المعيطي والله لا نسقيه الا من الفرات قال فأمر غلاما له فأتاه بابريق من ماء وقدح قوارير ومنديل قال فسقاه فتمضمض فخرج الدم فمازال يمسح الدم ولا يسيغ شيئاً حتى قال اخروه عني . قال فلما أصبح دعا به عبيد الله بن زياد وهو قصير فقدمه لنضرب عنقه فقال دعني حتي اوصي فنظر في وجوه الناس فقال لعمرو بن سعيد ما أرى ها هنا من قريش غيرك فادن مني حتى أكلمك فدنا منه فقال له هل لك ان تكون سيد قريش ما كانت قريش ان الحسين ومن معه وهم تسعون بين رجل وامرأة في الطريق فارددهم واكتب اليهم بما أصابني . قال فضرب عنقه والقاه فقال عمرو هو اعظم من ذلك فاي شيء هو قال اخبرني ان الحسين ومن معه قد اقبل وهم تسعون انسانا بين رجل وامرأة فقالوا أما والله اذ دللت عليه لا يقاتلهم أحد غيرك

﴿ قتال عمرو بن سعيد الحسين وقتله ﴾

قال وذكروا ان عبيد الله بن زياد بعث جيشا عليهم عمرو بن سعيد وقد جاء

الحسين الخبر فهم ان يرجع ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له اترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به فقال لبعض أصحابه والله مالى عن هؤلاء من صبر قال فلقيه الحسين على خيولهم بوادى السباع فلقوهم وليس معهم ماء فقالوا يا ابن بنت رسول الله اسقنا فاخرج لكل فارس صحفة من ماء فسقاهم بقدر ما يمسك برمقهم قالوا يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زالوا يرجونه واخذوا به على الجرف حتي نزلوا بكربلاء فقال الحسين اى أرض هذه قالوا كربلاء قال : هذا كرب و بلاء قال فنزلوا و بينهم و بين الماء ربوة فاراد الحسين وأصحابه الماء فحالوا بينهم و بينه فقال له شهر بن حوشب لا تشربوا منه حتى تشربوا من الحميم فقال عباس بن على يا أبا عبد الله نحن على الحق فنقاتل قال نعم فركب فرسه وحمل بعض أصحابه على الخيول ثم حمل عليهم فكشفهم عن الماء حتى شربوا واسقوا ثم بعث عبيد الله بن زياد عمرو بن سعيد يقاتلهم . قال الحسين يا عمرو اختر مني ثلاث خصال اما ان تتركني ارجع كما جئت فان ابيت هذه فاخرى سيرني الى الترك اقاتلهم حتى أموت او تسيرني الى يزيد فأضع يدى فى يده فيحكم فى بما يريد . فأرسل الى ابن زياد بذلك فهم ان يسيره الى يزيد فقال له شهر بن حوشب قد امكنك الله من عدولك وتسيره الى يزيد والله لئن سار الى يزيد لا رأى مكروها وليكونن من يزيد بالمكان الذى لا تناله انت منه ولا غيرك من اهل الارض لا تسيره ولا تبلعه ريقه حتي ينزل على حكمك فارسل اليه لا الا ان تنزل على حكمى فقال الحسين انزل على حكم من رأيته لا والله لا أفعل الموت دون ذلك وأحلى . قال وأبطأ عمرو بن سعيد عن قتاله فارسل عبيد الله بن زياد الى شهر بن حوشب ان تقدم عمرو يقاتل والا فاقتله وكن انت مكانه قال وكان مع عمرو بن سعيد من قريش ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون واحدة منها فتحولوا مع الحسين فقاتلوا قال فرأى رجل من أهل الكوفة عبد الله بن الحسين بن على على فرس وكان من اجمل الناس قال لاقتلن هذا الفتي فقيل له و يحك ما تصنع بقتله دعه قال فحمل عليه فضربه فقطع يده ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ثم اقتتلوا جميعا فقتل يومئذ الحسين بن على وعباس بن على وعثمان بن على وابوا بكر بن على وجعفر بن على وأمهم أم البنين بنت حرام الكلابية

وابراهيم بن علي وأمه أم ولدوعبدالله بن علي وخمسة من بني عقيل وابنان لعبدالله
ابن جعفر عون ومحمد وثلاثة من بني هاشم ونساء من نسائهم وفيهم فاطمة بنت
الحسين بن علي وفيهم محمد بن علي وابناء جعفر ومحمد بن الحسين بن علي .

﴿ قدوم من أسر من آل علي على يزيد ﴾

قال وذكروا ان ابا معشر قال : حدثني محمد بن الحسين بن علي قال
دخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر غلاما مغللين في الحديد وعلينا قميص فقال
يزيد اخلصتم انفسكم بعبيد اهل العراق وما علمت بخروج ابي عبد الله
حين خرج ولا بقتله حين قتل . قال فقال علي بن الحسين : ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك
على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب
كل مختال فخور . قال فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته وقال : وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير . ياأهل الشام ماترون في هؤلاء فقال
رجل من اهل الشام لا تتخذون من كلب سوء جرواً . فقال النعمان بن بشير ياأمير
المؤمنين اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم بهذه
الحال فقالت فاطمة بنت الحسين يايزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فبكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض وبكى أهل الشام حتى علت اصواتهم ثم قال حلوا
عنهم واذهبوا بهم الى الحمام واغسلوهم واضربوا عليهم القباب ففعلوا وأمال عليهم
المطبخ وكساهم وأخرج لهم الجوائز الكثيرة من الاموال والكسوة ثم قال لو كان
بينهم و بين عاض بظر أمه نسب ماقتلهم ارجعوا الى المدينة قال فبعث بهم .

﴿ اخراج بني أمية عن المدينة وذكر قتال أهل الحرة ﴾

قال وذكروا في قصة اخراج بني أمية عن المدينة قال بعث عثمان بن محمد أمير
المدينة الى يزيد بقميصه مشقوقا وكتب اليه : واغوثاه ان أهل المدينة أخرجوا
قومنا من المدينة قال أبو معشر فخرج يزيد بعد العتمة ومعه شمعتان شمعة عن يمينه
وشمعة عن يساره وعليه معصفرتان وقد نقش جبهته كأنما تدهن فصعد المنبر
فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد ياأهل الشام فانه كتب الى عثمان بن محمد ان
أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة والله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب

قالى من هذا الخبر . قال وكان معاوية أوصى يزيد فقال له : ان رابك من قومك ريب او تنقص عليك منهم احد فعليك باعور بنى مرة فاستشره يعنى مسلم بن عقبة فلما كانت تلك الليلة قال يزيد أين مسلم بن عقبة فقام فقال ها انا ذا قال عبّ ثلاثين الفا من الخيل قال وكان معقل بن سنان الاشجعى نازلا على مسلم بن عقبة فقال له مسلم بن عقبة ان أمير المؤمنين امرنى ان اتوجه الى المدينة فى ثلاثين الفا فقال له استعفه قال لا قال : فاركب فيلا او فيلة وتكون أبا يكسوم فرض مسلم قبل خروجه من الشام فادنف فدخل عليه يزيد بن معاوية يعوده قال له قد كنت وجهتك لهذا البعث وكان أمير المؤمنين معاوية قد أوصانى بك وأراك مدنفا ليس فيك سفر . فقال : يا أمير المؤمنين أنشدك الله ان لا تحرمنى أجراً ساقه الله الى انما أنا امرؤ وليس بى بأس قال فلم يطق من الرجعان يركب بعيرا ولا دابة فوضع على سرير وحمله الرجال على أعناقهم حتى جازوا مكانا يقال له البتراء فارادوا النزول به فقال لهم ما اسم هذا المكان فقيل له البتراء فقال لا تنزلوا به ثم سار حتى حاجزة فنزل به فارسل الى اهل المدينة ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم انتم الاصل والعشيرة والاهل فاتقوا الله واسمعوا واطيعوا فان لكم عندى فى عهد الله وميثاقه عطاءين فى كل سنة عطاء فى الصيف وعطاء فى الشتاء ولكم عندى عهد الله وميثاقه ان اجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا والحنطة يومئذ سبع اصع بدرهم واما العطاء الذى ذهب به عنكم عمرو بن سعيد فعلى ان اخرجه لكم وكان عمرو بن سعيد قد اخذ اعطياتهم فاشترى بها عبيداً لنفسه فقالوا لمسلم نخلعه كما نخلع عمائمنا يعنون يزيد وكما نخلع نعالنا قال فقاتلوهم فهزم الناس اهل المدينة . قال ابو معشر حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال قتل بضعة وسبعون رجلا من قريش و بضعة وسبعون رجلا من الانصار وقتل من الناس نحواً من اربعة آلاف وقتل ابنان لعبدالله بن جعفر وقتل اربعة او خمسة من ولد زيد بن ثابت لصلبه فقال مسلم بن عقبة لاهل الشام كفوا ايديكم فخرج محمد بن سعد بن ابى وقاص يريد القتال فقاتلهم فقال مسلم بن عقبة انهبها ثلاثا قال فقتل الناس وفضحت النساء ونهبت الاموال فلما فرغ مسلم بن عقبة من القتال انتقل من منزله ذلك الى قصر بنى عامر بدومة فدعا أهل المدينة من بقى منهم للبيعة قال فجاء عمرو بن عثمان بن عفان

يزيدبن عبدالله بن زمعة وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمرو قال لام سلمة أرسلي معي ابن بنتك فجاء به الى مسلم فلما تقدم يزيد قال له تبايع لعبد الله يزيد أمير المؤمنين على انكم خول له مما أفاء الله عليه باسياف المسلمين ان شاء وهب وان شاء أعتق وان شاء استرق قال يزيد لانا أقرب الى أمير المؤمنين منك قال والله لا تستقبلها أبداً فقال عمرو بن عثمان أنشدك الله فانى أخذنه من أم سلمة بعهده وميثاقه ان أرده اليها قال فركضه برجله فرماه من فوق السرير فقتل يزيد بن عبد الله . ثم أتي بمحمد بن أبي جهم مغلولا فقال له مسلم أنت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لا تروا شراً أبداً . قال : قد قلتها ولكن لا يسمع لقصير أمر . فارسل يدي وقد برئت مني الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه قال لا والله حتي أقدمك الى النار قال فضرب عنقه وجاء معقل بن سنان الاشجعي وكان جالساً في بيته فأتاه مائة رجل من قومه فقالوا له اذهب بنا الى الامير حتي نبايعه فقال لهم انى قد قلت له قولا وانا اتخوف فقالوا لا والله لا يصل اليك ابداً فلما بلغوا الباب ادخلوا معقل وحبسوا الآخرين واغلقوا الباب فلما نظر اليه مسلم بن عقبة قال انى أرى شيخاً قد تعب وعطش اسقوه من البلح الذى زودنى به أمير المؤمنين قال فخاضوا له بلحاً بعسل فشربه قال له اشربت قال نعم قال والله لا تبولها من مثانتك أبداً أنت القائل اركب فيلا أو فيلة وتكون أبا يكسوم فقال معقل أما والله لقد تخوفت ذلك منك وانما غلبتني عشيرتى قال فجعل يفرى جبة كانت عليه وقال اكره ان يلبسوها فضرب عنقه ثم سار الى مكة حتى اذا بلغ قفا المشلل أدنف فدعا الحصين بن نمير فقال له يابن بردعة الحمار والله ما خلق الله أحداً أبغض الى منك ولولا ان امير المؤمنين أمرني ان استخلفك ما استخلفتك اتسمع قال نعم قال لا تكونن الا على الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ولا تمكن قريشا من اذنك . ثم مات مسلم بن عقبة فدفن بقفا المشلل وكانت أم ولد ليزيد بن عبدالله بن زمعة على اثره فخرجت اليه فنبشته من قبره ثم احرقت عليه النار واخذت اكفانه وشقتها وعلقتها بالشجرة فكل من مر عليه يرميه بالحجارة وسار الحصين حتى جاء مكة فدعاهم الى الطاعة وعبدالله ابن الزبير يومئذ بمكة فلم يجبه فقاتله فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلا من اخوته ومصعب بن عبد الرحمن والمسور بن مخرمة

﴿ حرب ابن الزبير رضي الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان مسلم بن عقبة لما فرغ من قتال أهل المدينة يوم الحرة مضى الى مكة المشرفة يريد ابن الزبير حتى اذا كان بقديد حضرته الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له : أمير المؤمنين عصاني فيك فأبى الا استخلافك بعدي فلا ترسلن بينك وبين قريش رسولا تمكنه من اذنيك انما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف . وهلك مسلم بن عقبة فدفن بالمنية قال وسمع بهم عبد الله بن الزبير فأحكم مراصد مكة فجعل عليه المقاتلة وجاءه جند أهل المدينة وأقبل بن نمير حتى نزل على مكة وأرسل خيلا فأخذت أسفلها ونصب عليها العرادات والمجانيق وفرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة في كل يوم يرمونها بها فقال الناس انظروه لئلا يصيبه ما أصاب أصحاب الفيل قال عبد الله بن عمرو بن العاص وكان بمكة معتمراً قدم من الطائف لا تغني ذلك لو كان كافراً بها لعوجب دونها فاما اذا كان مؤمنا بها فسيبلى فيها فكان كما قال وحاصروهم لعشر ليال بقين من المحرم سنة اربع وستين فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهري ربيع يغدون على القتال ويروحون حتى جاءهم موت يزيد بن معاوية فارسل الحصين بن نمير الى ابن الزبير ان ائذن لنا نطوف بالبيت وننصرف عنكم فقد مات صاحبنا وقال ابن الزبير وهل تركتم من البيت الا مدرة وكانت المجانيق قد اصابت ناحية البيت فهدمته مع الحريق الذي اصابه فمنعهم ان يطوفوا بالبيت. فارتحل الحصين حتى اذا كان بعسفان تفرقوا وتبعهم الناس يأخذونهم ان كانت الراعية في غنمها لتأتي بالرجل منهم مربوطا فيبعث بهم الى المدينة واصاب منهم أهل المدينة حين مروا بهم ناسا كثيراً فحبسوا بالمدينة حتى قدم مصعب بن الزبير عليهم من عند عبد الله بن الزبير فاخرجهم الى الحرة فضرب اعناقهم وكانوا اربع مائة واكثر وانصرف ذلك الجيش الى الشام مفلولا وبايع اهل المدينة لابن الزبير بالخلافة وكان ابن عباس بمكة يومئذ فخرج الى الطائف فهلك بها سنة سبعين وهو يومئذ ابن اربع وسبعين سنة رضي الله عنه

﴿ خلافة معاوية يزيد ﴾

قال فلما مات يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية بن يزيد وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة فلبث واليا شهرين وليالي محجوبا لا يرى ثم خرج بعد

ذلك فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انى نظرت فيما صار الى امركم وقلدته من ولايتكم فوجدت ذلك لايسعنى فيما بينى و بين ربى ان اتقدم على قوم وفيهم من هو خير منى واحقهم بذلك وأقوى على ماقلدته فاختاروا منى احدى خصلتين اما ان اخرج منها واستخلف عليكم من أراه لكم رضى ومقنعا ولكم الله على لا آلوكم نصحاً فى الدين والدنيا واما أن تختاروا لانفسكم وتخرجونى منها . قال فانف الناس لذلك من قوله وابوا من ذلك وخافت بنو أمية ان تزول الخلافة منهم فقالوا ننظر فى ذلك ياأمير المؤمنين ونستخير الله فامهلنا قال لكم ذلك وعجلوا على قال فلم يلبثوا بعدها الا اياما حتى طعن فدخلوا عليه فقالوا له استخلف على الناس من تراه لهم رضى فقال لهم عند الموت تريدون ذلك لا والله لاأتزودها ماسعدت بحلاوتها فكيف اشقى بمرارتها ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحداً فقالوا لعثمان بن عنبسة تقدم فصل بالناس فأبى وقال لا أما أنا فلاحق بخالى عبدالله بن الزبير فقال له ابن زياد ان هذا ليس بزمان خالك ولا عمك فلما دفن معاوية بن يزيد وسوى عليه و بنو أمية حول قبره قال مروان أما والله يابنى أمية انه لابو ليلى ثم قال : * الملك بعد ابى ليلى لمن غلبا * ومار أمر بنى أمية واختلفوا

﴿ غلبة ابن الزبير رضى الله عنهما وظهوره ﴾

قال وذكروا ان أبامعشر قال حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا قتال ابن الزبير قال : لما نزل الحصين بمكة وغلب عليها كلها الا المسجد الحرام قال فانه لجالس مع ابن الزبير ومعه من القرشيين عبدالله بن مطيع والمختار بن أبى عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر بن الزبير ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف فى نفر من قريش قال فقال المختار بن عبيد وهبت رويحة والله انى لاجد النصر فى هذه الرويحة فاحملوا عليهم قال فحملوا عليهم حتى اخرجوهم من مكة وقتل المختار رجلا وقتل ابن مطيع رجلا قال فجاءه رجل من أهل الشام فى طرف سنان رمحه نار قال وكان بين موت يزيد بن معاوية و بين حرق الكعبة احدى عشر ليلة ثم التحمت الحرب عند باب بنى شيبة فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلان من اخوته ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف والمسور بن مخرمة وكان الحصين قد نصب المجانيق على جبل أبى قبيس وعلى قيقعان فلم يقدر أحد ان يطوف بالبيت

واسند ابن الزبير الواحامن الساج الى البيت والتى عليها القطائف والفرش فكان اذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الالواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطائف كبروا وكان طول الكعبة فى السماء ثمانية عشر ذراعا . وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا فى ناحية من المسجد فكلما جرح أحد من الصحابة ادخله ذلك الفسطاط

﴿ حريق الكعبة ﴾

قال فجاء رجل فى طرف سنان رمحه نار فاستعملها فى الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض قال ثم قتل اهل الشام اياما بعد حريق الكعبة واحترقت فى ربيع الاول سنة اربع وستين . قال فلما احترقت جلس أهل مكة فى ناحية الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام يرمونهم بالنبل قال فوقعت بين يديه نبلة قال : فى هذه خبر فأخذوها فوجدوا بها مكتوبا : مات يزيد بن معاوية يوم الخميس رابع عشر ليلة خلت من ربيع . فلما قرأ ذلك ابن الزبير قال ياأهل الشام يامحرقى بيت الله يامستحلى حرم الله على م تقاتلون وقد مات طاغيتكم يزيد بن معاوية فأتاه الحصين ابن نمير فقال له موعدك بالبطحاء الليلة ياأبا بكر فلما كان الليل خرج ابن الزبير باصحابه وخرج الحصين باصحابه الى البطحاء فتنحى كل واحد منهما عن اصحابه وانفرادا فقال الحصين ياأبا بكر قد علمت انى سيد أهل الشام لاأدفع عن ذلك وان أعنة خيلهم بيدى فاذا أهل الحجاز قد رضوا بك فابايعك الساعة على ان تهدر كل شئ اصبناه يوم الحرة وتخرج معى الى الشام فانى لاأحب ان يكون الملك فى الحجاز . قال لا والله لاأفعل لا اومن من أخاف الناس وأحرق بيته وانتهك حرمة الله فقال الحصين بلى فافعل فعلى الا يختلف عليك اثنان فأبى ابن الزبير فقال له الحصين لعنك الله ولعن من زعم انك سيد والله لا تفلح ابداً اركبوا ياأهل الشام فركبوا وانصرفوا . قال فحدثنى من شهد انصرافهم قال والله لقد كانت الوليدة لتخرج فتأخذ الفارس مايمتنع . قال أبو معشر : وذلك ان المنهزم لافؤاد له . قال فبايع أهل الشام كلهم ابن الزبير الا أهل الاردن وبايع أهل مصر ابن الزبير وغلب على أهل العراق والحجاز واليمن وغلظ أمر موعظ

شأنه واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس على أهل الشام

﴿ اختلاف أهل الشام على ابن الزبير ﴾

قال وذكروا ان ابن الزبير لما استخلف الضحاك على أهل الشام قام اناس من أهل الشام من رؤوس قريش بنى أمية واشرافهم وفيهم روح بن زنباع الجذامى فقال بعضهم ان الملك كان فينا أهل الشام أفينتقل ذلك الى أهل الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم أن أخذوا رجلا منا فينظر فى هذا الامر قالوا نعم فجاؤا الى خالد بن يزيد بن معاوية وهو غلام حدث السن فقيل له ارفع رأسك لهذا الامر فقال استخير الله وانظر فرأى القوم انه ذو ورع عن القيام فى ذلك فخرجوا فأتوا عمرو بن سعيد فقالوا له ياأبا أمية ارفع رأسك لهذا الامر فجعل يسب ويقول والله لافعلن لافعلن فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حديد علق فأتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح واذا هم يسمعون صوته بالقرآن فاستأذنوا ودخلوا عليه فقالوا له ياأبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الامر فقال استخير الله وأسأله أن يختار لامة محمد خيرها وأعدلها ما شاء الله

﴿ بيعة أهل الشام مروان بن الحكم ﴾

قال وذكروا ان روح بن زنباع قال لمروان بن الحكم ان معى أربعمائة رجل من جذام وسآمرهم ان يبتدروا فى المسجد غداً ومر ابنك عبد العزيز ان يخطب ويدعوهم اليك وأنا آمرهم ان يقولوا صدقت فيظن الناس ان أمرهم واحد قال فلما أصبح عبد العزيز خرج على الناس وهم مجتمعون فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما أحد أولى بهذا الامر من مروان بن الحكم انه لكبير قريش وشيخها وأوسطها عقلا وكمالا ودينا وفضلا والذى نفسى بيده لقد شاب شعر ذراعيه من الكبر فقال الجذاميون صدقت فقال خالد بن يزيد : أمر قضى بليل . فبايعوا مروان بن الحكم فقال عمرو بن سعيد للضحاك بن قيس أرضيت ان تكون بريداً لابن الزبير وأنت اكبر قريش وسيدها تعال نبايعك فخرج به الى مرج راهط فلما دعاه الى البيعة اقتتلوا فقتل الضحاك بن قيس فقال عمرو بن سعيد لاهل الشام ماصارت أيديكم الا مناديل من جاءكم مسح يده بها ان مروان سيد قريش واكبرهم سنا فبايعوا مروان بن الحكم وقتل

الضحاك بن قيس وهزم أصحابه وكانت قيس مع الضحاك وكان اليمن مع عمرو
ابن سعيد فمكث مروان ماشاء الله ان يمكث ثم قال له أصحابه والله ما نتخوف
الا خالد بن يزيد بن معاوية وانك ان تزوجت أمه كسرته وامه ابنة بني هاشم بن
عقبة بن ربيعة فخطبها مروان بن الحكم فتزوجها وأقام بالشام ثم أراد ان يخرج
الى مصر قال لخالد اعرني سلاحا ان كان عندك قال فاعاره سلاحا وخرج الى
مصر فقاتل اهل مصر وسبا ناسا كثيرا فافتدوا معه ثم قدم الشام

﴿ موت مروان بن الحكم ﴾

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما قدم الشام من مصر قال له خالد بن
يزيد بن معاوية اردد الى سلاحي فابى عليه مروان فألح عليه وكان مروان
فاحشا سبابا فقال له يا ابن الرطبة يا أهل الشام أن أم هذا رطبة يا ابن الرطبة قال
فجاء ابنها امها قال هذا ماصنعت بي سبني مروان على رؤس أهل الشام وقال
هذا ابن الرطبة . قال وكان مروان استخلف حين خرج الى مصر ابنه عبد
الملك وعبد العزيز انهما يكونا بعده وبايع لهما أهل الشام فلبث مروان بعد
ذلك ليالى بعد ماقال لخالد بن يزيد ماقال ثم جاء الى أم خالد فرقد عندها
فأمرت جوار بها فطوين عليه الشواذك ثم غطته حتى قتلته ثم خرجن يصحن
ويشققن جيوبهن يا أمير المؤمنين قال فقام عبد الملك فبايع لنفسه ووعد عمرو
ابن سعيد ان يستخلفه فبايعه وأقاموا بالشام

﴿ بيعة عبد الملك بن مروان وولايته ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان بايع لنفسه ووعد الناس خيراً ودعاهم
الى احياء الكتاب والسنة واقامة العدل والحق وكان معروفاً بالصدق مشهوراً
بالفضل والعلم لا يختلف فى دينه ولا ينازع فى ورعه فقبلوا ذلك منه ولم يختلف
عليه من قريش أحد ولا من أهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد
الاشدق فوعده عبد الملك ان يستخلفه بعده فبايعه على ذلك وشرط عليه ان
لا يقطع شيئاً دونه ولا ينفذ أمراً الا بحضره فاعطاه ذلك ثم ان عبد الملك بعث
حبيش بن دجلة الى المدينة فى سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس على المنبر
الشريف فدعى بخبز ولحم فأكل على المنبر ثم أوتى بماء فتوضأ على المنبر قال أبو

معشر فحدثني رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلمة قال شهدت حبيش بن دجلة يومئذ وقد ارسل الى جابر بن عبدالله الانصاري فدعاه فقال تابع لعبدالملك أمير المؤمنين بالخلافة عليك بذلك عهدالله وميثاقه وأعظم ماأخذالله على أحدمن خلقه بالوفاء فان خالفت فأهرق الله دمك على الضلالة فقال له جابر بن عبد الله انك أطوق على ذلك مني ولكني أبايعك على مابايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على السمع والطاعة قال ثم ارسل الى عبدالله بن عمر فقال له تبايع لعبدالله عبدالملك أمير المؤمنين على السمع والطاعة فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له ان شاءالله ثم خرج ابن دجلة من يومه ذلك نحو الربذة وقام في أثره رجلان أحدهما على أثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل واحد منهما يصعد المنبر و يخطب ثم خرجا جميعاً الى الربذة وذلك في رمضان سنة خمس وستين فاجتمعوا بها واميرهم ابن دجلة وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدي بالمدينة ان اسر الى حبيش بن دجلة واصحابه في ناس فصار حتى لقيهم بالربذة في شهر رمضان و بعث الحارث بن عبدالله بن ابى ربيعة من البصرة معدا الى ابن الزبير حنيف بن السجف في تسعمائة رجل فساروا حتى انتهوا الى الربذة فبات اهل البصرة يقرأون القرآن و يصلون ليلتهم حتى أصبحوا و بات الآخرون في المعازف والخمور فلما اصبحوا قال لهم حبيش بن دجلة اهريقوا ماءكم حتى تشربوا من سويقكم المعتد فاهرقوا الماء وغدوا الى القتال فقتل حبيش ومن معه من أهل الشام وتحصن من اهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربذة وهو الجبل الذي بها . قال وكان يوسف ابو الحجاج مع ابن دجلة قال واحاط بهم عباس بن سهل فقال انزلوا على حكمي فنزلوا على حكمه فضرب اعناقهم

﴿ غلبة ابن الزبير على العراقين و بيعتهم ﴾

قال وذكروا ان عباس بن سهل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع المدينة فجدد البيعة لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتثبطوا وقدم أهل البصرة على ابن الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبد الله بن الزبير استعمل الحارث بن عبدالله أبي ربيعة على البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتى يجعلونها كأنها أصفار فقال لهم هلم بسبعة مثاقيل فأتوه بسبعة مثاقيل فقال هذه

بعشرة فزنوا كيف شئتم ، قال وأتوا بالمكيال الذى يكيلون به فقال هذا قريب صالح ثم قيل له ان أهل البصرة لا يصلحهم الا القتل . فقال : لان تفسد البصرة أحب الى من ان يفسد الحرث والنسل قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبدالله ابن الزبير الى البصرة عاملا فاستحقره أهل البصرة فبعث معصب ابن الزبير فقدم عليهم فقال : أهل البصرة لا يقدم عليكم أحد الا لقبتموه وأنا القب لكم نفسى انا القصاب ثم صار الى المختار فقتله

﴿ بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها ﴾

قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك قالوا كان ابن زياد اول من ضم اليه الكوفة والبصرة وكان ابوه زياد كذلك قبله فلم يزل عبيد الله يتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمد الى عامتهم وكان بعضهم له على مايحب . قال فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واستعمد سلطان ابن الزبير وغلظ شأنه وعظم أمره وخلع أهل البصرة طاعة بنى أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيدالله بن زياد الى المسجد فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال : ايها الناس ان الذى كنا نقاتل على طاعته قد مات واختلف أمر الناس وتشتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان أمرتمونى عليكم حبت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وأنصفت مظلومكم وأخذت على يد ظالمكم حتى يجتمع الناس على خليفة . فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكرى وقال الحمد لله الذى أراحنا من بنى أمية وأخرى من ابن سيمة لا والله ولا كرامة فأمر به عبيد الله فلبب ثم انطلق به الى السجن فقامت بكر بن وائل فحالت بينه و بين ذلك ثم خرج الثانية عبيدالله بن زياد الى المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه وقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس فى المسجد فقال نؤمر رجلا حتى تجتمع الناس على خليفة فاجتمع رأيهم على ان يؤمروا عمرو بن سعد بن أبى وقاص وكان الذين قاموا بأمره هذا الحى الذى من كندة فبينماهم على ذلك اذ أقبل النساء يبكين و ينعين الحسين واقبلت همدان حتى ملؤا المسجد فأطافوا بالمنبر متقلدين بالسيوف واجمع رأى أهل البصرة والكوفة على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف فأمروه عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا الى عبدالله بن الزبير يبايعونه

بالخلافة فأقر عبد الله بن الزبير عاملا عليهم نحواً من سنة واستعمل العمال فى الامصار فبلغ اهل البصرة ماصنع اهل الكوفة فاجتمعوا واخرجوا الرايات فلم يبق احدالاخرج وذلك لسوء آثار عبيدالله بن زيادفيهم يطلبون قتله . ثم قام ابن ابى ذؤيب فقال : ياهؤلاء من ينصر الله بنصر الكعبة من يغار على ان سمية سارعوا ايها الناس الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض واجتنبوا هذه الدعوة واقيموا اودهذه البيعة فانها بيعة هدى فانه من قدعلمتم عبدالله بن الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وابن اسماء بنت ابى بكر الصديق اما والله لو ان ابا بكر علم انه بقى على الارض من هو خير منه واولى بهذه البيعة مامديده ولا نازعته اليها نفسه اما والله لقد علمتم ما احد على وجه الارض خير ولا احق بها الا هذا الشيخ عبد الله بن عمر المتبرئ من الدنيا المعتزل عن الناس الكاره لهذا الامر ثم خرجت الخوارج من سجون عبيد الله ابن زياد واجتمعوا على حدة والقبائل كل قبيلة فى المسجد معتزلة على حدة وعبيد الله بن زياد فى القصر وقد اخذ بابوابه وقد تمنع ان يدخل القصر احد وقد أخذت العرب بافواه السكك والدروب وكان عبيدالله أول من جفا العرب وأخذ منهم المحاربة اثنى عشر الفا ليعتز بهم فوالله مازادوه الا ذلا فلما رأى ذلك عبيدالله ابن زياد لم يدر كيف يصنع وخاف تميما وبكر بن وائل ان يستجير بهم ولم يامن غدرهم فارسل الى الحارث بن قيس الجهمى من الازد فدخل عليه الحارث قال ياحارث قد اكرمتم زياداً وحفظتم منه ما كنتم أهله وقد استجرت بكم فانشدكم الله فى قال الحارث أخاف ان لاتقدر على الخروج الينا لما ارى من سوء رأى العامة فيك مع سوء آثارك فى الازد قال فهيا عبيد الله ولبس لبس امرأة فى خمرتها وعقيصتها فاردفه الحارث خلفه فخرج به على الناس فقالوا ياحارث ماهذه قال تنحوا رحمكم الله هذه امرأة من أهلى كانت زائرة لاهل ابن زياد أتيت اذهب بها فقال عبيد الله للحارث اين نحن قال فى بنى سليم فقال سلمنا الله قال ثم سار قليلا ثم قال اين نحن قال فى بنى ناجية من الازد قال نجونا ان شاء الله قال فأتى به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الازد فقال ياأبا قيس قد جئتك بعبيد الله مستجيراً قال ولم جئتنى بالعبد قال انشدتك الله فقد

اختارك على غيرك فلما رآهم عبيدالله يتراضون و يتناشدون قال قد بلغني الجهد والجوع فقال مسعود ياغلام ائت البقال فأتنا من خبزه وتمره قال فجاءبه الغلام فوضع قال فا كل وانما اراد بن زياد ان يتحرم بطعامه ثم قال أدخل فدخل ومنارات الناس يومئذ من القصب وكان منزل مسعود يومئذ قاصية قال فكان عبيدالله خاف فقال ياغلام اصعد الى السطح بحزمة من قصب فاشعل اعلاه ناراً ففعل ذلك في جوف الليل فاقبلت الازد على الخيل وعلى أرجلها حتى شحنوا السكك وملؤها فقالوا ما لسيدنا قال شيء حدث في الدار قال فعرف عبيدالله عزته ورفعته وماهو عليه قال هذا والله العز والشرف فاقام عنده اياما وعنده امرأتان امرأة من الازد وامرأة من عبد قيس فكانت العبدية تقول اخرجوا العبد وكانت الازدية تقول استجار بك على بغضه اياك وجفوته لك وتحدث الناس انه لجأ الى مسعود بن عمرو فاجتمعت القبائل في المسجد والخوارج وهم في اربعة آلاف فقال بن مسعود ما أظنني الا خارجا الى البصرة معتذراً اليهم من أمر عبيدالله ثم قال وكيف آمن عليه وهو في منزلي ولكني أبلغه مأمنه ثم اعتذر اليهم قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن زياد أربعين ليلة . قال فاقبل مسعود يوما على برذون له وحوله عدة من الازد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير أحمر قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بسير أحمر قال قد سألت عن ذلك قبلك شيخ من الازد كان ضخم الهامة وكانت له ضفيرتان فعصب لذلك بالسير . قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمرو بن هرم وكان معنا بواسط فقال : حدثك من لا يعرف ، هذا شيء كانت العرب تصنعه اذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا انه معتذر . قال فاقبل مسعود حتى انتهى الى باب المسجد ومعه أصحابه رجالة بين يديه وخلفه وكان كبيراً فلم يستطع النزول والقبائل في المسجد باجمعها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا انه عبيدالله فأقبلوا نحوه متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه باسيافهم حتى مات . قتله نفر من بني حنيفة من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم و بلغ ذلك الازد فاقبلوا على كل صعب و ذلول وأقبل عباد بن الحصين لينظر الى عبيدالله فاذا هو بمسعود فقال : مسعود ورب الكعبة انا لله وانا اليه راجعون ابا قيس قد وفيت ما كان اغنى أهل مصرك بما صنعت من ذلك فجعتهم بنفسك ثم التى

عليه كساءه ثم اقبلت الازد فكان بينهما و بين مضر ماوقع ذكره فى غير هذا الكتاب حتى اصطلحوا وتراضوا على بيعة ابن الزبير قال الهيثم قال ابن عباس حدثني عوكل اليشكرى قال : انامع عبيدالله ابن زياد فى ليلة مظلمة فاذا نحن بنار من بعد فقال عبيدالله ياعوكل كيف الطريف قال اجعل النار على حاجبك فقال بل على حاجبك . قال عوكل : فوالله انا لنسير بالسمارة اذ قال عبيدالله قد كرهت البعير فابغوا لى ذا حافر قال فاذا نحن باعرابى من كاب معه حمار أقمر ضخم فقلت تبيعه بكم فقال بار بعمائة درهم لا اقصكم درهما فاشار الينا عبيدالله ان خذوه قال فجعلنا ننقده الدراهم قال لست أدري ماهذه ولكن بيني و بينكم هذا المولى يعني عبيدالله بن زياد وكان عبيدالله أحمر أقمر شبيها بالموالى قال فأخذناه منه فقال عبيد الله ارحلوا لى عليه فرحلنا له عليه فلما قدم ليركب قال الاعرابى أنا أقسم بالله ان لكم شأناً وما أظن صاحبكم الا والى العراق فاستقفاه عبيدالله بالعصا فضربه بها فوقع ثم شدوه وثاقا قال وجعلوا يتجنبون المياه . قال عوكل ثم ان عبيدالله بينا هو على راحلته اذ هجعت عينه فقلت له اراك نائما فقال ما كنت بنائم فقلت له ما أعلمني عما كنت تحدث به نفسك قال و باى شئ كنت احدث به نفسى قال قلت : ليتنى لم أبن البيضاء ولم استعمل الدهاقين وليتني لم اتخذ المحاربة . قال ماخطر لى هذا على بال اماقولك ليتنى لم أبن البيضاء فما كان على منها ثم بناها اليزيد من ماله واما استعمال الدهاقين فقد استعملهم ابى ومن كان قبله واما المحاربة فوالله ما اتخذتهم الا وقاية لانى كنت أقتل بهم أهل المعصية فلو أمرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم فجعلت ذلك بيني و بينهم من لا ألى بينه و بينهم ولكنى كنت احدث نفسى انى ندمت على تركى اربعة آلاف فى السجن من الخوارج فوددت انى كنت أضرمت البيضاء عليهم حتى أتى على آخرهم ووددت انى جمعت آل بيتى وموالى ونابذت أهل المصر على سواء حتى يموت الا عجل ووددت انى قدمت الشام ولم يبايع اهلها بعد .

﴿ قتل المختار عمرو بن سعد ﴾

قال وذكروا ان المختار بن أبى عبيد كتب الى عبدالله بن الزبير من الكوفة وقال لرسوله : اذا جئت مكة فدفعت كتابى الى عبدالله بن الزبير فأت المهدى

محمدبن علي وهو ابن الحنفية فاقرىء عليه مني السلام وقل له يقول لك اخوك أبو اسحاق اني أحبك وأحب أهل بيتك قال فأما الرسول فقال له ذلك فقال كذبت وكذب أبو اسحاق معك كيف يحبني ويحب أهل بيتي وهو يجالس عمرو بن سعد بن أبي وقاص على وسادة وقد قتل الحسين بن علي اخي . قال فلما قدم عليه رسوله اخبره بما قال محمد بن علي ، فقال المختار لابن عمرة صاحب حرسه استأجر لي نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعد بن أبي وقاص قال ففعل فلما جئن يبكين الحسين قال عمرو لابنه حفص يابني قل له ماشأن النوائح يبكين الحسين . قال فأتاه فقال له ذلك فقال له هل لك ان تبكي عليه فقال اصلحك الله انههن عن ذلك قال نعم . ثم دعا أباعمرة فقال اذهب الى عمرو بن سعد فأتني برأسه قال فاتاه فقال قم الى اباحفص فقام اليه وهو ملتحف نجلله بالسيف ثم جاء برأسه الى المختار وحفص جالس عنده على الكرسي . فقال هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله عليه قال اتحب ان ألحقك به قال وما خير الحياة بعده . قال فضرب رأسه فقتله قال ثم ارسل عبدالله بن الزبير يزيد بن زياد على العراق فكان بالكوفة حتى مات يزيد وأحرقت الكعبة ورجع الحسين هاربا الى الشام . قال ثم ارسل عبدالله بن مطيع الى الكوفة ثم بعث المختار بن أبي عبيد على الكوفة وعزل عبدالله بن مطيع وسيره الى المدينه وسار عبيد الله بن زياد بعد ذلك الى المختار . وجهه عبد الملك بن مروان اميراً على العراق وندب معه جيشاً عظيماً من اهل الشام فاقبل الى الكوفة يريد المختار فالتقو بجازر فاقتتلوا فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه وكان معه الحصين بن نمير وذ الكلاع وغلبة من كان معه ممن شهد وقعة الحرة من رؤوسهم

﴿ قتل معصب بن الزبير المختار بن أبي عبيدالله ﴾

قال وذكروا ان أبامعشر قال لما قتل عبيدالله بن زياد ومن معه ارتضى أهل البصرة عبدالله بن الحارث بن نوفل فأمروه على انفسهم ثم اتى عبدالله بن الزبير وام عبدالله بن الحارث هند بنت ابي سفيان وكانت امه تنبذه وهو صغير ببيه فلقب ببيه ثم بعث عبدالله بن الزبير الحارث بن عبيد الله بن ابي ربيعة عاملا على البصره ثم بعث حمزة بن الزبير بعده ثم بعث معصب بن الزبير اخاه وضم اليه العراقين

جميعا الكوفة والبصرة فلما ضم اليه الكوفة وعزل المختار عبدالله بن الزبير بالكوفة ودعا الى آل الرسول واراد ان يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله الى اخيه مصعب ان سر الى المختار بمن معك ثم لا تبلعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الاعجل منكما فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة ايام حتي هزمه وقتله و بعث مصعب برأس المختار الى اخيه وقتل مصعب اصحاب المختار . فقتل منهم ثمانية آلاف صبراً ثم قدم حاجا فى سنة احدى وسبعين فقدم عبد الله بن الزبير ومعه رؤساء اهل العرق ووجوههم واشرافهم فقال . ياأمير المؤمنين قد جئتك برؤساء اهل العراق واشرافهم كل مطاع فى قومه وهم الذين سارعوا الى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ونابذوا اهل معصيتك وسعوا فى قطع عدوك فاعطهم من هذا المال . فقال له عبدالله بن الزبير : جئتني بعبيد اهل العراق وتامرني ان اعطيهم مال الله لا أفعل ، وايم الله لوددت انى اصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام . فقال رجل منهم علقناك وعلقت اهل الشام ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده لا يرجون رفده ، ولا يطمعون فيما عنده فاجتمعوا واجمعوا على خلعه فكتبوا الى عبد الملك بن مروان ان أقبل الينا .

﴿ خلع بن الزبير ﴾

قال وذكروا ان أبا معشر قال لما اجمع القوم على خلع ابن الزبير وكتبوا الى عبد الملك ابن مروان أن سر الينا فلما أراد عبد الملك ان يسير اليهم وخرج من دمشق فاغلق عمرو ابن سعيد باب دمشق فقيل لعبد الملك ما تصنع أتذهب الى أهل العراق وتدع دمشق ، أهل الشام اشد عليك من اهل العراق فاقام مكانه فحاصر أهل دمشق اشهرا حتي صالح عمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم أرسل عبد الملك الى عمرو وكان بيت المال فى يد عمرو ان اخرج للحرس ارزاقهم فقال عمرو ان كان لك حرس فان لنا حرسا فقال عبد الملك أخرج لحرسك ارزاقهم ايضا

﴿ قتل عبد الملك عمرو بن سعيد ﴾

قال وذكروا ان ابا معشر قال : لما اصطلح عبد الملك وعمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده ارسل عبد الملك الى عمرو بن سعيد نصف الليل ائتنى ابا امية قال فخرج ليأتيه فقالت

له امرأته لا تذهب اليه فانى اتخوفه عليك وانى لاجد ريح دم مسفوح قال فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فتركته فأخرج معه اربعة آلاف رجل من اهل دولته لا يقدر على مثلهم متسلحين فأحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان فقالوا لعمرو واذا دخلت على عبد الملك يا ابا امية ورابك منه شيء فاسمعنا صوتك فقال لهم ان خفي عليكم صوتي ولم تسمعوه فالزوال بيني وبينكم ميعاد . ان زالت الشمس ولم اخرج اليكم فاعلموا انى مقتول او مغلوب فضعوا اسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا اسيافكم حتى تأخذوا بثارى من عدوى . قال فدخل وجعلوا يصيحون يا ابا امية اسمعنا صوتك وكان معه غلام اسمه شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس فسمع عبد الملك ان وراءه ناس فقال له عبد الملك أمكرا يا ابا امية عند الموت خذوه فأخذوه فقبل له ان امير المؤمنين قد اقسم ليجعلن فى عنقك جامعة منه ثم نثروه الى الارض نثرة فكسرت ثنيته قال فجعل عبد الملك ينظر اليه فقال عمرو لا عليك بأمير المؤمنين عظم انكسر قال عبد الملك لاخيه عبد العزيز اقتله حتى ارجع اليك قال فلما اراد عبد العزيز ضرب عنقه قال له عمرو تمسك بالرحم يا عبد العزيز انت تقتلنى من بينهم فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالساً فقال له لم لا تقتله لعنه الله ولعن اما ولدته قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته قال فأمر رجلا عنده يقال له ابن الزويدع فضرب عنقه ثم أدرجه فى بساط وادخله تحت السرير فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب الخزاعى وكان احد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك بن مروان وصاحب خاتمه ومشورته فقال له عبد الملك كيف رأيك فى عمرو بن سعيد فابصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال اضرب عنقه يا امير المؤمنين فقال له عبد الملك جزاك الله خيراً فما علمتك الا ناصحا اميناً مرافقاً قال له فما ترى فى هؤلاء الذين احدقوا بنا واحاطوا بقصرنا قال قبيصة: اطرح رأسه اليهم يا امير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها فأمر عبد الملك برأس عمرو ان تطرح اليهم من اعلى القصر فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونثرت الدراهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادى : ان امير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والامر النافذ ولكم على امير المؤمنين عهد الله وميثاقه ان يحمل راجلكم ويكسوا عاريكم ويغنى فقيركم ويبلغكم الى اكمل مايكون من العطاء والرزق ويبلغكم الى المائتين فى الديوان فاعترضوا على دواوينكم

واقبلوا امره واسكنوا الى عهده يسلم لكم دينكم ودنياكم . قال فصاحوا نعم نعم سمعا وطاعة لأمير المؤمنين . قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بالشام أراد ان يخرج الى مصعب فجعل يستنفر اهل الشام فيبطؤن عليه فقال له الحجاج ابن يوسف وكان يومئذ فى حرس أبان بن مروان : ياأمير المؤمنين سلطنى عليهم فاعطاه ذلك فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم قال فكان لا يمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف الا احرق عليه بيته فلما رأى ذلك اهل الشام خرجوا قال فاصابهم من ذلك غلاء فى الاسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الارز . فسار باهل الشام الى العراق ومعه الحجاج بن يوسف

﴿ مسير عبد الملك الى العراق وقتله ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما سار باهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق خرج مصعب بن الزبير باهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق. وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافين وصديقين متحابيين لا يعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الاخاء والصداقة فبعث اليه عبد الملك ان ادن منى اكلمك قال فدنى كل واحد من صاحبه وتنحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له يامصعب قد علمت ما اجرى الله بينى وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من اخائى وصحبتي والله أنا خير لك من عبد الله وانفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك منى وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ لى بيعة هذين المصريين والامر أمرك لا تعصى ولا تخالف وان شئت اتخذتك صاحبا لا تخفى ووزيراً لا تعصى . فقال له مصعب : اما ماذكرت فى من ثقتى بك ومودتى واخائى فذلك كما ذكرته ولكنه بعد قتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن اليك وهو أقرب رحما منى اليك وأولى بما عندك فقتلته غدراً ، ووالله لو قتلته فى ضرب ومحاربة لمسك عاره ولما سلمت من اثمه . وأما ماذكرت من انك خير لى من اخى فدع عنك ابا بكر واياك لا تتعرض له واتركه ما تركك وارج عاجل عاقبته، وارج الله فى السلامة من عافيته فقال له عبد الملك : لا تخوفني به فوالله انى لأعلم منه مثل ما تعلم ان فيه لثلاث خصال لا يسود بها ابداً : عجب قد ملأه واستغناء برأيه وبخل التزمه فلا يسود بها ابداً

﴿ قتل مصعب بن الزبير ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما ايس من معصب كتب الى أناس من رؤساء أهل العراق يدعوهم الى نفسه ويجعل لهم اموال الاعامة وشروطاً وعهوداً ومواثيق وعقوداً وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يجعل له وحده مثل جميع ما جعل لاصحابه على ان يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا التقوا . فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب ان عبد الملك قد كتب الى هذا الكتاب وكتب الى اصحابي وكلهم فلان وفلان بذلك فادع بهم في هذه الساعة فاضرب اعناقهم واضرب عنقي معهم فقال مصعب : ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لي ذلك من أمرهم قال ابراهيم فأخرى قال وماهي قال احبسهم في السجن حتى يتبين ذلك فأبى فقال له ابراهيم بن الاشتر عليك السلام ورحمة الله وبركاته ولا تراني والله بعد في مجلسك هذا ابداً وقد كان قال له قبل ذلك دعني ادعو اهل الكوفة بدعوة لايخلعونها ابداً وهي ما شرطه الله فقال له مصعب لا والله لا افعل لا اكون قتلتهم بالامس واستنصر بهم اليوم قال فماهو الا ان التقوا فحولوا برؤسهم ومالوا الى عبد الملك بن مروان قال فبقي مصعب في شرذمة قليلة قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان فقال اين الناس ايها الامير فقال غدركم يا اهل العراق قال فرفع عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل يقلب السيف ولا ينتزع من البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك يدعى انه قتله . فطرح رأسه وقال :

نطيع ملوك الارض ما قسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فوقع عبد الملك ساجداً فتحامل عبيد الله على ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف . فرفع عبد الملك رأسه وقال والله يا عبيد الله لولا منتك لالحقتك سريعا به . قال فبايعه الناس ودخل الكوفة فبايعه اهلها

﴿ ذكر حرب ابن الزبير وقتله ﴾

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان من اهل العراق واتاه الحجاج بن يوسف فقال . ياامير المؤمنين اني رايت في المنام كأني اسلخ عبد الله ابن الزبير . فقال له عبد الملك انت له فاخرج اليه فخرج اليه الحجاج في الف

وخمسمائة رجل من رجال اهل الشام حتى نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا حتى توافى الناس عنده قدر ما يظن انه يقدر على قتال عبدالله ابن الزبير وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فثار الحجاج من الطائف حتى نزل منى فحج بالناس وعبد الله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على ابى قبيس ونواحى مكة كلها فرمى اهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها جمع عبدالله بن الزبير القرشيين فقال لهم ماترون فقال رجل منهم من بنى مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى مانجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ماتريد على ان نموت معك انما هو احدى خصلتين أما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا ولك واما ان تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت الله ان لايبايعنى احد فأقيله بيعته الا ابن صفوان قال ابن صفوان والله انا لنقاتل معك وما وفيت لنا بما قلت ولكن تأخرى الحفيظة ان ادعن عند مثل هذه حتى أموت معك . فقال رجل آخر اكتب الى عبد الملك فقال له عبدالله وكنت اكتب اليه من عبدالله أبى بكر أمير المؤمنين فوالله لايقبل هذا منى ابداً او اكتب اليه لعبد الملك أمير المؤمنين من عبدالله بن الزبير فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء احب الى من ذلك قال عروة اخوه : ياأمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة فقال له عبدالله من هو أسوتى قال الحسن بن على بن أبى طالب خلع نفسه وبايع معاوية فرفع عبدالله رجله وضرب عروة حتى ألقاه ثم قال ياعروه قلبى اذاً مثل قلبك والله لوقبلت ماتقولون ماعشت الا قليلا وقد اخذت الدية وماضربة بسيف الا مثل ضربة بسوط لا أقبل شيئاً مما تقولون قال فلما اصبح دخل على بعض نسائه فقال اصنعى لى طعاما فصنعت له كبداً وسناما قال فأخذ منها لقمة فلاكها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقونى لبنا فأتى بلبن فشرب ثم قال صبوا على غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول :

ولا الين لغير الحق اسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل على امه اسماء بنت ابى بكر الصديق وهى عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال لها : ياأماه ماترين قد خذلنى الناس وخذلنى اهل بيتى . فقالت يابنى لايلعبن بك صبيان بنى أمية عش كريما ومت كريما فخرج واسند ظهره

الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم اهل الشام فيهزمهم وهو يقول ويل امه فتح لوكان له رجال . قال فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال ولكن ضيعتهم قال فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشي فأصاب قفاه فسقط فما درى اهل الشام انه هو حتى سمعوا جارية تبكي وتقول : وا امير المؤمنين فاحتزوا رأسه فجاؤا به الى الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمارة بن عمرو بن حزم ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين . قال ابو معشر : ثم اقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة والطائف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون . قال فلما مات بشر بن مروان وكان على الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك ان سر الى العراقين واحتل لسبهم فانه قد بلغني عنهما ما اكره . واستعمل عبد الملك على المدينة يحيى بن حكم بن ابى العاص

﴿ ولاية الحجاج على العراقين ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك كتب الى الحجاج يأمره بالمسير الى العراقين ويحتال لسبهم فتوجه ومعه الف رجل من مقاتلة اهل الشام وحماتهم واربعة آلاف من اخلاط الناس وتقدم في الف رجل وتحرى دخول البصرة يوم الجمعة في حين اوان الصلاة فلما دنى من البصرة امرهم ان يتفرقوا على ابواب المسجد على كل باب مائة رجل باسيافهم تحت اردیتهم . وعهد اليهم ان اذا سمعتم الجلبة فى داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه راسه الى الارض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه . فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الى الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد برداء ه وسيفه قد افضى به الى داخل ازاره . فقال لهم انى اذا دخلت فسأكلم القوم فى خطبتى وسيحصبونى فاذا رايتمونى قد وضعت عمامتى على ركبتى فضعوا اسيافكم واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين . فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ان امير المؤمنين عبد الملك امير استخلفه الله عز وجل فى بلاده وارتضاه اماما على عباده وقد ولانى مصركم

وقسمة فيئكم وامرنى بانصاف مظلومكم وامضاء الحكم على ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البرىء ، والعقاب الى العاصى المسىء ، وانا متبع فيكم امره ومنفذ عليكم عهده ، وارجوا بذلك من الله عز وجل المجازاة ومن خيفته المكافاة واخبركم انه قلدنى بسيفين حين توليته اياى عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة فاما سيف الرحمة فسقط منى فى الطريق واما سيف النقمة فهو هذا ، فحصبه الناس فلما اكثروا عليه خلع عمامته فوضعها على ركبته فجعلت السيوف تبرى الرقاب فلما سمع الخارجون الكائنون على الابواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع الناس الى الخروج تلقوهم بالسيوف فاردعوا الناس الى جوف المسجد ولم يتركوا خارجا يخرج فقتل منهم بضعا وسبعين الفا حتى سالت الدماء الى باب المسجد والى السكك . قال ابو معشر : لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه قال فنعس على المنبر وكان قد احيي الليل ثم تكلم بكلام فحصبوه فرفع رأسه . ثم قال : انى أرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها . فهابوه وكفوا ثم كلهم فحصبوه واكثروا فأمر بهم جندا من اهل الشام وكانوا قد احاطوا به من حوله ومن حول ابواب المسجد فلما فرغ منهم واحكم شأنه فيهم بعث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان عاملا ومعه جيش . فكتب اليه الحجاج ان يقاتل حصن كذا وكذا فكتب الى الحجاج : انى لا أرى ذلك صوابا ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب . فكتب اليه الحجاج : أنا الشاهد وانت الغائب فانظر ما كتبت به اليك فامض له والسلام

﴿ خروج ابن الاشعث على الحجاج ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لما خرج على الحجاج جمع أصحابه فيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل و بنوه عون بن عبد الله وعمرو ابن موسى بن معمر بن عثمان بن عمرة وفيهم محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال لهم ماترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من افضل اعمال البر فخلعه واظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له انا قد حبسنا انفسنا عليك فما الرأى قال الرأى ان تكفوا عما تريدون فان الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد

فعل مافعل فذكروا اشياء ولم يزالوا به حتي صار معهم وهو كاره . قال وانتهى الخبر الى الحجاج فقيل له ان عبد الرحمن قد خلعك ومن معه فقال ان معه سعيد بن جبير وانا أعلم ان سعيداً لايخرج وان ارادوا ذلك سيكفهم عنه فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتي فتنوه وصار معهم . فبعث الحجاج الغضبان الشيبانى ليأتيه بخبر عبدالرحمن بن الاشعث بن كرمان وتقدم اليه ان لايكتمه من أمره شيئاً فتوجه الغضبان الى عبدالرحمن قال له عبد الرحمن ماوراءك ياغضبان قال : شر طويل تغدى الحجاج قبل ان يتعشاك . ثم انصرف من عنده فنزل رملة كرمان وهى أرض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبيناهو كذلك اذ ورد اعرابى من بكر بن وائل على قعود فرقف عليه وقال : السلام عليك . فقال : له الغضبان : السلام كثير وهى كلمة مقولة ، قال الاعرابى من أين أقبلت قال : من الارض الذلول قال وأين تريد قال : امشى فى مناكبها وآكل من رزق الله الذى أخرج لعباده منها ، قال الاعرابى فمن عرض اليوم قال الغضبان المنقول قال فمن سبق قال حزب الله الفائزون قال الاعرابى ومن حزب الله قال هم الغالبون . فعجب الاعرابى من منطقه وحضور جوابه . ثم قال أتقرض قال الغضبان انما تقرض الفأرة قال افتنشد قال انما تنشد الضالة قال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة قال أفتنطق قال انما ينطق كتاب الله قال أفتقول قال انما يقول الامير ، قال الاعرابى تالله مارأيت مثلك قط ، قال الغضبان بلى ولكنك نسيت ، قال الاعرابى فكيف أقول قال أخذتك الغول فى العاقول وأنت قائم تبول ، قال الاعرابى اتأذن لى ان أدخل عليك قال الغضبان وراءك أوسع لك ، قال الاعرابى قد أحرقتنى الشمس قال الغضبان الآن يفىء عليك الفىء اذا غربت قال الاعرابى ان الرمضاء قد أحرقت قدمى قال الغضبان بل عليها يبردان قال الاعرابى ان الوهج شديد قال الغضبان مالى عليه سلطان قال الاعرابى انى والله ماأريد طعامك ولاشرابك قال الغضبان لاتعرض بهما فوالله لاتذوقهما قال الاعرابى وما عليك لو ذقتهما قال الغضبان نأكل ونشبع فان فضل شئ من الاكرياء والغلمان رلكلب احق به منك قال الاعرابى سبحان الله قال الغضبان نعم من قبل ان يطلع أسك فاو أضراسك الى الدنيا قال الاعرابى ماعندك الا ماأرى قال الغضبان بلى

عندي هراوتان اضرب بهما رأسك حتى تنتثر دماغك قال الاعرابي انا لله وانا اليه راجعون قال الغضبان اظلك احد قال الاعرابي ما أرى ثم قال الاعرابي يا آل حارث بن كعب فقال الغضبان بئس الشيخ ذكرت قال الاعرابي ولم ذلك قال الغضبان لان ابليس يسمى حارثاً قال الاعرابي انى لا أحسبك مجنوناً قال الغضبان اللهم اجعلني من خيار الجن قال الاعرابي انى لا ظنك حروريا قال الغضبان اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير قال الاعرابي انى لاراك منكرا قال الغضبان انى لمعروف فيما أوتى . فولى عنه وهو يقول : انك لبذخ أحمق وما انطق الله لسانك الا بما أنت لاق وعما قليل تلتف ساقك بالساق . فلما قدم الغضبان على الحجاج قال له أنت شاعر ؟ قال لست بشاعر ولكني حائر قال أفعراف انت قال بل وصاف قال كيف وجدت أرض كرمان ؟ قال الغضبان : أرض ماؤها وشل وسهلها جبل ، وثمرها دقل ولصها بطل ، وان كثر الجيش بها جاعوا وان قل بها ضاعوا . قال صدقت أعلمت من كان الاعرابي ، قال لا قال كان ملك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك اذهبوا به الى السجن فانه صاحب المقالة : تغدى الحجاج قبل ان يتعشاك وأنت ياغضبان قد أدرك خصمك على نطق لسانك فما الذى به دهاك قال الغضبان جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين اما انها لا تنفع من قيلت له ولا تضر من قيلت فيه فقال الحجاج : اجل ولكن اتراك تنجو منى بهذا والله لا قطعن يديك ورجليك ولاضربن بلسانك عينيك . قال الغضبان . أصلح الله الامير قد آذانى الحديد واوهن ساقى القيود فما يخاف من عدلك البرئ ولا يقطع من رجائك المسئ ، قال الحجاج انك لسمين قال الغضبان القيد والرتعة ومن يك ضيف الامير يسمن قال انا حاملوك على الادهم قال الغضبان مثل الامير أصلحه الله يحمل على الاهم والاشقر ، قال الحجاج . انه لحديد قال الغضبان لأن يكون حديداً خير من ان يكون بليداً قال الحجاج اذهبوا به الى السجن ، قال الغضبان « فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون » فاستمر فى السجن الى ان بنى الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا ما رأينا مثلها قط قال الحجاج . اما ان لها عيباً فما هو ؟ قالوا ما نرى بها عيباً قال سأبعث الى من يخبرنى به فبعث فاقبل بالغضبان وهو يرسف فى قيوده فلما مثل بين يديه قال له ياغضبان كيف تبقى

هذه قال أصلح الله الامير نعمت القبة حسنة مستوية قال أخبرنى بعيبها قال . بنيتها فى غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقى ولا يدوم فكأنه لم يكن ، قال الحجاج صدق ردوه الى السجن فقال الغضبان أصلح الله الامير قد أكلنى الحديد واوهن ساقى القيود وما أطيق المشى قال احملوه فلما حمل على الايدى قال . « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » قال انزلوه قال « رب انزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » قال الحجاج جروه قال الغضبان وهو يجر « بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم » قال الحجاج اضربوا به الارض فقال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ثم قال ويحكم قد غلبنى والله هذا الخبيث اطلقوه الى صفحى عنه قال الغضبان « فاصفح عنهم وقل سلام » فنجا من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه .

﴿ حرب الحجاج بن الاشعث وقتله ﴾

قال وذكروا ان الحجاج لما قدم العراق أميراً زوج ابنه محمداً ميمونة بنت محمد ابن الاشعث بن قيس الكندى رغبة فى شرفها مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها فى جميع حالاتها وأراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها الى مصافاته ليكونوا له يداً على من ناوأه ، وكان له أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندى له أبهة فى نفسه وكان جميلا بهيا منطقيا مع ما كان له من التقدم والشرف فازهاه ذلك وملأه كبراً وفخراً وتطاولا فالزمه بنفسه والحقه بأفاضل أصحابه وخاصته وأهل سره وأجرى عليه العطايا الواسعة صلة لصهره وحباً لاتمام الصنيعة اليه والى جميع أهله فأقام عبد الرحمن كذلك حيناً مع الحجاج لا يزيده الحجاج الا اكراما ولا يظهر له الا قبولا وفى نفس الحجاج من عجبه ما فيها لتشمخه زاهياً بانفه حتى انه كان يقول اذا رآه مقبلا : أما والله يا عبد الرحمن انك لتقبل على بوجه فاجر وتدبر عنى بقفاء غادر وأيم الله لتبتلين حقيقة أمرك على ذلك . فمكث بهذا القول منه دهراً حتى اذا عيل صبر الحجاج على ما يتطلع من عبد الرحمن أراد أن يبتلى حقيقة ما يتفرس فيه من الغدر والفجور وأن يبدى منه ما يكتم من غائلته فكتب اليه عهده على سجستان فلما بلغ ذلك أهل بيت عبد الرحمن فزعوا من ذلك فزعا شديداً فأتوا الحجاج فقالوا

أصلح الله الامير انا أعلم به منك فانك به غير عالم ولقد أدبته بكل أدب فأبى ان ينتهى عجبه بنفسه ونحن نتخوف أن يفتق فتقاً أو يحدث حدثاً يصيبنا فيه منك ما يسوءنا فقال الحجاج القول كما قلتم والرأى كالذى رأيتم ولقد استعملته على بصيرة فان يستقم فلنفسه نظر وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يهدى ان شاء الله فلما توجه عبد الرحمن الى عمله توجه وهو مصر لخلعان طاعة الحجاج وسار بذلك مسيره أجمع حتى نزل مدينة سجستان ثم مر على خلعانه عاما كاملا فلما أجمع عبد الرحمن على اظهار خلعان الحجاج كتب الى أيوب بن القرية التميمى وهو مع الحجاج فى عسكره خاص المنزلة منه وكان مفوها كلما يسأله أن يصدر اليه رسالة الى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرية رسالة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله وأوليائه الذين يحكمون بعدله ، و يوفون بعهده ، و يجاهدن فى سبيله و يتورعون لذكره ولا يسفكون دماً حراما ، ولا يعطلون للرب احكاما ولا يدرسون له اعلاما ولا يتنكبون النهج ولا يبرمون السيء ولا يسارعون فى الغى ، ولا يدللون الفجرة ولا يتراضون الجورة ، بل يتمكنون عند الاشتباه و يتراجعون عند الاساءة ، أما بعد فانى أحمد الله حمداً بالغاً فى رضاه منتهياً الى الحق فى الامور الحقيقية لله علينا . و بعد فان الله انهضنى لمصاولتك و بعثنى لمناضلتك حين تحرت أمورك وتهتكت ستورك فاصبحت عريان حيران مهينا لا توافق وفقاً ولا ترافق رفقاً ، ولا تلازم صدقا أؤمن من الله الذى الهمنى ذلك ان يصيرك فى حبالك وان يجىء بك فى القرن و يسحبك للذقن و ينتصف منك من لم تنصفه من نفسك و يكون هلاكك بيدى من اتهمته وعاديته . فلعمرى لقد طال ما تطاولت وتمكنت وأخطيت وخلت أن لن تبور ، وأنت فى فلك الملك تدور ، وأظن مصداق ما أقول ستخبره عن تريب فسر لامرك ولاق عصابة خلفك من حيالها خلفها نعالها وتدرعت حلالها بدرعها مطالها لا يحذرون منك جهداً ولا يرهبون منك وعيداً يتاملون خزايتك و يتجرعون امارتك عطاشا الى دمك يستطمعون لله لحمك وأيم الله لينا قنك منهم الابطال الذين بينهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شروا انفسهم تقربيا الى الله فاعص عن ذلك يابن أم الحجاج فستحمل عليك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والسلام على

أهل طاعة الله . فلما قدم الكتاب على لحجاج خرج موائلا قد أخذ بطرف ردائه والقى الطرف الآخر يجره من خلفه حتى صعد المنبر ونودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس . ثم قال :

تقاتلهم ولا نشتم عدواً * وشر عداوة المرء السباب

امرؤ وعظ نفسه بنفسه ، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده ، امرؤ وعظ بغيره فاتعظ ، قد تبين لكم ما تأتون وما تبغون العجب العجب وماهو أعجب من العير الابتر انى وجهته ومن معه من المنافقين سبعمائة وزن سبعة سواء فانطلقوا فى نحور العدو ثم اقبلوا على راياتهم لقتال أهل الاسلام من اجل عير ابتر ومن كيده ماهو أعجب العجب على حين اننا قد أمنا الخوارج وأطفأنا الفتن وتتابعت بهم فكان من شكركم ياأهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم واحسانه اليكم جرأتكم على الله وانتهاككم حرمته واغتراركم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوما ذليلا فهلا توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيش ليس منهم من امير جيش الا وهو فى جنده بمنزلة العروس التى يزف بها الى خدرها فيقتل اميرهم وهم [illegible] ينظرون اليه لا يرون له حرمة فى صحبة وذماما فى طاعة فقبحت تلك الوجوه ما هذا الذى يتخوف منكم ياأهل العراق أما هذا الذى يتقى والله لقد اكرمنا الله [illegible] واهانكم بكرامتنا فى مواطن شتى تعرفونها وتعرفون أشياء حرمكم الله [illegible] وما الله بظلام للعبيد ، ثم خذلانكم لهذه المعلوجاء المقصصة انحرافا أو لهذه المعلوجاء واخلاطها من أهل العراق ، لقد هممت ان أترك بكل سكك منها جيفا منسحين شائلة أرجلهم تنهشهم الطير من كل جانب . ياأهل الشام احدوا [illegible] واحدوا سيوفكم ثم قال ،

قد جد اشياعكم فجدوا * والقوس فيها وتر عرد

* مثل ذراع البكر اواشد *

هيهات ترك الخداع من اجرى من المائة ، ومن لم يزدعن حوضه يهدم ، وارى الحزام قد بلغ الطبيين ، والتقت حلقتا البطان ، ليس سلامان كهمدان ، انا ابن العرفة وابن الشيخ الاغر ، كذبتم ورب الكعبة ماالرأى كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا لعيوبكم واياكم ان اكون اناوانتم كما قال القائل .

انك ان كلفتني ما لم اطق * ساءك ماسرك مني من خلق
والمخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون، فالتقدم قبل التندم، وأخو المرء نصيحته، ثم قال
لذى العلم قبل اليوم ماتقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما
ثم قال . احمدوا ربكم وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم . ثم نزل وقال . اكتب يانافع وكان نافع مولاه وكاتبا يكتب بين يديه . بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن توسف الى عبد الرحمن بن الاشعث سلام على اهل النزوع من التزيغ واسباب الرداء لا الى معادن السي والتقحم في الغي فاني أحمد الله الذى خلاك في حيرتك اذ بهتك في السيرة . ووهلك للضرورة. حتى اقحمك أموراً أخرجك بها عن طاعته . وجانب ولايته ، وعسكرت بها في الكفر ، وذهلت بها عن الشكر ، فلا تشكر في السراء ، ولا تصبر في الضراء ، أقبلت مستنا بحريم الحرة وتستوقد الفتنة لتصلى بحرها وجلبت لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج ، ومبارزة الحجاج ، الا بل لامك الهبل وعزة ربك لتكبن لنحرك ، ولتقلبن لظهرك ، ولتتخبطن فريصتك، ولتدحضن حجتك ، ولتذمن مقامك ، ولتشغلن سهامك ، كأني بك تصير الى غير مقبول منك الا السيف هوجا هوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة ابطالها والسلام على من أناب الى الله وسمع وأجاب . ثم قال . من ها هنا من فتية بني الاشعث بن قيس ؟ قيل سعيد بن جبير قال فأتى به قال له انطلق بهذا الكتاب الى هذه الطاغية الذى قد فتن فاردعه عن قبيح ما دخل فيه وعظم ما أصر عليه من حق الله وحرمة ما انتهك عدو الله الى ما في ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فاني لولا معرفتي بانك قد حويت علماً واصبت فقها اخاف ان يكون عليك لا لك لاعهدت لك به عهداً تقفل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل الكتاب اليه واحمله على البريد . فخرج سعيد به متوجها حتى انتهى اليه . فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهوى كالذى هوى وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلي بابن جبير في الليل فيسمر معه ويسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رأى هو من خلع الحجاج فابى سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهراً كربتاً فاسعفه سعيد بن جبير بطلبته وسار معه في رغبته وخلعا طاعة الحجاج

ثم ان عبدالرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقودمن يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج الحجاج اليه بمن معه من اجناده من أهل الشام و بمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدير من اديار الاهواز يسمى بنيسابور فناصبه للقتال ستة أشهر كريتة لاله ولا عليه حتى اذا كان فى جوف ليلة من الليالى خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبى مسلم مولاه وحاجبه على ماوراء بابه واما يحيى فوكله بالقيام خلف ظهره اذا هونسى او غفل نخسه بمنخسة ثم قال اذكر الله ياحجاج فيذكر مابداله ان يذكر ، واما زياد فكان ذا رأى ومشورة وأدب وفقه ونصيحة . واما عنبسة فكان بعيد الهمة طويل اللسان بديه الجواب فاصل الخطاب موفق الرأى فاستشارهم لما طال به و بعبد الرحمن القتال لا يظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبدالرحمن سعيد بن جبير والشعبي فكان هذا فقيه اهل الكوفة وهذا فقيه اهل البصرة فى ان يبيته فكره ذلك مواليه واشار عنبسة ان يبيته فقال الحجاج اصبت اصاب الله بك الخير وما الامر الا النصيحة والرأى شعوب فمخطئ منها ومنها مصيب غداً الاثنين فصوموا ونصوم واستعينوا الله بالخيرة ونبيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف أترجل و يترجل اهل مودتى ونصيحتى من ولدى وغيرهم ففعل . واصبح صائما و بيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول : اللهم ان كان الحق لهم فلا تمتنا على الضلالة وان كان الحق لنا فانصرنا عليهم . فحمل عليهم والنيران توقد فاصاب منهم وأصيب منه وانهزم ابن الاشعث فى سواد الليل واصاب الحجاج عسكره وأسر سعيد بن جبير وافلت عامر بن سعيد الشعبي مع ابن الاشعث فلما اتى الحجاج بسعيد بن جبير قال له : ويحك ياسعيد اماتستحى منى ومدك الشيطان فى طغيانك ألا استحييت من المراقب لى ولك والحافظ على وعليك فقال : اصلح الله الامير وامتع به هى بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال الامير وكما نسبه به واضافه اليه الا انى اتيت رجلا قد ازهى وطغى ولبسته الفتنة وركب الشيطان كتفيه ونفث فى صدره واملى على لسانه فخفعه واتقيته بالذى فعلت فان تعاقب فبذنب وان تعف فسجية منك فقال له الحجاج فانا قدعفونا عنك وسنردك اليه تارة أخرى . ثم كتب كتابا ووجهه مع سعيد بن جبير الى عبدالرحمن فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق

الكتاب وقدم على عبدالرحمن فاخبره فنفر عبدالرحمن وخرج موائلا الى اهل البصرة وقد قدمت عليه كتبهم يستبطؤنه ويستعجلونه حتى قدم عليهم وبلغ ذلك الحجاج فسبقه الى البصرة فدخل الحجاج المسجد متنكباً قوساً فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وحرض الناس على قتال ابن الاشعث وحضهم على طاعة عبدالملك وتكلم رجل من اهل البصرة يقال له سلمة المنقرى من بنى تميم وكان رجلا منطقياً وله هوى فى الخوارج وكان الحجاج به خابراً فلما رآه عرف أنه يريد الكلام فقال ادن يا سلمة فدنى فقال له قل فقال : قد رضينا بالله رباً وبمحمد نبياً وبالاسلام ديناً وبالقرآن اماماً وبامير المؤمنين خليفة وبالحجاج بن يوسف والياً والله لو كنا زمعاً وبنى زمع مارضينا ان نكون تبعاً لهذا الحائك ، امير المؤمنين اعزه الله واعز امره اقرب قرابة واوجب حقاً ونحن ألزم لطاعة الامير اكرمه من ان نسارع له فى معصية او نبطئ عنه فى طاعة . فأجابه الحجاج فقال ياسلمة هذا قول حسن لا أدخله صدرى ولا ردنه فى نحرك حتى نبتلى حقيقته ان شاءالله . وكان قوله هذا على المنبر وقد عسكر باجناده بالزاوية والزاوية فى طرف من ناحية البصرة فى طرف بنى تميم . ثم انه خرج من المسجد وحشد الناس من كان فى الطاعة يومئذ من أهل العراق وقد كان انهزم لابن الاشعث غير مامرة وقتل له ابن الاشعث خلقاً لا نحصى كثرة قبل هذه المرة حتى يئس من نفسه وقال أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتنى يعنى اسماء بنت ابى بكر الصديق لئن صدقت اسماء لا أقتل اليوم . وكان الحجاج لما فرغ من قتال عبدالله بن الزبير بعث الى امه اسماء بنت ابى بكر الصديق أن تأتيه فابت ان تأتيه فقال والله لئن لم تاتنى لابعثن اليها من يجر بقرون رأسها ويسحبها حتى تصل الى فقيل ذلك لها فقالت والله لا أسير اليه حتى يبعث الى من يجر بقرون رأسى . فأقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها كيف رأيت مافعل الله تعالى بابنك عدوالله الشاق لعصا المسلمين المفنى لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه . فقالت : رأيته اختار قتالك فاختار الله له ماعنده اذ كان اكرامه خيراً من اكرامك ولكن ياحجاج بلغنى انك تنتقصنى بنطاقى هذين اوتدرى ما نطاقى أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر واما النطاق الآخر فاوثقت به خطام بعيره فقال لى

رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان لك به نطاقان فى الجنة ، فانتقص على بعد هذا اودع ولكن لا أخالك ياحجاج ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم يبيد الخلق و يقذف الكعبة باحجارها ألا لعنة الله عليه ، فالخم الحجاج ولم يجد جوابا قال وسار ابن الاشعث بعد ماهزم الحجاج مراراً الى الكوفة حتي نزل دير الجماجم فقتل للحجاج فيه خلق كثير وكتب الى عبد الملك بن مروان ان امدنى بالرجال فأمده بمحمد بن مروان فى أناس من بنى أمية كثير وجعل الحجاج اميرا عليهم فسار الحجاج الى ابن الاشعث فاقتتلوا اياما بدير الجماجم حتي كثر القتل فى الفريقين جميعاً ثم ان ابن الاشعث لما حشد والحجاج بالبصرة عسكر على مسير ثلاثة ايام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر فكتب ابن الاشعث يسأله ان يتنحى عنهم لما كرهوا ولايته حتى يستعمل عليهم أمير المؤمنين غيره من هو احب اليهم منه فلما انتهى اليه رسوله قال الحجاج ادخلوه فلما دخل سلم عليه بالامارة قال من أنت قال رجل من خزاعة قال من اهل البصرة انت ام من اهل الكوفة قال لا بل من اهل سجستان قال هل تأخذ لامير المؤمنين ديوانا قال لا قال أفمن وزراء ابن الاشعث أنت علينا فى هذه الفتنة يااخا خزاعة قال والله ماهويتها ولقد جلبنى اليك مكرها قال فكيف تسليمك على صاحبك اذا انصرفت اليه قال بالامرة قال فهل ترى فى ذلك انك صادق قال الله اعلم بأى الامرين هو فى نفسك أعلى الصواب أم على الخطأ قال الله اعلم اى الامرين فى نفسى قال اما انك يااخا خزاعة قدرددت الامر اليه وهو تعالى اعلم انطلق الى صاحبك بكتابك كما جئت به واعلمه بالذى كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكموه الى الله من يوم الاربعاء ان شاء الله . فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وذلك يوم الاحد. فلما انصرف رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخاتمه (أى مثل مافعله) كف فلم يسأله امام من حضر حتي ارتفع الناس ثم دعاه فاخبره الخبر قال وما وراء ظهرك الا هذا قال له فى دون ماجئتك به ما يكفيك فقد رأيت أمراً صعباً ليس وراءه الا المناجزة ثم ان الحجاج هتف هتفة ان اجتمعوا للعطية ففرق العطية فى ثلاثة مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة : سفيان بن الابرد الكلبي على ميمنته وسعيد بن عمر والجرشي

على القلب وعبدالرحمن بن عبدالله العكى على ميسرته فاعطى الناس على هذا واقام في معسكره متربصاً ومنتظراً ليوم الاربعاء . فلما رأى ابن الاشعث انه لا يتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء بعث رجلا من معسكره حتى دنى من معسكر الحجاج فنزل قريباً منه على مقدار حضر الفرس رجاء ان يتحرش له احد من معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فراراً منه وتطيراً به فلما رأى الحجاج ذلك علم ما أراده والذي توقع فتقدم الى امراء اجناده وقواده والى اهل عسكره عامة الا يكلم أحد منهم احداً من عسكر ابن الاشعث ولا يعرضه نفسه وان امكنته الفرصة منه الى يوم الاربعاء . فلما كان صبيحة يوم الاربعاء وهو يوم يتطير به اهل العراق فلا يتناكحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشئ ولا بالبغل الاغر الاشقر فدعا الحجاج ببغلة شقراء محجلة فركبها خلافاً لرأيهم واستشعاراً بطيرتهم وتوكلا على الله ونادى مناديه في عسكره ان انهضوا الى قتال ابن الاشعث وأمر خاصته فركبوا معه وقدم رجالته وأخر خلفه مقاتلته حتى اذا كانوا من عسكر ابن الاشعث على مثال السهم وقف فصف أصحابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الاشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبراً من حديد فجلس عليه وترامى الناس حتى اذا كاد القتال ينشب خرج رجل من اصحاب ابن الاشعث وهو ينادي ألا مبارز فقام اليه عنبسة بن سعيد القرشي وهو يمشي مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرهها له فلما رآه الحجاج وهو يمشي تلك المشية قال الحجاج ظلمتك يا عنبسة لو كنت تاركها يوماً من دهرك لتركتها يومك هذا فلما دنى من الرجل قال له عنبسه فمن أنت يا شيخي فقال له رجل من بني تميم ثم من بني دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ثم انصرف الى مجلسه فجلس وقد تبين للناس حسن صنعه ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض واشتد قتالهم وانتحى سفيان على مركزه لم يرم والجرشي على مركزه لم يرم وكانت ميلتهم على الميسرة فنحوا عبدالرحمن العكى فلما رآى الحجاج قد انكسرت ناحية وزال عنها بعث اليه ابن عمه الحكم بن ايوب في خيل فقال انطلق الى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتي ترده الى مقامه ففعل وبعث الى سفيان بن الابرد يأمره بقتال القوم ومحاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا فيها وكان باذن الله الفتح

والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث اليه الجرشي يستاذنه للقتال فمنعه الحجاج وقال له لا الا ان ترى أمراً مقبلا وتمكنا من فرصة فاجتمع الامر وثاب العكى وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مرتحل معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه على ماصنع الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالى كثيراً وكبروه تكبيراً عالياً ثم انتهوا الى ربوة فاوما اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزران فى يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهى من قول عبيد بن الابرص أو من قول اليشكرى :

كيف ترجون سقوطى بعدما * جلل الرأس بياض وصلع
ساء ماظنوا وقد اوريتهم * عند غايات المدى كيف اقع
رب من انضجت غيظاً قلبه * قد تمنى لى موتا لم يطع
ويرانى كالشجى فى حلقه * عسراً مخرجه ما ينتزع
مزبد يهدر مالم يرنى * فاذا اسمعته صوتى انقمع
ويحيينى اذا لاقيته * واذا يخلوا له لحمى رتع
ورث البغضاء عن والده * حافظاً منه الذى كان استمع
ولسانى صيرفى صارم * كذباب السيف مامس قطع

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمد الله بما هو أهله للذى كان من صنعه فبينا هو كذلك اذ اتاه من يخبره ان ابن الاشعث قد انخذل من أصحابه فى نفر يسير متوجها الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يعرفه بالنصيحة والهوى فقطع معه ليلا وارسله فى طلب ابن الاشعث الى مواضع شتى وعهد اليهم ان لايدركوا أحداً الا أتوا به أو برأسه أو يموت فوقف طويلا فى مكانه ذلك المرتفع ينظر الى معسكر ابن الاشعث وأصحابه ينتهبونه ثم رجع الى معسكره فنزل ودخل فسطاطه فجلس وأذن لاصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالاسرى فكلما أوتى بأسير أمر به فضربت عنقه فكان ذلك فعله يومه ذلك الى الليل فلما اصبح وتراجع اليه أكثر خيله أمر مناديه ينادى بالقفل فقفل وقفلت معه اجناده وجميع أصحابه ثم

مدينة واسط فكان فيها وهو الذى بناها وضرب ابن الاشعث ظهراً لبطن ليلا ونهاراً حتى لحق بخراسان ورجا فى لحوقه بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التى فى طلبه حتى غشيته. فلم تزل تطلبه من موضع الى موضع حتى استغاث بقصر منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه واحاطت به الخيل من كل جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه فى القصر فلما رأى ابن الاشعث انه لا محيص له ولا ملجأ وخاف النار فرمى بنفسه من بعض علالى القصر وطمع ان يسلم ولا يشعر به فيدخل فى غمار الناس فيختفى امره ويكتم خبره فسقط فانكسرت ساقه وانخذل ظهره ووقع مغشياً عليه فشعر به اصحاب الحجاج فأخذوه وقد افاق بعض الافاقة ولا يقدر على النهوض فأتوا به الى ابن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال ايقن انه لا يقدر على ان يبلغ الحجاج حتى يموت فامر به فضربت رقبته وانطلق برأسه الى الحجاج فلما قدم عليه احدث لله شكراً وحمداً فما كان من تمام الصنع وما هيأ له من التأييد والظفر وأقام كذلك لا يمر عليه يوم الا وهو يؤتى فيه باسرى فلما رأى كثرتهم ازداد حنقا وغيظا لمسارعتهم فى اتباع ابن الاشعث ومخالفتهم عن الحجاج فبأمر بقتلهم حردا على الخوارج ورجاء ان يستأصلهم فلا يخرج عليه خارجي بعدها فلما رأى كثرة من يؤتى به من الاسرى تحرى فجعل اذا أوتى بأسير يقول له : أمؤمن أنت أم كافر ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر والنفاق عفى عنه ومن قال انا مؤمن ضرب عنقه.

واسر عامر بن سعيد الشعبي فيمن اسر وكان مع ابن الاشعث فى جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لاحد منه مثلها للذى كان عليه من حاله الا سعيد بن جبير، وافلت سعيد بن جبير فلحق بمكة واوتى بالشعبي الى الحجاج فى سورة غضبه وهو يقتل الاسرى الاول فالاول الا من باء على نفسه بالكفر والنفاق فلما سار عامر بن سعيد الشعبي الى الدخول عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد بن أبى مسلم وكان مولاه وحاجبه فقال : ياشعبي لهفى بالعلم الذى بين دفتيك وليس بيوم شفاعة اذا دخلت على الامير فبوء له بالكفر والنفاق عسى ان تنجوا فلما دخل على الحجاج صادفه واضعاً رأسه لم يشعر فلما رفع رأسه رآه قال له وانت ايضاً ياشعبي فيمن اعان علينا والب قال : اصلح الله الامير انى

امرت باشياء اقولها لك ارضيك بها واسخط الرب ولست افعل ولكنى اقول اصلح الله الامير واصدقك القول فان كان شئ يقع بين يديك فهو فى الصدق ان شاء الله . احزن بنا المنزل واجدب الجناب واكتحلنا السهر واستجلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض فوقعنا فى حرب لم يكن فيه بررة اتقياء ، ولا فجرة اقوياء ، فقال له الحجاج كذلك قال نعم اصلح الله الامير وامتع به قال فنظر الحجاج الى اهل الشام فقال صدق والله يا اهل الشام ما كانوا بررة اتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجرة أقوياء فيقووا علينا ثم قال . انطلق ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت احق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كان وكان . قال وكان قد أحضر بالباب رجلان احدهما من بكر بن وائل والآخر من تميم وكانا سمعا ماقيل للشعبي بالباب ان يقوله فلما ادخلا قال الحجاج للبكرى امنافق أنت قال نعم اصلح الله الامير لكن أخو بنى تميم لا يبوء على نفسه بالنفاق . قال التميمى : انا على دمى أخدع اصلح الله الامير منافق مشرك . فتبسم الحجاج وأمر بتخلية سبيلهما . قال الشعبي فوالله ما اتى لذلك الامر الانحو من شهرين حتى رفعت اليه فريضة أشكلت عليه وهى أم وجد وأخت فقال من هاهنا نسأله عنها قال فدل على فارسل الى وقال ياشعبي ماعندك فى هذه الفريضة أم وأخت وجد . فقلت : اصلح الله الامير قال فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال : من قال فيها ؟ قلت قال فيها على بن ابى طالب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت . قال : هات ماقال فيها على فأخبرته قال فما قال فيها ابن مسعود فاخبرته قال فما قال فيها ابن عباس فوالله لقد كان متفقاً فاخبرته قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان فاخبرته قال فما قال زيد بن ثابت قلت أخذها من تسعة أسهم فاعطى الام ثلاثة أسهم وأعطى الجد أربعة أسهم وأعطى الاخت سهمين فلما سمع ما كان من قول كل واحد منهم وعرف رأيهم فيها قال ياغلام قل للقاضى يمضيها على ماقال أمير المؤمنين عثمان . قال الشعبي ودخلت عليه الترك قد شدوا اوساطهم بعمائمهم وانتزعت السيوف من اعناقهم وأخذوا الطوامير بأيمانهم فدخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبدالملك فقال له الحجاج كيف تركت أميرالمؤمنين وأهله وولده وحشمه فانبأه عنه وعنهم بصلاح فقال

ما كان وراءك من غيث قال نعم اصلح الله الامير اصابتني سحابة في موضع كذا
فوادسائل وواد تارع ، فارض مدبرة وارض مقبلة حتى صدعت عن الكماة
اما كنهافما اتيتك الا في مثل مجرى الضب فقال للحاجب ائذن للناس فدخل رجل
أتاه من قبل نجد فقال له ما كان وراءك من غيث فقال كثير الاعصار وأغبر البلاد
وأكل ما أشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة. فقال بئس المخبر انت قال
أخبرتك بالذي كان فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل اتاه من قبل اليمامة
فقال هل كان وراءك من غيث قال نعم وسمعت الرواد يدعون الى ريادها وسمعت
رائد يقول هلموا اطعمكم محلة تطفوا فيها النيران وتشتكى فيها النساء وتنافس فيها
المعز فقال له ويحك انما تحدث اهل الشام فافهمهم فقال اصلح الله الامير اما تطفو
النيران فيستكثر فيها الزبد واللبن والتمر فلا توقد ناراً واما ان يشتكى النساء فانه من
جذبها على ابريق لبنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها انين من عضديها واما تنافس
المعز فانها ترأم من نوار النبات والوان التمر مايشبع بطونها ولا يشبع عيونها
فتبيت وقد امتلأت اكراشها من الكظة شرة تنزل به الدرة . ثم قال للحاجب
ائذن للناس فدخل عليه رجل من الموالى كان اشجع الناس في زمانه يقال له عمرو
ابن الصلت فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث قال نعم اصلح الله الامير
أصابتني سحابة بموضع كذا وكذا فلم ازل أطلب أثرها حتى دخلت على الامير
فقال له الحجاج أما والله لئن كنت في المطر اقصرهم خطبة انك بالسيف لاطولهم
خطوة . ولما انهزم ابن الاشعث قام بعده عبد الرحمن بن عياش بن ربيعة فقاتل
الحجاج ثلاثة ايام ثم انهزم فوقع بارض فارس ثم صار الى السند فمات هناك وتحصن
ناس من اصحاب ابن الاشعث في قلعة بأرض فارس منهم عبدالرحمن بن الحارث
ابن نوفل والفضل بن عياش وعمرو بن موسى التميمي ومحمد بن سعد بن ابى وقاص
وعبيدالله ومحمد واسحاق وعون بنو عبدالله بن الحارث في ناس من قريش ولحق
سعيد بن جبير بمكة فاشعر به الحجاج فغفل عنه ولم يهيجه فبعث الحجاج يزيد بن
المهلب فحاصرهم بفارس. قال ابو معشر حدثني عون قال كتب الينا يزيد بن المهلب
ان اخبروني بآية بيني وبينكم حتى اخرجكم فكتب اليه عبدالله بن الحارث كنت
توم كذا وكذا في دارنا قال فأخرجته وبنيه فسكناه عمان واسر من بقي وأسروا

اثنى عشر رجلامن وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسى التميمى ومحمد بن سعد بن ابى وقاص فبعث بهم الى الحجاج فحبسهم عنده وكتب الى عبد الملك يخبره بأمرهم وجعل يذكر فى كتابه ان سعيداً قد انكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبد الملك يأمره بضرب أعناقهم و يقول فى كتابه لم ابعثك مشفعاً وانما بعثتك منفذاً مناجزاً لاهل الخلاف والمعصية . فابرزهم الحجاج فقال لعمرو ابن موسى ياعاتق قريش وكان شابا جميلا مالك أنت وللخروج انما أنت عاتق صاحب ثياب ولعب فقال عمرو ايها الرجل امض لما تريد فانما نزلت بعهد الله وميثاقه فان شئت فارسل يدى وقد برئت منى الذمة فقال له الحجاج كلا حتى اقدمك الى النار فضربت رقبته ثم جئ بمحمد بن سعد فقال له ياظل الشيطان وكان رجلا طويلا الست بصاحب كل موطن أنت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم فقال له انما نزلت بعهد الله وميثاقه ارسل يدى وقد برئت منى الذمة قال لاحتى اقدمك الى النار ثم قال لرجل من اهل الشام اضرب لى مفرق رأسه فضرب فمال نصفه هاهنا ونصفه هاهنا ثم قتل الباقين

﴿ ذكر قتل سعيد بن جبير ﴾

قال وذكروا ان مسلمة بن عبد الملك كان والياً على أهل مكة فبينما هو يخطب على المنبر

اذ اقبل خالد بن عبدالله القسرى من الشام والياً عليها فدخل المسجد فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقى فى الدرجة الثالثة تحت مسلمة اخرج طوماراً مختوما ففضه ثم قرأه على الناس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى اهل مكة اما بعد فانى وليت عليكم خالد بن عبدالله القسرى فاسمعوا له واطيعوا ولا يجعلن امرؤ على نفسه سبيلا فانما هو القتل لاغير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام . ثم التفت اليهم خالد : وقال : والذى نحلف به ونحج اليه لا اجده فى دار احد الاقتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد اجلت لكم فيه ثلاثة أيام . ثم نزل ودعا مسلمة برواحله ولحق بالشام . فأتى رجل الى خالد فقال له ان سعيد بن جبير بواد من اودية مكة مختفيا بمكان كذا فارسل خالد فى طلبه فاتاه الرسول فلما نظر اليه

الرسول قال انما أمرت باخذك وأتيت لاذهب بك اليه واعوذبالله من ذلك فالحق باى بلد شئت وانامعك قال له سعيد بن جبير . ألك هاهنا أهل وولد قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم من المكروه مثل الذى كان ينالنا قال الرسول فأنى أكلهم الى الله فقال سعيد لا يكون هذا . فاتى به الى خالد فشده وثاقا وبعث به الى الحجاج فقال له رجل من اهل الشام . ان الحجاج قد انذر به وأشعر قبلك فما عرض له فلو جعلته فيما بينك وبين الله لكان ازكى من كل عمل يتقرب به الى الله . فقال خالد وقد كان ظهره الى الكعبة قد استند اليها . والله لو علمت ان عبد الملك لا يرضى عنى الا بنقض هذا البيت حجراً حجراً لنقضته فى مرضاته . فلما قدم سعيد على الحجاج قال له ما اسمك قال سعيد قال ابن من قال ابن جبير قال بل انت شقى ابن كسير قال سعيد أمى أعلم باسمى واسم ابى قال الحجاج شقيت وشقيت أمك قال سعيد الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج لاردنك حياض الموت قال سعيد أصابت اذاً أمى اسمى فقال الحجاج لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال سعيد ولو انى اعلم ان ذلك بيدك لاتخذتك الهاً قال الحجاج فما قولك فى محمد قال سعيد نبى الرحمة ورسول رب العالمين الى الناس كافة بالموعظة الحسنة ، فقال الحجاج فما قولك فى الخلفاء قال سعيد . لست عليهم بوكيل كل امرئ بما كسب رهين قال الحجاج اشتمهم ام امدحهم قال سعيد لا اقول مالا اعلم انما استحفظت امر نفسى . قال الحجاج ايهم اعجب اليك قال . حالاتهم يفضل بعضهم على بعض قال الحجاج صف لى قولك فى على افى الجنة هو ام فى النار قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت اهلها علمت ولو رأيت من فى النار علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب ، قال الحجاج فاى رجل انا يوم القيامة ؟ فقال سعيد انا اهون على الله من ان يطلعنى على الغيب . قال الحجاج ابيت ان تصدقنى قال سعيد بل لم ارد ان اكذبك فقال الحجاج فدع عنك هذا كله اخبرنى مالك لم تضحك قط قال . لم ار شيئاً يضحكنى وكيف يضحك مخلوق من طين ، الطين تأكله النار ومنقلبه الى الجزاء واليوم يصبح ويمسى فى الابتلاء ، قال الحجاج فأنا أضحك فقال سعيد كذلك خلقنا الله اطواراً قال الحجاج هل رأيت شيئا من اللهو ؟ قال لا أعلمه . فدعا الحجاج بالعود والناى قال فلما ضرب بالعود ونفخ

فى الناى بكى سعيد قال الحجاج مايبكيك قال . ياحجاج ذكرتنى امراً عظيما والله لا شبعت ولا رويت ولا اكتسيت ولازلت حزينا لما رأيت قال الحجاج وما كنت رأيت هذا اللهو فقال سعيد . بل هذا والله الخرق اماهذه النفخة فذكرتنى يوم النفخ فى الصور واماهذا المصران فمن نفس ستحشر معك الى الحساب واماهذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق . فقال الحجاج اناقاتلك قال سعيد قد فرغ من تسبب موتى قال الحجاج انا احب الى الله منك قال سعيد لا يقدم احد على ربه حتى يعرف منزلته منه والله بالغيب اعلم : قال الحجاج كيف لا أقدم على ربى فى مقامى هذا وأنا مع امام الجماعة وأنت مع امام الفرقة والفتنة قال سعيد ما انا بخارج عن الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لامرد له ، قال الحجاج كيف ترى ما نجمع لامير المؤمنين قال سعيد لم أر فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه قال سعيد : هذا حسن ان قمت بشرطه قال الحجاج وما شرطه قال : ان تشترى له بما تجمع الأمن من الفزع الاكبر يوم القيامة والا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت وتضع كل ذى حمل حمله ولا ينفعه الا ما طاب منه قال الحجاج فترى جمعنا طيباً ، قال برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه قال الحجاج أتحب ان لك منه شيئاً قال لا أحب ما لا يحب الله قال الحجاج ويلك قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه قال انى أشهدك ياحجاج ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله استحفظكهن ياحجاج حتى القاك فلما ادبر ضحك قال الحجاج ما يضحكك ياسعيد قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك قال الحجاج انا اقتل من شق عصا الجماعة ومال الى الفرقة التى نهى الله عنها اضربوا عنقه قال سعيد حتى اصلى ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول : وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً مسلما وما أنا من المشركين ، قال الحجاج : اصرفوه عن القبلة الى قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلفوا بغياً بينهم فانه من حزبهم ، فصرف عن القبلة فقال سعيد : فاينما تولوا فثم وجه الله الكافى بالسرائر ، قال الحجاج لم نوكل بالسرائر وانما وكلنا بالظواهر قال سعيد : اللهم لا تترك له ظلمى واطلبه بدمى واجعلنى آخر قتيل يقتل من أمة محمد فضربت عنقه . ثم قال الحجاج

هاتوا من بقى من الخوارج فقرب اليه جماعة فأمر بضرب أعناقهم وقال ما اخاف الادعاء من هو فى ذمة الجماعة من المظلومين فاما امثال هؤلاء فانهم ظالمون حين خرجوا من جمهور المسلمين وقائد سبيل المتوسمين . وقال قائل ان الحجاج لم يفرغ من قتله حتى خولط فى عقله وجعل يصيح : قيودنا قيودنا يعنى القيود التى كانت فى رجل سعيد بن جبير ويقال متى كان الحجاج يسأل عن القيود او يعبأ بها وهذا يمكن انقول فيه لاهل الاهواء فى الفتح والاغلاق

ذكر بيعة الوليد وسليمان ابنى عبد الملك

قال وذكروا انه لما فرغ الحجاج من قتل الخوارج وتم له أمر العراق فاستقر ملك عبد الملك كتب اليه الحجاج ان يبايع للوليد ابنه ويكتب له عهده للناس فابى ذلك عبد الملك لان اخاه عبد العزيز كان حياً وكان قد استعمله عبد الملك على مصر وكتب اليه الحجاج يوبخه ويقول له مالك انت والتكلم بهذه وكانت البيعة بالشام لهما جميعاً اذ مات مروان وكان عبد العزيز نظير عبد الملك فى الحزم والرأى والعقل والزكاء وكان عبد الملك لا يفضل عبد العزيز فى شئ الا باسم الخلافة حتى لربما كان عبد الملك يامر بالشئ فيريد عبد العزيز غيره ويرى خلافه فيرد الى رأيه ولا يمضيه وكان لا ينكر ذلك عبد الملك فلما كانت سنة احدى وثمانين عقد عبد الملك لموسى بن نصير على افريقية وما حولها ووجهه الى من بها من البربر يقاتلهم وضم اليه برقة فلما قدم موسى بن نصير متوجها انتهى ذلك الى عبد العزيز فرده من مصر الى الشام وبعث قرة بن حسان الثعلبى فانصرف موسى بن نصير الى الشام لعبد الملك وذكر امتهانا ناله من عبد العزيز وما استقبله الى كلام كثير فقال له عبد الملك ان عبد العزيز صنو أمير المؤمنين وقد امضينا فعله . فتوجه قرة بن حسان الى افريقية فهزم بها وقتل غالب اصحابه فلما كانت سنة اربع وثمانين توفى عبد العزيز بن مروان بمصر ثم ولى محمد بن مروان الى سنة ست وثمانين فلما توفى عبد العزيز اجمع عبد الملك على بيعة الوليد ثم من بعد الوليد سليمان فكتب الى الحجاج ببيعة الوليد وسليمان فبايع الحجاج لهما بالعراق فلم يختلف عليه احد وبويع لهما بالشام ومصر واليمن وكتب عبد الملك الى هشام بن اسماعيل وهو عامله على المدينة ان ياخذ بيعة اهل المدينة فلما أتت البيعة لهما كره ذلك سعيد بن

المسيب وقال : لم اكن لابايع بيعتين فى الاسلام بعد حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: « اذا كانتا بيعتين فى الاسلام فاقتلوا الاحدث منهما » فاتاه عبد الرحمن بن عبد القارى فقال انى مشير عليك بثلاث خصال اختر ايها شئت قال وما هى قال له انك تقدم حيث يراك هشام بن اسماعيل فلو غيرت مقامك قال ما كنت لاغير مقاما قمته منذ اربعين سنة لهشام بن اسماعيل قال فثانية قال وماهى قال اخرج معتمراً قال سعيد ما كنت لاجهد نفسي وانفق مالى فى شيء ليس لى فيه نية قال له فثالثة قال وماهى قال تبايع للوليد ثم لسليمان قال سعيد ارأيت ان كان الله قد اعمى قلبك كما اعمى بصرك فما على قال وكان اعمى قال فدعاه هشام بن اسماعيل الى البيعة وكان ابن عم سعيد بن المسيب فلما علم بذلك القرشيون اتوا هشاما فقالوا له لا تعجل على ابن عمك حتى نكلمه ونخوفه القتل فعسى به ان يبايع ويجيب قال فاجتمع القرشيون فارسلوا الى سعيد مولى له كان فى الحرس فقالوا له اذهب اليه فخوفه القتل واخبره انه مقتول فلعله يدخل فيما دخل فيه الناس فجاءه مولاه فوجده قائما يصلى فى مسجده فبكى مولاه بكاء شديداً قال له سعيد ما يبكيك ويحك قال ابكى مما يراد بك قال له سعيد وما يراد بى ويحك قال جاء كتاب من عبد الملك ابن مروان الى هشام بن اسماعيل ان لم تبايع والا قتلت فجئتك لتطهر وتلبس ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك ان كنت لا تريد ان تبايع فقال له سعيد لا أم لك قد وجدتنى أصلى فى مسجدى أفترانى كنت أصلى ولست بطاهر وثيابى غير طاهرة وأما ما ذكرت من أن أفرغ من عهدى بعد ما حدثنى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه : قال : ماحق امرئ مسلم يبيت ليلة له شيء يوصى به الا ووصيته مكتوبة . فاذا شاؤا فليفعلوا فانى لم اكن لابايع بيعتين فى الاسلام، قال فرجع اليهم المولى فأخبرهم بما ذكر فكتب صاحب المدينة هشام بن اسماعيل الى عبد الملك يخبره ان سعيد بن المسيب كره ان يبايع لهما (للوليد وسليمان) فكتب عبد الملك اليه : مالك ولسعيد وما كان علينا منه أمر نكرهه وما كان حاجتك ان تكشف عن سعيد وتأخذه ببيعة ما كنا نخاف من سعيد فاما اذ قد ظهر ذلك وانتشر فى امره للناس فادعه الى البيعة فان ابى فاجلده مائة سوط او احلق رأسه ولحيته وألبسه ثيابا من شعر واوقفه فى السوق على الناس

لكيما لايجترئ علينا أحد غيره . قال فلما وصل الكتاب ارسل اليه هشام فانطلق سعيد اليه فلما أتاه دعاه الى البيعة فابى ان يجيبه فالبسه ثيابا من شعر وجرده وجلده مائة سوط وحلق رأسه ولحيته واوقفه فى السوق وقال لو اعلم انه ليس الا هذا ما نزعت ثيابى طائعاً ولا أجبت الى ذلك قال بعض الايليين الذين كانوا فى الشرط بالمدينة . لما علمنا انه لا يلبس الثياب طائعاً قلنا له يا أبا محمد انه القتل فاستر بها عورتك قال فلبس فلما تبين له انا خدعناه قال : يامعاجة أهل ايلة لولا انى ظننت انه القتل ما لبسته قال فكان هشام بن اسماعيل بعد ذلك اذا خطب الناس يوم الجمعة تحول اليه سعيد بن المسيب ان يقبل عليه بوجهه ما دام يذكر الله حتى اذا وقع فى مدح عبد الملك وغيره اعرض سعيد عنه بوجهه فلما فطن هشام لذلك أمر حرسيا يحصب وجه سعيد اذا تحول عنه ففعل ذلك به فقال سعيد انما هى ثلاث وأشار بيده قال فما مر به الا ثلاثة أشهر حتى عزل هشام

﴿ موت عبد الملك وبيعة الوليد ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة جمع بنيه قال لهم . اتقوا الله ربكم واصلحوا ذات بينكم وليجل صغيركم كبيركم وكبيركم صغيركم انظروا أخاكم مسلمة فاستوصوا به خيرا فانه شيخكم ومجنكم الذى به تستجنون وسيفكم الذى به تضربون ، اوصيكم به خيرا وانظروا الى ابن عمكم عمر بن عبد العزيز فاصدروا عن رأيه ولا تخلوا عن مشورته اتخذوه صاحبا لا يجفى ووزيرا لا تعصوه ، فانه ما علمتم فضله ودينه وذكاء عقله فاستعينوا به على كل مهم وشاوروه فى كل حادث . قال ثم دخل عليه خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان فقال لهما اتحبان ان أسألكما بيعة الوليد وسليمان فقالا ياأمير المؤمنين معاذ الله من ذلك قال فأومأ بيده الى مصلى كان مضطجعاً عليه فأخرج من تحته سيفاً مصلتاً فقال لهما والله لو قلتما غير ذلك لضربت أعناقكما بهذا السيف ثم خرجا من عنده ودخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال عبد الملك : ياأبا حفص استوص خيراً بأخويك الوليد وسليمان ان زلا فسلهما وان مالا فأقمهما وان غفلا فذكرهما . وان ناما فأيقظهما وقد اوصيتهما بك وعهدت اليهما ان لا يقطعا شيئاً دونك . فقال عمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين أوصيتهما بكتاب الله فليتماه

فى عباده و بلاده وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليجيباها و يحملا الناس عليها فقال عبدالملك قد فعلت وولي فيكم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . ثم قال وقد علمت ياعمر مكان فاطمة مني ومحلها من قلبي وانى آثرتك بها على جميع آل مروان لفضلك وورعك فكن عندظني بك ورجائى فيك وقد علمت انك غير مقصر ولا مضيع حقها ولكن الله قد قضى ان الذكرى تنفع المؤمنين قوموا عصمكم الله وكفاكم ثم خرجوا من عنده . قال ثم دعا عبدالملك بالوليد وسليمان فدخلا عليه فقال للوليد : اسمع ياوليد حضر الوداع ، وذهب الخداع ، وحل القضاء . قال فبكى الوليد فقال له عبد الملك لا تعصر عينيك على كما تعصر الامة الوكساء : اذا انامت فاغسلني وكفني وصل على واسلمني الى عمر بن عبدالعزيز يدليني فى حفرتى واخرج أنت الى الناس والبس لهم جلد نمر واقعد على المنبر وادع الناس الى بيعتك فمن مال بوجهه عنك كذا فقل له بالسيف كذا وتنكر للصديق والقريب واسمح للبعيد واوصيك بالحجاج خيراً فانه هو الذى وطأ لكم المنابر وكفاكم تقحم تلك الجرائم . قال فلما توفى عبد الملك ومات من يومه ذلك خرج الوليد الى الناس وقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : نعمة الله ما اجلها ومصيبة ما أعظمها وانا لله وانا اليه راجعون نقل الخلافة وفقد الخليفة ثم دعا الناس الى البيعة فلم يختلف عليه احد ثم كان اول ماظهر من أمره وتبين من حكمه ان امر بهدم كل دار ومنزل من دار عبدالملك الى قبره فهدمت من ساعتها وسويت بالارض لئلا يعرج بسرير عبدالملك يميناً وشمالا وليكون النهوض به الى حفرته تلقاء منزله ثم كتب ببيعته الى الآفاق والامصار والى الحجاج بالعراق فبايع له الناس ولم يختلف عليه احد فدخل عليه سليمان بن عبد الملك فقال ياأمير المؤمنين اعزل الحجاج بن يوسف عن العراقين فان الذى افسدالله به اكثر مما اصلح فقال له الوليد ان عبدالملك قد اوصانى به خيراً فقال سليمان عزل الحجاج والانتقام منه من طاعة الله وتركه من معصية الله فقال الوليد سنرى فى هذا الامر وترون ان شاءالله . ثم كتب الحجاج الى الوليد : امابعد فان الله تعالى استقبلك ياامير المؤمنين فى حداثة سنك بما لا اعلمه استقبل به خليفة قبلك من التمكين فى البلاد والملك للعباد والنصر على الاعداء فعليك بالاسلام فقوم اوده وشرائعه

وحدوده ودع عنك محبة الناس و بغضهم وسخطهم فانهم قل ما يؤتى الناس من خير وشر الا افشوه فى ثلاثة ايام والسلام .

﴿ تولية موسى بن نصير البصرة ﴾

قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبد الملك بن مروان لما اراد ان يولى اخاه بشر بن مروان على العراق كتب الى اخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر و بشر معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن : انى قد وليت اخاك بشر البصرة فاشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الى موسى وأعلمه انه المأخوذ بكل خلل وتقصير فشخص بشر من مصر الى العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسى بن نصير خاتمه وتخلى عن جميع العمل فلبث موسى مع بشر مالبث ثم ان رجلا من اهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك ان اسقيك شرابا لا تشيب معه ابداً بعد ان اشترط عليك شروطا قال بشر وماهى قال : لا تغضب ولا تركب ولا تجامع امرأة فى اربعين ليلة ولا تدخل حماما فقبل ذلك بشر واجابه وشرب ما اسقاه واحتجب عن قريب الناس و بعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فكان كذلك حتى اتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فأتاه من ذلك مالم يحمل فرحه ولا السرور به فدعا بركاب ليركبها فأتاه الرجل فناشده لا يخرج ولا يركب وان لا يتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الى كلامه ولم يقبل ما امره به فلما رأى الرجل عزمه قال له فاشهد لى على نفسك بانك قد عصيتنى ففعل بشر ذلك واشهد انه قد ابراه فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر الا اميالا حتى وضع يده على لحيته فاذا هو فى كفه قد سقطت من وجهه فلما رأى ذلك انصرف الى البصرة فلم يلبث الا قليلا حتى هلك فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج بن يوسف والياعليها فقال له موسى بن نصير مافاتك فلا يفوتك وكان عبد الملك قد أراده لامر عتب عليه منه . فكتب خالد بن أبان من الشام الى موسى بن نصير : انك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد امر فيك باغلظ أمر فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما ان تلحق بالفرس فتأمن واما ان تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيراً به ولا تمكن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك . فلما أتاه

الكتاب ركب النجائب ولحق بالشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان قد وفد بأموال مصر فكتب الحجاج من العراق يا أمير المؤمنين انه لا قدر لما اقتطعه موسى ابن نصير من أموال العراق وليس بالعراق فابعث به الى

﴿ دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مروان ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن أبيه انه حضر يومئذ شأن موسى ودخوله على عبد الملك قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز بن مروان يطول ذكرها قال سالم قال لي موسى لما قدمت الشام لقيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فادخلني على عبد الملك فلما رآني عبد الملك قلت موسى قال ما تزال تعرض لحيتك علينا قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال لجرأتك علي واقتطاعك الفيء قال فعلت مافعلت يا أمير المؤمنين وما ألوتك نصحاً واجتهاداً واصلاحاً قال اقسم لتؤدين ديتك خمسين مرة قال قلت لم يا أمير المؤمنين قال فما تركني أتمها حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة فذهبت لا تكلم فأشار الى عبد العزيز ان قل نعم فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم خرجت فاتاني عبد العزيز بخمسين الفاً واديت خمسين الفاً فى ثلاثة أشهر نجمها علي

﴿ تولية موسى بن نصير على افريقية ﴾

قال وذكروا ان عبد العزيز لما رجع الى مصر سار موسى معه فكان من أشرف الناس عنده فأقام بها ما أقام حتى قدم حسان بن النعمان من أفريقية يريد الشام الى عبد الملك وقد فتح له بها فتحاً وقتل الكاهنة فاجازه عبد الملك وزاده برقة ورده اليها (الى افريقية) واليا فاقبل حتى نزل مصر و بعث معه بعثا من هناك فاخذوا اعطياتهم منه ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجماجم قال فبلغ ذلك عبد العزيز ان حسان بن النعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وانه قد ولاه اياها فبعث اليه فقال له أولاك أمير المؤمنين برقة قال نعم فقال له عبد العزيز لا تعرض وكان عليها مولى لعبد العزيز فقال حسان ما أنا فاعل فغضب عبد العزيز وقال له ائت بعهدك عليها ان كنت صادقا قال فأتى به حسان فلما اقرأه عبد العزيز وجدها فيه فالتفت الى حسان فقال ما انت بتاركها قال والله لا أنعزل عما ولانيه أمير المؤمنين قال فاقعد فى بيتك فسيولى هذا الامر من هو خير منك وأولى به منك فى تجربته ومعرفته وسياسته و يغني الله أمير

المؤمنين عنك ثم أخذ عبد العزيز عهده ومرقه ودعى بموسى بن نصير فعقد له على افريقية يوم الخميس فى صفر سنة تسع وسبعين فتجهز موسى بن نصير وحمل الاموال الى ذات الجاجم وبها الجيوش ينتظرون واليهم فقدم عليهم موسى بن نصير فلما صار على الجيش الاول أتى عصفور حتى وقع على صدره فأخذه موسى فدعا بسكين فذبحه موسى ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ونتف ريشه وطرحه على صدره وعلى نفسه ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر ان شاء الله .

﴿ خطبة موسى بن نصير رحمه الله ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم ذات الجاجم وقد توافت الجيوش بها جمع الناس فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ايها الناس ان أمير المؤمنين أصلحه الله رأى رأياً فى حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميراً عليكم وانما الرجل فى الناس بما أظهر والرأى فيما أقبل وليس فيما أدبر فلما قدم حسان بن النعمان على عبد العزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله ما به . وانما الامير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم فى عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولانى مكانه عليكم ولم يأل ان أجهد نفسه فى الاختيار لكم وانما انا رجل كاحدكم فمن رأى منى حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأى منى سيئة فلينكرها فانى اخطئ كما تخطئون وأصيب كما تصيبون وقد أمر الامير اكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثاً فخذوها هنيئاً مريئاً ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على ماعز وهان مع المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

﴿ دخول موسى بن نصير افريقية ﴾

قال وذكروا ان موسى لما سار متوجها الى المغرب بقية صفر ثم ربيع وربيع ودخل فى جمادى الاولى يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعين فأخذ سفيان بن مالك الفهرى وأبا صالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما الى عبد الملك فى الحديد. قال وكان قدوم موسى أفريقية وماحولها مخوف بحيث لا يقدر المسلمون ان يبرزوا فى الميدين لقرب العدو منهم وان عامة بيوتها الخصوص وأفضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالحظير غير

انه قدسقف ببعض الخشب وقدكان ابن النعمان بنى القبلة ومايليها بالمدر بنيانا ضعيفاً وكانت جبالها كلهامحاربة لاترام وعامةالسهل

﴿ خطبة موسى بافريقية ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم أفريقية ونظر الى جبالها والى ماحولها جمع الناس ثم صعدالمنبر فحمدالله وأثنى عليه : ثم قال : ايها الناس انما كان قبلى على افريقية أحدرجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب ان يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوينا . وليس اخو الحرب الا من اكتحل السهر واحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم ويبلغ النفس عذرها فى غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا فى حزمه جازما فى عزمه مستزيداً فى علمه مستشيراً لاهل الرأى فى أحكام رأيه متحنكا بتجاربه ليس بالمتجابن اقحاما، ولا بالمتخاذل احجاما، ان ظفر لم يزده الظفر الاحذراً ، وان نكب أظهر جلادة وصبراً راجيا من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها انول الله تعالى ان العاقبة للمتقين أى الحذرين . وبعدفان كل من كان قبلى كان يعمدالى العدوالاقصى ويترك عدواً منه أدنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العورة ويكون عونا عليه عند النكبة وأيم الله لاأريم هذه القلاع والجبال المتمنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جمعها أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين

﴿ فتح زعوان ﴾

قال وذكروا انه كان بزعوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون غرتهم والذى بين زعوان وبين القيروان يوم الى الليل فوجه اليهم موسى خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبدالملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان أول سبى دخل القيروان فى ولاية موسى ثم وجه ابنا له يقال له عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فأتاه بمائة الف رأس ثم توجه ابنا له يقال له مروان فاتاه

بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين الف رأس

﴿ قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز بن مروان ﴾

قال وذكروا ان موسى بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذي فتح الله عليه وأمكن له ويعلمه ان الخمس بلغ ثلاثين الفا وكان ذلك وهما من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب قال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قراه قال هذا وهم من الكاتب فراجعه فكتب اليه عبد العزيز: انه بلغني كتابك وتذكر فيه انه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين الف رأس فاستكثرت ذلك وظننت ان ذلك وهم من الكاتب فاكتب الى بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم ، فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه : بلغني ان الامير ابقاه الله يذكر انه استكثر ما جاءه من العدة التي أفاء الله علي وانه ظن ان ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهماً على ما ظنه الامير والخمس ايها الامير ستون الفا حقاً ثابتا بلا وهم ، قال فلما أتى الكتاب الى عبد العزيز وقرأه ملأه سروراً

﴿ انكار عبد الملك تولية موسى بن نصير ﴾

وذكروا ان عبد العزيز لما ولى موسى وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسى بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكره ذلك وانكره ثم كره رد رأى عبد العزيز ثم هم بعزل موسى لسوء رأيه فيه ثم رأى ان لا يرد ما صنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك فى عزل حسان وتوليتك موسى مكانه وعلم الأمر الذى له عزلته وقد كنت انتظر منك مثلها فى موسى وقد امضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت فاستوص بحسان خيراً فانه ميمون الطائر والسلام .

﴿ جوابه ﴾

فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب الى اخيه عبد الملك : اما بعد فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فى عزل حسان وتوليتى موسى بن نصير وقد كان لمثلها منى منتظراً فى موسى ويعلمنى انه قد امضى لى من رأيى فيما امضيت وولايتى من وليت وقد علمت ان أمير المؤمنين يتفاءل بحسان للذى فتح الله على يديه ولم اعدم نظرى لامير المؤمنين بان عزلت حسان ووليت موسى فى يمن طائره وحسن اثره

فأماقول أمير المؤمنين قد كنت انتظرها منك فى موسى فلعمرى لقد كنت لها فيه مرصداً ولامير المؤمنين ان يسبق بها اليه منتظراً حتى حضر أمر جهدت فيه نفسى لامير المؤمنين ولنفسى الرأى والنصيحة والسلام

﴿ كتاب عبدالعزيز بالفتح الى عبدالملك ﴾

وذكروا ان عبدالعزيز كتب الى عبدالملك : امابعد فانى كنت وانت يا أمير المؤمنين فى موسى وحسان كالمتراهنين ارسلا فرسيهما الى غايتهما فاتيامعا وقد مدت الغاية لاحدهما ولك عنده مزيد ان شاءالله وقدجاءنى ياامير المؤمنين كتاب من موسى وقد وجهته اليك لتقرأه وتحمد الله عليه والسلام

﴿ جوابه ﴾

فكتب اليه عبدالملك : امابعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم لمثل الذى مثلته فى حسان وموسى و يقول لك عنداحدهما مزيد وكل قد عرف الله على يده خيراً ونصراً وقداجريت وحدك وكل محر بالخلاء مسروراً والسلام . ثم وجه عبدالملك رجلا الى موسى ليقبض ذلك منه على ماذكر موسى وعلى ما كتب به فلماقدم الرسول على موسى دفع اليه ماذكر وزاده الفا للوفاء

﴿ فتح هوارة . وزناتة . وكتامة ﴾

قال وذكروا ان موسى ارسل عياش بن اخيل الى هوارة وزناتة فى الف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس وكان عليهم رجل منهم يقال له كامون فبعث به موسى الى عبدالعزيز فى وجوه الاسرى فقتله عندالبركة التى عندقرية عقبة فسميت بركة كامون فلماارجع عياش فيهم دعوا الى الصلح فقدم على موسى بوجههم فصالحوهم واخرجوهم وكانت كتامة قد قدمت على موسى فصالحته وولى عليهم رجلامنهم واخذ منهم رهونهم وكتب احدهم الى موسى انمانحن عبدانك قتل احدنا صاحبه وانا خير لك منه فلم يشك موسى ان ذلك انما كان عن ممالأة من كتامة وقد كانت رهون كتامة استأذنوا موسى قبل ذلك بيوم ليتصيدوا فاذن لهم فلما اتاهما اتاه تحقق ظنه فيهم وانهم انما هربوا فوجه الخيول فى طلبهم فأتى بهم فأرادصلبهم فقالوالاتعجل ايها الامير بقتلنا حتى يتبين امرنا فان آباءنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا فى خلاف ابداً ونحن فى يدك

وانت على البيان اقدر منك على استحيائنا بعد القتل فأوقرهم حديداً واخرجهم معه الى كتامة وخرج هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيي رهونهم .

﴿ فتح صنهاجة ﴾

قال وذكروا ان الجواسيس أتو موسى فقالوا له ان صنهاجة بغرة منهم وغفلة وان ابلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فأغار عليهم موسى بأربعة آلاف من أهل الديوان والفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا على اثقال المسلمين وعيالهم بطبية فى الف فارس وعلى مقدمة موسى عياض بن عقبة وعلى ميمنته المغيرة بن ابى بردة وعلى ميسرته زرعة بن ابى مدرك فسار موسى حتى غشي صنهاجة ومن كان معها من قبائل البربر وهم لا يشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم مائة الف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب مالا يحصى ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله فى سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله على موسى وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا فى الخروج الى الغرب فخرج نحو مما كان معه فالتقى المغيرة وصنهاجة فاقتتلوا قتالا شديداً ثم ان الله منحه اكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين الف رأس ثم انصرف قافلا

﴿ فتح سجوما ﴾

قال وذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وثمانين قدم على موسى ﻣﺪﺓ بن موسى فى طالعة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتاهب ثم غزا يريد سجوما وماحولها واستخلف عبد الله بن موسى على القيروان ثم خرج وهو فى عشرة آلاف من المسلمين وعلى مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته زرعة بن ابى مدرك وعلى ميسرته المغيرة بن ابى بردة القرسى وعلى ساقته نجدة بن مقسم فاعطى اللواء ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجن الملوك خلف به الاثقال وتجرد فى الخيول وخلف على الاثقال عمرو بن أوس فى الف وسار بمن معه حتى انتهى الى نهر يقال له ملويه فوجده حاملا فكره طول المقام عليه خوفاً من نفاد الزاد وان يبلغ العدو مخرجه ومكانه فاحدث مخاضة غير مخاضة عقبة بن نافع وكره ان يجوز عليها فما اجاز وانتهى اليهم وجدهم قد انذروا به وتاهبوا وأعدوا

للحرب فاقتتلوا قتالا شديداً فى جبل منيع لا يوصل اليهم الا من أبواب معلومة فاقتتلوا يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت الى العصر فخرج اليهم رجل من ملوكهم فوقف والناس مصطفون فنادى بالمبارزة فلم يجبه احد فالتفت موسى الى مروان ابنه فقال له اخرج اليه اى بنى فخرج اليه مروان ودفع اللواء الى أخيه عبد العزيز بن موسى فلما رآه البربرى ضحك ثم قال له ارجع فانى أكره ان أعدم منك اباك وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكرده حتى ألجأه الى جبله ثم انه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت فى جنبه ثم لحنت حتى وصلت الى جزف برذونه قال فوقع به البرذون ثم التقى الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديداً أنساهم ما كان قبله ثم ان الله هزمهم وفتح للمسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن لمزم وبلغ سبيهم مائتى الف رأس فيها بنات كسيلة وبنات ملوكهم بما لا يحصى من النساء السلسات اللاتى ليس لهن ثمن ولا قيمة قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدى موسى قال على بمروان ابنى قال فأتى به قال له أى بنى اختر قال فاختار ابنة كسيلة فاستسرها فهى أم عبد الملك بن مروان هذا. قال قاتل يومئذ زرعة بن ابى مدرك قتالا شديداً أبلى فيه حتى اندقت ساقه قال فآلى موسى ان لا يحمل الا على رقاب الرجال حتى يدخل القيروان وان يحمله خمسون رجلا كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الى عبد العزيز فتح بعد فتح وملأت سباياه الاجناد ونزل الناس اليه ورغبوا فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيرا ما يقول اذا جاءه فتح موسى لتهنئك القلبة أبا الاصبع ثم يقول وعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . قال وبعث موسى الى عياض وعثمان والى عبيدة بن عقبة فقال اشتفوا وضعوا اسيافكم فى قتلة قال فقتل منهم عياض ستمائة رجل صبرا من خيارهم وكبارهم فارسل اليه موسى ان امسك فقال : أما والله لو تركتنى ما أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف

﴿ قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم وجه بذلك الفتح الى عبد العزيز بن مروان مع على بن رباح فسار حتى قدم على عبد العزيز بمصر فأجازه ووصله ووجهه الى

عبدالملك بن مروان أخيه فلما قدم عليه أجازه أيضاً وزاده فى عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبدالعزيز كم زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا اكره ان افعل مثل ما فعل لزدتك مثلها ولكن تعد لها زيادة عشرة وكتب عبدالملك الى موسى يعلمه ان قد فرض لجميع ولده فى مائة و بلغ به هو الى المائتين وفرض فى مواليه وأهل الجزاء والبلاء ممن معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه ان أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة الف التى اغرمها لك فخذها من قبلك من الاخماس قال فلما قدم على موسى كتاب عبدالملك بن مروان يأمر بأخذ المائة الف مما قبله قال فانى أشهدكم انه رد على المسلمين ومعونة لهم وفى الرقاب وكان موسى اذ أفاء الله عليه شيئاً اشترى من ظن منهم انه يقبل الاسلام و ينجب فيعرض عليه الاسلام فان رضى قبله من بعد ان يمحص عقله و يجرب فطنة فهمه فان وجده ماهراً أمضى عتقه وتولاه وان لم يجد فيه مهارة رده فى الخمس والسهام . قال وكتب موسى الى عبد العزيز ببلاء زرعة بن أبى مدرك وما أوصله وانه لولا ذلك أوفد الى أمير المؤمنين ففرض له عبدالعزيز فى مائة وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسى قافلا وذلك فى سنة اربع وثمانين

﴿ غزوة موسى فى البحر ﴾

قال وذكروا ان موسى اقام بالقيراون بعد قفله شهر رمضان وشوال فأمر بدار صناعة بتونس وجرى البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا أمر لا نطيقه فقام الى موسى رجل من مسالمة البربر ممن حسن اسلامه فقال له : أيها الامير قد مر على مائة وعشرون سنة وان ابى حدثنى ان صاحب قرطاجنة لما أراد بناء قناتها أتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له ايها الملك انك ان وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لا يعجزها شيئاً لقوتها وقدرتها فضع يدك ايها الامير فان الله تعالى سيعينك فيما نويت و يؤجرك فيما توليت . فسر بذلك موسى وأعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبنى دار صناعة بتونس وجرى البحر اليها مسيرة اثنى عشر ميلا حتى اقحمه دار الصناعة فصارت مشتا للمراكب اذا هبت الانواء والارياح ثم أمر بصناعة مائة مركب فاقام بذلك بقية سنة أربع وثمانين وقدم عطاء بن أبى نافع الهذلى فى مراكب أهل مصر

وكان قد بعثه عبد العزيز يريد سردانية فأرسى بسوسة فاخرج اليه موسى الاسواق وكتب اليه ان ركوب البحر قد فات فى هذا الوقت وفى هذا العام فاقم لا تغرر بنفسك فانك فى تشرين الاخر فاقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر ، قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسى رأساً وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتى اتى جزيرة يقال لها سلسلة وافتتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة واشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلا فاصابته ريح عاصف فغرق عطاء واصحابه وأصيب الناس ووقعوا بسواحل افريقية فلما بلغ ذلك موسى وجه يزيد بن مسروق فى خيل الى سواحل البحر يفتش على ما يلقى البحر من سفن عطاء واصحابه فاصاب تابوتاً منحوتاً قال فمنه كان أصل غناء يزيد بن مسروق . قال ولقد لقيت شيخاً متوكئاً على قصبة فذهبت لافتشه فنازعنى فأخذت القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجواهر والدنانير . ثم ان موسى أمر بتلك المراكب ومن نجا من النوتية فادخلهم دار الصناعة بتونس . ثم لما كانت سنة خمس وثمانين أمر الناس بالتاهب لركوب البحر وأعلمهم انه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب حتي اذا ركبوا فى الفلك ولم يبق أحد الاان يرفع دعا بروح فعقده لعبد الله بن موسي ابن نصير وولاه عليهم وأمره ثم أمره ان يرفع من ساعته وانما أراد موسى بما اشار من مسيره ان يركب أهل الجلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الاشراف ، ثم سار عبد الله بن موسى فى مراكبه وكانت تلك اول غزوة غزيت فى بحر افريقية قال فاصاب فى غزوته تلك صقلية فافتتح مدينة فيها فاصاب مالا يدرى فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهبا وكان المسلمون ما بين الالف الى التسعمائة ثم انصرف قافلا سالماً فأتت موسى وفاة عبد العزيز بن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث اليه بالبيعة وبفتح عبد الله بن موسى وما أفاء الله على يده ثم ان موسي بعث زرعة بن أبى مدرك الى قبائل من البربر فلم يلق حربا منهم ورغبوا فى الصلح فوجه رؤسهم الى موسى فأعطاهم الامان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن اخيل على مراكب اهل افريقية فشتا فى البحر واصاب مدينة يقال لها سرقوسة ثم قفل فى ست وثمانين . ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالعة اهل مصر على موسى فى سنة

تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر افريقية فاصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

﴿ غزوة السوس الاقصى ﴾

قال وذكروا ان موسى وجه مروان ابنه الى السوس الاقصى وملك السوس يومئذ مزدانة الاسوارى فسار فى خمسة آلاف من أهل الديوان ، فلما اجتمعوا ورأى مروان ان الناس قد تعجلوا الى قتال العدو وان فى يديه اليمنى القناة وفى يده اليسرى الترس وانه ليشير بيده الى الناس ان كما انتم . فلما التقى مروان ومزدانة اقتتل الناس اذ ذاك قتالا شديداً ثم انهزم مزدانه ومنح الله مروان اكتافهم فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال اهل السوس على ايدى مروان فبلغ السبي اربعين الفا وعقد موسى على بحر افريقية حتى نزل بميرقة فافتتحها

﴿ قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك ﴾

قال وذكروا ان خادما للوليد بن عبد الملك بن مروان اخبرهم قال : اني لواقف بين يدى الوليد بن عبد الملك وبين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه اذ اتى رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان بفتح من فتوحاتها واعلمه فقال خذ الكتاب منه فاخذته فقرأته فانى على آخره حتى اتى رسول آخر من قبل موسى بن نصير بفتح السوس من قبل مروان بن موسى . فاعلمته قال هاته فقرأه فحمد الله وخر ساجدا لله حامدا ثم التفت الى فقال أمسك الباب لا يدخل احد قال وكان عنده ابن له يحبوا بين يديه فلما خر الوليد ساجداً شاكرا لله جاء الصبي الى الطشت فاضطرب فيه وصاح فالتفت اليه فقال رمرت لا أستطيع ان أغيثه لما أمرنى به من امساك الباب وأطال السجود حتى خفى صوت الصبي ثم رفع رأسه فصاح بى فدخلت وأخذت الصبي واله اابه روح

﴿ فتح قلعة ارساف ﴾

قال ثم ان صاحب ارساف اغار على بعض سواحل افريقية فنال منهم وبلغ موسى خبره فخرج اليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك على موسى قال قتلنى الله ان لم اقتله واما متم هنا قال فاقام موسى ما اقام ثم انه دعا رجلا من اصحابه فقال له انى موجهك فى أمر وليس عليك فيه بأس والك عندى فيه حسن

الثواب خذهذين الاذنين فسر فيهما بمن معك حتى تأتى موضع كذا وكذا فى مكان كذا فانك تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها لعيدهم فاذا كان الليل فادن من ساحلها ودع احدى هذين الاذنين بما فيها ثم انصرف الى بالاذن الاخرى وبعث معه موسى قبة من الخز والوشى ومن طرائف ارض العرب شيئاً مليحا وكتب كتابا بالرومية جوابا الكتاب كانه كان كتب به الى موسى يسأله الامان على ان يدله على عورة الروم وكتاب فيه امان من موسى مطبوع . فسار حتي انتهى الى الموضع الذى وصف له موسى فترك الاذن بما فيها وانصرف راجعاً فى الاذن الاخرى حتى قدم على موسى . وان الروم لما عثروا على اذن موسى استنكروها فرفع أمرها الى بطريق تلك الناحية فأخذ ما فيها فلما رأى ما فيها من الكتب وافده به حتى ذلك بعث بها الى الملك الاعظم . فلما أفضت اليه وقرأ الكتب خنق ذلك عنده فبعث الى ارساف رجلا وملكه عليها وأمر ان يضرب عنق صاحبها الذى كان على ساحل افريقية وفعل فعله الله بحيلة موسى

{ فتح الاندلس }

قال وقد ذكروا ان موسى وجه طارقا مولاه الى طنجه وما هنالك فافتتح مدائن البربر وقلاعها ثم كتب الى موسى انى قد اصبت ست سفن فكتب اليه موسى أتممها سبعا ثم سر بها الى شاطئ البحر واستعد لشحنها واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين فاذا كان يوم احد وعشرين من شهر ادار بالسريانى فاشحن على بركة الله ونصره فى ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له بالاعجمية مارس فاذا كان يوم احد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما امرتك ان شاء الله فاذا اجريت فسر حتى يلقاك جبل احمر وتخرج منه عين شرقية الى جانبها صنم فيه تمثال صور فاكسر ذلك التمثال وانظر فى من معك الى رجل طويل اشقر بعينيه قبل وبيده شلل فاعقد له على مقدمتك ثم اقم مكانك حتى يغشاك ان شاء الله . فلما انتهى الكتاب الى طارق كتب الى موسى : انى منته الى ما أمر الامير ووصف غير انى لم اجد صفة الرجل الذى امرتنى به الا فى نفسى فسار طارق فى الف رجل وسبعمائه وذلك فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقدكان لوذريق

ملك الاندلس قد غزا عدواً يقال له البشكيس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب الى لوذريق : انه قد وقع بأرضنا قوم لا ندرى أمن السماء نزلوا ام من الارض نبعوا . فلما بلغ لوذريق ذلك اقبل راجعا الى طارق فى سبعين الف عنان ومعه العجل تحمل الاموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه الحبال ولا يشك فى اسرهم . فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام فى اصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم فى الشهادة وبسط لهم فى آمالهم ثم قال . ايها الناس اين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس ثم والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة ، ايها الناس ما فعلت من شئ فافعلوا مثله ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد فى القتال الا وانى عامد الى طاغيتهم بحيث لا أتهيبه حتى أخالطه واقتل دونه فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنو ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتيل واسير . واياكم اياكم ان ترضوا بالدنية ولا تعطوا بايديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد احل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعيذكم تبوؤن بالخسران المبين وسوء الحديث غداً بين من عرفكم من المسلمين . وها أناذا حامل حتى أغشاه فاحملوا بحملتى . فحمل وحملوا فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديداً ثم ان الطاغية قتل وانهزم جميع العدو فاحتز طارق رأس لوذريق وبعث به الى موسى بن نصير وبعث به موسى مع ابنه وجهز معه رجالا من اهل افريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض له فى الشرف واجاز كل من كان معه ورده الى ابيه موسى . وان المسلمين قد اصابوا مما كان مع لوذريق ما لا يدرى ما هو ولا ما قيمته . قال وكتب طارق الى مولاه موسى . ان الامم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث ، فلما اتاه الكتاب نادى فى الناس وعسكر وذلك فى صفر سنة ثلاث وتسعين وكان احب الخروج اليه يوم الخميس اول النهار فاستخلف عبدالله بن موسى على افريقية وطنجة والسوس وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق الى مروان يأمره بالمسير

فسار مروان بن معه حتي اجاز الى طارق قبل دخول ابيه موسى وخرج موسى ابن نصير والناس معه حتى اتى المجاز فاجاز بمن زحف معه فى جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجد الجموع قد شردت اليه من كل مكان فسار حتي افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها فغل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله ولم يسلم من الغلول يومئذ الا ابو عبد الرحمن الجبلى . ثم ان موسى سار لا يرفع له شئ الاهده يفتتح له المدائن يمينا وشمالا حتى انتهى الى مدينة الملوك وهى طليطلة فوجد فيها بيتا يقال له بيت الملوك وجد فيها اربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولى الاندلس . كلما هلك ملك جعل تاجه فى ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وابن كم هو ويوم مات ويوم ولى ووجد فى ذلك البيت ايضا مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام ومائدة من جزع فعمد موسى الى التيجان والآنية والموائد فقطع عليها الاغشية وجعل عليها الامناء ليس منها شئ يدرى ماقيمته مما الذهب والفضة والمتاع فلم يكن يحصيه احد

﴿ اتهام الوليد موسى بالخلع ﴾

قال وذكروا ان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير الى الاندلس ظن انه يريد ان يخلع ويقيم فيها ويتمنع بها وقيل ذلك له وابطأت كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو وتوطئة لفتح البلاد فامر الوليد القاضي ان يدعو على موسى اذا قضي صلاته. وان موسى لما دخل طليطلة بعث على ابن رباح سحها واوفد معه وفدا فسار حتي قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فالفى القاضي يدعو على موسى فقال : ايها الناس الله الله فى موسى والدعاء عليه والله ما نزع يدا من طاعة ولا فارق جماعة وانه لفى طاعة امير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للمشركين وانى لاحدثكم عهدا به وماقدمت الآن الا من عنده وان عندى خبره وما افاء الله على يده لامير المؤمنين وما أيد به المسلمين مما تقر به اعينكم ويسر به خليفتكم .

﴿ دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك ﴾

قال وذكروا ان الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى ارسل اليه فادخل عليه ثم قال له ما وراءك فقال كل ماتحب ياأمير المؤمنين تركت موسى

ابن نصير فى الاندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه مالم يفتح على يد احد وقد اوفدنى الى امير المؤمنين فى نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه فدفع اليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجداً فلما رفع رأسه اناه فتح آخر فخر ايضاً ساجداً ثم رفع رأسه . فأتاه آخر بفتح آخر وخر ساجداً حتى ظننت انه لا يرفع رأسه

﴿ ذكر ماوجد موسى فى البيت الذى وجد فيه المائدة مع صور العرب ﴾

قال وذكروا ان هرم بن عباض حدثهم عن رجل من اهل العلم انه كان مع موسى بالاندلس حين فتح البيت الذى كانت فيه المائدة التى ذكروا انها كانت لسليمان بن داود عليه السلام فقال : كان بيتاً عليه أربعة وعشرون قفلا كان كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت ولاية لوذريق القرطبي الذى افتتحت الاندلس على يديه وفى ملكه قال والله لا أموت بغم هذا البيت ولا فتحنه حتى أعلم مافيه فاجتمعت اليه النصرانية والاساقفة والشمامسة وكل منهم معظم له فقالوا له ماتريد بفتح هذا البيت فقال والله لا أموت بغمه ولا علمت مافيه فقالوا اصلحك الله انه لا خير فى مخالفة السالف الصالح وترك الاقتداء بالاولياء فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك ولا يحملك الحرص على مالم يحملهم عليه فانهم أولى بالصواب منا ومنك فأبى الا فتحه فقالوا له انظر ماظننت ان فيه من المال والجواهر وماخطر على قلبك فانا ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم كانوا اهل معرفة وعلم . فأبى الا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه : اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها . فكان دخول المسلمين من العرب اليه فى ذلك العام

﴿ ذكر ماأفاء الله عليهم ﴾

قال وذكروا عن الليث بن سعد ان موسى لما دخل الاندلس ضربوا الاوتاد لخيولهم فى جدار كنيسة من كنائسها فتلفت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام قال وذكروا ان رجلا كان مع موسى ببعض غزواته بالاندلس وانه رأى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة

والجوهر والياقوت. فلما اثقلتهما انزلاها ثم حملا عليها الفأس فقطعاها نصفين فأخذا نصفا او تركا الآخر قال فلقد رأيت الناس يمرون يمينا وشمالا ما يلتفتون اليها استغناء عنها بما هو انفس منها وارفع قال واقبل رجل الى موسى فقال ابعث معى ادلكم على كنز . فبعث معه موسى رجالا فقال الذى دلهم انزعوا هاهنا فنزعوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت ما لم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لا يصدقنا موسى ارسلوا اليه . فارسلوا حتى جاء ونظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد قال وكان البربريان ربما وجداها ولا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيضربا وسطها ويأخذا منها ما أمكنهما اشتغالا بغير ذلك مما هو انفس منه قال الليث وبلغنى ان رجلا غل فى غزوة عطاء بن نافع فحمل ما غل حتى جعله فى مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزفت المزفت وحدثنا ابن ابى ليلى التجيبى عن حميد عن ابيه انه قال لقد كانت الدابة تطلع فى بعض غزوات موسى فينظر فى حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة . قال وكتب موسى حين افتتح الاندلس الى امير المؤمنين . انها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر . واخبرنى عن عبد الحميد بن حميد عن ابيه انه قال قدمت الاندلس امرأة عطارد فخرجت بخمسمائة رأس دابة الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك لا يحاط بعلمه قال وحدثنى ياسين بن رجاء انه قدم عليهم رجل من اهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الاندلس وعن دخول موسى اياها فقلنا له فكيف علمت هذا قال انى والله من سبيه ولاخبركم بعجيب والله ما اشترانى الذى اشترانى الا بقبضة من فلفل لمطبخ موسى بن نصير فقلنا له ما اقدمك فقال انى كان من وجوه الاندلس فلما سمع بموسى بن نصير عمد الى عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفنه فى موضع قد عرفته فتقدمت انا للخروج الى ذلك الموضع لاستخراجه قلنا له وكم لك منذ فارقته قال سبعون سنة قلنا له افنسيته قال نعم فلم ندر بعد ما فعل

(غزوة موسى بن نصير البشكنس والافرنج)

قال وذكروا ان موسى خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعا حتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم وغزا البشكنس

فدخل فى بلادهم حتى اتى قوماً كالبهائم ثم مال الى افرنجة حتى انتهى الى سرقسطة فافتتحها وافتتح مادونها من البلاد الى الاندلس قال فاصاب فيها مالا يدرى ماهو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة و بين سرقسطة وقرطبة شهراً أو اربعين ليلة قال وذكروا ان عبدالله بن المغيرة بن ابى بردة قال كنت ممن غزا مع موسى الاندلس حتى بلغنا سرقسطة وكانت من اقصى ما بلغنا مع موسى الا يسيراً من ورائها فاتينا مدينة على بحر ولها اربعة ابواب قال فبينما نحن محاصروها اذ اقبل عياش بن اخيل صاحب شرطة موسى قال ايها الاميرانا قد فرقنا الجيش ارباعا على نواحى المدينة وقد بقى الباب الاقصى وعليه رتبة قال له موسى بن نصير دع ذلك الباب فانا سننظر فيه قال ثم ان موسى التفت الى قال لى كم معك من الزاد قلت ما بقى معى غير تليس قال فانت لم يبق معك غير تليس وانت فى امراء الجيش فكيف غيرك اللهم اخرجهم من ذلك الباب قال المغيرة فاصبحنا من تلك الليلة وقد خرجوا من ذلك الباب فدخلها موسى منه ووجه ابنه مروان فى طلبهم فادركهم فاسرع القتل فيهم واصابوا مما كان معهم ومما فى المدينة شيئاً عظيماً قال وذكروا ان جعفر بن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسى فحاصرنا حصناً من حصونها عظيماً بضعا وعشرين ليلة ثم لم نقدر عليه فلما طال ذلك عليه نادى فينا ان اصبحوا على تعبئة وظننا انه قد بلغه مادة من العدو وقد دنت منا وانه يريد التحول عنهم فاصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال : أيها الناس انى متقدم امام الصفوف فاذا رأيتمونى قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا فقال الناس سبحان الله اترى فقد عقله ام عزب عنه رأيه يامرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل اليه : قال فتقدم بين يدى الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه واقبل على الدعاء والرغبة فأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستعددنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدت ناحية الحصن التى تلينا فدخل الناس منها وما راعنى الا خيل المسلمين تمرع فيها وفتحها الله علينا فاصبنا من السبي والجوهر مالا يحصى قال وحدثتنى مولاة لعبدالله بن موسى وكانت من اهل الصدق والصلاح ان موسى حاصر حصنها الذى كانت من اهله وكان تلقاءه حصن آخر قالت فاقام لنا محاصرا حيناً ومعه أهله وولده وكان لا يغزو الا بهم لما يرجو فى ذلك من الثواب قالت

ثم ان اهل الحصن خرجوا الى موسى فقاتلوه قتالا شديداً ففتح الله عليه قالت
فلما رأى ذلك اهل الحصن الآخر نزلوا على حكمه فقتحهما موسى فى يوم واحد
فلما كان فى اليوم الثانى أتى حصناً ثالثا فالتقى الناس فاقتتلوا قتالا شديداً أيضا حتي
حال المسلمون حوله قال فامر موسى بسرادقه فكشطه عن نسائه و بناته حتي
برزن قال فلقد كسرت بين يديه من اغماد السيوف مالا يحصى وحمى المسلمون
واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له وقال عبدالرحمن بن
سلام كنت فيمن غزا مع موسى فى غزواته كلها فلم ترد له رايه قط ولا هزم له جمع
قط حتى مات وقال ابن صخر لما قدم موسى الاندلس قال أسقف من أساقفتها :
انا لنجدك فى كتب الحدثان عن دانيال بصفتك صياداً تصيد بشبكتين رجل
لك فى البر ورجل فى البحر تضرب بهما هاهنا وهاهنا فتصيد . قال فسر بذلك
موسى واعجبه وقال عبدالحميد بن حميد عن ابيه ان موسى لما وغل وجاوز سرقسطة
اشتد ذلك على الناس وقالوا أين تذهب بنا حسبنا ما فى ايدينا وكان موسى قال حين
دخل افريقية وذكر عقبة بن نافع : لقد كان غرر بنفسه حين وغل فى بلاد العدو
والعدو عن يمينه وعن شماله وامامه وخلفه اما كان معه رجل رشيد فسمعه حبيش
الشيبانى قال فلما بلغ موسى ذلك المبلغ قام حبيش فاخذ بعنانه ثم قال : ايها
الامير انى سمعتك وانت تذكر عقبة بن نافع تقول لقد غرر بنفسه وبمن معه اما كان
معه رجل رشيد وانا رشيدك اليوم اين تذهب تريد ان تخرج من الدنيا اوتلتمس
اكثر واعظم مما اتاك الله عز وجل وأعرض مما فتح الله عليك ودوخ لك انى
سمعت من الناس مالم تسمع وقد ملؤا ايديهم واحبوا الدعة . قال فضحك موسى
ثم قال ارشدك الله وكثر فى المسلمين مثلك ثم انصرف قافلا الى الاندلس
فقال موسى يومئذ أما والله لو انقادوا الى لقدتهم الى رومية ثم يفتحها الله
على يدى ان شاء الله .

(خروج موسى بن نصير من الاندلس)

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام أخبرهم وكان مع موسى بن نصير
بالاندلس قال اقام موسى بقية سنته تلك واشهراً من سنة اربع وتسعين ثم
خرج وافداً الى الوليد بن عبد الملك وكان ماأقام بها موسى عشرين شهراً

واستخلف عبدالعزيز بن موسى فجاز موسى البحر على الاندلس فغزا بالناس حتى بلغوا اربونة ومعه ابناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضه والوصفاء والوصائف وما لايحصى من الجوهر والطرائف وخرج معه بوجوه الناس قال وذكروا عن صفة المائدة عن عبدالحميد انه قال: كانت مائدة خوان ليست لها ارجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهى تتلون صفرة وبياضاً مطوقة بثلاثة اطواق طوق لؤلؤء وطوق ياقوت وطوق من زمرد قال قلت . فما اعظمها قال . كنا بموضع والناس معسكرون اذفلت بغل لرجل من موالى موسى يقال له صالح ابو ريشة على رمكة فكردها فى العسكر فقام الناس اليه باعمدة الاخبية وجال فى العسكر جولة فتطلع موسى قال ماهذا وتطلع الجوارى فاذا هو بالبغل يكرد الرمكة وقد أدلى فغار موسى وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها الا منقلة حتي تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا البغل القوى

(قدوم موسى افريقية)

قال وذكروا ان يزيد بن مسلم مولى موسى اخبرهم انه لما جاز موسى الحصن امرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومائة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر واصناف الوشي الاندلسى حتى اتى افريقية فلما قدمها بقى بها سنة اربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبدالله على افريقية وطنجة والسوس وخرج معه ولده مروان بن موسى وعبد الاعلى بن موسى وعبد الملك بن موسى وخرج معه مائة رجل من اشراف الناس من قريش والانصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة وعبد الجبار بن ابى سلمة بن عبدالرحمن بن عوف والمغيرة بن ابى بردة وزرعة بن ابى مدرك وسليمان بن نجد ووجوه من وجوه الناس واخرج معه من وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كسيلة وبنو قصدر وبنو ملوك البربر وملك السوس مزدانة مالك قلعة ارساف ومالك ميورقة وخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مائة من ملوك الاندلس ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه ايضا باصناف مافى كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها ومالا يحصى فاقبل يجر الدنيا

وراءه جرا لم يسمع بمثله ولا بمثل ماقدم به

﴿ قدوم موسى الى مصر ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن سعيد بن مسلم اخبرهم قال لما اتى موسى مصر وانتهى ذلك الى الوليد بن عبدالملك كتب الى قرة بن شريك ان ادفع الى موسى من بيت مال مصر ما اراد فأقبل موسى حتى اذا كان فى بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلى عند باب الصوال وكان قرة قد استخلف ابن رفاعة على الجند حتى توفى فلما سمع بموسى خرج مبادراً حتى لحقه حين استوى على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسى من انت يابن اخى فانتسب له فقال مرحبا واهلا فسار معه حتى نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها موسى فكلمه حينئذ رفاعة فى المال الذى كان استخرجه من سفيان بن مالك النهرى وذلك بعد مهلك سفيان فقال هو لك قال فأمر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد سفيان بن مالك قال فأقام موسى ثلاثة ايام تأتيه اهل مصر فى كل يوم فلم يبق شريف الا وقد اوصل اليه موسى صلة ومعروفا كثيرا واهدى لولد عبدالعزيز بن مروان فاكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى اتى فلسطين فتلقاه آل روح بن زنباع فنزل بهم فبلغنى انهم نحروا له خمسين جزورا واقام عندهم يومين وخلف بعض اهله وصغار ولده عندهم واجاز آل مروان وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

﴿ قدوم موسى على الوليد رحمهما الله تعالى ﴾

قال وذكروا ان محمد بن سليمان وغيره من مشائخ اهل مصر اخبروهم ان موسى لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو فى آخر شكايته التي توفى منها وقد كان سليمان بن عبدالملك بعث الى موسى من لقيه فى الطريق قبل قدومه على الوليد يأمره بالتثبط فى مسيره وان لا يعجل فان الوليد بآخر رمقه . فلما اتى موسى بالكتاب من سليمان وقرأه قال : حيت والله ماغدرت وماوفيت والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكنى اسير بمسيرى فان اوافيه حيا لم اتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله فرجع الرسول الى سليمان فأعلمه فقال لئن ظفر بموسى ليصلبنه اوليأتين على نفسه فلما قدم موسى على الوليد وكان

الوليد لما بلغه قدوم موسى واقترابه منه وجه اليه كتابا يأمره اليه بالعجلة فى مسيره خوفا ان تعجل به منيته قبل قدوم موسى عليه وانه اراد ان يراه وان يحرم سليمان ماجاء به فلم يكن لموسى شئ يثبطه حين اتاه كتاب الوليد فأقبل حتي دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدر والياقوت والزبرجد والوصفاء والوصائف والوشي ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وامر بالمائدة فكسرت وعمد الى افخر مافيها والتيجان والجزع فجعله فى بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد ان مات رحمه الله .

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك وماصنع بموسى بن نصير ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام اخبرهم ان سليمان بن عبد الملك لما افضت الخلافة اليه بعث الى موسى فأوتى به فعنفه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ أعلى اجترأت وامرى خالفت والله لاقلن عددك ولا فرقن جمعك ولابددن مالك ولاضعن منك ما كان يرفعه غيرى ممن كنت تمنيه امانى الغرور وتخدعه من آل ابى سفيان وآل مروان . فقال له موسى : والله يأمير المؤمنين ماتعتل على بذنب سوى انني وفيت للخلفاء قبلك وحافظت على ولى النعمة عنده فيه فاما ماذكر امير المؤمنين من انه يقل عددى ويفرق جمعي ويبدد مالى ويخفض حالى فذلك بيد الله والى الله وهو الذى يتولى النعمة على الاحسان الى وبه استعين ويعيذ الله عز وجل امير المؤمنين ويعصمه ان يجرى على يديه شيئاً من المكروه لم استحقه ولم يبلغه ذنب اجترمته فأمر به سليمان فوقف فى يوم صائف شديد الحر على طريقة قال وكانت بموسى نسمة فلما اصابه حر الشمس واتعبه الوقوف هاجت عليه قال وجعلت قرب العرق تعتوره فمازال كذلك حتي سقط وعمر بن عبد العزيز حاضر الى ان نظر سليمان الى موسى وقد وقع مغشيا عليه قال عمر بن عبد العزيز : مامر بى يوم كان اعظم عندى ولا كنت فيه اكرب من ذلك اليوم لما رايت من الشيخ موسى وما كان عليه من بعد اثره فى سبيل الله ومافتح الله على يديه . قال فالتفت الى سليمان فقال يأباحفص ماأظن الا قد خرجت من يميني قال عمر : فاغتنمت ذلك منه فقلت يأمير المؤمنين شيخ كبير بادن وبه نسمة قد اهلكته وقد اتت على مافيه من السلامة لك من يمينك وهو موسى البعيد الاثر فى سبيل الله العظيم

الغناء عن المسلمين قال عمر والذى منعنى من الكلام فيه ما كنت اعلم من يمينه وحقده عليه فخشيت ان ابتدأته ان يلج عليه وهو لحوح قال فلما قال لى ماقال حمدت الله على ذلك وعلمت ان الله قد احسن اليه وان سليمان قد ندم فيه فقال سليمان من يضمه فقال يزيد بن المهلب انا اضمه ياأمير المؤمنين قال وكانت الخال بين يزيد وموسى لطيفة خاصة قال سليمان فضمه اليك يايزيد ولا تضيق عليه قال فانصرف به يزيد وقد قدم اليه دابة ابنه مخلد فركبها موسى فاقام اياما قال ثم انه تقارب ما بين موسى وسليمان فى الصلح حتى افتدى منه موسى بثلاثة آلاف الف دينار

﴿ عدد موالى موسى بن نصير ﴾

قال وذكروا عن بعض البصريين ان رجلا منهم اخبرهم ان يزيد قال لموسى ذات ليلة وقد سهرا سهراً طويلا ياأبا عبد الرحمن كم تعد مواليك واهل بيتك فقال كثيرا قال يكونون الفا قال له موسى نعم والفا والفا حتى ينقطع النفس لقد خلفت من الموالى ماأظن ان احداً خلف مثلهم فقال له يزيد انك لعلى مثل ماوصفت وتعطى يدك ألا أقمت بدار عزك وموضع سلطانك وبعثت بما قد قدمت به فان اعطيت الرضا اعطيت الطاعة والا كنت على التخير من امرك فقال موسى والله لو اردت ذلك ما تناولوا طرفا من اطرافى الى ان تقوم الساعة ولكن آثرت حق الله ولم أر الخروج من الطاعة والجماعة ثم خرج يزيد من عنده فنظر اليه موسى قال لمن عنده والله ان فى رأس ابى خالد لنفرة وليأتين عليها

﴿ ذكر ما رآه موسى بالمغرب من العجائب ﴾

قال وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشائخ اهل مصر قال لما بعث موسى رحمه الله بالخمس الذى افاءه الله عليه وكان مائة الف رأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة الرقيق الى اليوم ونزلوا موضعا بالفسطاط فتسوقوا فيه فسمى سوق البربر الى اليوم قال محمد بن سليمان ومحمد ابن عبد الملك ان موسى اتخذ لنفسه داراً وسكنها حتى كان من امر سليمان ماقد ذكر وهو الذى اخرجه واهله من المغرب قال وحدثنا بعض اهل افريقية ان موسى ركب يوما حتى خرج من القيروان فوقف قريبا من افريقية على رأس اميال فأخذ بيده ترابا فشمه ثم امر بحفر بئر وابتنى دارا واتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية

الخيل فليس يعلم بالمغرب بئر أعذب منها ، وحدثنا الكريم ابو بكر عبد الوهاب ابن عبد الغفار شيخ من مشائخ تونس قال ان موسى انتهى الى صنم يشير باصبعه خلفه ثم تقدم الى صنم امام الصنم الاول فاذا هو يشير باصبعه الى السماء ثم تقدم فاذا بصنم على نهر ماء جار يشير باصبعه تحت قدميه فلما انتهى موسى الى الصنم الثلث قال موسى احفروا فاذا بحدث مختوم الرأس قد اخرج فأمر به موسى فكسر فخرجت ريح شديدة فقال موسى للجيش اتدرون ماهذا قالوا لا والله ايها الامير ماندرى قال ذلك شيطان من الشياطين التى سجنها نبى الله سليمان بن داود قال وحدثنا بعض مشائخ اهل المغرب ان موسى ارسل ناسا فى مراكب فامرهم ان يسيروا حتى ينتهوا الى صنم يشير باصبعه امامه فى جزيرة فى البحر ثم يسيروا حتى ياتوا صنما آخر فى جزيرة يشير باصبعه امامه ثم يسيروا الليالى والايام ويجدوا فى السير حتى يأتوا صنما آخر فى جزيرة فى البحر فيها اناس لا يعرفوا كلامهم قال فاذا بلغتم ذلك فارجعوا وذلك فى اقصى المغرب ليس وراءه احد من الناس الا البحر المحيط وهو اقصى المغرب فى البر والبحر . قال وحدثنا بعض المشائخ من اهل المغرب ان موسى بلغ نهراً من اقصى المغرب فاذا عليه فى الشق الايمن اصنام ذكور وفى الايسر اصنام اناث وان موسى لما انتهى الى ذلك الموضع خوف الناس فلما رأى ذلك منهم رجع بالناس ثم مضى فى وجهه ذلك حتى انتهى الى ارض تميد باهلها ففزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا عبد الله بن قيس قال بلغنى ان موسى لما جاوز الاندلس اتى موضعا فاذا فيه قباب من نحاس فامر بقبة منها فكسرت فخرج منها شيطان نفخ ومضى فعرف موسى انه شيطان من الشياطين التى سجنها سليمان بن داود فامر موسى بالقباب فتركت على حالها وسار بالناس قال وحدثنا عمارة بن راشد قال بلغنا ان موسى كان يسير فى بعض غزواته وهو باقصى المغرب اذ غشى الناس ظلمة شديدة فعجب الناس منها وخافوا وسار بهم موسى فى ذلك اذ هجم على مدينة عليها حصن من نحاس فلما اتاها اقام عليها وطاف بها فلم يقدر على دخولها فامر بنبل ورماح وندب الناس فجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار فصعد رجل فلما استوى على سورها تردى فيها ثم ندب الناس موسى ثانية وقال من يصعد وله الف دينار فصعد آخر ففعل به مثل

ذلك ثم ندب الناس ثالثة قال من يصعد وله الف وخمسمائة دينار فصعد رجل ثالث فاصابه ما أصاب صاحبيه فكلم الناس موسى فقالوا هذا امر عظيم اصيب اخواننا وغررت بهم حتى هلكوا فقال لهم على رسلكم يأتيكم الامر على ماتحبون ان شاء الله ثم امر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينة ثم امر ان يرمى الحصن فلما علم من فى الحصن ما عمل موسى ضجوا وصاحوا وقالوا ياايها الملك لسنا بغيتك ولا نحن ممن تريد نحن قوم من الجن فانصرف عنا فقال لهم موسى اين اصحابى ومافعلوا قالوا هم عندنا على حالهم فقال اخرجوهم الينا قالوا نعم فاخرج الثلاثة نفر فسألهم موسى عن امرهم وما صنع بهم فقالوا ما ندرينا ما كنا فيه وما اصابتنا شوكة حتى اخرجنا اليك فقال موسى الحمد لله كثيرا ثم تقدم بالناس سائراً يفتتح كل مامر به . ثم نرجع الى حديث سليمان بن عبد الملك

﴿ تولية سليمان بن عبد الملك اخاه مسلمة وما اشار به موسى عليه ﴾

قال وذكروا ان سعيد بن عبد الله اخبرهم قال ان سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الى ارض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين الف رجل وخمسمائة رجل ممن قد ضمه الديوان واكتتب العطاء وتقلب فى الارزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد ان رضى عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال له سليمان اشر على ياموسى فلم تزل مبارك الغزوة فى سبيل الله بعيد الاثر طويل الجهاد فقال له موسى : ارى يا أمير المؤمنين ان توجه بمن معه فلا يمر بحصن الا صير عليه عشرة آلاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ثم يمضى بالباقى من جيشه حتى يأتى القسطنطينية فانه يظفر بما يريد ياأمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فامره بذلك من مشورة موسى واوعز اليه فلما علم مسلمة بالمشورة فكانه كره ذلك وكان فى مسلمة بعض الاباية ثم رجع الى قول موسى فيما صنع بارض الروم حين ظفر ببطريق ليس فوقه الا ملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمنى على نفسى واهلى ومالى وولدى وانا آتيك بالملك فامنه ومضى البطريق الى الملك الاعظم فاعلمه بما فعل مسلمة وماظفر به منه ومن حصون الروم فلما رأى ذلك ملك الروم اعظم ذلك وسقط فى يديه فقال البطريق له عند ذلك مالى عليك ان صرفت مسلمة عنك وجميع من معه فقال الملك اجعل تاجى على رأسك واقعدك مكانى فقال البطريق انا اكفيك ذلك

فرجع البطريق الى مسلمة فقال اخرني ثلاثا حتى آتيك بالملك فبعث البطريق الى جميع الحصون فامرهم بالتقلع الى الجبال وحمل ماقدروا عليه من الطعام وامر باحراق الزرع وغير ذلك مما يؤكل وينتفع به مما كان خلفه مسلمة وجنده ومابين المسلمين وملك الروم فلمافعلوا ماامروا به وعلم انه احكم امره بعث الى مسلمة فقال له : لو كنت امرأة لفعلت بك كما يفعل الرجل بامرأته . قال فتغيظ مسلمة وآلى ألا يبرح حتى يظفر بملك الروم

﴿ سؤال سليمان موسى عن المغرب ﴾

قال وذكروا ان محمد بن سليمان اخبرهم ان سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت على الاندلس قال له عبد العزيز بن موسى قال ومن خلفت على افريقية وطنجة والسوس قال عبد الله ابني فقال له سليمان لقد انجبت ياموسى فقال موسى ومن انجب مني ياأمير المؤمنين ان ابني مروان اتى بملك الاندلس وابني عبد الله اتى بملك ميورقة وصقلية وسردانيـة وان ابني مروان اتى بملك السوس الاقصى فهم متفرقون في الامصار وغيرهم يغيرون فيأتون من السبي بما لايحصى فمن انجب مني ياامير المؤمنين قال فغضب سليمان فقال ولاامير المؤمنين ليس بانجب منك فقال موسى شأن امير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وان عظم دونه لانه به ومنه وعلى يديه وامره . قالوا وحدثنا عبدالله بن شريح قال بلغني ان موسى لما نزل الحيرة عند قدومه من المغرب اتاه رجل من بني امية فقال له ياموسى انت ملك المغرب واعلم الناس تخرج الى الوليد وتعلم من سليمان فقال له موسى : يابن اخي حسبك من قريش ثم من بني أمية ما تعلم الا ترى يابن اخي ان الصبي يأخذ العظم فيعقفه بحبل ثم ينصبه ويهيئ ويضع فيه حبة بر او ذرة فينصب للهدهد العالم بما تحت الارض ثم تدفعه المقادير الى الوقوع فيه فاحذر يابن اخي ان تراك الشام اوتراها . فخرج موسى الى الوليد بدمشق فمات الوليد واستخلف سليمان اخاه فلقي منه موسى ماذكرنا واخرج القرشي الى الشام فضربت عنقه .

﴿ ذكر قدوم موسى على الوليد ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم على الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس الوليد ابن عبد الملك على المنبر وكان موسى قال لبعض من وفد معه بان يلبس كل رجل

من الاسرى تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد قال فالبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهياهم هيئة الملوك وامر بابناء ملوك البربر فهيئوا وامر بابناء ملوك الجزائر والروم فهيئوا كذلك ولبسوا التيجان وامر بابناء ملوك الاشبان فهيئوا بمثل ذلك وامر بالاموال والجوهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرش باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وابناء ملوك افرنجة واقبل موسى بالذين البسهم التيجان حتي دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله وهوموهون قد اثرت فيه العلة وانهكه المرض وانما كان متحملا لاجل قدوم موسى ومن معه فلما رآهم بهت اليهم وقال الناس موسى موسى ثم اقبل حتى سلم على الوليد ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله ثم ان الوليد اخذ فى حمد الله تعالى والثناء عليه والشكر لما ابده الله ونصره فتكلم بكلام لم يسمع منه واطال حتى فات وقت الجمعة ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ثم دعا بموسى فصب عليه الوليد الخلع ثلاث مرات واجازه بخمسين الف دينار وفرض لولده جميعاً فى الشرف وفرض لخمسمائة من مواليه ثم ادخل عليه موسى ملوك البربر وملوك الروم وملوك الاشبان وملوك افرنجة ثم ادخل عليه رؤوس اهل البلاد ممن كان معه من قريش والعرب فاحسن جوائزهم وفرض لهم فى الشرف ثم اقام موسى عند الوليد اربعين يوما ثم ان الوليد هلك .

﴿ ذكر اختلاف الناقلين فى صنع سليمان بموسى ﴾

قالوا لما استخلف سليمان بعد اخيه الوليد فكان احنق الناس على الحجاج وموسى بن نصير وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان حنقه عليهما لامر يطول ذكره. قال فارسل سليمان الى عمر بن عبد العزيز فاتاه فقال انى صالب غداً موسى بن نصير فبعث عمر الى موسى فاتاه فقال له: يابن نصير انى احبك لاربع الواحدة بعد اثرك فى سبيل الله وجهادك لعدو الله والثانية حبك لآل محمد صلى الله عليه وسلم والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيى فيه وكان من عباد الله الصالحين والرابعة ان لابى عندك يداً وصنيعة وانا احب ان تتم يده وصنيعته حيث كانت وقد سمعت امير المؤمنين يذكر انه صالبك غداً فاحدث عهدك وانظر فيما انت

فيه ناظر من امرك فقال له موسى قد فعلت واسندت ذلك اليك فقال له عمر لو
قبلت ذلك من احد قبلت منك ولكن اسند الى من احببت فانصرف فلما اصبح
اغتسل وتحنط وراح ولم يشك فى الصلب فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك
فى حمارة الصيف دعا سليمان موسى فادخل عليه متعبا وكان بادناً جسيما به نسمة
لا تزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخوفه وتواعده فقال له موسى : اما والله
ياأمير المؤمنين ماهذا بلائى ولاقدر جزائى انى البعيد الاثر فى سبيل الله العظيم
الغناء عن المسلمين مع قدمة آبائى مع آبائك ونصيحتى لهم . قال فيقول له سليمان
كذبت قتلنى الله ان لم اقتلك فلما اكثر على موسى قال له اما والله لمن فى بطن
الارض احب الى ممن على ظهرها فقال سليمان ومن اولئك واستطير فقال له موسى
مروان وعبد الملك والوليد اخوك وعبد العزيز عمك قال فكان سليمان ينكسر
ثم يقول قتلنى الله ان لم اقتلك فيقول له موسى ماانت بفاعل ياامير المؤمنين فيقول
ولم لا أم لك فيقول له موسى انى لارجو ان لايكرم موسى بهوان امير المؤمنين
وموسى حينئذ قائم فى الشمس قد ارتفع نفسه وعظم بهره ثم التفت سليمان الى
عمر بن عبد العزيز فقال ما أرى يمينى الا قد برئت ياعمر قال عمر فاغتنمتها منه ولم
ابال ان يحنث باحياء رجل من المسلمين فقلت اجل ياامير المؤمنين امرؤ كبرت
سنه وكثر لحمه وبه نسمة وبهر وستم فما اراه الا ميتا قال ثم التفت سليمان الى
جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه هذه الاموال فقال يزيد بن
المهلب انا ياامير المؤمنين قال فخذه ولا تمسه وضع العذاب على ابنيه مروان وعبد
الاعلى فخرج به يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به الى منزله فاكرمه وبره
وقال له : أطع امرى واجب امير المؤمنين الى متاضاته عن نفسك وعن ابنيك
وحمانى كلما قاضيته عليه . فقال له موسى اما اذا كنت انت صاحب هذا الشأن
فانا غير مخبرك فيما ضمنت لامير المؤمنين وايم الله لوامر سواك بى وامره بالبسط
على لكان احب الى ان القى الله عز وجل واقرب الى من ان يأخذ منى دينارا
واحدا ولكن أديا يابنى عن انفسكما وعن ابيكما فقالا نعم فغدا يزيد بن المهلب الى
الى سليمان فاعلمه بذلك و برضا موسى بمقاضاته فادخله سليمان عليه فقال موسى
أرأيت لولم اقاضك ما كنت فاعلا قال سليمان اضع العذاب عليك وعلى ابنيك

حتي ابلغ ما اريد او آتي على انفسكم فقال موسى الآن طابت نفسك يا امير المؤمنين فاعطني اربع خصال ولك ما دعوتك اليه من هذا المال فقال وماهن قال لا تعزل عبدالله بن موسى عن افريقية وجميع عمله سنتين وان كل ما جباه عبدالله بافريقية وعبدالعزيز بالاندلس فهولى فما قاضيت عليه امير المؤمنين وان تدفع الى طارقا مولاى واكون اعلا به عينا وبماله فقال له سليمان اما ما سألت من اقرار عبدالعزيز وعبدالله على مكانهما فذلك لك واما ما سألت من دفع طارق اليك فتكون اعلا عينا به وبماله فليس هذا جزاء اهل النصيحة لامير المؤمنين فلست بفاعل ولا مخل بينك و بين عقوبته ولا آخذ ماله فقضاه موسى على مال فاجله فى ذلك وخلى سبيله

﴿ نسخة القضية ﴾ هذا ما قاضى عليه عبدالله سليمان امير المؤمنين موسى ابن نصير قاضاه على اربعة آلاف الف دينار وثلاثين الف دينار وخمسين دينارا ذهباً طيبة يؤديها الى امير المؤمنين وقد قبض منها امير المؤمنين مائة الف و بقى على موسى سائر ذلك اجله امير المؤمنين الى سير رسول امير المؤمنين الى ابن موسى الذى بالاندلس يمكث شهرا بالاندلس وليس له ان يمكث وراءه ذلك يوما واحدا حتى يقبل راجعا بالمال الا ما كان من افريقية ومادنها وليس لموسى ان يتكثر شئ مما كان عليه من العمل منذ استخلف الله امير المؤمنين من ذمة اوفئ او امانة فهو لامير المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فى الذى موسى الذى سمى امير المؤمنين فى كتابه هذا من المال الى ما فدسمى امير المؤمنين من الاجل فقد برئ موسى و بنوه واهله ومواليه وليست عليهم تبعة ولا طلبة فى المال ولا فى العمل يقرون حيث شاؤا وما كان قبض موسى او بنوه من عمال موسى الى قدوم رسول امير المؤمنين افريقية فهو من الذى على موسى من المال يحسب له من الذى عليه مالم يقبض قبل وصول رسول امير المؤمنين فليس منه فى شي وقد خلى امير المؤمنين بين موسى و بين اهله ومواليه ليس له ظلم احد منهم غير ان امير المؤمنين لا يدفع اليه طارقا مولا دولا شيئاً من الذى قد اباه عليه اول يوم شهد ايوب بن امير المؤمنين وداود بن امير المؤمنين وعمر بن عبدالعزيز وعبدالعزيز بن الوليد وسعيد بن خالد و يعيش بن سلامة وخالد بن الريان وعمر ابن عبدالله ويحيى بن سعيد وعبدالله بن سعيد وكتبه جعفر بن عثمان فى جمادى

سنة تسع وتسعين : فلما تقاضيا امر سليمان يزيد بن المهلب بتخلية موسى وابنيه والكف عنه فاعانه يزيد بن المهلب بمائة الف دينار فاهدى اليه موسى حقاً فيه ثلاث خرزات فبعث بهن الى ابن المهلب فقومهن فقوبلن بثلاثمائة الف دينار فقال ابن المهلب لموسى اندرى لم قلت لامير المؤمنين انا اضمه قال لا قال خفت ان يحبيه قبلي من لا يرى فيك ما انا عليه لك وكانت لك يد عند المهلب رحمه الله فاحببت ان اجزيك بها عنه وبالله لو لم تفعل وابيت عن المقاضاة ماشاكتك عندي شوكة حتى لا يبقى لآل المهلب مال ولا ثوب . قال فجزاه موسى خيرا

﴿ ذكر يد موسى الى المهلب ﴾

قال وذكروا ان مخبراً اخبرهم من شيوخ الشام ممن ادرك القوم وصحبتهم قال كانت اليد التي اسداها موسى الى المهلب ان عبد الملك بن مروان لما ولى العراق بشراً اخاه جعل معه موسى بن نصير وزيرا ومدبرا لامره وقد كانت الازارقة افسدت ماهنالك فامر عبد الملك بشر بن مروان ان يولى المهلب قتالهم وكان بشر للمهلب مسيئا فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشرا فلم يأته فولى بشر بن مروان قتال الازارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولى بشر رجلا آخر فلم يصنع شيئاً فكتب عبد الملك الى بشر اخيه يفند رايه فيما صنع ويوبخه لما خالف رايه فصمم بشر على رأيه فلما استغلظ امر الازارقة استشار بشر بن مروان اسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعي وموسى بن نصير فى امر المهلب فاما عكرمة واسماء فوافقا هواه فيه واما موسى فقال له ان امير المؤمنين لا يحتملك على المعصية وليس مثل المهلب فى فضله وسرفه وقدره فى قومه ومعرفته اقصيت اوجفوت فان كان ما بلغك امر يقال انه اتاه فاكشفه عنه حتى تعلم عذره فيه او ذنبه فلم يزل موسى يردد امر المهلب على بشر ويعطفه عليه بعد ان كان هم بقتله ان ظفر به حتى ارسل اليه بشر فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل منه بشر وولاه ما كان يلي فيعث اليه موسى بخمسين فرسا وبمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسى قائما بامره عند بشر حتى هلك بشر . قالوا واخبرنا محمد ابن عبد الملك ان المهلب فى الايام التي كان يخاف فيها بشر بن مروان على نفسه خرج الى مال له فكان فيه وحده فاتى رجل الى بشر وعنده موسى فقال له

ان كان لك ايها الامير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع كذا وكذا فانه فيه في غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه . فبعث بشر خيلا قال فنهض من مجلسه موسى فوجه اليه غلاماله ثم قال له انت حر لوجه الله ان انت سقت هذه الخيل حتى تنتهي الى موضع كذا وكذا فأتى المهلب فتقول له ان موسى يقول لك النجاة بنفسك فخرج غلام موسى حتى انتهى الى المهلب فاعلمه فاستوى على فرسه فذهب واتت الخيل فلم تجد احدا هناك فانصرفوا راجعين الى بشر فاعلموه بذلك

﴿ ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالاندلس ﴾

وذكروا ان محمد بن عبد الملك اخبرهم قال اقام موسى بن نصير مع سليمان ابن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضي عنه وابنه عبد الله بن موسى على افريقية وطنجة والسوس وابنه عبد العزيز على الاندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذي فعل سليمان بابيه موسى تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بابيه على حسن بلائه فنميت الى سليمان فخاف سليمان ان يخلع فكتب الى حبيب بن عبيدة وابن وعلة التيمي وسعد بن عثمان بن ياسر وعمرو بن زياد اليحصبي وعمر ابن كثير وعمرو بن شرحبيل كتب الى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذي بلغه عن عبد العزيز بن موسى وما هم به من الخلع وانه قد كتب لعبد الله بن موسى يأمره باشخاصهم الى عبد العزيز واعلمه ان دعاه الى ذلك الذي احب من مكانتكم لانه بازاء العدو واعطاهم العهود ان من قتله منهم فهو امير مكانه . وكتب الى عبد الله ابن موسى اني نظرت فاذا عبد العزيز بازاء عدو يحتاج فيه الى الغناء والبلاء فسأل امير المؤمنين فاخبر ان معك رجالا منهم فلان وفلان فاشخصهم الى عبد العزيز ابن موسى . وكتب سليمان الى عبد العزيز اما بعد فان امير المؤمنين علم ما انت بسبيله من العدو وحاجتك الى الرجال اهل النكاية والغناء فذكر لما ان بافريقية رجالا منهم فكتب امير المؤمنين الى عبد الله بن موسى يأمره باشخاصهم اليك فولهم اطرافك وثغورك واجعلهم اهل خاصتك وكتب اليهم سليمان اني قد بعثت لكم بكتاب الى اهل الاندلس بالسمع والطاعة لكم والغدر في قتله فاذا ولاكم اطرافه فاقروا عهدي على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا اليه حتى تقتلوه . فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسى بافريقية اشخص القوم فخرجوا حتى

قدموا على عبد العزيز بالاندلس بكتاب سليمان فى الطافهم واكرامهم فقربهم عبد العزيز واكرمهم وحياهم وقال لهم اختاروا اى نواحى وثغورى شئتم فضربوا الرأى فقالوا انكم ان فعلتم ما انتم فاعلون ثم رجعتم اليه من اطرافه لم نأمن ان يميل معه عظيم الناس فان فى يديه الاموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رايكم فى الفتك به قالوا فان هاهنا رجلا ان دخل معنا استقام لنا الامر ووصلنا الى ما اردنا وهو ايوب بن حبيب بن اخت موسى قال فلقوه ودعوه الى انه ان قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم انهم اتوا عبدالله بن عبدالرحمن الغافقى وكان سيد اهل الاندلس صلاحا وفضلا فاعلموه ثم اقرأوه كتاب سليمان فقال لهم : قد علمتم يد موسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ امير المؤمنين امر كذب عليه فيه والرجل لم ينزع يدا من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وانتم ترون وامير المؤمنين لا يرى فأطيعونى ودعوا هذا الامر فأبوا ومضوا على رأيهم فاجمعوا على قتله فوقفوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة واحرم وقرأ بام القرآن الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب بن ابى عبيدة ضربة فدهش ولم يصنع شيئا فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله ابن وعلة التميمى واصبح الناس فاعظموا ذلك فاخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبله اهل الاندلس وولوا عليهم عبدالله بن عبدالرحمن الغافقى ووفد حبيب بن أبى عبيدة برأس عبد العزيز بن موسى رحمهما الله

﴿ قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان ﴾

وذكروا ان سليمان لما ظن ان القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما كتب به اليهم عزل عبد الله بن موسى عن أفريقية وطنجه والسوس فى آخر سنة ثمان وتسعين فى ذى الحجة واقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى ابن نصير لا يشعر بقتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بعث الى موسى فأتاه فلما جاس وراء القوم قال له سليمان اتعرف هذا الرأس يا موسى فقال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى فقام الوفد فتكلموا بما تكلموا به . ثم ان موسى قام فحمد الله ثم قال : وهذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه فلعمر الله ما علمته

نهاره الا صواما وليله الا قواما شديد الحب لله ولرسوله بعيد الاثر فى سبيله حسن الطاعة لامير المؤمنين شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين فان يك عبد العزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه فوالله ما كان بالحياة شحيحاً ولا من الموت هائبا وليعز على عبد الملك وعبد العزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصرع ويفعلوا به ما أراك تفعل ولهو كان أعظم رغبة فيه وأعلم بنصيحة أبيه أن يسمعوا فيه كاذبات الاقاويل ويفعلوا به هذه الافاعيل . فرد سليمان عليه قال بل ابنك المارق من الدين والشاق عصا المسلمين المنابذ لامير المؤمنين فمهلاً أيها الشيخ الخرف فقال موسى . والله مابى من خرف ولا أنا عن الحق بذى جنف ولن ترد محاورة الكلام مواضع الحمام وأنا أقول كما قال العبد الصالح « فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون » فأذن فى رأسه ياأمير المؤمنين واغرورقتا عيناه . فقال له سليمان نعم فخذه فقام موسى فاخذه وجعله فى طرف قميصه الذى كان عليه ثم أدبر فى السماطين فوق الطرف الآخر عن منكبيه وهو يجر لايحفل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان ارفع ثوبك يابن نصير فالتفت موسى وقال ما أنت وذاك ياخالد قال سليمان دعه حسبه ما فعلنا به فلما توارى موسى قال سليمان ان فى الشيخ لبقية بعد . ثم ان موسى التفت الى حبيب بن أبى عبيدة فكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أمراً خفيا من نسبه فافحمه ثم ان سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فالفى ذلك باطلا وان عبد العزيز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع اليه عن عبد العزيز ندم وأمر بالوفد فاخرجوا ولم ينظر فى شىء من حوائجهم واهدر عن موسى بقية القضية التى كان سليمان قاضاها عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج بن يوسف وموسى بن نصير ليعزلنهما ثم لايليان معه من أمور الناس شيئا فلما رضى عن موسى جعل يقول ما ندمت على شىء ندامتى ان لا كنت خلوا من اليمين على موسى فى ان لا اوليه شيئاً ما مثل موسى استغنى عنه . قال وان موسى دخل على سليمان فى آخر يوم من شعبان عند المغرب وهو مستشرف على سطح وعنده الناس فلما رآه سليمان قال عندكم والله من

ان سألتموه عن الهلال ليخبرنكم انه قد رآه وقد غمى يومئذ عن سليمان والناس فلما دنى موسى وسلم قال له سليمان أرأيت الهلال بعد ياموسى قال نعم ياأمير المؤمنين هاهو ذاك وأشار بأصبعه الى ناحية وهو مقبل على سليمان بوجهه فرمى الناس بابصارهم حيث أشار موسى فأبصروا الهلال فلما جلس موسى قال انى والله لست باحدكم بصراً ولكنى أعلمكم بمطالعه ومناسقه قال فخرج فلقيه يزيد بن المهلب فقال له : ياأبا عبد الرحمن بينا أنت ادهى الناس وأعلمهم أقبلت تسوق نفسك حتى تضعها فى يد سليمان فقال له موسى أما علمت ياأبا خالد ان الهدهد يهندس الماء ويعرفه من الارض القضاء ومن الحزونة والسهل ويبصر القريب منه والبعيد ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة وما أشبهها فلا يبصر ذلك حتى يقع فيه فيؤخذ وذلك انه لا حذر ينجى من قدر ولا رأى ولا بصر وكذلك كنت وسليمان بن عبد الملك . قال وذكروا ان سليمان خرج يوما الى بعض أمواله متنزها فخرج معه موسى بن نصير فعرضت عليهم غنم حلب نحو من ألف راس فاعجب سليمان ما رأى منها والتفت الى موسى قال له هل رأيت مثلها قط قال نعم فرددها سليمان كالمغضب عليه قال موسى نعم ياأمير المؤمنين وما هذا فيما افاء الله عز وجل على يدى لقد كانت الالف تباع بعشرة دراهم أو دونها ولقد كانت فى بعض المواطن وما لها قيمة ولا يلتفت اليها أحد ياأمير المؤمنين ولغير ذلك مما أفاء الله عليهم ولقد رأيت العلج العتل والوصيف القاره والجارية الحسناء وان اكثر ما تبلغ خمسين درهما لكثرة ذلك من صنوفه كلها ولقد رأيت الذود من الابل لا تبلغ قيمته عشرين درهما اكثير يا أمير المؤمنين ما أعلمتك فيما تسمع قال سليمان لا وحمد الله . وذكروا ان موسى دخل على سليمان يوما وعنده الناس فلما رآه سليمان قال ذهب سلطان الشيخ وأبصره موسى حين تكلم فلم يفهم ما قال فلما سلم قال يا أمير المؤمنين رأيتك لما نظرتنى داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتنى به قال نعم قلت ذهب سلطان الشيخ قال له موسى ، اما والله لئن ذهب سلطان الشيخ لقد أثر الله فى دينه أثرا حسناً ولقد كنت طويل الجهاد فى الله حريصاً فى اظهار دين الله حتى أظهره الله وكنت ممن تم الله به وعده

لمنيه ولئن أدبر معك لقد كان مع آبائك ناضر الغصن ميمون الطائر . فقال سليمان هو ذاك فقال موسى وهو ذاك فلم يزل يرددها سليمان ويرددها موسى حتي سكت سليمان

﴿ سؤال سليمان بن عبد الملك موسى عن أخباره وأفعاله ﴾

وذكروا ان سليمان قال لموسى . ماالذى كنت تفزع اليه فى مكان حربك من أمور عدوك ؟ قال التوكل والدعاء الى الله ياأمير المؤمنين . قال له سليمان هل كنت تمتنع فى الحصون والخنادق أو كنت تخندق حولك قال كل هذا لم أفعله قال فما كنت تفعل قال كنت أنزل السهل واستشعر الخوف والصبر واتحصن بالسيف والمغفر واستعين بالله وارغب اليه فى النصر قال له سليمان فمن كان من العرب فرسانك قال حمير قال فأى الخيل رأيت فى تلك البلاد اصبر قال شقرها قال فاى الامم كانوا أشد قتالا قال انهم ياأمير المؤمنين كثر مما اصفهم قال له اخبرنى عن الروم قال . اسود فى حصونهم عقبان على خيولهم نساء فى مواكبهم ان رأوا فرصة انتهزوها وان خافوا غلبة فاوعال ترقل فى اجبال لايرون عاراً فى هزيمة تكون لهم منجاة . قال فاخبرنى عن البربر قال هم ياأمير المؤمنين اشبه العجم بالعرب اتاء ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة وبادية غير انهم ياأمير المؤمنين غدر ، قال فاخبرنى عن الاشبان قال . ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون قال فاخبرنى عن الافرنج قال . هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كثير ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكل قد لقيت بشكله فنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور والعزيز البذوخ . قال فاخبرنى كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت عقباً قال لا يا أمير المؤمنين ماهزمت لى راية قط ولا فض لى جمع ولا نكب المسلمون معى نكبة مذ اقتحمت الاربعين الى ان شارفت الثمانين قال قال فضحك سليمان وقال فاين الراية التى حملتها يوم مرج راهط مع الضحاك قال تلك ياأمير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية فقال صدقت واعجبه قوله وذكروا ان محمد بن عبد الملك حدثهم عن ريان بن عبد العزيز بن مروان قال أنا لجلوس عند سليمان وهو على سطح فسيح والناس يدخلون

حتى دخل موسى من الباب فتحرك بنا سقف السطح من شدة وطئه فسلم ثم
جلس فذكر سليمان بيت الذهب الذى فتحه قتيبة بن مسلم فجعل يردد فيه
فقال له موسى وما هذا يا أمير المؤمنين بيت لا يكون فيه عشرة آلاف دينار
والله لقد بعثت الى أخيك الوليد بتور من زمرد أخضر يصب فيه اللبن فيخضر
وانه لمن أدنى ما بعثت به اليه . ولقد أصبت كذا وكذا واصاب المسلمون
كذا وكذا وجعل يحدث سليمان بالعجائب قال ريان حتي والله ابهته فلم
يزل موسى بباب سليمان عظيم المنزلة عنده فلما كانت سنة ثمان وتسعين
تجهز سليمان للحج وأمر موسى بالشخوص والحج معه فذكر له انه ضعيف
فامر له سليمان بثلاثين نجيبا موقورة جهازا و بحجرة من حجره وجائزة فحج
سليمان وحج معه موسى فبينما هو يسير يوما اذ دعا بموسى فناداه خالد بن
الريان وكان موسى يساير رجلا فلم يلتفت موسى الى ندائه ثم دعا به فناداه
خالد أيضا فلم يلتفت اليه فقال له الرجل غفر الله لك ألم تسمع دعاء أمير
المؤمنين انى أخافه وأخاف ان يغضب فقال موسى ذاك لو كان عبد الملك أو
الوليد فاما هذا فانه يرضيه ما يرضى الصبي و يسخطه ما يسخطه وسترى ذلك
ثم تقدم موسى حتى لحق ولصق بسليمان فقال له أين كنت يابن نصير فقال
له يا أمير المؤمنين أين دوابنا من دوابك انى لمنذ دعانى أمير المؤمنين لفى كد
حتى لحقت أمير المؤمنين فضحك سليمان وأمر له بدواب من مراكبه
فسايره وحادثه ثم انصرف عنه فلحق الرجل اليه فقال له موسى كيف رأيت
قال أنت كنت اعلم به فسار سليمان حتى نزل المدينة فى دار يزيد بن رومان
قال فحدثنى بعض أهل المدينة انّ موسى قال يوما لبعض من يثق به . ليموتن
الى يومين رجل قد بلغ ذكره المشرق والمغرب فلم نظن الا انه يعنى الخليفة
فلما كان اليوم الثانى لم أشعر وانا فى مسجد الرسول حتى سمعت الناس
يقولون مات موسى بن نصير فاذا هو وصلى سليمان عليه ودفن رحمه الله .
وذكروا ان عبد الله بن صخر أخبرهم قال بينما موسى يسير يوما على دابة له
وكان طويلا جسيما فمر به رجلان من قريش وقد تدلت رجلاه وانحنتا
وهما لا يعرفانه فقالا ادبر والله الشيخ فسمعهما موسى فقال لهما من انتما

فانتسبا له فقال اما والله ان اميكما لما افاء الله على يدى هذا الشيخ فاهداهما الى أبويكما فقالا له ومن أنت يرحمك الله قال موسى بن نصير فقالا مرحبا واهلا صدقت وبررت والله ما عرفناك فقال لاعليكما قد والله أدبر عنى وبقى منى . وذكروا ان ابراهيم بن سليمان أخبرهم عن من حدثه عن موسى ان الناس قحطوا بافريقية عاما فخرج موسى بالناس فاستسقى فأمر رجلا فقص على الناس ورققهم فجعل يذكر ثم انه انتحى فى الدعاء للوليد بن عبد الملك فأكثر فارسل اليه موسى . انا لم نأت هاهنا للدعاء للوليد فاقبل على ماله جئنا فدنا . فلم يلتفت ورجا ان يبلغ الوليد فامر به فسحب حتى خرج من الناس ثم قام موسى ودعا بالناس فما برحنا حتى انصبت السماء بمثل القرب فأوتى موسى بدابة من دوابه فقال والله لا ركبت ولكن أخوض الطين وانصرف ماشياً ومشى الناس فسمعته يومئذ يردد فى دعائه . اللهم الشهادة فى سبيلك أو موتاً فى مدينة رسولك . قال فذكروا ان عرفة بن عكرمة حدثهم عن مشائخ من مراد عن رجل منهم كان مع موسى بالاندلس قال . كنت أبصر من مجارى الشمس والقمر شيئاً فوقع فى عند موسى وقيل له عنده علم فوالله ماشعرت حتى أتيت فأخذت فادخلت عليه فاذا بين يديه عصفور مذبوح مشقوق البطن قال لى أدخل يدك فانظر قلت أصلح الله الامير طلقت امرأتى البتة ان كان يعلم قليلا أو كثيراً الا ما يعلم الناس من مجارى الشمس والقمر قال فأمر بى فنحيت ثم دعا برجل من الاعاجم قال ادخل يدك فانظر ماذا ترى وكان من الاسارى فادخل يده فى جوف العصفور فحركه طويلا ثم قلبه ثم قال للترجمان بلسانه انه ليس يموت هاهنا ولكنه يموت بالمشرق فى بلاد العرب فنظر اليه موسى ثم قال له قاتلك الله ما أعلمك قال ثم أمر به فقتل ثم دعانى فأخذ على الايمان ان لا أتكلم به ما بقى ففعلت وكان دخول موسى المغرب سنة تسع وسبعين فى جمادى الاولى وكان يومئذ ابن ستين سنة فاقام بافريقية ست عشرة سنة وقفل منها سنة خمس وتسعين ومات سنة ثمان وتسعين وولى عبد الله بن موسى بافريقية وطنجة والسوس بعد موسى أبيه سنتين وكان عزله عنها فى ذى الحجة سنة سبع وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين

﴿ ذكر ولاة الاندلس بعد موسى بن نصير ﴾

وذكروا ان عبدالعزيز بن موسى ولى الالس بعد ابيه سنة ثم قتل وولى بعده ايوب بن حبيب ستة اشهر ثم الحارث بن عبدالرحمن ثلاث سنين ونصف ثم عنبسة سنتين وتسعة اشهر ثم يحيى بن سلمة سنة وثلاثة اشهر ثم الهيثم بن عبيد سنة وشهرين ثم عبدالرحمن بن عبدالله الغافقى اربع سنين ثم عبدالملك ابن قطن الفرشى ايضا سنة ثم ابن بشر القسرى ستة اشهر ثم ثعلبة بن سلام العاملى خمسة اشهر ثم ابو الخطار بن ضرار الكلبي ثلاث سنين ثم ثوابة بن مسلمة سنة وشهرا فلما وهن سلطان بنى امية بالمشرق ولوا على انفسهم يوسف ابن عبد الرحمن القرشي الفهرى من غير عهد من الخليفة فملك الاندلس عشر سنين الى ان دخل عليه عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان وذكروا انه لما حج سليمان بن عبدالملك ومعه عمر بن عبدالعزيز وذلك في سنة ثمان وتسعين فلما انتهى الى عقبة ن عسفان نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت له ما بين احمر واخضر واصفر وكان يوسف بن عمر قد عمل له باليمن ثلاث سرادقات فكان الذى يلى منها للناس من خز اخضر والذى يليه من خز اصفر ثم الذي يكون هو فيه من وشي احمر محبر من حبرات اليمن مزرر بالذهب والفضة وفى داخله فسطاط فيه اربعة افرشة من خز احمر مرافقها من وشى اصفر وضربت حجب نسائه من وراء فسطاطه وحجر بنيه وكتابه وحشمه قرب ذلك فلما استوى سليمان فى قبة العقبة ونظر الى ما نصب له قال يا عمر كيف ترى هاهنا ؟ قال ارى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضاً انت المسؤول عنها والمأخوذ بها فبينا هما كذلك اذطار غراب من سرادق سليمان فى منقاره كسرة فصاح الغراب فقال سليمان ما يقول هذا الغراب يا عمر قال عمر ما ادرى ولكن ان شئت اخبرتك بعلم قال سليمان اخبرنى فقال عمر . هذا غراب طار من سرادقك بكسرة هو يأكلها وانت المأخوذ بها والمسئول عنها من اين دخلت وأين اخرجت قال سليمان انك لتجيء بالعجائب يا أبا حفص فقال عمر أفلا أخبرك باعجب من هذا ياأمير المؤمنين قال أخبرنى قال . من عرف الله تعالى كيف يعصاه ومن عرف الشيطان كيف يطيعه ومن ايقن بالموت كيف يهنيه العيش ويسوغ له الطعام ومن

أيقن بالنار كيف يضحك . فقال سليمان نغصت علينا مانحن فيه ياأبا حفص ومن يطق ماتطيق أنت ياعمر أنت والله الموفق المطيع

﴿ ماقال طاووس اليمانى لسليمان بمكة ﴾

قالوا ان ابراهيم بن مسلم أخبرهم عن رجاء بن حيوة انه نظر الى طاووس اليمانى يصلى فى المسجد الحرام فانصرف رجاء الى سليمان بن عبدالملك وهو يومئذ بمكة قد حج ذلك العام فقال انى رأيت طاووس فى المسجد فهل لك ان ترسل اليه قال فارسل اليه سليمان فلما اتاه قال رجاء لسليمان ياأمير المؤمنين لا تسأله عن شىء حتى يكون هو الذى يتكلم فلما قعد طاووس سكت طويلا ثم قال : ماأول شىء خلق فقلنا لا ندرى فقال أول شىء خلق القلم ثم قال أتدرون أول شىء كتب قلنا لا قال فان أول ما كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ثم كتب القدر خيره وشره الى يوم القيامة ثم قال أتعلمون من أبغض الخلق الى الله قلنا لا فقال ان أبغض الخلق الى الله عبد أشركه الله فى سلطانه فعمل فيه بمعاصيه ثم نهض . قال رجاء فاظلم على البيت فمازلت خائفاً عليه حتى توارى فرأيت سليمان يحك رأسه بيده حتى خشيت ان تخرج اظفاره لحم رأسه

﴿ ماقال أبو حازم لسليمان ﴾

قالوا وان يحيى بن المغيرة أخبرهم عن عبدالجبار بن عبدالعزيز بن أبى حازم قال لما حج سليمان ودخل المدينة زائراً لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابن شهاب الزهرى ورجاء بن حيوة فاقام بها ثلاثة ايام فقال اما ههنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له بلى ههنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاءه وهو أقور أعرج فدخل عليه فوقف منتظراً للاذن فلما طال عليه الاذن وضع عصيته ثم جلس . فلما نظر اليه سليمان ازدرته عينه فقال له ياأباحازم ماهذا الجفاء الذى ظهر منك وأنت توصف برؤية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فضل ودين تذكر به فقال أبو حازم وأى جفاء رأيت منى ياأمير المؤمنين فقال سليمان انه اتانى وجوه اهل المدينة وعلماؤها وخيارها وأنت معدود فيهم ولم تأتنى فقال أبوحازم : أعيذك بالله أن تقول مالم يكن ماجرى بينى و بينك معرفة آتيك عليها قال سليمان صدق الشيخ فقال ياأبا حازم

مالنا نكره الموت فقال ابوحازم لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فاتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال سليمان صدقت ياأبا حازم فكيف القدوم على الآخرة قال نعم : اما المحسن فانه يقدم على الاخرة كالغائب يقدم على أهله من سفر بعيد واما قدوم المسيء فكالعبد الآبق يؤخذ فيشد كتافه فيؤتى به الى سيد فظ غليظ فان شاء عفى وان شاء عذب فبكى سليمان بكاء شديداً وبكى من حوله ثم قال ليت شعرى مالنا عندالله ياابا حازم فقال اعرض نفسك على كتاب الله فانك تعلم مالك عندالله قال سليمان ياأبا حازم واين أصيب تلك المعرفة فى كتاب الله قال عند قوله تعالى « ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم » قال سليمان باأباحازم فاين رحمة الله قال رحمة الله قريب من المحسنين قال سليمان ياأباحازم من اعقل الناس قال أبو حازم اعقل الناس من تعلم العلم والحكمة وعلمها الناس قال سليمان فمن احمق الناس فقال من حط فى هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان فما اسمع الدعاء قال ابو حازم دعاء المخبتين الخائفين فقال سليمان فما ازكى الصدقة عندالله قال جهد المقل قال فما تقول فيما ابتلينا به قال اعفنا عن هذا وعن الكلام فيه اصلحك الله قال سليمان نصيحة تلقيها فقال : ماأقول فى سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين ولا اجتماع من المسلمين فسفكت فيه الدماء الحرام وقطعت به الارحام وعطلت به الحدود ونكثت به العهود وكل ذلك على تنفيذ الطينة وجمع لمتاع الدنيا المشينة ثم لم يلبثوا ان ارتحلوا عنها فياليت شعرى ماتقولون وماذا يقال لكم . فقال بعض جلسائه بئس ماقلت ياأقور أمير المؤمنين يستقبل بهذا فقال أبو حازم أسكت يا كاذب فانما اهلك فرعون هامان وهامان فرعون ان الله قد أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه اى لا ينبذونه وراء ظهورهم قال سليمان ياأباحازم كيف لنا أن نصلح ما فسد منا فقال المأخذ فى ذلك قريب يسير ياأمير المؤمنين فاستوى سليمان جالساً من اتكائه فقال كيف ذلك فقال . تأخذ المال من حله وتضعه فى أهله وتكف الاكف عما نهيت وتمضيها فيما أمرت به قال سليمان ومن يطيق ذلك فقال أبو حازم من هرب من النار الى الجنة ونبذ سوء العادة الى خير العبادة . فقال سليمان أصحبنا ياأباحازم وتوجه معنا تصب مناونصب منك قال أبوحازم أعوذبالله من ذلك قال

سليمان ولم ياأباحازم قال اخاف ان اركن الى الذين ظلموا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات فقال سليمان فتزورنا قال أبو حازم . انا عهدنا الملوك ياتون الى العلماء ولم يكن العلماء يأتون الملوك فصار فى ذلك صلاح الفريقين ثم صرنا الآن فى زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء فصار فى ذلك فساد الفريقين جميعاً قال سليمان فاوصنا ياأبا حازم وأوجز . قال اتق الله ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك قال سليمان ادع لنا بخير فقال ابوحازم . اللهم ان كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ الى الخير بناصيته قال سليمان زدنى قال قد أوجزت فان كنت وليه فاغتبط وان كنت عدوه فاتعظ فان رحمته فى الدنيا مباحة ولا يكتبها فى الآخرة الا لمن اتقى في الدنيا فلا تنزع فى قوس يرمى بلا وتر فقال سليمان هات ياغلام الف دينار فأتاه بها فقال خذها ياأباحازم فقال لا حاجة لى بها لانى وغيرى فى هذا المال سواء فان سويت بيننا وعدلت أخذت والا فلا لانى أخاف أن يكون ثمنا لما سمعت من كلامى وان موسى بن عمران عليه السلام لما هرب من فرعون ورد ماء مدين وجد عليه الجاريتين تذودان فقال مالكما معين قالتا لا فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال . « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » ولم يسأل الله أجراً فلما أعجل بالجاريتين الانصراف انكر ذلك أبوهما فقال لهما ما اعجلكما اليوم قالتا وجدنا رجلا صالحا قويا سقى لنا قال ماسمعتماه يقول قالتا تولى الى الظل وهو يقول « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » فقال ينبغى لهذا ان يكون جائعاً تنطلق احداكما له فتقول له . ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فأتته احداهما تمشى على استحياء (أى على اجلال له) قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فجزع موسى من ذلك وكان طريداً فى الفيافى والصحارى فقال لها . قولى لابيك ان الذى سقى يقول لا أقبل أجراً على معروف اصطنعته فانصرفت الى أبيها فاخبرته فقال اذهبى فقولى له أنت بالخيار من قبول مايعرض عليك أبى و بين تركه فاقبل فانه يحب أن يراك ويسمع منك فاقبل والجارية بين يديه فهبت الريح فوصفتها له وكانت ذات خلق كامل فقال لها كونى ورائى وأرينى سمت الطريق فلما بلغ الباب قال استأذنى لنا فدخلت على أبيها فقالت انه مع قوته لامين

فقال شعيب وبم علمت ذلك فأخبرته ما كان من قوله عند هبوب الريح عليها
فقال ادخليه فدخل فاذا شعيب قد وضع الطعام فلما سلم رحب به وقال أصب
من طعامنا يافتي فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب لم قال لأنى من بيت قوم لا نبيع
ديننا بملء الارض ذهبا قال شعيب لا والله ماطعامى لما تظن ولكنه عادتى وعادة
آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فأكل . وهذه الدنانير ياأمير
المؤمنين ان كانت ثمنا لما سمعت من كلامى فان أكل الميتة والدم فى حال الضرورة
أحب الى من ان آخذها فاعجب سليمان بامره عجباً شديداً فقال بعض جلسائه
ياأمير المؤمنين ان الناس كلهم مثله قال لا قال الزهرى انه لجارى منذ ثلاثين سنة
ما كلمته قط فقال أبوحازم صدقت لانك نسيت الله ونسيتني ولو ذكرت الله
لذكرتنى قال الزهرى اتشتمنى قال له سليمان بل انت شتمت نفسك اوما علمت
ان للجار على الجار حقاً : قال ابو حازم ان بنى اسرائيل لما كانوا على الصواب
كانت الامراء تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تعز بدينها من الامراء فلما رؤى
قوم من اراذل الناس تعلموا العلم واتوا به الامراء استغنت الامراء عن العلماء
واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وهلكوا ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون
علمهم لكانت الامراء تهابهم وتعظمهم فقال الزهرى كأنك اياى تريد وبى
تعرض قال هو ماتسمع . قال سليمان ياأبا حازم : عظني واوجز قال حلال
الدنيا حساب وحرامها عذاب والى الله المآب فاتق عذابك اودع . قال لقد
أوجزت فاخبرنى ما مالك قال الثقة بعدله والتوكل على كرمه وحسن الظن به
والصبر الى اجله واليأس مما فى ايدى الناس قال ياأبا حازم ارفع الينا حوائجك
قال رفعتها الى من لا تختذل دونه فما اعطانى منها قبلت وما امسك عنى رضيت
مع انى قد نظرت فوجدت امر الدنيا يؤل الى شيئين احدهما لى والآخر
لغيرى فأما ما كان لى فلو احتلت عليه بكل حيلة ماوصلت اليه قبل اوانه
وحينه الذى قد قدر لى واما الذى لغيرى فذلك لا أطمع فيه فكما منعنى
رزق غيرى كذلك منع غيرى رزقي فعلى م اقتل نفسى فى الاقبال والادبار
قال سليمان لابد ان ترفع الينا حاجة نأمر بقضائها قال فتقضيها قال نعم قال فلا
تعطنى شيئاً حتى أسألكه ولا ترسل الى حتى آتيك وان مرضت فلا تعدنى

وان مت فلا تشهدني . قال سلمان ابيت ياابا حازم أبيت قال اتأذن لى اصلحك الله في القيام فاني شيخ قدزمنت قال سليمان ياأبا حازم مسئلة ما تقول فيها قال ان كان عندي علم اخبرتك به والا فهذا الذي عن يسارك يزعم انه ليس شيء يسأل عنه الا وعنده علم يريد الزهري فقال له الزهري عائذا بالله من شرك ايها المرء قال امامن شري فقدعفيت وأما من لساني فلا قال سليمان : ماتقول في سلام الائمة من صلاتهم أواحدة ام اثنتان فان العلماء لدينا قداختلفوا علينا في ذلك أشد الاختلاف قال على الخبير سقطت أرميك في هذا بخبر شاف : حدثني عامر بن سعد ابن ابي وقاص عن ابيه سعد انه شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم في الصلاة عن يمينه حتى يرى بياض خده الايمن ثم يسلم عن يساره حتى يرى بياض خده الايسر سلاما يجهر به قال عامر وكان ابي يفعل ذلك . واخبرني سهل بن سعد الساعدي انه رأى عمر بن الخطاب وابن عمر يسلمان من الصلاة كذلك فقال الزهري اعلم ماتحدث به ايها الرجل فان الحديث عن رسول الله صعب شديد الا بالتثبت واليقين قال ابو حازم قد علمته ورويته قبل ان تطلع اضراسك في رأسك فالتفت الزهري الى سليمان قال اصلحك الله ان هذا الحديث ماسمعت به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فضحك أبو حازم ثم قال يازهري احطت بحديث رسول الله كله قال لا قال فثلاثة ارباعه قال لا قال فثلثه فقال أراني ذلك قدرويت وبلغني فقال ابو حازم فهذا من الثلث الذي لم يبلغك وبقي عليك اسماعه فقال سليمان ماظلمك من حاجك ثم قام مأذونا له فأتبعه سليمان بصره ينظر اليه ويعجب به ثم التفت الى جلسائه فقال ما كنت اظنه بقي في الدنيا مثل هذا . قال ثم انصرف سليمان من الحج قافلا الى الشام . وذكروا ان غلمانا لسليمان نازعوا غلمانا لعمر بن عبدالعزيز فتعدى غلمان عمر على غلمان سليمان فرفع ذلك الى سليمان واغرى بعمر فقال له سليمان الا تنصف غلماني وهو كالمغضب مما فعل بهم فقال عمر ماعلمت هذا قبل هذا الوقت وماسمعت هذا الا في مقامي هذا فقال سليمان كذبت لقد علمته فقال عمر : كذبت والله ما كذبت ولا تعمدت كذبا منذ شددت مئزري على نفسي وان في الارض عن مجلسك لسعة . ثم خرج عمر فتجهز وهو يريد مصر ليسكنها فبلغ ذلك سليمان فندم على ما كان.

من قوله وارسل اليه ان لا يبرح وامر رجلا يقول له لا تغتب امير المؤمنين على قوله ولا يذكر هذا فترك عمر الخروج وجلس واقل الاختلاف الى سليمان

﴿ ذكر وفاة سليمان واستخلافه عمر بن عبد العزيز ﴾

قال وذكروا ان خالد بن أبى عمران أخبرهم وكان قد أدرك القوم قال مرض سليمان مرضه الذى مات فيه وذلك فى شهر صفر سنة تسع وتسعين فدخل عليه عمر بن عبد العزيز عائداً فدعا سليمان بنين له صغاراً فقلدهم السيوف فوقعوا فى الارض فقال سليمان قد أفلح من كان له بنون كبار فقال عمر ليس هكذا قال الله فقال سليمان وكيف قال الله فقال عمر قال الله تعالى « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » فقال سليمان انى أريد ان اعهد اليك واوليك أمور الناس بعدى فقال عمر لا حاجة لى بذلك فقال سليمان ولم ذلك فقال لانى لا أريد أخذ أموالهم فاذا لم أرد أخذ أموالهم فما الذى يدعونى الى ضرب ظهورهم فقال سليمان لا بد من هذا فقال عمر ولم ذلك ولك فى ولد عبد الملك سعة فاعفنى من هذا يعف الله عنك فقال له سليمان والله لا أوليها غيرك بعدى فقال عمر وما الذى يدعوك الى هذا فقال سليمان انى رأيت فى منامى قائلا لى يقول : ان عمر بن عبد العزيز لك جنة ووقاية وجسر تتخطاه فاولت ذلك ان شاء الله ان أوليك الامر من بعدى لتكون ولايتى لك جنة من النار وجسراً أركبه لا نجو عليه من عذاب يوم القيامة ثم ليزيد بعدك فانه أرشد ولد عبد الملك فقال عمر ان هذا الامر لا يسعنى بينى وبين الله عز وجل ان أتقدم على أمة محمد وفيهم خير منى فقال سليمان أما فى آل أمية وعبد شمس فلا أعلم خيراً منك فقال عمر ان لم يكن فى آل أمية وعبد شمس خير منى بقولك ففى آل عبد مناف وآل هاشم من هو خير منى فقال سليمان لا فقال عمر ففى آل تيم وعدى خير منى وملؤا الارض مثلى فقال سليمان انما تريد القاسم وسالما قال نعم اياهما أردت فقال سليمان رجلان صالحان ذكرت ولكنهما ليسا للملك ولا الملك لهما ولا من معدن الملك هما مع انه ليس بزمان خلافة ولا أيام يملك فيها مثل القاسم وسالم إنما هو زمان ملك وسيف وانما هى زئاب تعد وليست على غنم تؤمن فقال عمر الله المعين

المصلح لمن أراده . فسكت سليمان وظن ان عمر رضى بما قال له . ثم دعا سليمان بصحيفة ثم كتب ويده ترعش من شدة العلة لا يعلم أحد بما يخط فكتب عهد عمر ثم من بعد عمر ليزيد ثم ختم عليه بيده متحاملا لذلك وعمر لا يشك ان الامر فيه قد صار لغيره ثم دعا سليمان برجاء بن حيوة فقال له خذ هذا الكتاب فانه عهدى فاجمع اليك قريشاً وأمراء الاجناد واعلمهم انه عهدى وان من كان اسمه فى كتابى هذا فهو الخليفة بعدى فمن نزع عن ذلك وأباه فالسيف السيف والقتل القتل . ثم رفع سليمان يديه الى السماء فقال اللهم ان ذنوبى قد عظمت وجلت وهى صغيرة يسيرة فى جانب عفوك فاعف عنى يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اعف عنى ما بينى وبينك من الذنوب واحمل عنى ما بينى وبين خلقك وارضهم بما شئت يا أرحم الراحمين اللهم ان كنت تعلم منى اطلاعا من ضميرى انى انما أردت بعهدى هذا وتوليتى من رأيت فيه وجهك ورضاك فاغفر لى وارحمنى ثم تخلخل لسانه فلم يقو على الكلام من ثقل العلة ثم سكت وأغمى عليه . قال رجاء فخرجت وعمر معى فقلت له ما أراك الا صاحب الامر فقال عمر ما أحسب ذلك فقلت ومن عسى ان يكون فى آل مروان من يريد سليمان توليته غيرك فقال عمر ما أراه يريد الا لاحد الرجلين اما القاسم أو سالم قال رجاء فقلت له أسمعت ذلك منه فقال عمر ما سمعته ولكنه دار بينى وبينه كلام آنفا قبل دخلتك لا أشك انه أراد أحدهما قال رجاء فقلت والله هذا الاختلاف فى أمة محمد والفتن الظاهرة القاصمة للظهور القاتية للانفس فقال عمر ولم ذلك فقال رجاء لان قريشاً ونحوها لا ترضى بهذا ولا تصير اليه ولا آل أمية وعبد شمس حيث كانت من الارض فقال عمر ان الامر لله من قبل ومن بعد يؤتى الملك من يشاء فقال رجاء فخرجت الى الناس واعلمتهم بعهد أمير المؤمنين فقالوا سمعا وطاعة ثم اعلمتهم بابتهاله ورغبته الى الله وما قال فلم يشك الناس ان عمر بن عبد العزيز صاحبهم فارادوا ان يسلموا عليه بالخلافة وذلك لما ايقنوا بهلاك سليمان فقلت لهم لا تعجلوا فان عمر قال لى أرى سليمان ما أراد الا القاسم أو سالما وهذا أفطن منى بهذا الامر لانه كان حاضراً وسليمان يكتب العهد

بده فضج الناس من ذلك واختلفوا . فقالت فرقة سمعنا واطعنا لمن استخلف عبيا كان من كان وقالت فرقة لا والله لا نقر بهذا ولا نطيعه ولا يستخلف عبينا الامر وانى ولا تبق منا عين تطرف فى الدنيا . فقال رجاء لعمر كيف ترى قولى والله لئن كان هذا انه لهو البلاء المبين وانها الفتنة قد فتح بابها فقال عمر ارجو الله ان يغلفه ان شاء الله قال رجاء فقلت لعمر مانحن صانعون ان كان هذا فقال عمر لا أدرى ما اقول فى موقفى هذا قال رجاء ولم فقال عمر : لانى والله ماوقفت موقفاً قط لا رأى لى فيه ولا بصيرة الا موقفى هـذا فانى قد أجدنى قد ذهب روعى وفقـدت رأيى ولا أدرى مااستقبل من أمرى ولا مااستدبر ولو استطعت الفرار لفررت من موضعى هـذا حيث لاأدرك ولا أرى . قال رجاء فلما قاولنى بهذا علمت انه الذى اريد من فقـده لرأيه وبصيرته قال رجاء فقلت له ياأبا حفص فاين نحن من المفزع الى الله والرغبة فى اصلاح علينا وعلى المسلمين ويعزم لنا على مافيه الخير والخـيرة فقال عمر بلى والله هذا الملجأ وهذا الحصن الحصين والمعقل الشديد قال رجاء فبتنا ليلتنا لا نألوا على أنفسنا فى الدعاء والاسـتخارة لله فلما اصبحنا قلت لعمر ماترى ياأبا حفص فقال أرى أن اسمع وأطيع لمن فى هذا الـكتاب فان كان أحد الرجلين سمعت له وأطعت ورددت من أدبر عنه بمن أقبل عليه حتى أموت فبينما هما كذلك اذ أقبل وصيف يسعى اليهما يقول قد قضى أمير المؤمنين نحبه فخرجا فاذا بالعويل والنوح فرجعا الى المسجد ترعد فرائصهما والناس يسلمون على عمر بالخلافة وهو يقول لست به لست به حتى دخـل المسجد وقـد اجتمع الناس وهم مستعدون للفتنة والقتال ان خالف العهد مايريدون فقام رجاء الى جانب المنبر فحمد الله وحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة واعلمهم بما فى الفرقة والاختـلاف من ذهاب الدين والدنيا ثم أخرج العهد ففضه بمحضر منهم ثم قرأه عليه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عهد انه يشهد لله بالربوبية والوحدانية وان محمداً عبده ورسوله بعثه الى محسنى عباده بشيراً والى مذنبيهم نذيراً وان الجنـة والنار مخلوقتان حق ، خلق الجنـة رحمة لمن

أطاعه والنار عذاباً لمن عصاه وواجب العفو لمن عفى عنه وان سليمان مقر على
نفسه بما يعلم الله من ذنوبه موجبا على نفسه استحقاق ما خلق من النقمه
واجبا لنفسه ما خلق من الرحمة ووعد من المغفرة راج لما وعد من الرحمة وان
المقادير كلها خيرها وشرها من الله وانه هو الهادى لم يستطع أحد لمن خلق الله
لرحمته غواية ولا لمن خلق لعذابه هداية ، وان الفتنة فى القبور بالسؤال عن
دينه ونبيه الذى أرسل الى امته لا منجى لمن خرج من الدنيا الى الآخرة
من هذه المسألة وسليمان يسأل الله بواسع فضله وعظيم منه الثبات على الحق
عند تلك المسألة والنجاة من هول تلك الفتنة وان الميزان حق يقين يضع
الموازين القسط ليوم القيامة « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » ومن
خفت موازينه فاولئك هم الخاسرون . وان حوض محمد صلى الله عليه وسلم
يوم الحشر والموقف حق عدد آنيه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً
وسليمان يسأل الله برحمته ان لا يرده عنه عطشان . وان أبا بكر وعمر خير هذه
الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم والله يعلم بعدهما حيث الخير وفيمن الخير
من هذه الامة . وان هذه الشهادة المذكورة فى عهده هذا يعلمها من سره
واعلانه وعقد ضميره وان بها عبد ربه فى سالف ايامه وماضى عمره وعليها
اتاه يقين ربه وتوفاه اجله وعليها يبعث بعد الموت ان شاء الله وان سليمان
كانت له بين هذه الشهادة بلايا وسيئات لم يكن له عنها محيص ولا دونها
مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ فى محكم الوحى فان يعف ويصفح فذلك ما
عرف منه قديما ونسب اليه حديثاً وذلك الصفة التي وصف بها نفسه فى
كتابه الصادق وكلامه الناطق وان يعاقب وينتقم فبما قدمت يداه وما الله
بظلام للعبيد . وانى اخرج على من قرأ عهدى وسمع مافيه من حكمه ان ينتهى
اليه فى أمره ونهيه بالله العظيم وبمحمد صلى الله عليه وسلم وان يدع الاحن
ويأخذ بالمكارم ويرفع يديه الى السماء بالابتهال الصحيح والدعاء الصريح
يسأله العفو عنى والمغفرة لى والنجاة من فزعى والمسألة فى قبرى لعل الودود أن
يجعل منكم مجاب الدعوة بما على من صفحه يعود ان شاء الله . وان ولى عهدى
فيكم وصاحب أمرى بعد موتى فى كل من استخلفنى الله عليه الرجل الصالح

عمر بن العزيز بن عمى لما بلوت من باطن أمره وظاهره ورجوت الله بذلك
وأردت رضاه ورحمته ان شاء الله ثم ليزيد بن عبد الملك من بعده فانى ما
رأيت منه الا خيراً ولا اطلعت له على مكروه وصغار ولدى وكبارهم الى عمر
إذ رجوت الا يألوهم رشداً وصلاحاً والله خليفتى عليهم وهو أرحم الراحمين
واقرأ عليكم السلام ورحمة الله ،ومن أبى عهدى هذا وخالف أمرى فالسيف،
ورجوت ان لا يخالفه أحد ومن خالفه فهو ضال مضل يستعتب فان أعتب
والا فالسيف « والله المستعان » ولا حول ولا قوة الا بالله القديم الاحسان .

﴿ أيام عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا عن خالد بن أبى عمران انه قال : انى لحاضر يوم قرئ عهد
سليمان فى المسجد بدمشق على الناس فما رأيت يوما اكثر باكياً ولا داعيا له
بالرحمة من ذلك اليوم فلم يبق محب ولا مبغض ولا خارجى ولا حرورى الا
آخذ الله له بقلوبهم وابتهلوا بالدعاء واخلصوا له بالسؤال بالعفو من الله ورضى
الناس اجمعون فعله . قال خالد ثم بايع الناس لعمر فى المسجد بيعة تامة جامعة
طيبة بها النفوس لا يشوبها غش ولا يخالطها دس . قال خالد وسمعت رجاء
يقول لما تمت البيعة انى مهما شككت فى شئ فانى لم أشك يوم البيعة لعمر
بالنجاة والرحمة لسليمان ان شاء الله واستفتح عمر ولايته ببيع أموال سليمان
ورباعه وكسوته وجميع ما كان يملكه فبلغ ذلك أربعة وعشرين ألف دينار
فجمع ذلك كله وجعله فى بيت المال ثم دخل على زوجته فاطمة ابنة عبد
الملك فقال لها يافاطمة فقالت لبيك ياأمير المؤمنين فجعل يبكى وكان لها محباً
وبها كلفا ثم استفاق من بكائه فقال لها اختاربنى أو اختارى الثوب الذى
عمل لك أبوك وكان قد عمل لها ابوها عبد الملك ثوبا منسوجا بالذهب منظوما
بالدر والياقوت انفق عليه مائة ألف دينار فقال لها ان اخترتينى فانى آخذ
الثوب فاجعله فى بيت المال وان اخترت الثوب فلست لك بصاحب فقالت
أعوذ بالله ياأمير المؤمنين من فراقك لاحاجة لى بالثوب فقال عمر وانا افعل بك
خصلة اجعل الثوب فى آخر بيت المال وانفق مادونه فان وصلت اليه انفقته
فى مصالح المسلمين وانما هو من أموال المسلمين انفقت فيه وان بقى الثوب ولم

احتج اليه فلعل ان يأتى بعدى من يرده اليك قالت افعل يا أمير المؤمنين ما بدالك ثم دخل عليه ابن له وعليه قميص قد تذعذع فقال له عمر رقع قميصك يابنى فو الله ما كنت قط باحوج اليه منك اليوم

﴿ ذكر قدوم جرير ابن الخطفى على عمر بن عبد العزيز ﴾

قال وذكروا عن عبد الاعلى بن ابى المشاور انه أخبرهم قال قدم جرير شاعر أهل العراق وأهل الحجاز على عمر أول مااستخلف فاطال المقام ببابه لا يصل اليه حتى قدم عليه عون بن عبد الله الهزلى وكان من عباد الناس وخيارهم وعليه جبة صوف وعمامة صوف قد أسدلها خلفه فجعل يتخطى رقاب الناس من قريش بنى أمية وغيرهم لا يمنع ولا يحجب ومثله من أكابر الناس وخيارهم وفضلاء العباد وقريش لا يصلون ولا يدخلون فلما خرج عون ابن عبد الله اتبعه جرير ابن الخطفى . وهو يقول

يا أيها الرجل المرخى عمامته   هذا زمانك انى قد مضى زمنى
ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه   انى لدى الباب كالمصفود فى قرن
فاحلل حنادى فقد طال المقام به   وشطت الدار عن أهلى وعن وطنى

قال فضمن له عون بن عبد الاعلى ان يدخله عليه فلما دخل على عمر قال يا أمير المؤمنين هذا جرير الخطفى بالباب يريد الاذن فقال عمر ما كنت ارى احدا يحجب عنى قال انه يريد اذنا خاصا . قال له عمر اله عن ذكره ثم حدثه طويلا ثم قال يا أمير المؤمنين ان جريراً بالباب فقال اله عن ذكره قال اذاً لا اسلم من لسانه فقال عمر اما اذ قد بلغ منك خوف لسانه ما أرى فأذن له فدخل جرير فلما كان قيد رمح أو رمحين وعمر منكس رأسه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ثم قال . ان الخلفاء كانت تتعاهدنى فيما مضى بجوائز وصلات وقد أصبحت الى ذلك منك محتاجا . ثم أنشا يقول .

قد طال قولى اذا ما قمت مبتهلا   يارب اصلح قوام الدين والبشر
انا لنرجو اذا ماالغيث اخلفنا   من الخليفة مانرجو من المطر
أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت   أم قد كفانى ما بلغت من خبر
ما زلت بعدك فى هم يؤرقنى   قد طال فى الحى اصعادى ومنحدرى

لا ينفع الحاضر المجهود باديه — ولا يعود لنا باد على حضر
كم باليمامة من شعثاء أرملة — ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به — خبلا من الجن أومساً من البشر
فان تدعهم فمن يرجون بعدكم — أو تنج منها فقد انجيت من ضرر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها — فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
خليفة الله ماذا تأمرن بنا — لسنا اليكم ولا فى دار منتظر
أنت المبارك والمهدى سيرته — تعصى الهوى وتقوم الليل بالسور

قال فبكى عمر وهملت عيناه وقال ارفع حاجتك الينا ياجرير قال جرير ما عودتنى الخلفاء قبلك قال وما ذلك قال أربعة آلاف دينار وتوابعها من الحملان والكسوة . قال عمر أمن ابناء المهاجرين أنت قال لا قال أفمن أبناء الانصار انت قال لا قال أفقير أنت من قراء المسلمين قال نعم قال فاكتب لك الى عامل بلدك ان يجرى عليك ما يجرى على فقير من قرائهم . قال جرير أنا أرفع من هذه الطبقة يا أمير المؤمنين قال فانصرف جرير فقال عمر ردوه على فلما رجع قال له عمر قد تبيت خصلة أخرى عندى نفقة وكسوة أعطيك بعضها ثم وصله بأربعة دنانير فقال وأين نفع منى هذه ياأمير المؤمنين فقال عمر انها والله لمن خالص مالى ولقد أجهدت لك نفسى فقال جرير والله ياأمير المؤمنين انها لاحب مال كسبته . ثم خرج فلقيه الناس فقالوا له ماوراءك قال : جئتكم من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض

﴿ دخول الخوارج على عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا ان ابن حنظلة أخبرهم قال بعثنى وعون بن عبد الله عمر بن عبد العزيز الى خوارج خرجت عليه بالحيرة رأسهم رجل من بنى شيبان يقال له شوذب وكتب معنا كتاباً اليهم فقدمنا عليهم فبعثوا معنا اليه رجلين أحدهما من العرب فاتينا بهما عمر فدخلنا عليه وتركناهما بالباب فقلنا له .انا قد بلغنا عنك وقد بعثوا معنا رجلين هما بالباب قال فتشوهما الا يكون معهما حديد او شىء ففعلنا ثم اننا ادخلناهما عليه . فلما دخلا قالا السلام عليكم قال وعليكم السلام أجلسا فلما جلسا قال لهما عمر ما الذى أخرجكم علينا

فقال العربى وكان أشدهما كلاماً وأتمهما عقلا اما انا لم ننكر عليك عدلك ولا سيرتك ولكن بيننا و بينك أمر هو الذى يجمع و يفرق بيننافان أعطيتناه فنحن منك وأنت منا وان لم تعطناه فلسنا منك ولست منا . فقال عمر فما هو فقال . خالفت أهل بيتك وسميتهم الظلمة وسميت أعمالهم المظالم فان زعمت انك على الحق وانهم على الباطل فالعنهم وتبرأ منهم فقال عمر . انكم لم تتركوا الاهل والعشائر وتعرضتم للقتال الا وأنتم فى أنفسكم مصيبون ولكنكم اخطأتم وضللتم وتركتم الحق اخبرانى عن الدين اواحد أو اثنان قالا بل واحد قال افيسعكم فى دينكم شىء يعجز عنى قالا لا قال فاخبرانى عن أبى بكر وعمر ماحالهما عندكم قالا أفضل الناس أبو بكر وعمر قال . السما تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى ارتدت العرب فقاتلهم ابو بكر فقتل الرجال وسبى النساء والذرية قالا بلى قال عمر فلما توفى أبو بكر وقام عمر ورد تلك النساء والذرارى الى عشائرهما فهل تبرأ عمر من أبى بكر ولعنه بخلافه اياه قالا لا قال فتتولونهما على خلاف سيرتهما قالا نعم قال عمر فما تقولان فى بلال بن مرادس قالا من خير اسلافنا قال افليس قد علمتم انه لم يزل كافا عن الدماء والاموال وقد لطخ اصحابه أيديهم فيها فهل تبرأت منه احدى الطائفتين من الاخرى أو لعنت احداهما الاخرى قالا بلى قال فتتولونهما جميعا على خلاف سيرتهما قال نعم قال عمر فاخبرانى عن عبد الله بن وهب حين خرج باصحابه من البصرة يريدون أصحابهم فمروا بعبد الله بن خباب فقتلوه و بقروا بطن جاريته ثم عدوا على قوم من بنى قطيعة فقتلوا الرجال وأخذوا الاموال وغلوا الاطفال فى المراجل ثم قدمواعلى أصحابهم من الكوفة وهم كافون عن الدماء والفروج والاموال هل تبرأت احدى الطائفتين من الاخرى أو لعنت احداهما الاخرى قال لا قال فتتولونهما على خلاف سيرتهما قالا نعم . فقال عمر فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم فى السيرة والاحكام لم يتبرأ بعضهم من بعض ولا لعن بعضهم بعضا وأنتم تتولونهم على خلاف سيرتهم فهل وسعكم فى دينكم ذلك ولا يسعنى حين خالفت أهل بيتى فى الاحكام والسيرة حتى ألعنهم وأتبرأ منهم . اخبرانى عن اللعن فرض على العباد قالا نعم فقال عمر

متى عهدك بلعن فرعون قال ما بالى به من عهد منذ زمان قال عمر هذا رأس من رؤوس الكفار ليس لك عهد بلعنه منذ زمان وانا لا يسعنى ان العن من خالفتهم من أهل بيتي الستم انتم الذين تؤمنون من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيفه وتخيفون من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمنه فقالا نبرأ الى الله تعالى من هذه الصفة . فقال بلى فأخبركما عن ذلك السما تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج والناس أهل كفر فدعاهم ان يقروا بالله ورسوله فمن أبى قاتله وخوفه ومن أقر بهما امنه وكف عنه ؛ وانتم اليوم من مر بكم مقر بهما قتلتموه ومن لم يقر بهما امنتموه وخليتم سبيله فقال العربى تالله ما رايت حجيجاً أقرب مأخذاً ولا أوضح منهاجاً منك اشهد انك على الحق وانا على الباطل وقال الآخر : لقد قلت قولا حسنا وما كنت لافتات على أصحابى حتى القاهم فلحق باصحابه وأقام الآخر عند عمر فاجرى عليه العطاء والرزق حتى مات عنده

﴿ وفاة عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا ان عبد الرحمن بن يزيد أخبرهم قال كتب عمر بن عبد العزيز الى ابن أبى زكريا . أما بعد فاذا نظرت فى كتابى فاقدم فقدم عليه فقال مرحبا بابن أبى زكريا قال وبك يا أمير المؤمنين قال حاجة لى قبلك قال بين الانف والعين حاجتك ياأمير المؤمنين ان قدرت عليها قال لست اكلفك الا ما تقدر عليه قال نعم قال أحب ان تثنى على الله بمبلغ علمك حتى اذا فرغت سألت الله ان يقبض عمر فقال . « انا لله وانا اليه راجعون » بئس وافد أمة محمد انا هذا لا يحل لى قال فانى اعزم عليك بحق الله وبحق رسوله وبحقى ان كان لى عليك حق الا ما فعلته فبكى ثم استرجع ثم اقبل يثنى على الله وانه ليبكى حتى اذا فرغ قال . اللهم ان عمر سألنى بحقك وبحق رسولك وبحقه على ان ادعوا فى قبضه اليك فاقبض عمر اليك كما سأل ولا تبقنى بعده وجاء حينئذ بنى لعمر فسقط فى حجره فقال وهذا أى ربى معنا فانى احبه . قال فما كانوا الا كخرزات فى خيط فانقطع الخيط فاتبع بعضها بالسقوط بعضاً

﴿ ذكر رؤيا عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا ان مزاحم مولى عمر قال اخبرتني فاطمة ابنة عبد الملك امرأة عمر قالت كان لعمر بن عبد العزيز مكان يخلو فيه فأبطأ على ذات ليلة فقلت لآتينه فوجدته نائما فهبته ان ايقظه فما لبث الا قليلا حتى رفع رأسه فقال من هذا فقلت انا فاطمة فقال يا فاطمة لقد رأيت رؤيا ما رأيت احسن منها فقلت حدثني بها يا أمير المؤمنين قال . رأيت كأني في ارض خضراء لم أر أحسن منها ورأيت في تلك الارض قصراً من زبرجد ورأيت جميع الخلائق حول ذلك القصر فما لبث الا قليلا حتى خرج المنادي فقال أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقام النبي عليه السلام فدخل القصر فقلت سبحان الله انا في جمع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم عليه فما لبث الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين ابو بكر بن ابي قحافة فقام ابو بكر فدخل فما لبث الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين عمر بن الخطاب ابن الفاروق فقام عمر فدخل فقلت سبحان الله انا في ملا فيهم جدي لم اسلم عليه فما لبث الا يسيرا حتى خرج المنادي فقال اين عثمان بن عفان فقام عثمان فدخل فما لبث الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى اين على ابن ابي طالب فقام فدخل فما لبث الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى اين عمر ابن عبد العزيز قال فقمت فدخلت فلما صرت في القصر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعثمان وعليا امامه فقلت اين اقعد لا اقعد الا الى جنب عمر قال فرأيت فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر شابا حسن الوجه حسن الهيئة فقلت لعمر من هذا قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام فما لبث الا قليلا حتى خرج عثمان بن عفان وهو يقول الحمد لله الذي نصرني ربي ثم خرج علي وهو يقول الحمد لله الذي غفر لي ربي ثم نودي لي اين عمر بن عبد العزيز فقمت فصرت بين يدي ربي فحاسبني فلقد سألني عن النقير والفتيل والقطمير حتى خفت ان لا انجو ثم قمت فخرجت فقيل لي اثبت وتمسك على ما انت عليه فبينما انا سائر فاذا بجيفة قد علا نتنها الخلائق فضربتها برجلي وقلت لمن معي لمن هذه الجيفة فقيل لي هذا الحجاج بن يوسف فضربته برجلي فقلت له ما فعل الله بك يا حجاج قال يا أمير المؤمنين والله لقد قتلت بكل قتيل

قتلته قتلة بسيف من نار ولقد قتلت بسعيد بن جبير اثنين وسبعين قتلة . فقلت فآخر امرك ماهو قال انا هاهنا انتظر ما ينتظر من وحدالله وآمن برسوله .
قالت فاطمة فلم يبق عمر بعد هذه الرؤيا الا يسيرا حتى مرض مرضه الذى مات فيه فدخل عليه مسلمة بن عبدالملك فقال له ياامير المؤمنين انك لتترك ولدك عالة على الناس فاوص بهم الى اكفك امرهم فانك لم تمولهم شيئاً ولم تعطهم فقال عمر . ياأبا سعيد ان ولدى لهم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم دعاهم عمر وهم اربعة عشر غلاماً فنظر اليهم عمر وقد لبسوا الخشن من قباطى مصر فاغرورقت عيناه بالدموع . قال لهم اوصيكم بتقوى الله العظيم وليجل صغيركم كبيركم وليرحم كبيركم صغيركم . ثم قال لمسلمة ياأبا سعيد انما ولدى على احد امرين اما عامل بطاعة الله فلن يضيعه الله واما عامل بمعصيته فلا احب ان يعينه بالمال قوموا عصمكم الله ووفقكم . ثم دعا رجاء بن حيوة فخلا به فقال يارجاء ان الموت قد نزل وانا اعهد اليك عهداً لاأعهده الى غيرك اذا انامت فكن ممن يقبرنى فاذا سويت على اللبن فارفع لبنة ثم اكشف عن وجهى وانظر اليه فانى قبرت ثلاثة رجال بيدى وكشفت عن وجوههم فنظرت وجوههم قد اسودت وعيونهم قد برزت من وجوههم فاكشف عن وجهى يارجاء وانظر اليه فان رأيت شيئاً من هذا فاستر على ولا تعلم به أحداً وان رأيت غير ذلك فاحمدالله عليه قال رجاء ففعلت ذلك فلما سوينا عليه اللبن رفعت لبنة وكشفت وجهه فاذا وجهه مثل القمر ليلة البدر واذا على صدره صك فيه خط ليس من كتابة الآدميين . بسم الله الرحمن الرحيم كتاب بالقلم الجليل من الله العزيز العليم براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الاليم .

﴿ ماعلم به موت عمر رحمه الله فى الامصار ﴾

وذكروا ان رجلا من أهل المدينة قال وفد قوم من اهل المدينه الى الشام فنزلوا برجل فى اوائل الشام موسعاً عليه ابل كثيرة وابقار واغنام فنظروا فى شىء لا يعلمونه غير مايعرفون من غضارة العيش اذ اقبل بعض رعاته فقال ان السبع عدا اليوم على غنمى فذهب منها بشارة فقال الرجل انا لله وانا اليه راجعون ثم جعل يأسف اسفا شديداً فقلنا بعضنا لبعض ماعند هذا خير يتاسف ويتوجع

من شاة اكلها السبع فكلمه بعض القوم قال له . ان الله تعالى قد وسع عليك فما هذا التوجع والتأسف قال انه ليس مما ترون ولكني اخشى ان يكون عمر ابن عبد العزيز قد توفى الليلة والله ما تعدى السبع على الشاة الا لموته فأثبتوا ذلك اليوم فاذا عمر قد توفى فى ذلك اليوم . وذكروا انهم سمعوا رجلا يحدث ويقول بينا رجل باليمن نائم على سطح له ذات ليلة اذ تسور عليه كلب فسمعه وهو يقول لهرة له أى جنة هل من شيء اصيبه فانى والله اكال فقالت له الهرة ما ثم شيء لقد غطوا الاناء واكفؤا الصحفة فقال لها هل تدنيني من يد صبي او قدر لم تغسل اشمها لترتد لى روحى قالت الهرة ما كنت لاخونهم امانتى فمن اين اقبلت تشكو الكلل والجوع قال من الشام شهدت وفاة عمر بن عبد العزيز وحضرت جنازته قالت انا لله وانا اليه راجعون نور كان فى الدنيا فطمس ثم زالت عنه وتنحت وفرت منه وهادته خوفا من ان يعدو عليها ثم انسل الكلب ذاهبا فلما اصبح الرجل جعل يقول للهرة أى جنة جزاك الله عنا خيراً قال فاستوبرت الهرة وذهبت فلم تر بعد فكتب ذلك اليوم فجاءهم موت عمر فى ذلك اليوم . وذكروا ان زياد بن عبد الله اخبرهم قال كان رجل فى بعض كور الشام يعالج الذرا نه مع زوجته وكان قد استشهد ابن لهما منذ زمان طويل فنظر الرجل الى فارس مقبل نحوهما فقال الرجل لزوجته يافلانة هذا والله ابنى وابنك مقبل فنظرت المرأة فقالت . اخدعك الشيطان انك مفتون بابنك وابنك تشبه به الناس كلهم كيف يكون ابنك كيف وابنك استشهد منذ حين فاستعاذ الرجل بالله من الشيطان الرجيم ثم اقبل على اذره يعالجه ودنا منهما الفارس ثم نظر ثانية قال يافلانة ابنى والله وابنك فنظرت ودنا منهما الفارس فلما وقف عليهما فاذا هو ابنهما قال فسلم عليهما وسلما عليه فقالا له يا بنى اما كنت استشهدت منذ حين قال نعم الا ان عمر بن عبد العزيز توفى الليلة فاستأذن الشهداء ربهم عز وجل فى شهود جنازته فاذن لهم وكنت فيهم فاستأذنت ربى فى زيارتكما والنظر فاذن لى ثم ودعاه وسلما عليه ودعا لهم ثم ذهب .

﴿ ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾

وذكروا ان الامر صار بعد عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك بعهد

سليمان أخيه اليه بذلك والى عمر وكان يزيد قبل ولايته محبوبا فى قريش بجميل مأخذه فى نفسه وهديه وتواضعه وقصده وكان الناس لا يشكون اذا صار اليه الامر ان يسير بسيرة عمر لما ظهر منه فلما صارت اليه الخلافة حال عما كان يظن به وسار بسيرة الوليد اخيه واحتذى على مثاله واخذ مأخذه حتى كان الوليد لم يمت فعظم ذلك على الناس وساروا من ذلك الى احوال يطول ذكرها حتى هموا بخلعه وجاءهم بذلك قوم من اشراف قريش وخيار بنى أمية وكانت قلوبهم قد سكنت الى هدى عمر واطمأنت الى عدله بعد النفار والانكار لسيرته وعاد ذلك من قلوبهم الى الرضا بامره والقنوع بتصدد عليهم وتتصبره فى ادراك المطامع والعطايا عليهم وانهم منهم نفر بالخلع والخروج فاخذهم عمه محمد بن مروان بن الحكم فسكنهم السجن عشرين شهراً ثم دس لهم السم فماتوا جميعاً واقصى من سائر قريش ثلاثين رجلا بعد ان اغرمهم مائة الف الف ربا ع عشر اموالهم ورباعهم وحمل العذاب عليهم والنكال حتى اصارهم عالة يتكففون الناس متفرقين فى كور الشام وآفاق البلاد وصلب من الناس جملة ممن الف هؤلاء القوم وانهم بمصانعتهم ومصاحبتهم وكانت ولايته فى ربيع الاول سنة احدى ومائة ومات سنة ست ومائة

﴿ ولاية هشام بن عبد الملك ﴾

وذكروا ان عبد الملك بن مروان بينما هو يوما فى بعض بوادى الشام يتطوف اذ نظر الى ساع يسعى اليه فوقف منتظراً له فلما قاربه قال له ماوراءك فقال ولدت المخزومية غلاما قال فسمته قال هشاما قال هشم الله رأسها فقال له قبيصة بن ذؤيب ولم يا أمير المؤمنين قال اخبرنى ابى مروان انه سمع بشرة بنت صفوان تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . راحة اصحابى معاوية ولا راحة لهم بعد معاوية وراحة العرب هشام ولا راحة لهم بعد هشام . وذكروا ان هشاما صارت اليه الخلافة فى سنة ست ومائة فكان محمود السيرة ميمون النقيبة وكان الناس معه فى دعة وسكون وراحة لم يخرج عليه خارج ولم يقم عليه قائم الا ما كان من قيام زيد بن على بن الحسين فى بعض نواحى الكوفة فبعث اليه ابن هبيرة وكان عامل الكوفة فأخذ زيد فاتى به ابن هبيرة فامر بقتله دون رأى هشام فلما بلغ ذلك هشاما اعظم عليه قتله وأعظم فعل ابن هبيرة واجترائه على قتل

قرشي دون مشورة حتى جعل يقول . مثل زيد بن على فى شرفه وفضله يقتله
ابن هبيرة وما كان عليه من قيامه ان هذا لهو البلاء المبين مازال ابن هبيرة مبغضا
لاهل هذا البيت من آل هاشم وآل عبد المطلب ووالله لازلت لهم محبا حتى أموت
ثم عزل ابن هبيرة عن الكوفة واغرمه الف الف ولم يل له شيئاً حتى مات وكانت
ايام هشام عشرين سنة وولى سنة ست ومائة وتوفى سنة ست وعشرين ومائة
بعد ان حج احدى عشر حجة وهو خليفة

﴿ قدوم بن صفوان بن الاهتم على هشام ﴾

وذكروا ان شبيب بن شيبة أخبرهم عن خالد بن صفوان بن الاهتم قال
اوفدنى يوسف بن عمر الى هشام فى وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج متبدبا
فى قرابته وأهله وحشمه وحاشيته من أهله الى بعض بوادى الرصافة فنزل فى
أرض قاع صحصح أفيح فى عام قد بكر وسمه [illegible] الارض أنواع
زهرتها واخرجت الوان زينتها من نور ربيعها فهى فى أحسن منظر وأجمل
مخبر بصعيد كان ترابه قطع الكافور فلو ان قطعة دينار القيت فيه لم تترب .
وقد ضرب له سرادقات من حبرات اليمن مزرورة بالفضة والذهب وضرب له
فسطاطه فى وسطه فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة
خز أحمر وعمامة مثلها وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه وعنده أشراف
قريش وقد ضربت حجر بنيه وكتابه وحشمه بقرب فسطاطه ثم أمر الربيع
حاجبه بأذن للناس اذنا عاما فدخلوا عليه وأخذ الناس مجالسهم قال خالد فادخلت
راسى من ناحية السماط فاطرق ثم رفع رأسه ونظر الى شبه المستنكر وكنت
قد حليت عنده ببلاغة وفهم وحكمة فقلت اقر الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين
وكرامته وسوغك شكره يا أمير المؤمنين ومدلك فى المزيد منها بفضله ثم وصلها
بعد بطول العمر وتتابع الكرامة الباقية التى لا انقطاع لها ولا نفاد لشىء منها
حتى يكون آجلى ذلك خيراً من عاجله وآخره أفضل من أوله وعاقبته خيراً من
ابتدائه وجعل ما قلدك من هذا الامر رشداً وعاقبته تؤول الى احمد وورثك الرضا
واخلص لك ذلك بالتقوى وكثره لك بالنماء ولا كدر عليك منه ما صفا ولا خالط
سروره أذى . فقد أصبحت للمسلمين ثقة وستراً يفزعون اليك فى امورهم

ويقصدونك فى حوائجهم وما اجد ياأمير المؤمنين جعلنى الله فداك شيئاً أبلغ فى حقك وتوفير مجلسك اذ من الله على بمجالستك والنظر الى وجهك منى وما اجد فيما أظهر ذلك الا فى مذاكرتك نعم الله التي أنعم بها عليك واحسن فيها اليك ونبهك الى شكرها . ثم أنى لا أجد شيئاً هو ابلغ فى ذلك ولا أجمع من ذكر حديث لملك خلا من الملوك كان فى سالف الامم فان أذن أمير المؤمنين اكرمه الله حدثته قال وكان هشام متكئاً فاستوى جالسا وقال هات ياابن الاهتم . قال : قلت ياأمير المؤمنين ان ملكا كان فيما خلا مجتمعا له فيها فناء السن واعتدال الطبائع وتمام الخلال وكثرة المال وتمكين الملك ، وكان له ذلك الى البطر والمرح داعيا وعلى الغفلة والذهول معينا فخرج متنزها الى بعض منازله فصعد جوسقا له فاشرف على ارض قد اخضلها ربيع عامه كان شبهها بعامك هذا ياأمير المؤمنين فى خصبه وعشبه وكثرة زهره وحسن منظره ، فنظر فرجع اليه بصره كليلا عن بلوغ أقصى أمواله من الضياع والابل والخيل والنعم فقال لنفر من ناديه لمن هذا قيل له لك فأعجبته نفسه وما بسط له من ذلك حتى اظهر فرحه وزهوه ثم قال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه أم هل أوتى أحد مثل ما أتيت . وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والعلم والمضى على ادب الحق ومنهاج الصدق فى الضمير والمقالة . وقد قيل ان الله الجليل لم يخل الارض منذ أهبط آدم من قائم يقوم بحجة الله فيها وكان ذلك الرجل ممن يسامره قال: ايها الملك قد سالت عن امر افتأذن لى بالجواب فيه قال نعم قال : أرأيت هذا الذى اعجبك مما عليه اطلعك نظرك واستطال ملكك وسلطانك أشىء لم يزل لك ولم يزل عنك أم شىء كان لغيرك فزال عنه اليك ثم هو صائر الى غيرك كما صار اليك ؟ قال : الملك بل كما ظننت ومثلت قال : فأنى أراك أعجبت بما يفنى وزهدت فيما يبقى وسررت بقليل وحسابه غداً طويل قال ويحك فكيف المطلب وأين المهرب وما الحيلة فى المخرج قال احدى خصلتين اما ان تقيم فى ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك على ماسرك وساءك وأمضك واما ان تضع تاجك ونجادك وتذكر ذنوبك وتلحق فى الخلاء بمن يغفر لك فتعبد فيه ربك حتى يوافيك اجلك وتنقضى مدتك وانت عامل لربك فيما يعطيك قال فاذا فعلت ذلك فمالى فقال ملك خالد لا يفنى ونعيم

لا ينقضي ومزيد وكرامة وصحة لا تسقم أبداً وسرور لا ينصرم وشباب لا يشوبه هرم ، وقرار لا يخالطه هم . قال الملك سأنظر الى نفسي فى الاختيار لها مما ذكرت لى فاذا كان وقت السحر فاقرع على بابى لتعرف رأيى فانى مختار احد المنزلتين فان اقمت فى ملكى واخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا تعصى وان خلوت كنت رفيقا لا تجفى فلما كان السحر قرع عليه بابه فاذا هو قد وضع تاجه ولبس اطماره فلحق بالجبل فلم يزالا يعبدان الله فيه حتي بلغ أجلهما وانقضى عمرهما . فبكى هشام حتى بل لحيته ثم نكس رأسه طويلا ثم أمر بنزع ابنيته وانتقاله واقبلت العامة من الموالى على ابن الاهتم فقالوا له ما أردت لأمير المؤمنين افسدت عليه لذته ونغصت عليه شهوته وقد حرمتنا ما أملنا فيه . قال اليكم عنى فانى عاهدت الله ربى أنى لا أخلو بملك الا ذكرته الله وبهته ورشدته . ثم رجع خالد الى فسطاطه كئيباً حزينا مخوفا يظن انه هالك وكان نزيع صديقه فبينما هو كذلك اذ أتاه رسول الربيع فقال يا صفوان يقول لك اخوك الربيع : من كان فى حاجة الله كان الله فى حاجته . انه لما وليت أمير المؤمنين جعل يقول ما در ابن الاهتم أى رجل دنيا وأخرى مر ديار بيع فليرفع حوائجه وليغد اليناها نقضها له فقال الربيع فاغد علينا بحوائجك رحمك الله واحمده على ما صنع واذهب من مخافتك . فغدا عليه بحوائجه فقضيت . وذكر انه لم يكن فى بنى أمية ملك اعظم من هشام ولا أعظم قدراً ولا اعلا صوتا منه دانت له البلاد وملك جميع العباد واديت اليه الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس والترك والافرنج والزنج والسند والهند وكان قريبا من الضعفاء مهتما باصلاح الادواء لم يجترئ احد معه على ظلامة ولم يسلك احد معه الا سبيل الاستقامة وكان له موضع بالرصافة افيح من الارض يبرز فيه فتضرب له به السرادقات فيكون فيه ستين بارزاً للناس مباحا للخلق لا يغنى ايامه تلك الا برد المظالم والاخذ على يد الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد ويصل الى مخاطبته بذلك الموضع داعى السوام والامة السوداء فمن دونهما . قد وكل رجالا ادباء عقلاء بادناء الضعفاء والنساء واليتامى منهم وأمرهم باقضاء أهل القوة والكفاية عنه حتى يأتى على آخر ما يكون من أمره فيما يرفع اليه لا ينضم اليه رجل يريد الوصول اليه فينظروا اوضع منه

الا ادنوا الاوضع وابعدوا الارفع حتى ينظر فى شانه ويعرف أمره وينفذ فيه ما امر ولا يرفع اليه ضعيف ولا امرأة أمراً وظلامة على غطريف من الناس مرتفع القدر ولا مستخدم به الا امر باقتضاء يمينه واغداه بمطلبه لا يتميل لهم حجة ولا يسمع لهم من بينة حتى لربما تمر به المرأة والرجل او عابر سبيل لا حاجة له فيما مر به فيقال له ماحاجتك وماقصتك وماظلامتك فيقول انما سلكت اريد موضع كذا اروم بلد كذا فيقول له لعلك ظلمك احد من آل الخليفة تهاب أمره وتتوقع سطوته فذلك الذى منعك عن رفع ظلامتك الى أمير المؤمنين فيقول لا والله لا انى الا ماقلت فيقال له اذهب بسلام . حتى لربما أتت عليه تارات من الليل وساعات من النهار لا ينظر فى شيء ولا يأتيه أحد فى خصومة لاستغناء الناس عن المطالب وتعففا من المظالم ووقاية من سطواته وتحرزا من عقوبته وقد وسع العباد امنه واشعرهم عدله وصارت البلاد المدنية الشاسعة كدار واحدة ترجع الى حاكم قاضى يرقبه الناس فى المواضع النائية عنه كما يرقبه من معه وقد وضع العيون والجواسيس من خيار الناس وفضلاء العباد فى سائر الامصار والبلدان يحصون اقوال الولاة والعمال ويحفظون اعمال الاخيار والاشرار قد صار هؤلاء أعقابا يتعاقبون ينهض قوم باخبار ماتوا فى المصر الذى كانوا فيه ويقبل آخرون يدخلون مسترقين ويخرجون متفرقين لا يعلم منهم واحد ولا يرى لهم عابر فلا خبر يكون ولا قصة تحدث من مشرق الارض ولا مغربها الا وهو يتحدث به فى الشام وينظر فيه هشام ، وقد اقتصر نفسه على هذه الحال وحببت اليه هذه الافعال ، فكانت ايامه عند الناس احمد ايام مرت بهم واعفاها وارجاها قد لبس جلباب الهيبة على أهل العنود والكيود وارتدى برداء التواضع الى اهل الخشوع والسكون . وكان قد حبب اليه التكاثر من الدنيا والاستمتاع بالكساء لم يلبس ثوبا قط يوما فعاد اليه حتى لقد كان كساء ظهره وثياب مهنته لا يستقل بها ولا يحملها الا سبعمائة بعير من اجلد ما يكون من الابل واعظم مايحمل عليه من الجمال وكان مع ذلك يتقللها وطالت ايامه واستبطأ صاحب العهد بموته فناوأه وعاداه وانتقل عن الموضع الذى كان به هو والوليد بن يزيد بن عبد الملك فمات هشام والوليد غائب فاتاه موته فامر

بقفل الخزائن فلم يجدوا لهشام ما يكفنونه به واستؤذن الوليد فى اقباله فلم يدفن هشام حتى قدم الوليد وذلك فى ثلاثة ايام

﴿ بدء الفتن والدولة العباسية ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدى أخبرهم قال اختلفت روايات القوم الذين عنهم حملنا ورويناذكر الدولة فحملنا عنهم ما اختلفوا فيه والفناه . فكان اول ما اختلفت فيه الرواية ولم تلائمه الحكاية اشياء سنذكرها فى موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله واقتصرنا على معانيها وقيد بعض الفاظها لطول اخبارها واجتنينا اجزل السمين من اللفظ ورددناها الى فائدته وقلة عائدته وقد اختصرنا واشبعنا اذلم نترك من المعنى المتقدمة شيئاً والله الموفق للصواب . فكان مما الفناه ابتداء من ذكر الدولة ما اخبرنا عن الهيثم بن عدى عن الرجال الذين حدثوه قالوا : لما سلم الحسن بن على الامر الى معاوية بن ابى سفيان مت الشيعة من أهل المدينة واهل مكة واهل الكوفة واليمن وأهل البصرة وارض خراسان فى ستر وكتمان فاجتمعوا الى محمد بن على وهو محمد بن الحنفية فبايعوه على طلب الخلافة ان امكنه ذلك وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقوها يوم الوثوب على فرصته فيما يحتاج من النفقة على مجاهديه فقبلها وولى على شيعة كل بلد رجلا منهم وأمره باستدعاء من قبله منهم فى سر وتوصية اليهم الا يبوحوا بمكتومهم الا لمن وثق به حتى يرى للقيام موضعاً . فاقام محمد بن الحنفية امام الشيعة قابضاً لزكاتهم حتى مات . فلما حضرته الوفاة ولى عبدالله ابنه من بعده وأمره بطلب الخلافة ان وجد الى ذلك سبيلا واعلم الشيعة بتوليته اياه فاقام عبدالله بن محمد بن على وهو أمير الشيعة فبلغ ذلك سليمان بن عبدالملك فى أول خلافته ان الشيعة قد بايعت عبدالله بن محمد بن على بعد ابيه فبعث اليه وقد اعد له فى افواه الطرق رجالا معهم اشربة مسمومة وأمرهم اذا خرج من عنده ان يعرضوا عليه الشراب . فلما دخل على سليمان اجلسه الى جانبه ثم قال له بلغنى ان الشيعة بايعتك على هذا الامر فجحده عبدالله وقال : بلغك الباطل ومازال لنا أعداء يبلغون الائمة قبلك عنا مثل ما بلغك ليغروهم بنا فيدفع الله عنا كيد من ناوأنا وأنا بما يلزمنى من مؤنتى اشغل منى بطلب هذا الامر ثم خرج من عنده فى وقت شديد الحر . فكان لا يمر بموضع الا قام اليه الرجل

بعد الرجل يقول له هل لك فى شربة سويق اللوز وسويق كذا وكذا يابن بنت رسول الله ونفسه موجسة منهم فيقول بارك الله لكم حتى اذا خرج الى آخر الطريق خرج اليه رجل من خبائه وبيده عس فقال هل لك فى شربة من لبن يابن بنت رسول الله فوقع فى نفسه ان اللبن مما لا يسم فشرب منه ثم مضى فلم ينشب ان وجد للسم حساً فاستدل على الطريق الى الحميمة وبها جماعة آل عباس وقال لمن معه ان مت ففى أهلى ثم توجه فنزل على محمد بن على بن عبد الله بن عباس فأخبره الخبر وقال له اليك الامر والطلب للخلافة بعدى فولاه وأشهد له من الشيعة رجالا ثم مات . فاقام محمد بن على بن عبد الله بن عباس ودعوة الشيعة له حتى مات فلما حضرته الوفاة ولى محمد بن ابراهيم الامر فاقام وهو أمير الشيعة وصاحب الدعوة بعد أبيه .

﴿ دخول محمد بن على على هشام ﴾

وذكروا ان محمد بن على بن عبد الله بن عباس دخل وهو شيخ كبير قد غشى بصره على هشام بن عبد الملك متوكئاً على ولديه أبى العباس وأبى جعفر فسلم ثم قال له هشام ماحاجتك ولم ياذن له فى الجلوس فذكر قرابته وحاجة به ثم استجداه . فقال له هشام ماهذا الذى بلغنى عنكم يابنى العباس ثم يأتى أحدكم وهو يرى انه احق بما فى أيدينا منا والله لا أعطيتك شيئاً فخرج محمد بن على فقال هشام كالمستهزئ ان هذا الشيخ ليرى ان هذا الامر سيكون لولديه هذين او لاحدهما فرجع محمد نحوه فقال . أما والله أنى أرى ذلك على رغم من رغم . فضحك هشام وقال أغضبنا الشيخ ثم مضى محمد بن على

(ولاية الوليد بن يزيد وفتن الدولة)

وذكروا ان الوليد بن يزيد لما تولى الامر بعد هشام أساء السيرة وانتحى على أهله وجماعة قريش وأحدث الاحداث العظيمة وسفك الدماء وأباح الحريم وكانت ولايته فى ست وعشرين ومائة فلما استولى على الامر بعث الى أشراف الاجناد فقدموا عليه وقدم خالد فيمن قد قدم فلم ياذن لواحد منهم وكان مشتغلا بلهوه ولعبه ومرض خالد فاستؤذن له فى الانصراف فاذن له فانصرف الى دمشق فاقام بها شهراً . ثم كتب اليه الوليد ان أمير المؤمنين قد علم الخمسين الف الف

التي تعلم فاقدم بها على أمير المؤمنين مع رسوله فقد أمره ان لا يعجلك عن جهازك فبعث خالد الى عدة من ثقاته فيهم عمارة بن أبي كلثوم فاقرأهم كتاب الوليد وقال أشيروا على برأيكم . فقالوا ان الوليد ليس بمأمون فالرأي ان تدخل مدينة دمشق فتأخذ بيوت الاموال وتدعو الى من أحببت والناس قومك ولن يختلف مناعليك اثنان فقال لهم وماذا قالوا تأخذ بيوت الاموال وتجمع اليك قومك حتى تتوثق لنفسك قال وماذا قالوا نتوارى . فقال اما قولكم ان ادعو الى من أحببت فانى اكره ان تكون الفرقة على يدى واما قولكم ان آخذ بيوت حتى الاموال اتوثق لنفسي فانتم لا تأمنونني عليها ولا ذنب لى فكيف لى ترجون وفاءها يعطيني وقد فعلت ما فعلت واما قولكم فى التوارى فوالله ماقنعت رأسي خوفا من احد قط فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت ولكنى امضى واستعين بالله تعالى .

(قتل خالد بن عبد الله القسرى)

وذكروا ان خالد بن عبد الله القسرى شخص الى الوليد بن يزيد حتى قدم على معسكره فلم يدع به الوليد ولم يكلمه وهو يختلف اليه غدوة وعشية حتى قدم براس يحيى بن يزيد بن على بن الحسين من خراسان فجمع الناس الاذن لحضر الاشراف وجلس الوليد وجاء خالد الى الحاجب فقال ان حالى كما ترى لا أقدر على المشى وانما أحمل فى الكرسى قال الحاجب مايدخل احد على أمير المؤمنين على هذه الحال ثم أذن له فدخل على كرسيه ثم دخل على الوليد وهو جالس فى سريره والمائدة موضوعة فلما دخل عليه قال له الوليد أين ولدك يزيد بن خالد فقال قد اصابه من هشام ظفر فخلى سبيله ثم طلب فهرب فكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله فقال له الوليد لكنك خلفته طالبا للفتنة فقال خالد قد علم أمير المؤمنين انا أهل بيت طاعة أنا وابى وجدى فقال له الوليد لتأتينى بابنك او لأزهقن نفسك فقال له خالد : هذا الذى تدور عليه وهو الذى تريد والله لو كان ابنى تحت قدمى مارفعتهما لك فاصنع ما بدا لك . فامر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه والاخذ له وقال له اسمعنى صوته فذهب به غيلان الى رحله فعذبه بالسلاسل والحديد فلم يتكلم بكلمة فرجع غيلان الى الوليد فقال له والله لا أعذب انسانا لا يتكلم فقال له كف عنه واحبسه ففعل فقام يوسف بن عمر فقال أنا

أشتريه بخمسين الف الف فارسل الوليد الى خالد ان يوسف بن عمر قد سأل ان يشتريك بخمسين الف الف فان ضمنتها لامير المؤمنين والا دفعتك اليه . قال خالد ما عهدنا العرب تباع فدفعه الى يوسف بن عمر فنزع ثيابه والبسه عباءة وألحقه أخرى وحمله على محمل ليس تحته وطاء فبسط عليه وعذبه وخالد لا يكلمه بكلمة ثم ارتحل حتى اذا كان ببعض الطريق عذبه يوما ثم وضع المضرسة على صدره فقتله في الليل فدفن في الحيرة وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين ومائة .

﴿ وثوب أهل دمشق على الوليد بن يزيد وقتله ﴾

وذكروا ان يزيد بن خالد دب في أهله وتحمل في عشائره فاجتمع أمرهم على الوليد بن يزيد فبينما هم يدبرون أمرهم اذ انطلق ساع الى الوليد قال له أدلك على يزيد بن خالد قال نعم فبعث الوليد مولى له وأمره ان يكمن النهار ويسير الليل حتى أتى دمشق ليلا ويزيد مختف بدمشق في منزل رجل عند باب الشرق فاقتحم عليه المنزل فاخذه وشخص به من ساعته حتى قدم الوليد فأمر ان يبعث به الى يوسف بن عمر بالعراق قال له يزيد يا أمير المؤمنين انا ادفع لك الخمسين الف الف التي طلبت من خالد في ثلاث سنين على ان تكتب الى الآفاق بدم من كانت لي عنده وديعة وأمان فيها ذمتي وموالي فقبل منه الوليد ذلك فأمر ان تكتب الى العراق والحجاز وكور الشام في ذلك واحتبس يزيد عنده وجعل عليه القيود والحرس ثم ارتحل الوليد ومعه خدمه وشرطته وتواعد اهل اليمن ان يثوروا اذا صلوا العتمة في المسجد وكانت العلامة بينهم ان يلتمس احدهم صاحبه . فلما تفرق اهل المسجد خرجوا فاستخرجوا يزيد بن الوليد من منزله ثم أبوابه القصر وعلى دمشق يومئذ رجل من بني الحجاج وكان قد خرج من الطاعون واستخلف رجلا من قيس فدخلوا عليه فأوثقوه كتافا وأوثقوا كل من خافوا خلافه فتسلل رجل حتى أتى الوليد بن يزيد فاخبره الخبر فلما أصبحوا غدوا الى الوليد فبعث الوليد في طلب يزيد بن خالد وهو عنده في الحديد فقال له ان قومك قد خرجوا بين يدي الوليد فارددهم عن أمير المؤمنين ولك الله ان أوليك العراق وأدفع اليك يوسف فتقتله بابيك فقال له يزيد بن خالد وتوثقني يا أمير المؤمنين قال نعم فتوثق له وحلف قال فارسلني اليهم حتى أردهم عنك فقال له الوليد بل أكتب اليهم قال

ان كتابى لا يغنى شيئاً وقد علموا ان فى يديك وانى سأكتب بما تريد فامر باطلاقه من الحديد ورده الى حبسه وأمر الحرس يتحفظون به ثم ارتحل الوليد بيزيد بن خالد معه فلما كان الفجر صبحته أوائل الخيل خيل أهل اليمن فارسل الوليد الى يزيد بن خالد فقال له يزيد خل عنى حتى أردهم عنك فبيناهم على ذلك اذ التقى القوم فشدت الميمنة وقد طلعت الشمس واختلط الناس وكثر القتل وتخلص يزيد بن خالد من الحرس نهرب فأتوه ببرذون من براذين الوليد وأتى بسيف فتقلده ثم نادى مناديه من جاء برأس الوليد فله مائة الف دينار ونودى فى العسكر من دخل رحله فهو آمن . فنادى الوليد ياأهل الشام ألم أحسن اليكم ألم أفعل كذا وعدد احسانه . فقال عبد السلام بلى قد فعلت ولكنك عمدت الى شيخنا وسيدنا خالد بن عبد الله قد عزله الخليفة قبلك وأخذ أمواله ثم خلى عنه فدفعته الى يوسف بن عمر بالبيع فدرعه ثم حمله على جمل بلا وطاء ثم انطلق به فعذبه حتى قال شر قتل يكون فقال لهم الوليد فاخلعونى فى قميصى هذا وولوا من شئتم فانصرفوا الى قومهم فاعلموهم بذرضى من الخلع فقالوا لا الا رأسه فندلى القوم الى القصر وانتهى يزيد بن خالد الى الباب وعليه سلسلة فامرها فكسرت وكسر الباب وخرج الوليد يسعى حتى دخل بيتاً من بيوت القصر ودخل عليه نحو من ثلاثين رجلا وهو قائم بيده السيف منكسا رأسه لا ينظر اليهم وهو يذب عن نفسه فضربه رجل ضربة ثم صرعه ثم اكب عليه فاحتز راسه فخرج به وانصرف الناس الى دمشق . فبايع الناس ليزيد بن الوليد بن عبد الملك وذلك فى ذى الحجة من سبع وعشرين ومائة فمكث خليفة ستة أشهر ثم مات فى جمادى الاولى ثم ولى ابراهيم بن الوليد فبويع له فى جمادى الاولى فمكث ثلاثة أشهر ثم خلع وهرب

﴿ ولاية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ﴾

وذكروا انه لما خلع ابراهيم بن الوليد خرج مروان بن محمد فى صفر سنة سبع وعشرين ومائة ومعه أهل الجزيرة واهل حمص فدعا الى نفسه بالبيعة ووعد الناس خيراً فرضى به أكثر الناس لشجاعة كانت فيه وسخاء يوصف به فملك الشام واستقل له الامر وغلظ شانه واستعلى سلطانه وبايع له أهل العراق

والحجاز وهابه الناس وخافوه واستعمل العمال فى الافاق والامصار وكانت الشيعة تتكاتبت على الكتمان لذلك وتتلاقى على السر فلما كانت سنة ثمان اجتمعت الشيعة

﴿ خروج أبى مسلم الخراسانى ﴾

وذكروا ان الشيعة لما اجتمعت وغلظ امرهم بخراسان قدم منهم . سليمان ابن كثير وقحطبة بن شبيب فاتوا ابراهيم بمكة فقالوا قد قدمنا بمال قال وكم هو قالوا عشرين الف دينار ومائتى الف درهم و بمسك ومتاع قال ادفعوه الى عروة مولى محمد بن على ففعلوا فكان يحيى بن محمد يتبعهم ويسألهم فيقول ماقصتكم وفى أى شىء جئتم فلا يخبروه فذكروا ذلك لابراهيم فقال احذروه فانه قليل العقل ضعيف الرأى . فجاء الى ابراهيم فقال له ان على دينا و بالله لئن لم تعطنى قضاء دينى لارفعن امرك الى عبد العزيز بن عمر وهم يومئذ على الموسم فاعطاه خمسة آلاف درهم وقدموا بابى مسلم معهم وقد خرج أصحابه من السجن فاعلموا ابراهيم انه مولاه فقال لسليمان قدر بى امركم فانت على الناس فاخرج الى خراسان وقد كان ابومسلم قدم على ابراهيم قبل ان ينصرف اصحابه فرأى عقله وظرفه . فكتب الى اصحابه انى قد أمرته على خراسان وماغلب عليها فاتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة فاعلمهم أبومسلم انهم لم ينفذوا كتابه قال ابراهيم انه قد أجمع رأيه على هذا فاسمعوا له وأطيعوا ثم قال لابى مسلم ياأبا عبد الرحمن انك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتى : انظر هذا الحى من اليمن فاكرمهم فان الله لايتم هذا الامر الابهم وانظر هذا الحى من ربيعة فانهم معهم وانظر هذا الحى من مضر فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت فى امره ومن وقع فى نفسك منه تهمة . فقال ايها الامام فان وقع فى انفسنا من رجل هو على غير ذلك احبسه حتى نستبينه قال لا السيف السيف لاتتقى العدو بطرف ثم قال للشيعة من اطاعنى فليطع هذا يعنى أبا مسلم ومن عصاه فقد عصانى ثم قال له : ان استطعت ان لاتدع بخراسان ارضا فيها عربى فافعل وايما غلام بلغ خمسة اشبار فاتهمته فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ يعنى سليمان بن كثير ولاتعصه فشخصوا الى خراسان ووقعت العصبية بخراسان بين نصر بن سيار كان عامل مروان عليها و بين الكرمانى فدخل على نصر بن سيار

رجل فقال له ان مروان بن محمد قد خالف ما ظن به الناس وقد كان رجى وامل وما أرى أمره الا وقد انتقض واجترأت عليه الخوارج وانتقضت عليه البلاد وخرج عليه ثابت بن نعيم ورأى الاشتغال بلذاته اهم عليه فلو اجتمعت كلمتك مع الكرمانى فانى خائف ان يوقعك هذا الخلاف فيما نكره وأنت شيخ العرب وسيدها وأرى والله فى هذه الكور شيئاً واسمع أموراً أخاف ان تذهب او تذهل منها العقول فقال نصر بن سيار والله ما اتهم عقلك ولا نصيحتك ولكن اكفف عن هذا القول فلا يسمعن منك فالتحم ما بين الرجلين وهاجت الحرب وتقاتلوا وجعلت رجال الشيعة تجتمع فى الكور الالف والالفان فيجتمعون فى المساجد و يتعلمون أى يتعارفون بينهم فبلغ ذلك نصر واغتم لذلك وخاف ان وجه اليهم من يقاتلهم ان يتجاوزوا الى الكرمانى فلما استفحل امر القوم وقام بامرهم أبو مسلم الخراسانى ثم اجتمعوا و أظهروا أمرهم . فكتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد .

أرى خلل الرماد وميض نار * ويوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام
اقول من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
ففرى عن رحالك ثم قولى * على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه مروان : ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب فقال نصر لما قرأ الكتاب : أما صاحبكم فقد اعلمكم ان لا نصر عنده وجعل أبو مسلم يكتب الكتب ثم يقول للرسل مروا بها على اليمانية فانهم يتعرضون لكم و يأخذون كتبكم فاذا رأوا فيها انى رأيت المضرية لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثق بهم ولا تطمئن اليهم فانى ارجو ان يريك الله فى اليمانية ما تحب ويرسل رسولا آخر بمثل ذلك على اليمانية فيقول مر على المضرية فكان الفريقان جميعاً معه . وجعل يكتب الى نصر بن سيار والى الكرمانى : ان الامام قد أوصانى بكم ولست اعدو رأيه فيكم فجعل نصر يقول . ياعباد الله هذه والله الذلة رجل بين أظهرنا يكتب الينا بمثل هذا لا نقدر له على ضر ولا

نع فلما تبين القوم ان لا نصير لهم كتب أبو مسلم الى اصحابه فى الكور ان اظهروا أمركم فكان أول الناس من سود اسيد بن عبد الله فنادى يامحمد يامنصور فسود معه العكى ومقاتل بن حكم وعمر بن غزوان واقبل ابو مسلم حتى نزل الخندقين فهابه الفريقان جميعا فقال لست اعرض لواحد منكم انا ندعوالى آل محمد فمن تبعنا فهو منا ومن عصانا فالله حسيبه . فلما جعل اصحابه يكثرون عنده وهويطمع الفريقين جميعاً فى نفسه كتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد يذكر استعلاء أمر أبى مسلم و يعلمه بحاله وخروجه وكثرة شيعته وانه قد خاف ان يستولى على خراسان وانه يدعو الى ابراهيم ابن محمد فاتى مروان الكتاب وقد اتاه رسول أبى مسلم بجواب ابراهيم فأخذ جواب ابراهيم وفيه لعن ابراهيم لابى مسلم حين ظفر بالرجلين الا يدع بخراسان عربيا الا قتله فانطلق الرسول بالكتاب الى مروان فوضعه فى يده . فكتب مروان الى الوليد بن معاوية وهو على دمشق : ان اكتب الى عاملك بالبلقاء فيأخذ ابراهيم بن محمد فليشده وثاقا ثم يبعث به اليك ثم وجه به الى فاتى اليه وهو جالس فى مسجد القرية فاخذ الى دمشق ودخل على مروان فانبه وشتمه فاشتد لسان ابراهيم عليه ثم قال ياأمير المؤمنين ما أظن مايروى الناس عنك الا حقاً فى بعض بنى هاشم فقال : ادركك الله بأعمالك اذهب به فان الله لا يأخذ عبداً عند أول ذنب اذهب به الى السجن . فقال أبو عبيدة فكنت آتيه فى السجن ومعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فوالله انى ذات ليلة فى سقيفة السجن بين النائم واليقظان اذا مولى لمروان قد استفتح ومعه عشرون رجلا من موالى مروان من الاعاجم ومعه صاحب السجن ففتح لهم فدخلوا واصبحنا فاذا عبد الله بن عمر وابراهيم بن محمد ميتان فانكسر لذلك أبو مسلم بخراسان اذ بلغه موت ابراهيم وانكسرت الشيعة واستعلى أمر الكرمانى فلما رأى أبو مسلم ذلك قال له انا معك ثم دارت الاحوال بين نصر والكرمانى حتى غدر نصر بالكرمانى فقتله وصلبه فخاف نصر على نفسه من أبى مسلم

﴿ ذكر ماأمال أصحاب الكرمانى الى أبى مسلم ﴾

وذكروا ان أبا مسلم كتب الى نصر : انه قد جاءنا من الامام كتاب فهلم بعرضه عليك فان فيه بعض ماتحب فدخل عليه رجل فقال . ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فقال نصر ادخل فالبس ثيابى فدخل بستاناً له وقد تقدم الى صاحب دوابه فاتاه بدواب فركب وهرب معه داود بن أبى داود وهرب معه بنوه وتفرق اصحابه وجاء القوم الى ابى مسلم فاعلموه انه قد خرج ولا يدرون اين توجه فاستولى ابومسلم على خراسان فاستعمل عليها عماله ثم وجه ابا عون فى ثلاثين الفاً الى مروان فلما بلغ مروان الخبر خرج حتى اتى حران فتحمل بعياله وبناته وأهله وقد كان يتعصب قبل فجفا أهل اليمن واهل الشام وغيرهم وقتل ثابت بن نعيم والسمط بن ثابت وهدم مدائن الشام وتحول الى الجزيرة . قال اسماعيل بن عبد الله القسرى . دعانى مروان فقال ياابا هاشم وما كان تكنينى قبلها قد ترى ماحل من الامر وانت الموثوق به ولا تخبأ بعد بؤس ماالرأى فقلت ياامير المؤمنين على ما اجمعت قال على ان ارتحل بموالى وعيالى وأموالى ومن تبعنى من الناس حتى اقطع الدرب ثم اميل الى مدينة من مدائن الروم فانزلها واكاتب صاحب الروم واستوثق منه فلا يزال يأتينى الخائف والهارب حتى يلتف امرى قال اسماعيل : وذلك والله الرأى فلما رايت ما اجمع عليه ورأيت سوء آثاره فى قومى وبلائه القبيح عندهم قلت له اعيذك بالله ياامير المؤمنين من هذا الرأى ان تحكم فيك اهل الشرك وفى بناتك وحرمك وهم الروم لا وفاء لهم ولا تدرى ما تأتى به الايام فان احدث حدث عليك حادث بالروم ولا يحدث الاخير ضاع اهلك من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استدعى الشام جنداً جنداً فانك فى كنف و جماعة وعزة ولك فى كل جند صارم يسيرون معك حتى تأتى مصر فانها اكثر ارض الله مالاً ورجالاً ثم الشام امامك وافريقية خلفك فان رايت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت الى افريقية قال صدقت ثم استخار الله وقطع الفرات فمر بكور من كور الشام فوثبوا عليه فأخذوا مؤخر عسكره فانتهبوه ثم مر بحمص فصنعوا له مثل ذلك ثم مر باهل دمشق فوثبوا عليه ووثب به الوليد بن معاوية وكان عامل مروان على دمشق ثم مضى الى

الاردن فوثب به هاشم بن عمر ثم مر بفلسطين فوثب به الحكم ثم مضى الى مصر فاتبعه الحجاج بن زمل السكسكى فقيل له اتتبعه وقدعرفت غضه لقومك فقال و يحكم انه اكرمنى لمثل هذا اليوم لا خذ له وتبعه ايضا ابو سلمة الخلال وثعلبة بن سلامة وكان عامله على الاردن وتبعه ايضاً الرماحس فقال انى لاسير مع مروان حيث جزنا فلسطين فقال يارماحس انفرجت عنى قيس انفراج الراس ما تبعني منهم احدوذلك اناوضعناالامر فى غيرموضعه واخرجناه من قوم ايدنا الله بهم وخصصنا به قوما والله مارايناً لهم وفاء ولا شكراً .

﴿ تولية ابى مسلم قحطبة بن شبيب قتال مروان ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدى اخبرهم عن رجال ادركوا الدولة وصحبوا اهلها قالوا . لما استولى ابو مسلم على خراسان وولى قحطبة الطائى قتال مروان بن محمد و بعث معه ثلاثين الفاً من رجال اليمن واهل الشيعة وفرسان خراسان وخرج مروان وهو يريد ابا مسلم بخراسان ومعه مائة الف فارس سوى اصحاب الحمولة فهرب من بين يديه ابو العباس وابو جعفر وعيسى بن على بن عبد الله بن عباس فلحقوا بالكوفة فبعث ابو العباس الى أبى سلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان وكان واليا لابراهيم بن محمد على الشيعة بالكوفة فامره ان بلغه امر فيه قوة لابى مسلم بخراسان ان يظهر امره بالكوفة ويدعو اليه و يناهض صاحب الكوفة ففعل ذلك ابو سلمة فلماغلظ امر أبى مسلم بخراسان واستولى عليها و بعث الجيوش الى مروان اظهر امره بالكوفة وطرد عامل الكوفة فخرج هاربا .

﴿ ذكر البيعة لابى العباس بالكوفة ﴾

وذكروا ان أبا مسلم لما بلغه ان أبا سلمة قد أظهر امره بالكوفه ودعا الى محمد وجه رجلا من قواده الى الكوفه فى الفى فارس وأمره ان يسرع السير حتى ياتيها فأقبل ذلك القائدحتى دخل الكوفة فلقى غلاما اسود لابى العباس فقال له أين مولاك قال هو فى دار هاهنا قال دلنى عليه فدله على الدار فاستفتح الباب ثم دخل عليه فسلم عليه بالخلافة وكان ابو سلمة يريد صرف الخلافة الى ولد على بن أبى طالب وكان ينهى ابا العباس عن الخروج و يقول له ان

الامر لم يتم وان موالى بنى أمية قائمون بالحرب والامر اشد مما كان فقال أبو العباس ان أبا سلمة منعنى عن الخروج حتى يولى العمال ويعمل الخراج فقال القائد لعن الله ابا سلمة والله لا أجلس حتى تخرج الى الناس فخرج له مع رجاله الى المسجد ونودي الصلاة جامعة فصعد ابو العباس المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ثم ذكر بنى أمية وسوء آثارهم وذكر العدل فحض عليه ووعد الناس خيراً ورجا لهم الاصلاح وقسمة الفيء على وجهه ثم دخل دار الامارة وجلس الناس فلما بلغ أبا سلمة خروجه اتاه يعتذر فقبل منه واراه المكانة منه والخاصة به وقد كان علم أبو العباس الذى اراده أبو سلمة من صرفه الخلافة الى ولد على بن ابى طالب .

﴿ حرب مروان بن محمد وقتله ﴾

وذكروا ان قحطبة بن شبيب لما انتهى الى بعض كور الشام التقى مروان فقاتله فانهزم مروان فاقتحم قحطبة فى طلب مروان فرسه فى الفرات فحمله الماء فمات فيه وقد اصاب اهل عسكر قحطبة من اموال مروان وأمتعة عسكره مالا يحصى كثرة فتناول اللواء حميد بن قحطبة وعبر الفرات حتى اتى الشام فقيل له ان مروان ترك الطريق الى دمشق وذهب صالح بن على بن عبدالله ابن عباس وكان بناحية من الشام وقد اجتمع اليه الناس لما علموا من قرابته لامير المؤمنين فلما اجتمع مع حميد بن قحطبة سلم اليه الامر وقال الناس انه خرج باظهار الدعوة لابى العباس من غير امره فلما سلم الامر الى صالح بن على اتاه كتاب ابى مسلم ان يرجع ابن قحطبة ببعض عساكره الى العراق فيكون فيها حتى يأتيه امره فاتى صالح بن على كتابه بانه قد صير اليه الشام وما وراءها الى المغرب ويأمره فيه بعثه الجيوش فى طلب مروان فولى صالح ابن على رجلا من الازد يقال له ابا عون على مصر وأمره بطلب مروان فى أرض المغرب وبعثه فى عشرين الفا وكان سليمان بن هشام قد نافر مروان وقاتله مراراً قبل ان يشتد امر ابى مسلم فسار اليه فى اربعة آلاف وذلك بعد خروج قحطبة من عند ابى مسلم فنزل به سليمان وكانت بينه وبين ابى العباس مودة قديمة فبايع ابا مسلم على طاعة ابى العباس فسر به ابو مسلم وشيعته

ثم سيره فى طلب قحطبة ممداً له وقد قاتل مروان قحطبة قبل قدوم سليمان بيومين فلما نظر مروان الى دخول سليمان بن هشام فى عسكر قحطبة وكثرة من جاء معه انهزم فمضى سليمان مع حميد بن قحطبة فى طلبه ولم يكن مروان انهزم عنه غلبة ولكنه كان نظر فى كتب الحدثان فوجد فيها ان طاعة المسودة لاتجاوز الزاب فقال ذلك لوزرائه فقال له ان بمصر زابا آخر قال فاليها نذهب اذاً والزاب الذى اراد علمه هو بارض المغرب فاقبل مروان وهو يريد مصر فالتقت الخيل فانهزم خيل ابى عون واسر القوم وصاحب ابراهيم فاتى مروان بالاسارى فقال مروان شدوا ايديكم بالاسرى فقد اجننا الليل وبات مسرورا فلما اصبح جعل يهيء اصحابه للقاء القوم فاقبل سليمان بن هشام وابو عون وكان مروان قد ارخى حبال الجسر وتوسط اصحابه فبما هنالك وهم آمنون فقال ابو عون للنبط هل لهذا النهر من مخاضة فقالوا والله ماعلمنا ذلك ولا بلغنا ان احداً خاضه قط فقطع عما قصد واراه . فكتب الى صالح ابن على بذلك ويسأله ان يبعث اليه بمراكب ساحل البحر عاجلا فبينما هو فى ذلك اذ اتاه رجل من النبط فقال له ان ابى كان يقرأ الكتاب وكان يحدثنا بأمور تكون بعده ويصف لنا موضعاً يجعله الله لكم تخوض فيه الخيل عند تلك الامور وقد اختبرت ذلك البلاد . فسر بذلك ابو عون ثم بعث معه الخيل الى ذلك الموضع بعد ان وصله ووعده خيراً وكان مروان نظر الى الرايات السود بناحية مصر ونظر الى الخيل تعدو النهر ولا يشك انهم لايجدون سبيلا الى عبوره فلم ينشب اهل عسكر مروان ان نظروا الى خيل ابى عون قد جاوزت النيل فعبأ مروان اصحابه واهل بيته ثم خطبهم وحضهم على الصبر وقال لهم . ان الجزع لا يزيد فى الاجل وان الصبر لا ينقص الاجل واقبل القوم فاقتتلوا من وقت صلاة الصبح الى ان مالت الشمس فأصيب عبد الله ومحمد ابنا مروان وبنو ابيه اكثرهم وولد عبد العزيز وصابر القوم فلما لم يبق حوله الا قدر الثلاثين حمل على القوم فاكردهم ورجع فجعل اصحابه يفترقون عنه . فلما راى ذلك نزل عن فرسه وانشا يقول متمثلا

ذل الحياة وهو الممات وكلا اراه وخيما وبيلا

فان كان لابد من ميتة   فسيرى الى الموت سيرا جميلا

فوثب رجل الى فرسه فاخـذه فقال له مروان اكرمه فانه اشقر مروان ثم كسر غمد سيفه وقاتل قتالا شديداً ثم اصيب فنزل ابو عون فامر بضرب قبابه وامر سليمان بن هشام بطلب المنهزمين حتى اصيب عامتهم واستاثر منهم من استاثر وكان فيمن اسر منهم عبد الحميد كاتبه وحكم المكى مؤذنه فاستبقاهما ابو عون و بعث بهما الى صالح بن على ثم امر ابو عون بطلب جثة مروان على شاطىء النيل فلما كان من الغد ركب ابو عون وسليمان بن هشام لينظر مروان فنظر اليه ثم تحول ابو عون الى سليمان فقال . الحمـد لله الذى شفى صدرك قبل الموت من مروان فهل لك ياابا ايوب ان تذهب الى امير المؤمنين بكتابى و بما هيا الله على يديك وشفى به صدرك فيفعل بك خيراً ويعرف من قرابتك وصحتك ما انت اهله فرضى بذلك سليمان فكتب وصار فلما قدم سليمان بن هشام على ابى العباس امير المؤمنين رحب به وقربه واستلطفه وانزله بعض دور الكوفة وفعل به مالم يفعل باحـد سواه من البر والاكرام وكان سليمان يختلف الى مائدة ابى العباس فى كل يوم فيتغدى معه و يتعشى وكان كاحد وزرائه وفوقهم وكان يجلس ابا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره

﴿ قتل ابى سلمة الخلال ﴾

وذكروا ان ابا العباس لما تمت له الامور واستوثقت استشار وزراءه فى قتل ابى سلمة فادار القوم الراى فيه وكان أبو سلمة يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين وكان يقيم عنده فى كل ليلة الى حين من الليل فاذا اراد الخروج والرجوع الى منزله قربت اليه دابته الى المجلس فيركب منه دون غيره ثم يخرج الى داره . فقالوا له انك ان قتلته ارتاب ابو مسلم ولكن الرأى ان تكتب اليه بأمره اليه فلما قدم الكتاب الى ابى مسلم كتب الى ابى العباس ان كان رابك منه ريب فاضرب عنقه فلما اتاه الكتاب قال له وزراءه لا تأمن ان يكون ذلك غدراً من ابى مسلم وان يكون انما يريد ان يجد السبيل الى ماتتخوف منه ولكن اكتب اليه ان يبعث اليك برجل من قواده يضرب عنقه فكتب اليه بذلك وذكر فى كتابه انى لا اقدم ولا أؤخر الا برأيك فبعث اليه برجل

يقال له مرار الضبي فلما قدم على ابى العباس امر ذلك الضبي أن يقعدله فى الظلمة فى داخل دار الامارة بالكوفة فاذا خرج ضربه بالسيف ثم يأتيه براسه، فقتله ثم امر بصلبه فلما اصبح الناس اذاهم بابى سلمة مصلوبا على دار الامارة.

﴿ قتل رجال بنى امية بالشام ﴾

وذكروا ان ابا العباس ولى عمه عبد الله بن على الذى يقال له السفاح وامره ان يسكن فلسطين وان يجد السير نحوها وهناه بما اصاب من اموال بنى امية وكتب الى صالح بن على ان يلحق بمصر والياً عليها. فقدم السفاح فلسطين وتقدم صالح الى مصر فاتاها بعد قتل مروان بيومين وان السفاح بعث الى بنى امية واظهر للناس ان امير المؤمنين وصاه بهم وامره بصلبهم والحاقهم فى ديوانه ورد اموالهم عليهم فقدم عليه من اكابر بنى امية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلا وكان فيهم عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك وابان بن معاوية بن هشام وعبد الرحمن بن معاوية وغيرهم من صناديد بنى أمية. فاما عبد الرحمن بن معاوية فلقيه رجل كان صنع به براً واسداه خيراً وأولاه جميلا فقال له: اطعنى اليوم فى كلمة ثم اعصنى الى يوم القيامة. فقال له عبد الرحمن وما اطيعك فيه اليوم فقال له الرجل: ادرك موضع سلطانك وقاعدتك المغرب، النجا النجا فان هذا غدر من السفاح ويريد قتل من بقى من بنى أمية فقال له عبد الرحمن ويحك انه كتاب ابى العباس قدم عليه يامره فيه بصلتنا ورد أموالنا الينا والحاقنا بالعطاء الكامل والرزق الوافر. فقال له الرجل ويحك اتغفل والله لا يستقر ملك بنى العباس ولا يستولون على سلطان ومنكم عين تطرف. فقال له عبد الرحمن ما انا بالذى يطيعك فى هذا فقال الرجل أفتأذن لى ان انظر الى ما تحت ظهرك مكشوفا فقال له وما تريد بهذا فقال له أنت والله صاحب الامر بالاندلس فاكشف لى فكشف عبد الرحمن عن ظهره فنظر الرجل فاذا العلامة التي كانت فى ظهره قد وجدت فى كتب الحدثان وكانت العلامة خالا اسوداً عظيما مرتفعاً على الظهر هابطا فلما نظر اليه الرجل قال له: النجا النجا والهرب الهرب فانك والله صاحب الامر فاخرج فانا معك ومالى لك ولى عشرون الف دينار مصرورة كنت اعددتها لهذا الوقت. فقال له عبد الرحمن وعمن أخذت هذا العلم فقال الرجل من عمك مسلمة بن عبد الملك

فقال له عبدالرحمن ذكرت والله عالما بهذا الامر امالئن قلت ذلك لقدوقفت بين يديه وأناغلام يوم توفي ابي معاوية وهشام يومئذ خليفة فكشفت عن ظهري فنظر الى ما نظرت اليه فقال لهشام جدي وهو يبكي : هذا اليتيم ياامير المؤمنين صاحب ملك المغرب فقال له هشام وما الذي أبكاك ياأبا سعيد لهذا تبكي قال أبكي والله على نساء بني أمية وصبيانهم كأني بهم والله وقد ابدلوا بعد اساورة الذهب والفضة الاغلال والحديد وبعد الطيب والدهن البقل والعقار وبعد العز الذل والصغار . فقال هشام احان زوال ملك بني أمية ياأباسعيد فقال مسلمة أي والله حان وان هذا الغلام يعمر منهم ثم يصير الى المغرب فيملكها فقال له الرجل فاقبض مني هذا المال واخرج بمن تثق به من غلمانك فقال عبدالرحمن والله ان هذا الوقت مايوثق فيه باحد فولى ذاهبا وخرج لايدري متى خرج فلحق بالمغرب واقبل القوم من بني أمية وقد اعد لهم السفاح مجلساً فيه أضعافهم من الرجال ومعهم السيوف والاجرزة فاخرجهم عليهم فقتلهم واخذ أموالهم واستعفى عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك وكان عبد الواحد قدبذ العابدين في زمانه وسبق المجتهدين في عصره فركب السفاح الى اموال عبد الواحد وكان عبدالواحد قداتخذ اموالا معجبة تطرد فيها المياه والعيون فامره السفاح ان يصيرها اليه فابى عليه واختفى منه فاخذ رجالا من اهله فتواعدهم السفاح وأمر بحبسهم حتى دلوه عليه فلما قبضه أمر بقتله ثم استقصى ماله فبلغ ذلك ابا العباس أمير المؤمنين وكان أبو العباس يعرفه قبل ذلك وكان عبدالواحد أفضل قرشي كان في زمانه عبادة وفضلا. فقال أبو العباس رحم الله عبدالواحد اما والله كان يقاتل المقاتلة ولا ممن يشار اليه بفاحشة وماقتلته الا امواله ولولا ان السفاح عمي وذمامه ورعاية حقه علي واجب لاقدت منه ولكن الله طالبه وقد كنت اعرف عبد الواحد براً تقيا صواما قواما . ثم كتب الى عمه السفاح الايقتل أحد من بني أمية حتي يعلم به أمير المؤمنين فكان هذا أول ماقم أبو العباس على عمه السفاح

﴿ ذكر قتل سليمان بن هشام ﴾

وذكروا ان عيسى بن عبد البر أخبرهم قال كان سليمان بن هشام اكرم

الناس على ابى العباس امير المؤمنين لحسن بلائه مع قحطبة وقيامه معه على مروان بن عمه وكان هو الذى تولى كبره وقتل على يديه فكان لذلك أخص الناس بأبى العباس فبينما هما يوما وقد تضاحكا وتداعبا اذ اتى رجل من موالى ابى العباس يقال له سديف فناول ابا العباس كتابا فيه :

اصبح الملك ثابت الاساس * بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان و باس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً * واقطعن كل نخلة وغراس
ذلها اظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسى
ولقد غاظنى وغاظ سوائى * قربهم من منابر وكراسى
واذكرن مقتل الحسين وزيداً * وقتيلا بجانب المهراس

فقراه ابو العباس ثم قال له نعم ونعما عين وكرامة سننظر فى حاجتك ثم ناول الكتاب ابا جعفر ثم سلم سليمان بن هشام ثم قام وخرج فتطلع رجل من موالى بنى امية كانت له خاصة وخدمة فى بنى العباس فعرف بعض ما فى الكتاب فلما خرج من عند امير المؤمنين مر بسليمان بن هشام فى غرفة له بالكوفة فسلم ثم قال لسليمان من عندك يا أبا أيوب فقال له ما عندى غير ولدى فقال له: ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فخرج سليمان من ليلته هاربا فلحق ببعض نواحى الجزيرة وكتب الى مواليه وصنائعه فاجتمع اليه منهم خلق كثير فبعث اليه ابو العباس بعثا يقاتله فهزم ذلك البعث ثم بعث اليه بعثا آخر فهزمه ايضا قال فتنقل سليمان عن ذلك الموضع الى غيره ثم بعث اليه بعثا آخر فاسر سليمان وولده فاتى بهما اسيرين الى ابى العباس فامر فقطعت لهما خشبتان وقدمتا اليهما فامر بضرب رقابهما وصلبهما فقال سليمان لولده تقدم يابنى على مصيبتى بك فتقدم الغلام ثم تقدم فقتل ثم قتل سليمان وصلبا على باب دار الامارة بالكوفة

﴿ خروج السفاح على ابى العباس وخلعه ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدى اخبرهم قال لما ولى السفاح الشام واستصفى أموال بنى أمية لنفسه اعجبته نفسه وحسد ابن اخيه على الخلافة فاظهر الطعن

على ابى العباس والتنقص له فلما بلغ ذلك ابا العباس كتب اليه يعاتبه على ما كان منه فزاده ذلك عجبا وحسدا بما فيه فحبس الخراج ودعا الى نفسه وخلع طاعته ثم قرب موالى بنى امية واطمعهم وسد ثغورهم وابدى العزم وأظهره على محاربة أبى العباس فلما انتهت اخباره الى ابى العباس كتب الى أبى مسلم يستغيثه ويذكر عظيم يده عنده ويسأله القدوم عليه لامر السفاح فقدم أبو مسلم فاقام عنده اياما ثم خرج الى السفاح ومعه اجناده وقواده فلقى السفاح على الفرات فهزمه واستباح عسكره وأخذه أسيراً فقدم به على أبى العباس فلما قدم اليه وأدخل عليه قال : ياعمى احسنا وواسينا فحسدت وبغيت وقد رايت تعطفا عليك وصلة لرحمتك ان أحبسك حبسا رفيقا حتى تؤدب نفسك ويبدو منك ثم أمر فبنى له بيت جعل أساسه قطع الملح فحبسه فيه فلما كان بعض أيام ارسل الماء حول البيت فذاب الملح وسقط البيت عليه فمات فيه وورد أبا مسلم الى عمله بخراسان فاقام فيها بقية عامه ثم أخرج ابو العباس أبى جعفر واليا على الموسم وخرج أبو مسلم أيضاً حاجا من خراسان

﴿ اختلاف أبى مسلم على ابى العباس ﴾

وذكروا ان ابا العباس وجه ابا جعفر فى ثلاثين رجلا الى ابى مسلم وكان فيهم الحجاج بن ارطاة الفقيه والحسن بن الفضل الهاشمى وعبد الله ابن الحسين فلما توجه ابو جعفر الى ابى مسلم بخراسان وقدم عليه استخف به بعض الاستخفاف ولم يزد الاجلال له وجعل يعظم فى كلامه وفعله الخليفة ولم يزل ابو مسلم يتخوف ان يصنع به مثل ما صنع بأبى سلمة الخلال وكان لا يظهر ذلك لاحد . فلما قدم ابو جعفر عليه ومعه الثلاثون رجلا وفيهم عبد الله بن الحسين قام اليه سليمان بن كثير فقال ياهذا انا كنا نرجو ان يتم أمركم فاذا شئتم فادعوا الى ماتريدون فظن انه دسيس من أبى مسلم فخاف ذلك فبلغ ابا مسلم ان سليمان بن كثير سار عبد الله بن الحسين بن على فقال لسليمان بلغنى انك سامرت هذا الفتى قال أجل له قرابة وحق علينا وحرمة فسكت فاتى عبد الله بن الحسين أبا مسلم فذكر له ذلك وظن انه ان لم يفعل اغتاله أبو مسلم فبعث أبو مسلم الى سليمان بن كثير فقال له أتحفظ قول الامام

من اتهمته فاقتله قال نعم قال قد اتهمتك فقال ناشدتك الله قال لاتناشدني وأنت منطو على غش الامام فأمر فضربت عنقه وكتب أبو مسلم الى محمد ابن الاشعث ان يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم واستعمل أبوالعباس عيسى بن علي على فارس فأخذه محمد فهم بقتله فقيل لمحمد ان هذا لا يسوغ لك قال أمرني أبو مسلم ان لا يقدم على أحد الا ضربت عنقه فقال ما كان ابو مسلم ليفعل شيئاً الا بامر الامام فلما قدم ابو جعفر من عند ابى مسلم قال لابى العباس لست بخليفة ولا امرك بشيء ان لم تقتل ابا مسلم فقال أبوالعباس وكيف ذلك قال لا والله ما يعبأ بنا ولا يصنع الا ما يريد فقال له ابو العباس اسكت وا كتمها

﴿ قتال بن هبيرة واخذه ﴾

وذكروا ان أبا العباس وجه أبا جعفر الى مدينة واسط فقدم على الحسين ابن قحطبة وهو على الناس وكتب أبو العباس الى الحسين بن قحطبة ان العسكر عسكرك والقواد قوادك فان احببت ان يكون أخى حاضراً فاحسن موازرته ومكاتفته وكتب الى أبى نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك وذكروا ان ابن هبيرة كان قد نصب الجسور بين المدينتين فقال اليمانية الذين مع ابن هبيرة لا والله لا نقاتل على دعوة بنى امية ابداً لسوء رأيهم فينا و بغضهم لنا وقالت القيسية لا والله لا نقاتل حتي يقاتل اليمانية فلم يكن يقاتل مع ابن هبيرة الا صعاليك الناس وأهل العطاء . وكان كثيراً ما يتمثل و يقول :

الثوب ان انهج فيه البلى * اعيا على ذى الحيلة الصانع
كنا نرقعها اذا مزقت * فاتسع الخرق على الراقع

وكان من رأى ابن هبيرة ان لا يعطى طاعة لبنى العباس وكان رأيه ان يدعو الى محمد بن عبد الله بن الحسين فاطلع على ذلك أبو العباس وخاف ان يثور اليمانية مع ابن هبيرة فى ذلك . فكاتبهم أبو جعفر وقال فى كتابه لهم السلطان سلطانكم والدولة دولتكم وكتب الى زياد بن صالح الحارثى بذلك وكان عامل ابن هبيرة فى المدينة وكان عامله قبل ذلك على الكوفة فاجاب زياد بن صالح وذلك لما خاف ان يدخل المدينة فيقتل بها فلما كان مغيب

الشمس قاموا اليه فلما صلى المغرب ركب فطاف فى مسالحه وابوابه فرجع
عتمة فتعشى ثم صلى فاقبل على بن الهيثم فقال والله ما اتخلف غصة اعظم ولا
أهم الى منك لانك مع هؤلاء ولست أدرى ما يكون بعد اليوم وأرى الامر
قد استتب لهؤلاء القوم فى المشرق والمغرب ولكن ان لقيت أبا العباس اعلمته
من أمرى قال ما أخاف تقصيرك ثم قال لست أثق بولد ولا بغيره تقي بك
فيما أريدان أوطده ، تأخذ مفاتيح هذه المدينة حتى تصبح فتأتى بهاابن هبيرة
فقلت انظر ما تصنع فى خروجك اتثق بالقوم قال هم قد جرى بيني وبينهم
ماأثق به واتانى كتاب ابى العباس بكل ما احب وكتاب أبى جعفر فقلت
ياأبا الربيع أخاف ان لا يوفى لك . فلما أدهم الليل وانتصف قام فصلى ركعات
ثم أمر غلمانه فحملوا متاعه على أربعة بغال ثم أخرج أربعة غلمان له وابنه
ثابت على برذون له ثم خرج واغلق الباب فلما انتهى الخبر الى ابن هبيرة بكى
وقال ما يوثق باحد بعد زياد بن صالح بعد ايثارى اياه واكرامى وتفضيلى له
وما صنعت به قلت هو هنالك والله خيرلك منه هاهنا . قال وترى ذلك ؟
قلت نعم قال ثم مشت الكتب والرسل بينهم أى بين أبى جعفر وابن
هبيرة حتي صار أمرهم الى ان يلقاه ونهض ابن هبيرة لهم وتخلى مما بيده لهم .

﴿ كتاب الامان ﴾

وذكروا ان رجلا من قيس يقال له ابو بكر بن مصعب العقيلى سعى فى
كتاب الصلح والامان عند أبى جعفر حتي تم له فاتى به ابن هبيرة . وفيه
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن على أبى جعفر
ولى أمر المسلمين ليزيد بن هبيرة ومن معه من اهل الشام والعراق وغيرهم فى
مدينة واسط وارضها من المسلمين والمعاهدين ومن معهم من وزراءهم . انى
أمنتكم بامان الله الذى لا اله الا هو الذى يعلم سرائر العباد وضمائر قلوبهم
ويعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور واليه الامر كله ، أماناً صادقاً لا يشوبه
غش ولا يخالطه باطل على أنفسكم وذراريكم وأموالكم واعطيت يزيد بن عمر
ابن هبيرة ومن امنته فى أعلا كتابى هذا بالوفاء بما جعلت لهم من عهد الله
وميثاقه الذى واثق به الامم الماضية من خلقه واخذ عليهم به امره عهداً

خالصاً مؤكداً وذمة الله وذمة محمد ومن مضى من خلفائه الصالحين واسلافه الطيبين التي لا يسع العباد نقضها ولا تعطيل شيء منها ولا الاحتقار بها ، وبها قامت السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها تعظيما لها وبها حقنت الدماء ، وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم وذمة ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وذمة جبريل وميكائيل واسرافيل واعطيتك ما جعلت لمن هذه [illegible] والمواثيق ولمن معك من المسلمين وأهل الذمة بعد استئماري فيما جعلت لك منه عبد الله بن محمد امير المؤمنين اعز الله نصره وأمر بانفاذه لكم ورضي به وجعله لكم وعلى نفسه وتسلم ذلك من قبله من وزرائه وقواده وانصار [illegible] من شيعته من أهل خراسان فانت وهم آمنون بامان الله ليس [illegible] حد ولا تؤاخذ بذنب اتيته وكنت عليه فى خلاف أو مناوأة أو قتل او [illegible] او جرم أو جناية او سفك دماء خطأ او عمداً او امر سلف منك او منهم صغير أو كبير فى سر اوعلانية ، ولا ناقض عليك ما جعلت لك من اماني [illegible] اخنك فيه ولا ناكث عنه واذنت لك فى المقام فى المدينة الشرقية [illegible] جل الذى سالت ثم أسالك حيث بدا لك من الارض آمناً مطمئناً ملؤ [illegible] ومن سالته ان يؤذن له فى المسير معك ومن تبعك واهل بيتك والخمسمائة رجل على ما سالت من دوابهم وسلاحهم ولباس البياض لايخافون غدراً [illegible] اخفاراً بك حيث احببت من بر او بحر وانزل حيث شئت من الارض [illegible] الى ان تنتهي الى منزلك من ارض الشام فانت آمن بامان الله ممن مررت [illegible] عمالنا ومسالحنا ومراصدنا ليس عليك شيء تكرهه فى سر ولا علانية [illegible] الله الذى لا اله الا هو ولا ينالك من امر تكرهه فى ساعة من ساعات الليل والنهار ولا ادخل لك فى اماني الذى ذكرت لك غشاً ولا خديعة ولا مكراً ولا يكون مني فى ذلك دسيس بشيء مما تخافه على نفسك ولا خديعة فى مشرب ولا مطعم ولا لباس ولا اضمر لك عليه نفسي الى ارتحالك من مدينة واسط فى دخولك على عسكري والغدو والرواح اذا بدا لك والدخول اي ساعات من ساعات الليل والنهار احببت فاطمئن الى ما جعلت لك من الامان والعهود والمواثيق وثق بالله و بامير المؤمنين فيما سلم

منه ورضى به وجعلته لك ولمن معك على نفسى ولك على الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم أشد ما أخذ الله وحرمه وما انزل الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه جعله كتابا مبينا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونورا وحجة على العباد حتى التى الله وانا عليه ، وانا اشهد الله وملائكته ورسله ومن قرىء عليه كتابى هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه العهود والمواثيق واقرارى بها على نفسى وتوكيدى فيها وعلى تسليمى لك ما سالت ولا يغادر منها شيء ولا ينكث عليك فيها ، وادخلت فى أمانك هذا جميع من قبلى من شيعة أمير المؤمنين من أهل خراسان ومن لامير المؤمنين عليه طاعة من أهل الشام والحرب وأهل الذمة وجعلت لك ان لاترى منى انقباضا ولا مجانبة ولا ازوراراً ولا شيئاً تكرهه فى دخولك على الى مفارقتك اياى ولا ينال أحداً معك امر يكرهه زادت لك ولهم فى المسير والمقام ، جعلت لهم أمانا صحيحا وعهداً وثيقا وان عبد الله بن محمد ان نقض ماجعل لكم فى أمانكم هذا فنكث أو غدر بكم أو خالف الى أمر تكرهه أو تابع على خلافه أحد من المخلوقين فى سر أو علانية أو أضمر لك فى نفسه غير ما اظهر لك او ادخل عليك شيئاً فى امانه وما ذكر لك من تسليم امير المؤمنين التماس الخديعة والمكر بك وادخال المكروه عليك اونوى غير ماجعل لك من الوفاء لك به فلا قبل الله منه صرفا ولا عدلا وهو برىء من محمد بن على وهو يخلع امير المؤمنين و يتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذى هو به من مدينة واسط الى بيت الله الحرام الذى بمكة حافيا راجلا ، وكل مملوك يملكه من اليوم الى ثلاثين حجة بشراء او هبة احرار لوجه الله وكل امرأة له طالق ثلاثا وكل ما يملكه من ذهب او فضة اومتاع او دابة او غير ذلك فهو صدقة على المساكين وهو يكفر بالله و بكتابه المنزل على نبيه والله عليه فيما وكد وجعل على نفسه فى هذه الايمان راع وكفيل وكفى بالله شهيداً . قالوا وكان من رأى ابى جعفر الوفاء لابن هبيرة واصحابه

﴿ قدوم ابن هبيرة على ابى العباس ﴾

وذكروا ان ابن هبيرة وأصحابه لماجاءهم الكتاب بالايمان ترددوا فيه أربعين

يوماً يتدبرونه ويستخيرون الله فى الخروج اليهم ثم عزم الله له فى القدوم على أبى العباس وابى جعفر وكان ابو مسلم كثيراً ما كتب لابى العباس . انه قل طريق سهل يلقى فيه حجارة الاضر ذلك بأهله ولا والله يصلح طريق فيه ابن هبيرة وأصحابه . وكان أبو الجهم بن عطية عين ابى مسلم على ابى العباس فكان يكتب اليه بالاخبار وكان ابو العباس لا يقطع امراً دون رأى ابى مسلم وقد كان ابن هبيرة فى تلك الاربعين ليلة يجمع لذلك الكتاب ممن يعبر الكلام والفقه طرفى النهار فيترددون فيه حتى بلغوا فيه الغاية التى يريدون . ثم خرج ابن هبيرة الى ابى جعفر فى الف وثلاثمائة فلما قدم اراد ان يدخل دار الامارة على دابته فقام الاذن فقال مرحبا بك ابا خالد انزل راشداً وقد طاف بالدار يومئذ نحو من عشرة آلاف رجل من أهل خراسان مستلئمين فى السلاح أعينهم تزهو من تحت المغافر على عواتقهم السيوف مشهورة وعمد الحديد بايديهم . فأتى ابن هبيرة بوسادة فطرحت له فجلس عليها ثم دعا الحاجب بالقواد فدخلوا على أبى جعفر ثم خرج سلام بن سلام فقال ادخل اباخالد قال ومن معى ؟ قال انما استأذنت لك فدخل فوضعت له وسادة فجلس فحدثه ابو جعفر طويلا ثم نهض فركب فأتبعه ابو جعفر بصره حتى انصرف

﴿ قتل ابن هبيرة ﴾

وذكروا ان أبا العباس كتب الى أبى جعفر . ان اقتل ابن هبيرة فراده ابو جعفر بالكتاب فكتب اليه أبو العباس . والله لتقتلنه او لابعثن اليك من يخرجه من عندك ويتولى ذلك عليك . وكان ابن هبيرة اذا ركب الى ابى جعفر ركب فى ثلاثمائة فارس وخمسمائة راجل فقدم يزيد بن حاتم على ابى جعفر فقال اصلح الله الامير ماذهب من سلطان ابن هبيرة شيء يأتينا فيتضعضع به العسكر فقال ابو جعفر ياسلام قل لابن هبيرة لايركب فى مثل تلك الجماعة وليأتنا فى حاشيته . قال عدى فأصبحنا فخرج ابن هبيرة ايضاً فى مثل تلك الجماعة الذين كانوا يركبون معه فخرج اليه سلام فقال يقول لك الامير ماهذه الجماعة لاتسير الا فى حاشيتك فتغير وجه ابن هبيرة فلما اصبح أتى فى نحو من ثلاثين رجلا قال له ابن سلام كانك انما تاتينا مباهياً فقال ابن هبيرة ان أحببتم ان نمشى اليكم

فعلنافقال سلام ماتريد بذلك استخفافا بك ولكن اهل العسكر اذا رأوا جماعة من معك غمهم ذلك فكان هذا من الامير نظراً لك فمكث طويلا جالساً فى الرواق فقيل له ان الامير يحتجم فانصرف راشداً فلم يزل يركب يوماً ويقيم آخر لايجيء الا فى رجلين اوغلامه وقد ختموا على الخزائن وبيوت الاموال وجعل القواد يدخلون على ابى جعفر فيقولون ماتنتظر به فيقول ماار يد الاالوفاء له حتى اذا اجتمع امرهم على قتله بعث الى الحسين بن قحطبة فاتاه فقال لو سرت الى هذا الرجل فارحتنا منه فقال لانريد ذلك ولكن ابعث اليه رجلا من قومه من مضر حتى يقتله فتتفرق كلمتهم عند ذلك فدعا حازم بن حزيمة والهيثم بن شعبة قال لهم ابو جعفر ائتوا الى ابن هبيرة فجددوا على بيوت المال الختم وعلى الخزائن وبعث معهما من المضرية والقيسية ان يحضروا الاذن واربحونا من الرجل ففعلوا ثم دخلوا رحبة القصر فى مائة رجل فارسلوا الى ابن هبيرة انا نريد حمل ما ثمّ فى الخزائن فقال ادخلوا فدخلوا الخزائن فطافوا بها ساعة وجعلوا يخلفون عند كل باب عدة حتى دخلوا عليه فقالوا ارسل معنا من يدلنا على المواضع وبيوت الاموال فقال ياعثمان ارسل معهم من يريدون فطاف حازم وأصحابه فى القصر ساعة وابن هبيرة عليه قميص له مصرى وملاءة موردة وهو مسند ظهره الى حائط المسجد فى رحبة القصر ومعه ابنه داود وحاجبه وكاتبه عمر بن ايوب وعدة من مواليه وبنيه وفى حجر ابن هبيرة ولد صغير ، فلما توثقوا من كل شيء اقبلوا نحوه فلما رآهم قد اقبلوا اليه قال والله ان فى وجوه القوم لشراً . فلما دنوا منه قام ابو عثمان فقال ماوراءكم فنضحه الهيثم بالسيف فاصاب حبل عاتقه فصرعه وقام ابنه داود فقاتل فتفرقوا عليه فقتلوه ومواليه ثم مضوا نحو ابن هبيرة فخر ساجداً وقال و يحكم نحوا عنى هذا الصبى لايرى مصرعى قال فضرب حتى مات ساجداً ثم أخذوا رؤسهم فأتوا بها اباجعفر ونادى المنادى بواسط أمن الامير خلق الله جميعاً الا الحكم بن بشير وعمرو بن ذر قال فضاقت على والله الارض بما رحبت حتى خرجت على دابتى مالى هجير الا آية الكرسى اتلوها والله ماعرض لى احد حتى تواريت فلم أزل خائفاً حتى استأمن لى زياد بن عبدالله بن العباس فامنه وهرب الحكم بن عبدالله بن بشير الى عسكره وضاقت بخالد بن

مسلمة الارض حتى أتى ابا جعفر فاستأذن عليه فامنه . و بلغ ذلك أبا العباس فكتب الى أبي جعفر والله لو كانت له الف نفس لاتيت عليها اضرب عنقه فهرب أبو علافة الفزاري وهشام بن هبيرة وصفوان بن يزيد فلحقهم سعد بن شعيب فقتلهم وقبض على أصحاب ابن هبيرة فقتل من وجوههم نحوا من خمسين ثم آمن الناس جميعاً ونادى منادى أبي جعفر من أراد ان يقيم فليقم بالجابية ومن احب ان يشخص فليشخص وهرب القعقاع بن ضرار وحميد وعدة حتى اتوا زياد بن عبدالله فاستامن لهم فامنوا جميعاً وقوى ملك بني العباس واستقرت قواعده فلما قتل ابن هبيرة ونودى فى أهل الشام الحقوا شامكم فلاحاجة لنا بكم فسار أهل الشام حتى قدموا الكوفة منهم من قدم ومنهم من أخذ على عين التمر ومنهم من أخذ على طريق المدائن ثم لحقوا بالشام على طريق الفرات واستعمل ابو جعفر على واسط ومن فيها الهيثم بن زياد وخلف معه خيلا ثم انصرف أبو جعفر الى أبي العباس وهو يومئذ بالحيرة ثم وجه داود بن على الى الحجاز فقتل من ظفر به من بنى أمية وغيرهم فتوجه الى المثنى بن زياد بن عمر بن هبيرة باليمامة فقتله واصحابه ثم تبعهم محمد بن عمارة وكان على الطائف فقتلهم وتحول أبو العباس من الحيرة الى الانبار فامر أبو العباس برأس ابن هبيرة فوضع بالحيرة على خشبة ومعه غيره من عمال مروان و بها رفع رأس مروان بن محمد وعن يمينه رأس ثعلبة بن سلامة ورأس عثمان بن شعيب عن يساره وانقطعت شيعة بني امية وطلبوا تحت كل حجر ومدر

﴿ اختلاف أبي مسلم على أبي العباس ﴾

وذكروا ان أبا مسلم كتب الى أبي العباس يستأذنه فى القدوم عليه فقدم عليه فتلقاه الناس جميعاً ومعه القواد والجماعة والخيل والنجائب ثم استأذن أبا العباس فى الحج فقال لولا ان أبا جعفر يحج لاستعملتك على الموسم فقال أبو جعفر لابى العباس أطعنى واقتل أبا مسلم فوالله ان فى رأسه لغدرة . فقال له أى أخى قد عرفت بلائه وما كان منه فقال أبو جعفر هو أخطأ بذلك والله لو بعثت سنوراً مكانه لبلغ ما بلغ فى مثل الدولة . قال أبو العباس كيف تقتله قال اذا دخل عليك فحادثه فاذا اقبل عليك دخلت فاتيت من خلفه فضربته ضربة آتى منها على نفسه فقال أبو العباس أى أخى فكيف تصنع باصحابه الذين يؤثرونه على أنفسهم

ودينهم قال يؤل ذلك الى خير والى ماتريد . قال ياأخي انى أريد ان تكف عن هذا فقال أبو جعفر أخاف ان لم تنفذه يتعشاك . فقال أبو العباس فدونكه ياأخي قال وكان مع أبى مسلم من اهل خراسان عشرة آلاف قد قدم بهم يأخذون العطاء عند غرة كل شهر اوفرما يكون من الارزاق سوى الاعاجم فلما دخل أبو مسلم على أبى العباس دعا أبو العباس خصيا له فقال اذهب فاعرف مايصنع أبوجعفر فأتاه فوجده مختفياً بسيفه فقال أبوجعفر اجالس أمير المؤمنين فقال الوصيف قد تهيأ للجاوس ثم رجع الوصيف فذكر ذلك لابى العباس فرده أيضاً الى أبى جعفر وقال قل له عزمت عليك ان لا تنفذ الامر الذى عزمت عليه فكف عن ذلك فسار الى مكة حاجا وللموسم . وخرج أبو مسلم فكان اذا كتب الى أبى جعفر يبدأ بنفسه ثم يكتب اليه لا يهولنك مافى صدر الكتاب فانى لك بحيث تحب ولكنى احب ان يعلم أهل خراسان ان لى منزلة عند امير المؤمنين

﴿ كتاب ابى مسلم الى ابى جعفر وقدهم ان يخلع و يخالف ﴾

وذكروا ان أبامسلم لما رجع من عند أبى العباس وقد قيل له بالعراق ان القوم ارادوك لولا ماتوقعوا ممن معك من اهل خراسان فلما كان فى بعض الطريق كتب الى أبى جعفر : اما بعد فانى كنت اتخذت اخاك اماما ودليلا على ماافترض الله على خلقه وكان فى محله من العلم وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث كان فقممنى بالفتنة واستجهلنى بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعاً فى فى قليل قد نعاه الله الى خلقه فمثل الضلالة فى صورة الهدى فكان كالذى دل نغروره حتى وترت اهل الدين والدنيا فى دينهم واستحللت بما كان من ذلك من الله النقمة وركبت المعصية فى طاعتكم وتوطئة سلطانكم حتى عرفكم من كان يجهلكم وأوطأت غيركم العشواء بالظلم والعدوان حتى بلغت فى مشيئة الله ما احب ثم ان الله بمنه وكرمه اتاح لى الحسنة وتداركنى بالرحمة واستنقذنى بالتوبة فان يغفر فقديما عرف بذلك وان يعاقب فبما قدمت يداى وماالله بظلام للعبيد . فكتب اليه ابو جعفر . اروم مارمت وازول حيث زلت ليس لى دونك مرمى ولا عنك مقصر الرأى مارأيت ان كنت انكرت من سيرته شيئاً فانت الموفق للصواب والعالم بالرشاد انا من لا يعرف غير يديك ولم يتقلب

الا فى فضلك فانا غير كافر بنعمتك ولامنكر لاحسانك لا تحمل على اصر غيرى ولا تلحق ماجناه سواى بى ان امرتنى ان اشخص اليك والحق بخراسان فعلت الامر امرك والسلطان سلطانك والسلام

﴿ موت ابى العباس واستخلاف ابى جعفر ﴾

وذكروا ان أبا جعفر لما انقضى الموسم وانصرف راجعاً جاءه موت ابى العباس وكان بينه وبين ابى مسلم مرحلة . فكتب الى ابى مسلم انه قدحدث حدث ليس مثلك غائب عنه فالعجل العجل قال اسحاق بن مسلم . فقلت لابى جعفر وانا اسايره ونحن مقبلون من مكة ايها الرجل لا ملك لك ولا سلطان مع هذا العبد فقال أبو جعفر ظهر غشك وبدا منك ما كنت تكتم بابى مسلم يفعل هذا قلت نعم فانى اخاف عليك منه يوم سوء فقال كذبت قال اسحاق فسكت ثم لقيته بعد ذلك من الغد ولا والله ماعرفتها فيه وعاودنى بمثل كلامه الاول فقلت له اكثر ام اقل ان لم تقتله والله يقتلك . قال فهل شاورت فى هذا أحداً قلت لا قال اسكت فسكت . فقدم الكوفة فاذا عيسى بن موسى قد سبقه الى الانبار وغلب على المدينة والخزائن وبيوت الاموال والدواوين وخلع عبدالله وتوثب على ابى جعفر ودعا اهل خراسان فالحقهم باليمن وجعل لهم الجعائل الجليلة والعطايا الجزيلة . فلما قدم ابو جعفر سلم الامر لعيسى بن موسى وتوثب عبدالله بن على على اهل خراسان فقتلهم ودعا الى نفسه وأتاه أبو غانم عبدالحميد بن ربعى فقال ان أردت ان يصفو لك الامر فاقتل اهل خراسان وابدأ بى . فلما قدم ابو جعفر من مكة قال لابى مسلم انما هو أنا وانت والامر أمرك فامض الى عبدالله بن على او أهل الشام فلما سار اليه أبو مسلم سار معه القواد وغيرهم فلقى عبدالله بن على وأهل الشام فهزمهم واسر عبدالله بن على وبعث به الى أبى جعفر فاستنكر أبو جعفر قعود ابى مسلم عنه فبعث اليه يقطين بن موسى ورجلا معه على القبض فقال ابو مسلم لا يوثق بهذا ونحوه فوثب وشتم وقال قولا قبيحاً قال له يقطين بن موسى جعلت فداك لاتدخل الغم على نفسك ان احببت رجعت الى أمير المؤمنين فانه ان علم ان هذا يشق عليك لم يدخل عليك مكروها . ثم قدم أبو جعفر من الانبار حتى قدم المدائن وخرج أبو مسلم فأخذ طريق

خراسان مخالفاً لابى جعفر . فكتب اليه ابو جعفر . قد اردت مذاكرتك فى اشياء لم تحملها الكتب فاقبل فان مقامك عندنا قليل . فلم يلتفت ابو مسلم الى كتابه فبعث اليه أبو جعفر جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلى وكان أبو مسلم يعرفه فقال له أيها الامير ضربت الناس عن عرض اهل هذا البيت ثم تنصرف على مثل هذه الحال ان الامر عند أمير المؤمنين لم يبلغ ماتكره ولا ارى ان تنصرف على هذه الحال فيقول أبو مسلم ويحك انى دليت بغرور وأخف عدوه

﴿ قتل أبى مسلم ﴾

وذكروا ان جريراً لم يزل بابى مسلم حتى اقبل به . وكان أبو مسلم يقول والله لاقتلن فى الروم فاقبل منصرفا فلما قدم على ابى جعفر وهو يومئذ بالرومية من المدائن امر الناس يتلقونه واذن له فدخل على دابته ورحب به وعانقه واجلسه معه على السرير وقال له كدت ان تخرج ولم اقض اليك بما تريد فقال قد اتيت ياامير المؤمنين فليأمرنى بامره قال انصرف الى منزلك وضع ثيابك وادخل الحمام ليذهب عنك كلال السفر وجعل أبو جعفر ينتظر به الفرصة فاقام اياما يأتى ابا جعفر كل يوم فيريه من الاكرام مالم يره قبل ذلك حتى اذا مضت له ايام اقبل على التجنى . فاتى ابو مسلم الى عيسى بن موسى فقال اركب معى الى أمير المؤمنين فانى قد أردت عتابه بمحضرك فقال عيسى انت فى ذمتي فاقبل ابو مسلم فقيل له ادخل فلما صار الى الرواق الداخل قيل له ان أمير المؤمنين يتوضأ فلو جلست فجلس وابطأ عيسى بن موسى عليه وقد هيأ له أبو جعفر عثمان بن نهيك وهو على حرسه فى عدة فيهم شبيب بن رياح وابو حنيفة الفقيه فتقدم أبو جعفر الى عثمان فقال له اذا عاتبته فعلا صوتى فلا تخرجوا وجعل عثمان وأصحابه فى ستر خلف أبى مسلم فى قطعة من الحجرة وقد قال أبو جعفر لعثمان بن نهيك اذا صفقت بيدى فدونك ياعثمان . فقيل لابى مسلم ان قد جلس أمير المؤمنين فقام ليدخل فقيل له انزع سيفك فقال ما كان يصنع بى هذا فقيل وما عليك فنزع سيفه وعليه قباء أسود وتحته جبة خز فدخل فسلم وجلس على وسادة ليس فى المجلس غيرها وخلف ظهره القوم خلف ستر . فقال ابو مسلم صنع بى يا أمير المؤمنين مالم يصنع باحد نزع سيفى من عنقى قال ومن فعل ذلك قبحه الله ثم

اقبل يعاتبه فعلت وفعلت فقال ياأمير المؤمنين لمن يقال هذا الى بعد حسن بلائى
وما كان منى ؟ فقال له أبو جعفر ياابن الخبيثة والله لوكانت امة او امرأة مكانك
بلغت مابلغت فى دولتنا ولو كان ذلك اليك ماقطعت فتيلا . الست الكاتب
الى تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آمنة ابنة على ابن عمى وتزعم انك أبو مسلم
ابن سليط عن عبدالله بن العباس لقد ارتقيت لاام لك مرتقاً صعبا قال وابو
جعفر ترعد يده فلما رأى ابو مسلم غضبه قال . يا امير المؤمنين لاتدخل على
نفسك هذا الغم من اجلى فان قدرى اصغر مما بلغ منك هذا ، فصفق ابو جعفر
بيده فخرج عثمان بن نهيك فضربه ضربة خفيفة فأوما ابو مسلم الى رحل ابى
جعفر يقبلها ويقول : انشدك يا امير المؤمنين استبقنى لاعدائك فدفعه برجله
وضربه شبيب على حبل العاتق فاسرعت فيه فقال ابو مسلم : واتعساه ألا قوة ألا مغيث
اضرب لاأم لك فاعتوره القوم باسيافهم فقتلوه فامر به ابو جعفر فكفن بمسح
ثم وضع فى ناحية ثم قيل ان عيسى بن موسى بالباب فقال ادخلوه فلما دخل قال
ياامير المؤمنين فاين ابو مسلم قال كان هاهنا آنفاً فخرج فقال عيسى ياأمير المؤمنين
قد عرفت طاعته ومناصحته ورأى ابراهيم الامام فيه قال له ابو جعفر : ياأنوك
والله ما اعرف عدوا اعدى لك منه هاهو ذا فى البساط فقال عيسى انا لله وانا اليه
راجعون . فاقبل اسحاق صاحب شرطه قال انما كان ابو مسلم عبد أمير المؤمنين
وأمير المؤمنين اعلم بما صنع . فامر ابو جعفر برأسه فطرح الى من بالباب من قواد
ابى مسلم فجالوا جولة وهموا ان يبسطوا سيوفهم على الناس ثم ردهم عن ذلك
انقطاعهم من بلادهم وتغربهم واحاطة العدو بهم فبعضهم اتكأ على سيفه فمات
وبعضهم ناصب واراد القتال . فلما نظر ابو جعفر الى ذلك امر بالعطاء لاصحاب
ابى مسلم واجزل الصلات للقواد والرؤساء منهم ثم عهد اليهم ان من احب منكم
ان يكون معنا هاهنا نأمر بالحاقه فى الديوان فى الف من العطاء ومن احب
ان يلحق بخراسان كتبناه فى خمسمائة ترد عليه فى كل عام وهو قاعد فى بيته .
قال فكأنها نار طفئت فقالوا رضينا يا أمير المؤمنين كلما فعلت فانت الموفق فمنهم
من رضى بالمقام معه ومنهم من لحق بخراسان

﴿ ثورة عيسى بن زيد بن على بن الحسين ﴾

وذكروا ان ابا جعفر لما قتل أبامسلم واستولى على ملك العراقين والشام والحجاز وخراسان ومصر واليمن ثار عليه عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب فقاتله فيما بين الكوفة و بغداد ولقيه فى جموع كثيرة نحوا من عشرين ومائة الف فاقام أياما يقاتله فى كل يوم حتى هم ابو جعفر بالهزيمة وركب فرسه ليهرب ثم جعل يشجع اصحابه و يعدهم بالعطايا الواسعة والصلات الجزيلة فقاتلوا ثم ان اباجعفر غلبته عيناه وهو على فرسه فرأى فى نومه انه يمد يديه ورجليه على الارض . فاستيقظ ودعا عيارا كان معه فاخبره بما رأى فقال له ابشر ياأمير المؤمنين فان سلطانك ثابت وسيليه بعدك جماعة من ولدك وهذا الرجل منهزم ، فما كان باسرع من ان نظر الى عيسى بن زيد منهزما

﴿ هروب مالك بن الهيثم ﴾

وذكروا ان مالك بن الهيثم خرج هاربا حتى اتى همدان وعليها يومئذ زهير ابن التركى مولى خزاعة . فكتب اليه ابو جعفر . ان الله مهرق دمك ان فاتك مالك فجاء زهير بن التركى الى مالك بن الهيثم فقال له جعلت فداك قد اعددت لك طعاما فلو اكرمتنى بدخولك منزلى فقال له نعم وكان قد هيأ له زهير اربعين رجلا . فلما دخل مالك قال لزهير عجل طعامك وقد توثق زهير من الباب وهيأ أصحابه فخرج عليه الاربعون فشدوه وثاقا ثم وضعوا القيود فى رجله ثم قال ابا نصر جعلت فداك والله ما عرفت هذه الدعوة حتى ادخلتنى فيها ودعوتنى اليها فما الذى يخرجك منها والله ما اخليك حتى تزور ابا جعفر فبعث به اليه فعفى عنه ابو جعفر وولاه الموصل . قال الهيثم . وكان يقال ان عبد الملك بن مروان كان احزم بنى أمية وان ابا جعفر كان احزم بنى العباس واشدهم بأساً واقواهم قلباً الا ترى ان عبد الملك قتل عمرو بن سعيد فى داخل قصره وابوابه مغلقة وابو جعفر قتل ابامسلم فى داخل سرادقه وليس بينه و بين اهل خراسان الا خرقة وقال الهيثم ذكر ابن عياش . ان ابا جعفر قال لحاجبه عيسى بن روضة تقدم الى كل من دخل ان لايذكر ابامسلم فى شىء من كلامه قال ابن عياش فاغتممت لذلك فوقفت له خلف ستر ومر راكب مع هشام بن عمر وعبد الله فلما طلع عمر ابن عبد الرحمن صاحب شرطه و بيده الحربة ركبت قال ابو الجراح مالك فقلت

اسلم على امير المؤمنين قال دونك فدنوت والنهر بيني و بينه فقلت ياامير المؤمنين
هنيئا لك وقفة اقعدت كل قائم فقال بيده على فيه ولم يلتفت كالكاره لما سمع
واقبل على صاحبيه قال ابن عياش وكان هذا فى سنة خمس وار بعين ومائة ثم
انصرف ابوجعفر الى الحيرة ومعه عمه عبدالله بن على فى غير وثاق وعليه الاحراس
وقد هيأ له ابو جعفر بيتا فحبسه فيه فلما قدم به قيل انه سمه قال الهيثم . ان
اساس البيت الذى حبسه فيه من لبن والحيرة كثيرة السواقى ندية الارض فيقال
انه امر من الليل بجدول فسرح حول البيت فتهدم عليه فمات . قال ابن عياش
اقبل رجل من همدان الى ابى جعفر فى وفد من العرب فدخلوا عليه فلما خرجوا
وفاتوا بصره قال للآذن على بالهمدانى . فلما مثل بين يديه قال له ياأخا همدان
اخبرنى عن خليفة اسمه على عين قتل ثلاثة اسماؤهم على عين فقال الهمدانى
نعم ياأمير المؤمنين عبدالملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الاشدق اسمه على
عين وعبدالله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد الاشعث . وانت يا امير المؤمنين
اسمك على عين وقتلت عبد الرحمن بن مسلم ابا مسلم اول اسمه على عين وعبد
الجبار الخولانى وسقط البيت على عمك عبدالله فقال ومايدخل سقوط البيت
على عمى لاأم لك . ثم استعمل ابو جعفر على خراسان اسيد بن عبدالله الخزاعى
وولى ابا عون عبد الملك بن يزيد ثم ولى بعد ابى عون حميد بن قحطبة ثم ولى
المسيب بن زهير حتى مات ابو جعفر المنصور

﴿ قصة سابور ملك فارس ﴾

وذكروا ان ابا جعفر دعا اسحاق بن مسلم العقيلى فقال له حدثنى عن الملك
الذى كنت حدثتنى عنه بحران . فقال . نعم اكرمك الله . اخبرنى ابى عن
حصين بن المنذر ان ملكا من ملوك فارس يقال له سابور الاكبر كان له وزير
ناصح قد اخذ ادبا من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم فى الدين فانتصف من
اهلها فعلا وسنا فوجهه سابور داعية الى اهل خراسان وكانوا قوما يعظمون
الدنيا جهالة بالدين واستكانة لحب الدنيا وذلا لجبابرتها فجمعهم على كلمة من
الهدى يكيد بها مطالب الدنيا وكان يقال . لكل ذليل دولة ولكل ضعيف
صولة فلما استوثقت له البلاد جعل الى سابور امرهم واحال عليه طاعتهم قوما

لا يرامونه الى ماسبق اليهم قبله فلم ينتصف سابور من طاعتهم واستمالة اهوائهم مع مالا يأمن من زوال القلوب وغدرات الوزراء فاحتال على قطع رجائه عن قلوبهم فصمم فقاتلهم ووقف بهم بين الفرقة وتحطب الاعداء ، فنادى الرجعة واليأس من صاحبهم فرأوا ان يستتموا الدعوة فى طاعة سابور و يتعوضوه من الفتنة فملكهم ثمانين عاما . فاطرق ابو جعفر مليا ثم قال متمثلا .

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

﴿ خروج شريك بن عون على ابى جعفر وخلعه ﴾

وذكروا ان ابا جعفر لما استقامت له الامور واستولى على الملك خرج عليه شريك بن عون الهمدانى وقال ما على هذا بايعنا آل محمد على ان يسفك الدماء وان يعملوا بغير الحق فخالف أبا جعفر وتبعه اكثر من ثلاثين الفا فوجه اليه ابو جعفر زياد بن صالح الخزاعى فقاتله شهوراً ونهى ابو جعفر ان يسبي احد منهم او يقتل احد من رجالهم لانه كان فيهم قوم اخيار ورجال اشراف وكان خروجهم ديانة وانكاراً للدماء وللعمل بغير الحق فلذلك لم يقتلوا . وكتب اليهم . وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً وقد عفونا عنكم مرتكم هذه فالله الله على دمائكم فاحقنوها .

﴿ اجتماع شبيب بن شيبة مع ابى جعفر قبل ولايته و بعدها ﴾

وذكروا ان شبيب بن شيبة قال حججت عام هلك هشام بن عبد الملك فبينما انا مريح ناحية المسجد اذ طلع على من بعض ابوابه فتي اسمر رقيق السمرة موفر اللمة ، خفيف اللحية رحب الجبهة كان عينيه لسانان ناطقان عليه ابهة الاملاك . فى زى النساك تقبله القلوب وتتبعه العيون ، يعرف الشرف فى تواضعه والعفو فى صورته واللب فى مشيته فما ملكت نفسى ان نهضت فى اثره سائلا عن خبره فتحرم بالطواف . فلما قضى طوافه قصد المقام ليركع وانا أرعاه ببصرى ثم نهض منصرفا كأن عيناً اصابته فكبا كبوة دميت منها اصبعه فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به امسح رجله من عفر التراب فلا يمتنع على ثم شققت خاشية ثوبى فعصبت على رجله فلم ينكر ذلك ثم نهض متوكئا على وانقدت له حتي اتى بناءعا على مكة فابتدره غلامان تكاد صدورهما

نتفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله فخلي يدي واقبل على القبلة فصلى ركعتين . ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال . لم يخف على مكانك منذ اليوم فمن تكون ؟ فقلت شبيب بن شيبة التميمي فقال . الاهثمي ؟ فقلت نعم فرحب وقرب ووصف قومي بأبين وصف وافصح لسان . فقلت اصلحك الله أحب المعرفة واجل عن المسالة . فتبسم وقال . لطف اهل العراق . انا عبد الله بن محمد بن على ابن عباس فقلت بأبي انت وامي ما اشبهك بنسبك وادلك على سلفك وقد سبق الى قلبي من محبتك مالا ابلغه بوصفي لك قال فاحمد الله يا أخا تميم فانا قوم يسعد بحبنا من يحبنا و يشقى ببغضنا من يبغضنا ولن يصل الايمان الى قلب احدكم حتى يحب الله ورسوله ومهما ضعفنا عن جزائه قوى الله على أدائه فقلت له انت توصف بالعلم وانا من حملته وايام الموسم ضيقة وشغل اهله كثير وفي نفسي اشياء احب ان أسأل عنها افتأذن فيها جعلت فداك قال نحن اكثر الناس مستوحشون وارجو ان تكون للسر موضعا وللامانة واعيا فان كنت على مارجوت فهات على بركة الله . فقدمت اليه من وثائق الايمان ماسكن اليه فتلا قول الله « قل اى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني و بينكم » ثم قال سل فقلت ماترى في من على الموسم . وكان عليه يوسف بن محمد الثقفي خال الوليد بن يزيد فتنفس الصعداء ثم قال : عن الصلاة خلفه تسال ام استنكرت ان يتامر على آل الرسول من ليس منهم ؟ قلت عن كلا الامرين أسال قال ان هذا عند الله عظيم . أما الصلاة ففرض الله على عباده فاذا فرضه عليك في كل وقت فان الذي ندبك لحج بيته ومجاهدة عدوه وحضور جماعته واعياده لم يخبرك في كتابه انه لايقبل منك نسكا الامع أكمل المؤمنين ايمانا رحمة لك ولو فعل ذلك بك ضاق الامر عليك فاسمح يسمح لك ثم كررت عليه السوال فما احتجت الى ان أسال عن امر ديني احدا بعده ثم قلت له يزعم اهل العلم بالكتاب انها ستكون لكم دولة لاشك فيها تطلع مطلع الشمس وتظهر بظهورها فاسال الله خيرها ونعوذ به من شرها قال فخذ بحظ لسانك ويدك منها ان ادركتها قلت او يتخلف عنها احد من العرب وانتم سادتها قال نعم قوم يابون الا وفاء

لمن اصطنعهم ونأبى الاطلبا لحقنا فننصر كما نصر اولنا باولهم وخذل مخالفتنا من خذل منهم . فاسترجعت قال هون عليك الامر سنة الله التى قدخلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس ما يكون منهم بحاجز لنا عن صلة ارحامهم وحفظ اعقابهم فقلت كيف تسلم لهم قلوبكم وقدقاتلوكم مع عدوكم فقال نحن قوم حبب الينا الوفاء وان كان علينا و بغض الينا الغدر وان كان لنا وانما يشذ عنا منهم الاقل ، فاما انصار دولتنا ونقباء شيعتنا وأمراء جيوشنا فهم ومواليهم معنا فاذا وضعت الحرب اوزارها صفحنا للمحسن عن المسيء ووهب للرجل قومه ومن اتصل باسبابه فتذهب المثابرة وتخمد الفتنة وتطمئن القلوب فقلت ويقال انه يبتلى بكم من اخلص لكم المحبة . فقال . قدروى ان البلاء اسرع الى محبينا من الماء الى قراره قلت لم أرد هذا قال فما الذى تريد قلت توقعون بالولى وتحظون العدو فقال . من يسعد بنا من الاولياء اكثر ومن يسلم معنا من الاعداء اقل انما نحن بشر ولا يعلم الغيب الا الله وربما استترت عنا الامور فنوقع بمن لا نريد ، وان لنا لاحسانا يجازى الله به مداوة ماتكلم ورتق ماتلم فنستغفر الله بما يعلم وما انكر من الا يكون الامر على مابلغك ومع الولى التعزز والادلال والثقة والاسترسال ومع العدو التحرز والتذلل والاحتيال ، وانك لمسؤول ياأخا بنى تميم قلت انى اخاف الا اراك بعد اليوم قال لكن ارجو ان اراك وتراني قريبا ان شاء الله قلت عجل الله ذلك ووهب لى السلامة منكم فانى محبكم . فتبسم وقال : لا بأس عليك ما اعاذك الله من ثلاثة قلت وماهى ؟ قال . قدح فى الدين وهتك للملوك وتهمة فى حرمة واحفظ عنى ماأقول لك . اصدق وان ضرك الصدق وانصح وان باعدك النصح ولا تخالطن لنا عدوا وان احظيناه ، فانه مخذول ولا تخذلن وليا وان اقصيناه وأصحبنا بترك المماكرة وتواضع اذا رفعوك وصل اذا قطعوك ولا تسخف فيمقتوك ولا تنقبض فيحتشموك ولا تخطب الاعمال ولا تعرض للاموال وانا رائح من عشيتى هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته ثم قلت اوقت لظهور الامر ومتى قال الله الموقت والمنذر فخرجت من عنده فاذا مولى له يتبعنى فاتانى بكسوة من كسوته وقال لى يامرك ابو جعفر ان تصلى فى هذه ثم افترقنا فوالله ما رأيته الا وحرسيان قابضان على يدفعانى الى بيعتى فى

جماعة من قومي لبيعه . فلما نظر الى ابنتي وقال للحرسيين : خليا عمن صحت مودته وتقدمت قبل ابيه حرمته وأخذت بيعته فاكبر الناس ذلك من قوله ، ثم قال لي ابن كنت أيام ابي العباس اخي فذهبت اعتذر فقال : امسك فان لكل شيء وقتاً لا يعدوه ولن يفوتك ان شاء الله حظ مودتك وحق مشايعتك واخترمني رزقاً يسعك او خطة ترفعك او عملاً ينهضك . فقلت انى لوصيتك حافظ فقال وانا لها احفظ انى انما نهيتك ان تجتنب الاعمال ولم انهك عن قبولها ان اعرضت عليك . فقلت الرزق مع قرب امير المؤمنين احب الى فقال وذلك احب الى لك واهون عليّ واوسع لك واعفى ان شاء الله فهل زدت احداً في عيالك بعد . وقد كان سألني عنهم فعجبت من حفظه فقلت زدت الفرس والخادم فقال قد الحقنا عيالك عيالنا وخدمك بخدامنا ولولم يسعني حملت لك على بيت المال فهل تحملك مائتا دينار لكل غرة او نزيدك فقلت ياأمير المؤمنين ان شطرها ليحمني العامين قال فانها لك في كل غرة فقبضها من عاملي في اى بلد احببت وان شئت فقد ضمنتك الى المهدي فانه افرغ لك مني وارضاه لك ان شاء الله

﴿ حج ابى جعفر ولقائه مالك بن أنس وما قال له ﴾

ذكروا ان ابا جعفر امير المؤمنين لما استقامت له الامور واستولى على السلطان خرج حاجا الى مكة وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائة فلما كان بمنى اتاه الناس يسلمون عليه ويهنئونه بما انعم الله عليه وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم وفقهائهم وعلمائهم ممن صحبه والفهمه على طلب العلم ورواية الحديث فكان فيمن دخل عليهم مالك بن انس . فقال له ابو جعفر ياابا عبد الله انى رأيت رؤيا فقال مالك يوفق الله امير المؤمنين الى الصواب من الرأى ويلهمه الى الرشاد من القول ويعينه على خير الفعل فما رأى أمير المؤمنين ؟ فقال ابو جعفر . رأيت انى اجلسك في هذا البيت فتكون من عمار بيت الله الحرام واحمل الناس على علمك واعهد الى اهل الامصار يوفدون اليك وفدهم ويرسلون اليك رسلهم في ايام حجهم لتحملهم من امر دينهم على الصواب والحق ان شاء الله وانما العلم علم اهل المدينة وانت اعلمهم فقال مالك : امير المؤمنين اعلا عينا وارشد رأيا واعلم بما يأتي وما يذر وان اذن لي اقول قلت ، فقال ابو جعفر فنعم فحقيق انت ان يسمع منك

و يصدر عن رأيك فقال مالك ياأمير المؤمنين ان أهل العراق قدقالوا قولا تعدوا فيه طورهم ورأيت انى خاطرت بقوى لانهم اهل ناحية واما اهل مكة فليس بها احدواعا العلم علم اهل المدينة كما قال الامير وان لكل قوما سلفا وأئمة . فان رأى امير المؤمنين اعز الله نصره اقرارهم على حالهم فليفعل فقال ابو جعفر اما اهل العراق فلا يقبل امير المؤمنين منهم صرفا ولا عدلا وانما العلم علم اهل المدينة وقد علمنا انك انما اردت خلاص نفسك ونجاتها فقال مالك اجل يا أمير المؤمنين فاعفني يعفو الله عنك فقال ابو جعفر قد اعفاك أمير المؤمنين وايم الله ما اجد بعد امير المؤمنين اعلم منك ولا افقه

﴿ دخول سفيان الثورى وسليمان الخواص على ابى جعفر وماقالا له ﴾

وذكروا انه لما كان ابو جعفر بمنى فى العام الذى حج فيه سفيان الثورى وسليمان الخواص قال احدهما لصاحبه ألا ندخل على هذا الطاغى الذى كان يزاحمنا بالامس فى مجالس للعلم عند منصور والزهرى فنكلمه ونأمره بحق وننهاه عن باطل فلعل كلامنا ان يقع منه موقعاً ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه فقال سليمان الخواص انى لا اخشى ان ينالنى عليه منه يوم سوء فقال الثورى : ماخاف ذلك فان شئت فادخل وان شئت دخلت . فدخل سليمان الخواص فأمره ونهاه ووعظه وذكره الله وماهو صائر اليه ومسؤول عنه . فقال له ابو جعفر انت مقتول ما تقول فى كذا وكذا لشىء ساله عنه من باب العلم فاجابه . فلما خرج قال سفيان الثورى ماذا صنعت قال امرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضا كان فى رقابنا اديناه مع انه لا يقبل وسالنى عن مسئلة فأجبته قال سفيان ماصنعت شيئاً فدخل سفيان الثورى فامره ونهاه فقال له هاهنا ابا عبدالله الى الى ادن منى فقال انى لا اطأ مالا املك ولا تملك فقال ابو جعفر ياغلام ادرج انبساط وارفع الوطاء فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبين الارض شىء وهو يقول « منها خلقنا كم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى » فدمعت عينا ابى جعفر ثم تكلم سفيان دون ان يستأذن فوعظ وامر ونهى وذكر واغلظ فى قوله فقال له الحاجب أيها الرجل أنت مقتول فقال سفيان وان كنت مقتول فالساعة فساله ابو جعفر مسالة فاجابه . ثم قال سفيان . فما تقول

انت يا أمير المؤمنين فيما انفقت من مال الله ومال امة محمد بغير اذنهم وقد قال عمر في حجة حجها وقد انفق ستة عشر ديناراً هو ومن معه ماارانا الا وقد اجحفنا بيت المال . وقد علمت ماحدثنا به منصور بن عمار وانت حاضر ذلك واول كاتب كتبه في المجلس عن ابراهيم عن الاسود عن علقمة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : رب متخوض في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غداً . فقال له ابو عبيد الكاتب : أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا ؟ فقال له سفيان اسكت فانما اهلك فرعون هامان وهامان فرعون . ثم خرج سفيان فقال ابو عبيد الكاتب [illegible] الا تأمر بقتل هذا الرجل فوالله ماعلم احداً احق بالقتل منه فقال ابو جعفر : اسكت يا [illegible] فوالله مابقي على الارض احد اليوم يستحي منه غير هذا ومالك بن انس

﴿ دخول ابن ابي ذؤيب ومالك بن انس وابن سم[illegible] على ابي جعفر ﴾

وذكروا ان مالك بن انس قال : لما ولي ابو جعفر [illegible] ورقى اليه الملاقون المشاؤون بالنميمة اعنى بكلام كان قد حفظ على فاتا[illegible] ليلا قال اجب امير المؤمنين وذلك بعد مفارقتي له وخروجي عنه فلم [illegible] القتل ففزعت من عهدي واغتسلت وتوضأت ولبست ثياب كفني و[illegible] ثم نهضت فدخلت عليه في السرادق وهو قاعد على فراش قد نظم بالدر [illegible] والياقوت الاحمر والزمرد الاخضر ، حكى لي انه كان من فرش هشام [illegible] الملك كان قد اهداه اليه صاحب القسطنطينية لا يعلم ثمنه ولا يدرى ماقيـ[illegible] شمع يحترق بين يديه وابن ابي ذؤيب وابن سمعان قاعدان بين يديه [illegible] ينظر في صحيفة في يده فلما صرت بين يديه سلمت فرفع رأسه فنظر الي و[illegible] بسم المغضب ثم رمى بالصحيفة وأشار لي الى موضع عن يمينه اقعد فيه [illegible] وأخذت مقعدي وسكن روعي رفعت رأسي انظر تلقائي فاذا انا بواقف [illegible] درع وبيده سيف قد شهره يلمع له ماحوله فالتفت عن يميني فاذا انا بواقف [illegible] عليه جزر من حديد ثم التفت عن يساري فاذا انا بواقف عليه درع و[illegible] سيف قد شهره وهم اجمعون قد صغوا اليه ورمقوا بابصارهم خوفا منهم ان [illegible] احد امرا فيجده غافلا . ثم التفت الينا قال : أما بعد معشر الفقهاء [illegible] بلغ امير المؤمنين عنكم

ما اخشن صدره وضاق به ذرعه ، وكنتم احق الناس بالكف من السنتكم والاخذ بما يشبهكم وأولى الناس بلزوم الطاعة والمناصحة فى السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم . قال مالك فقلت : يا أمير المؤمنين قال الله تعالى « ياايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » فقال ابو جعفر على ذلكم أى الرجال انا عندكم امن ائمة العدل ام من ائمة الجور ؟ فقال مالك فقلت يا أمير المؤمنين انا متوسل اليك بالله تعالى واتشفع اليك بمحمد صلى الله عليه وسلم و بقرابتك منه الا ما اعفيتنى من الكلام فى هذا قال قد أعفاك أمير المؤمنين . ثم التفت الى ابن سمعان فقال له ايها القاضي ناشدتك الله تعالى اى الرجال انا عندك فقال ابن سمعان انت والله خير الرجال والله يا أمير المؤمنين تحج بيت الله الحرام وتجاهد العدو وتؤمن السبل وتأمن الضعيف بك ان يأكله القوى و بك قوام الدين فانت خير الرجال وأعدل الائمة ثم التفت الى ابن ابى ذؤيب فقال له ناشدتك الله أى الرجال انا عندك ؟ قال : انت والله عندى شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين واهلكت الضعيف وأتعبت القوى وامسكت اموالهم فما حجتك غدا بين يدى الله . فقال له أبو جعفر ويحك ما تقول اتعقل انظر ما امامك قال . نعم قد رأيت اسيافا وانما هو الموت ولا بد منه عاجله خير من آجله . ثم خرجا وجلست قال انى لاجد رائحة الحنوط عليك قلت اجل لما نمى اليك عنى ما نمى وجاءنى رسولك فى الليل ظننته القتل فاغتسلت وتطيبت ولبست ثياب كفنى فقال ابو جعفر سبحان الله ما كنت لاثلم الاسلام واسعى فى نقضه او ما ترانى أسعى فى اود الاسلام واعزاز الدين عائذاً بالله مما قلت يا أبا عبد الله انصرف الى مصرك راشداً مهديا وان أحببت ما عندنا فنحن ممن لا يؤثر عليك أحدا ولا يعدل بك مخلوقا . فقلت ان يجبرنى أمير المؤمنين على ذلك فسمعاً وطاعة وان يخيرنى أمير المؤمنين اخترت العافية . فقال . ما كنت لاجبرك ولا أكرهك انقلب معافا مكلوءاً . قال فبت ليلتى فلما اصبحنا امر ابو جعفر بصرر دنانير فى كل صرة خمسة آلاف دينار ثم دعا برجل من شرطته فقال له تقبض هذا المال وتدفع لكل رجل منهم صرة أما مالك بن أنس ان أخذها فبسبيله

وان ردها فلاجناح عليه فيما فعل وان أخذها بن أبى ذؤيب فاتنى برأسه وان ردها عليك فبسبيله لاجناح عليه وان يكن ابن سمعان ردها فاتنى برأسه وان أخذها فهى عافيته . فنهض بها الى القوم فاما ابن سمعان فاخذها فسلم وأما ابن ابى ذؤيب فردها فسلم وأما أنا فكنت والله محتاجا اليها فاخذتها . ثم رحل ابو جعفر متوجها الى العراق

﴿كتاب عبيدالله العمرى الى ابى جعفر﴾

وذكروا ان أبا جعفر لما قفل من حجه سنة ثمان واربعين ومائة سال عن عبيدالله بن عمر بن حفص بن عبدالله بن عمر بن الخطاب وهو الفقيه المعروف بالعمرى فقيل له انه لم يحج العام ياأمير المؤمنين ولو حج لكان اول داخل عليك فلاتقبل عليه احداً يا أمير المؤمنين ولا يقدح فيه عندك الاباطل اوكذاب فانه من علمت . فقال ابو جعفر والله ماتخلف عن الحج فى عامه هذا الا علمامنه بانى حاج فلذلك تخلف ولا والله مازاده ذلك عندى الاشرفا ورفعة وانى من التوقير به والاجلال له بحال لا احال احداً من الناس بذلك لشرفه فى قريش وعظم منزلته من هذا الامر والموضع الذى جعله الله فيه والمكان الذى انزله به . فلماقدم أبو جعفر بغداد ورد عليه كتاب عبيد الله العمرى . فيه بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله ابى جعفر أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام الله عليك ورحمة الله التى اتسعت فوسعت من شاء . أما بعد فانى عهدتك وامر نفسك لك مهم وقد اصبحت وقد وليت أمر هذه الامة أحمرها وأسودها وأبيضها وشريفها ووضيعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف أنت عند الله ياأبا جعفر ، وانى أحذرك يوما تفنى فيه الوجوه والقلوب وتنقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته واذلهم بسلطانه والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه . وانا كنا نتحدث ان أمر هذه الامة سيرجع فى آخر زمانها أن يكون اخوان العلانية أعداء السريرة وانى اعوذ بالله أن تنزل كتابى سوء المنزل انما كتبت به نصيحة والسلام .

﴿ فأجابه ابو جعفر المنصور ﴾

من عبد الله بن محمد أمير المؤمنين الى عبيد الله بن عمر بن حفص سلام عليك اما بعد فإنك كتبت الي تذكر انك عهدتني وأمر نفسي اليّ مهم فاصبحت وقد وليت أمر هذه الامة بأسرها وكتبت تذكر انه بلغك ان أمر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية اعداء السريرة ولست ان شاء الله من أولئك وليس هذا زمان ذلك انما ذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة تكون رغبة بعض الناس الى بعض لصلاح دنياهم أحب اليهم من صلاح دينهم وكتبت تحذرني ماحذرت به الامم من قبلي وقدما كان يقال اختلاف الليل والنهار يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتي يصير الناس الى منازلهم من الجنة والنار . وكتبت تعوذ بالله ان نعرل كتابك سوء المنزل وانك انما كتبت به نصيحة . فصدقت وبررت فلا تدع الكتب الي فانه لاغنى بي عن ذلك والسلام

﴿ اجتماع ابى جعفر مع عبد الله بن مرزوق ﴾

وذكروا ان ابا جعفر المنصور امير المؤمنين لما حج ودخل بالطواف بالبيت الحرام أمر بالناس فنحوا عن البيت ثم طاف اسبوعه فوثب اليه عبد الله بن مرزوق . وقال . من جرأك على هذا فلببه برداته وهزه وقال له . من جعلك أحق بهذا البيت من الناس تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه . فنظر ابو جعفر في وجهه فعرفه فقال عبدالله بن مرزوق ؟ قال نعم . فقال من جرأك على هذا ومن اقدمك عليه فقال عبد الله بن مرزوق . وما تصنع بي بيدك ضرا او نفع . والله ما اخاف ضرك ولا ارجو نفعك حتي يكون الله عز وجل ياذن لك فيه ويلهمك الى فعله . فقال له أبو جعفر انك احللت بنفسك واهلكتها فقال عبد الله بن مرزوق . اللهم ان كان بيد أبي جعفر ضري فلا تدع من الضرشيئاً الا انزلته علي وان كان بيده منفعتي فاقطع عني كل منفعة منه؛ أنت يارب بيدك كل شيء وأنت مليك كل شيء . فامر به أبو جعفر فحمل الى بغداد فسجنه بها وكان يسجنه بالنهار ويبعث اليه بالليل يبيت عنده ويسامره يلبث نهاره بالسجن اجمع ثم يسامره بالليل ليظهر للناس انه سجن

من اعترض عليه لئلا يجترىء الجاهل فيقول قد وسع عفو أمير المؤمنين فلاناً فلا يسعني . فكان دأبه هذا معه زمنا طويلا حتى نسي أمره وانقطع خبره ثم خلى سبيله فلحق بمكة فلم يزل بها حتى مات ابو جعفر وولى ابنه المهدى فلما حج المهدى فعل مثل ذلك ففعل به عبد الله بن مرزوق مثل ذلك أيضاً فاراد قتله فقيل له : يا أمير المؤمنين انه قد فعل هذا بابيك فكان من صنيعه ان حمله الى بغداد فسجنه بالنهار وسامره بالليل وانت احق من أخذ بهديه واحتذى على مثاله وورث اكرومانه ، فحمله المهدى معه فمات ببغداد رحمه الله

﴿ ذكر ما نال مالك بن انس من جعفر بن سليمان ﴾

وذكروا انه هاج بالمدينة هيج فى ابتداء ايام ابى جعفر فبعث اليها ابو جعفر ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس ليسكن هيجها وفتنها ويجدد بيعة اهلها فقدمها وهو يتوقد ناراً على اهل الخلاف لهم فاظهر الغلظة والشدة وسطا بكل من ألحد فى سلطانهم واشار الى المنازعة لهم واخذ الناس بالبيعة وكان مالك بن انس رحمه الله لم يزل صغيراً وكبيراً محسداً وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه فى علمه او عمله او فهمه او ورعه فكيف بمن جمع الله ذلك فيه ولم يزل منذ نشا كذلك قد منحه الله تعالى العلم والعمل والفهم واللب والنبل ووصل له ذلك بالدين والفضل عرف منه ذلك صغيراً ، وظهر فيه كبيراً واستلب الرئاسة ممن كان قد سبقه اليها بظهور نعمة الله عليه وسموها به على كل سام فاستدعى ذلك منهم الحسد له والجأهم ذلك الى البغى عليه ، فدسوا الى جعفر بن سليمان من قال له ان مالكا يفتى الناس بان ايمان البيعة لا تحل ولا تلزمهم لمخالفتك واستكراهك اياهم عليها وزعموا انه يفتى بذلك أهل المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه . فعظم ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف ان ينحل عليه ما أبرم من بيعة أهل المدينة وهم ان يبدر فيه بما عافاه الله منه وانعم على المسلمين ببقائه فقيل له : لا تبدر فيه ببادرة فانه من اكرم الناس على امير المؤمنين وآثرهم عنده ولا بأس عليك منه فلا

تحدث شيئاً الا بامر أمير المؤمنين أو يستحق ذلك عندنا بامر لا يخفى على
أهل المدينة فدس اليه جعفر بن سليمان بعض من لم يكن مالك يخشى ان
يؤتى من قبله ولا من منه يؤتى الحذر فساله عن الايمان فى البيعة فافتاه مالك
بذلك طمانينة اليه وحسنه فيه . فلم يشعر مالك الا ورسول جعفر بن سليمان
فيه فاتوا به اليه منتهك الحرمة مذال الهيبة فامر به فضرب سبعين سوطا فلما
سكن الهيج بالمدينة وتمت له البيعة بلغ بمالك ألم الضرب حتي اضجعه .

﴿ انكار ابى جعفر المنصور لضرب مالك ﴾

وذكروا انه لما بلغ ابا جعفر ضرب مالك بن انس وما انزل به جعفر بن
سليمان اعظم ذلك اعظاما شديداً وانكره ولم يرضه وكتب بعزل جعفر بن
سليمان عن المدينة وأمر أن يؤتى به الى بغداد على قتب . وولى على المدينة
رجلا من قريش من بنى مخزوم وكان يوصف بدين وعقل وحزم وذكاء
وذلك فى شهر رمضان من سنة احدى وستين ومائة . وكتب ابو جعفر الى
مالك بن انس ليستقدمه الى نفسه ببغداد فابى مالك وكتب الى ابى جعفر
يستعفيه من ذلك و يعتذر له ببعض العذر اليه . فكتب أبو جعفر اليه ان
وافنى بالموسم العام القابل ان شاء الله فانى خارج الى الموسم

﴿ دخول مالك على ابى جعفر بمنى ﴾

وذكروا ان مالكا حج سنة ثلاث وستين ومائة ثم وافى ابا جعفر بمنى
ايام منى فذكروا ان مطرفا اخبرهم وكان من كبار أصحاب مالك قال : قال لى
مالك لما صرت بمنى اتيت السرادقات فاذنت بنفسى فاذن لى ثم خرج الى
الاذن من عنده فادخلنى فقلت للاذن اذا انتهيت بى الى القبة التى يكون فيها
أمير المؤمنين فاعلمنى فمر بى من سرادق الى سرادق ومن قبة الى اخرى فى
كلها أصناف من الرجال بايديهم السيوف المشهورة والاجزرة المرفوعة حتى قال
لى الاذن هو فى تلك القبة ثم تركنى الاذن وتاخر عنى فمشيت حتى انتهيت
الى القبة التى هو فيها فاذا هو قد نزل عن مجلسه الذى يكون فيه الى البساط
الذى دونه واذا هو قد لبس ثياباً قصده لا تشبه ثياب مثله تواضعا لدخولى
عليه وليس معه فى القبة الا قائم على رأسه بسيف صلت . فلما دنوت منه

رحب بى وقرب ثم قال هاهنا الى فاوميت للجلوس فقال هاهنا فلم يزل يدنيني حتى أجلسني ليه ولصقت ركبتى بركبتيه . ثم كان اول ما تكلم به أن قال الله الذى لا اله الا هو يا أبا عبد الله ما امرت بالذى كان ولا علمته قبل أن يكون ولا رضيته اذ بلغنى (يعنى الضرب) قال مالك فحمدت الله تعالى على كل حال وصليت على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نزهته عن الامر بذلك والرضا به . ثم قال يا أبا عبد الله لا يزال اهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم وانى أخالك أمانا لهم من عذاب الله وسطوته ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمه فانهم ما علمت اسرع الناس الى الفتن وأضعفهم عنها قاتلهم الله انى يؤفكون . وقد امرت ان يؤتى بعدو الله من المدينة على قتب وامرت بضيق محلسه والمبالغة فى امتهانه ولا بد ان أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه . فقلت له عافى الله أمير المؤمنين واكرم مثواه قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم منك قال ابو جعفر وأنت فعفى الله عنك ووصلك . قال مالك ثم فاتحنى فيمن مضى من السلف والعلماء فوجدته اعلم الناس بالناس ثم فاتحنى فى العلم والفقه فوجدته اعلم الناس بما اجتمع عليه واعرفهم بما اختلفوا فيه حافظاً لما روى واعياً لما سمع : ثم قال لى : يا ابا عبد الله ضع هذا العلم ودونه ودون منه كتبا وتجنب شدائد عبدالله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسعود واقصد الى اواسط الامور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضى الله عنهم لتحمل الناس ان شاء الله على علمك وكتبك ونبثها فى الامصار ونعهد اليهم ان لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها . فقلت له اصلح الله الامير ان أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون فى علمهم رأينا فقال أبو جعفر يحملون عليه ونضرب عليه هامتهم بالسيف ونقطع طى ظهورهم بالسياط فتعجل بذلك وضعها فسيأتيك محمد بن المهدى العام القابل ان شاء الله . الى المدينة ليسمعها منك فيجدك وقد فرغت من ذلك ان شاء الله قال مالك فبينما نحن قعود اذ طلع له بنى صغير من قبة بظهر القبة التى كنا فيها فلما نظر الى الصبى فزع ثم تقهقر فلم يتقدم فقال له أبو جعفر تقدم يا حبيبى انما هو أبو عبد الله فقيه أهل الحجاز ثم التفت الى فقال يا أبا عبد الله اتدرى

لما فزع الصبي ولم يتقدم فقلت لا فقال والله استنكر قرب مجلسك مني اذ لم ير
به أحداً غيرك قط فلذلك قهقر . قال مالك ثم أمر لى بالف دينار عينا ذهبا
وكسوة عظيمة وأمر لابني بالف دينار ثم استاذنته فاذن لى فقمت فودعني
ودعا لى ثم مشيت مطلقا فلحقني الخصي بالكسوة فوضعها على منكبي وكذلك
يفعلون بمن كسوه وان عظم قدره فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثم
يسلمها الى غلامه ، فلما وضع الخصي الكسوة على منكبي انحنيت عنها
بمنكبي كراهة احتمالها وتبرءاً من ذلك فناداه ابو جعفر بلغها رحل ابى عبدالله

﴿ ماقال ابو جعفر لعبد العزيز بن ابى رواد ﴾

وذكروا ان ابا جعفر لما دخل فى الطواف بالبيت لقى عبد العزيز بن ابى
رواد فى الطواف فقبض على يده ثم قال له اتعرفني قال لا الا ان قبضتك
قبضة جبار فقال له انا ابو جعفر امير المؤمنين فسلنى من حوائجك ما شئت
اقضيها قال اسالك برب هذا البيت ان لاترسل الى بشيء حتى آتيك طوعا فقال
له ابو جعفر ذلك لك فاقبل يمشى بمشيته فى طوافه وكان شيخا كبيراً ضعيفا
فتانف به وثقل عليه كلامه فقال اسالك بحرمة هذا البيت الا تنحيت عنى
فتنحى عنه ابو جعفر وخلى سبيله . وكان عبد العزيز بن ابى رواد هذا لايرفع
راسه الى السماء تخشعا لله فاقام كذلك اربعين سنة

﴿ قدوم المهدى الى المدينة ﴾

وذكروا ان مالك بن انس لما اخذ فى تدوين كتبه ووضع علمه قدم عليه
المهدى بن ابى جعفر فسأله عمن صح من امره به ابو جعفر فاتاه بالكتاب وهى
كتب الموطا فامر المهدى بانتساخها وقرئت على مالك فلما تم قراءتها أمر له باربعة
آلاف دينار ولابنه بالف دينار

﴿ موت ابى جعفر المنصور واستخلاف المهدى ﴾

وذكروا انه لما كانت سنة ست وستين ومائة قدم ابو جعفر مكة فلما قضى
حجه احتضر ثلاثة ايام ثم توفى فى اليوم الرابع وولى ابنه محمد المهدى وكان
معه يومئذ بمكة اخوه جعفر ببغداد وكان قد عهد اليه ابو جعفر فلما قفل المهدى
الى بغداد اتاه رجل فقال له ادرك اخاك جعفر فانه قد هم بمنازعتك وهو يريد

خلعك فاخذ فى السير ومعه الجنود والاموال وصناديد الرجال من العراق ورجال العرب ووجوه قريش . فلما قدم العراق اعتذر اليه جعفر مما رفع اليـه عنه وحلف له انه مانوى ولا اراد منازعته ولا أشار الى خلافه ولا هم به فقبل منه المهدى ذلك وعفى عنه وكان كريما سخياً حلما . فلما كان سـنة سبع وستين ومائة قدم حاجا فدخل المدينة زائراً لقبر النبي صلى الله عليـه وسلم فدخل عليه مالك فحضه على الاحسان الى اهل المدينة وحدثه بفضلها وفضل أهلها و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : امرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب (وهى المدينة) تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد ثم قال يا أمير المؤمنين أفليس هؤلاء اهلا ان يعانوا على الصبر عليها وعلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المهدى بلى والله يا أبا عبد الله حتى لا أجد الامثل هذا ومد يده ليأخذ من الارض شيئاً فلم يجده ثم قال صدقت فيهم وبررت وحضضت على الرشد فانت أهل ان يطاع أمرك و يسمع قولك فأمر له بخمسة أبيات مال والبيت عنـدهم خمسمائة الف وأمر مالـكا ان يختار من تلامذته رجالا يثق بهم و يعتمد عليهم يقسمونها على أهل المدينة و يؤثرون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيت أبى بكر وعمر وعثمان ثم أهل بيوت المهاجرين والانصار ثم الذين اتبعوهم باحسان ففعل فاغنى أهل المدينة عامهم ذلك

﴿ ذكر استخلاف هارون الرشيد ﴾

و ذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة توفى المهدى وذلك انه خرج يوما الى بعض المنازل ومعه اهله و بعض بنيه وكان قد ذكر ان يستخلف ابنه عبد الله بعده ثم غفل عن ذلك وتركه فحمل عبد الله الحرص والطيش الى ان دس على أبيه بعض الجوارى المتمكنات منه بسمه و بذل لها على ذلك الاموال ومناها أمانى الغرور . فلما سمته ووصل اليه السم عرف المهدى انه قد قتل فدعا كاتبه فقال له عجل واكتب عهد هارون الرشيد وخذ بيعة الجند وأمراء الاجناد واكتب بذلك الى ولاة الامصار وكان الرشيد أصغر بنيه وكان ابن أمة لا يطمع فى خلافة ولا يظن بها فادخله على نفسـه وهو يجود بها والرشيد لا يعلم انه مستخلف . فقال له المهـدى : أى بنى والله ما أردت

استخلافك ولا هممت به لحداثة سنك وقد كان قال لى جدك أبو جعفر وأنت يومئذ قد عرفت فى أول رؤية رآك : ان ابنى هذا الاعين سيلى هذا الامر ويسير فيه سيرة صالحة فقلت يا أبت أتظن ذلك قال ماهو بالظن ولكنه اليقين ويكون ملكا بضعا وعشرين سنة وتقتله الحمى الربع فاندفع الرشيد باكيا فقال له مايبكيك يافتى : قال : يا أبت انك والله نعيت لى نفسى وعرفتنى متى أموت ومما أموت قال هو ذاك فشمر واجتهد وجد وخذ بالحزم والكرم ودع الاحن وانظر أخاك عبد الله فلا يناله منك مكروه فقد عفوت عنه فقال الرشيد يا أبت وتعفو عنه وقد أتى ما ذكرت وصنع ماوصفت فقال يابنى وما على ان أعفو عمن اكرمنى الله على يديه وارجو ان يغفر لى بصنيعته بى ان شاء الله عليك يابنى بتقوى الله العظيم وطاعته فاتخذها بضاعة ياتيك الربح من غير تجارة . اوصيك باخوتك خيرا وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل حسناتهم وتجوز عن سيآتهم واغفر زلاتهم وأوصيك باهل الحرمين خيراً فقد علمت من هم وابناء من هم أجزل لهم العطاء وأحسن لهم الجزاء يكافئك الله فى الآخرة والاولى . . ثم توفى المهدى من يومه ذاك واستخلف الرشيد وخرج الى الناس يبايعهم بوجه طلق ولسان سلط فبايعوه ببغداد وذلك يوم الخميس من المحرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وتمت له البيعة يوم الجمعة فى المسجد الجامع فلم يختلف عليه أحد ولا كره خلافته مخلوق فاحسن السيرة واحكم أهل الرعية وكان أوحد اهل بيته ولم يشبهه أحد من الخلفاء من أهله رحمه الله

﴿ قدوم هارون الرشيد المدينة ﴾

وذكروا انه لما كانت سنة أربع وسبعين ومائة خرج هارون حاجا الى مكة فقدم المدينة زائراً قبر النبي عليه السلام فبعث الى مالك بن انس فاتاه فسمع منه كتاب الموطأ وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن ولم يختلف منهم أحد الا وحضر الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطاه الذى وضع وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد . فلما تم قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق : هل أنكرتم شيئا من هذا العلم ؟ قالوا ما أنكرنا شيئا

الا ما ذكر من أمر الدماء والتدمية فى القتل فان هذا من أنكر ما يكون من العلم وابطله . يقول الرجل قتلنى فلان فيقبل منه و يحلف أولياؤه على القاتل خمسين يمينا ثم يقتــل ولعل أولياءه لم يحضروا ولم يكونوا بمصره فيعرض بهم الحنث فى الايمان فيقبل قول رجل على غيره وهو لا يقبــل فى ربع دانق يدعيه الا ببينة تقوم ان هذا لهو الضلال . وقد قال صلى الله عليــه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه ابن عباس حيث قال : لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء قوم واموالهم ولـكن البينة على المدعى واليمين على من انكر. قال الرشيد و يحكم ان فى كتاب الله ما يصدق ذلك ولا احال أباعبدالله أخذه الا من كتاب الله فستثبتوه فارسل اليه فاقبل فقال هارون يا أبا عبد الله ان أصحابنا هؤلاء لم يختلف منهم اثنان فى الانكار عليك فيما وضعت فى موطئك من التدمية وتصديق قول من ادعى وأنت وهم تزعمون بطل دعوى من ادعى على رجل دانقا الا ببينة تقوم له فاخبر القوم واوضح لهم حجتك فى ذلك وانا معك عليهم فانى لا اعلم بعد أمير المؤمنين احدا اعــلم منك . فقال مالك يا امير المؤمنين ان مما يصدق القسامة ما فى كتاب الله من القتل والاخذ بالدم الذى كان فى بنى اسرائيل قال الله عز وجــل « اضربوه ببعضهــا » فذبحت البقرة ثم ضربوه بعضو من اعضائها فحيي القتيل ثم تــكلم فقال فلان قتلنى فقتله موسى بن عمران عليه السلام بقوله ذلك وهو حكم التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا فالذين اسلموا محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وقد حكم بالتوراة رسول الله فى المرجوم اليهودى الذى زنا فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر انس بن مالك رضى الله عنــه ان يهوديا لقى جارية من جوارى الانصار فى بعض انقاب المدينة وعليها اوضاح من ذهب وورق فاخــذ الاوضاح منها وشدخ راسها بين حجرين فأدركت الجارية وبها رمق فاتهم بها اليهود فاتى بهم فعرضوا عليها رجلا رجلا وهى لا تتــكلم حتى اتى بصاحبها الذى قتلها فعرفته فقيل لها هذا الذى قتلك فاومات براسها ان نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدخ راســه بين حجرين فهذا يا امير المؤمنين حكم الدماء والقسامة فيها سنة قائمة من رسول الله صــلى الله

عليه وسلم والخلفاء . فمنعوا منه بذلك وصاروا الى الرضاء بقوله والتصديق لروايته والتسليم لتاويل ما تاول من القرآن الكريم . ثم قال له مالك ان أباك ياأمير المؤمنين بعث الى فى هذا المجلس كما بعثت الى وحدثته بما حدثتك به فى شأن أهل المدينة وما يصيرون عليه من الغلاء وشدة الزمان وغلاء الاسعار صبراً على ذلك واختياراً لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هارون : دلك أبى وأنا ابنه وسوف أفعل مفعله وأمر لاهل المدينة بعشرة أبيات مال تمعنى ماأمر لهم المهدى . وكان ابو يوسف القاضى مع الرشيد يومئذ فسأله أن يجمع بينه وبين مالك ليكلمه فى العلم فقال الرشيد سأكلمه يأبا عبدالله فأنف من ذلك مالك وتنزه عنه وقال لهرون هاهنا من فتيان قريش من تلامذتنا من يبلغ حاجة أمير المؤمنين ويخصمه فيما يتكلم به ويذهب اليه فسر ذلك الرشيد حين أضاف ذلك الى قريش فقال من هو فقال المغيرة بن عبد الرحمن المخزومى وبعث اليه الرشيد فقال له كلمه بمذاهب الحجاز فقال أبو يوسف القاضى ياأمير المؤمنين ان هؤلاء يعنى مالك وأصحابه يقضون بغير ما فى كتاب الله يقول الله عز وجل « وأشهدوا ذوى عدل منكم » وقال « وأشهدوا شهيدين من رجالكم » وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد ولا نسمع ان الله تعالى ذكر الاشاهدين وأربعة شهداء ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى به وانما يدور هذا الحديث الذى روى فيه سهيل عن أبى صالح عن أبيه ثم نسيه سهيل فكان يحدث ويقول حدثنى ربيعة عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد فلما نسيه سهيل بطل الخبر واثبت أصله فلامعنى لذكره فقال المغيرة قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى به على بالكوفة ، فقال ابو يوسف : أنا أكلمك بالقرآن وأنت تكلمنى بأفعال الناس أتراك تعرفنى بهذا وبما قضى به على وغيره فقال المغيرة فأنت كافر بنبي قضى باليمين مع الشاهد او مؤمن به فسكت أبو يوسف فحجه المغيرة فسر بذلك الرشيد وأمر للمغيرة بالف دينار . ثم أرسل الرشيد الى مالك فقال ماتقول فى هذا المنبر فانى أريد ان أنزع مازاد فيه معاوية بن أبى سفيان وارده الى الثلاث درجات التي كانت بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك لاتفعل ياأمير المؤمنين

فانما هو من عود ضعيف قد تخرمته المسامير فان نقضته تفكك وذهب أكثره ومع هذا ياأمير المؤمنين لو أعدته الى ثلاث درجات لم آمن عليه ان ينتقل عن المدينة يأتى بعدك أحد فيقول أو يقال له ينبغى لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون معك حيث كنت فانما المنبر للخليفة فينتقل كما انتقل من المدينة كلما كان بها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأعلم انه ترك له عليه الصلاة والسلام بها لا نعل ولا شعر ولا فراش ولا عصاة ولا قدح ولا شيء مما كان له هاهنا من آثاره الا وقد انتقل . فأطاعه الرشيد وانتهى عن ذلك برأى مالك بن أنس وكان ذلك رحمة من الله لاهل المدينة وتثبيتاً لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم

﴿ مسير الرشيد الى فضيل بن عياض ﴾

وذكروا ان الرشيد كان كثيراً ما يتأتم فيحضر مجالس العلماء بالعراق وهو لا يعرف . وكان قد قسم الايام والليالى على سبع ليالى : فليلة للوزراء يذاكرهم أمور الناس ويشاورهم فى المهم وليلة للكتاب يحمل عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من أموال المسلمين ويرتب لهم ماظهر من صلاح أمور المسلمين وليلة للقواد وأمراء الاجناد يذاكرهم أمر الامصار ويسألهم عن الاخبار ويوقفهم على ما يبين له من صلاح الكور وسد الثغور وليلة للعلماء والفقهاء يذاكرهم العلم ويدارسهم الفقه وكان من أعلمهم . وليلة للقراء والعباد يتصفح وجوههم ويتعظ برؤيتهم ويستمع لمواعظهم ويرقق قلبه بكلامهم وليلة لنسائه وأهله ولذاته يتلذذ بدنياه ويانس بنسائه . وليلة يخلو فيها بنفسه لا يعلم أحد قرب أو بعد مايصنع ولا يشك أحد انه يخلو فيها بربه يساله خلاص نفسه وفكاك رقه . فبينما هو يوما فى مجلس محمد بن السماك وقد قصد لرؤيته يسمع لموعظته ولا يعلم أحد بمكانه فسمع بعض أهل المجلس يذكر الفضل بن عياض ويصف فضله وعبادته وعلمه وورعه فاشتهى النظر اليه وتاقت نفسه الى رؤيته ومحادثته فتوجه من العراق الى الحجاز قاصداً اليه ومعه عبدالله بن المبارك فقيه أهل بغداد وعالمهم وكان الفضل بن عياض يسكن العراق فلما قربا من موضعه قال عبدالله ابن المبارك يا أمير المؤمنين ان الفضل ان عرفك وعرف مكانك لم يأذن لك عليه

ويسفر عنك فقال هارون تستأذن أنت عليه ونخفي مكاني عنه حتى يأذن بالدخول . فاستأذن عليه ابن المبارك قال الفضل من بالباب قال ابن المبارك قال مرحباً يا أخي وصاحبي فقال ابن المبارك ومن معي يدخل فقال الفضل ومن معك قال رجل من قريش فقال الفضل لا اذن لا حاجة لي برؤية أحد من قريش فقال له ابن المبارك انه من العلم والعناية والفقه فيه بمكان فقال له الفضل أوما علمت ان ابليس أفقه الناس فقال له ابن المبارك انه سيد قريش في زمانه هذا وفوقهم وانما عن انه فوقهم في الدنيا وسيدهم فقال له الفضل فان كان كما تقول فليدخل فدخل الرشيد فسلم عليه ثم جلس بين يديه فتحدثوا ساعة فقال له ابن المبارك يا أبا الحسن تدري من هذا قال لا ادري فقال له هذا هارون ابن محمد الرشيد أمير المؤمنين فنظر اليه الفضل بن عياض ساعة ثم قال هذا الوجه الجميل يسأل غداً عن هذه الأمة ويؤاخذ بها ان كان العفو والغفران يسعك مع ما أنت فيه ان هذا لهو الفضل المبين . وكان الرشيد من أجمل الناس خلقاً واحسنهم نطقاً وأبلغهم لساناً وأعذبهم كلاماً واكثرهم علماً وفهماً . ثم جعل الفضل بن عياض يعظه ويخوفه حتى بكى هارون بكاء شديداً . قال ابن المبارك ما رايت احداً يبكي بكاء الرشيد يومئذ ثم افاق من بكائه فجعل الفضل يذكر مثالبه ومثالب اهل بيته ورداءة سيرتهم وخلافهم الحق ثم لم يدع شيئاً يعيبه به ولا امرا ينتقمه فيه الا واستقبله به فقال له الرشيد يا أبا الحسن امالك ذنوب تخاف ان تهلك بها ان لم يغفرها الله لك فقال الفضل بلى فقال الرشيد فما جعلك باحق ان ترجو المغفرة مني وأنا على دين يتقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيآت ومع ذلك فاني والله ما كنت لاخير بين شيء وبين الله الا اخترت الله تعالى على ما سواه الله الشاهد على قولي والمطلع على نيتي وضميري وكفى به شهيداً . وأنا مع هذا ألي من الاصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا تليه انت فما جعلك احق ان ترجو المغفرة مني فسكت الفضل ساعة ثم قال ما ظلمك من حجك ثم قام هارون للخروج فقال الفضل يا أمير المؤمنين اني اخشى ان يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد اجل انه ما قلت فلما قدم الرشيد العراق كان اول ما ابتدأ فيه النظر ان كتب الى الامصار

كلها والى امراء الاجناد اما بعد فانظروا من الزم الاذان عندكم فاكتبوه فى الف من العطاء ومن جمع القرآن واقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الادب فاكتبوه فى الفى دينار من العطاء ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه فى العلم واستبحر فاكتبوه فى اربعة آلاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم فاسمعوا قولهم وأطيعوا أمرهم فان الله تعالى يقول « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » وهم اهل العلم . قال ابن المبارك فما رأيت عالما ولا قارئا للقرآن ولا سابقا للخيرات ولا حافظاً للمحرمات فى ايام بعد ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وايام الخلفاء والصحابة أكثر منهم فى زمن الرشيد وايامه لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين ولقد كان الغلام يستبحر فى الفقه والعلم ويروى الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن احدى عشرة سنة

﴿ ذكر الحائك المتطفل ﴾

وذكروا ان الرشيد لما انصرف من الحجاز وصار بالرقة قال لوزيره عمرو ابن مسعدة مازلت تكلمنى وتستلطفنى فى الرجحى حتى وليته الاهواز فقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا درهما فاخرج اليه من ساعتك هذه حتى تحل ساحته ثم لاتدع له حرمة الا انتهكتها ولا اكرومة الا اهنتها ثم لاتسمع له حجة يرفعها ولا تقبل منه كلمة ينهيها ، ان اعتذر فلا تقبل له عذراً ، وان قال فلا تقبل له قولا فشر قائل واكذب متظلم فقلت فى نفسى ابعد الوزارة اصير مستحثاً على عامل خراج ولكن لم اجد بداً من طاعة أمير المؤمنين اذ كانت ولايته بسببى فقلت أخرج ياامير المؤمنين قال فاحلف انك لا تلبث فى بغداد الا يوما فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد ثم خرجت فلما صرت بين دير هرقل وبين دير العاقول اذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب الى الشط فقال ياسيدى هذا رجل شحاذ وان قعد معك آذاك فلم يلتفت اليه وامرت الغلمان فادخلوه فقعد فلما حضر الغداء دعوته فكان يأكل اكل جائع بنهامة الا انه نظيف الاكل فلما رفع الطعام اردت ان يقوم ويغسل يديه فى ناحية فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يفعل فتشاغلت عنه ليقوم ثم قلت له ياهذا ماصناعتك قال لى

حائك فقلت في نفسي هذه شر من الاولى ماألوم غير نفسي اذلم اقبل ممن نصحني وصرت اواكل الحوكة فقلت توضا يا أخي فتوضأ ثم قال لي جعلت فداك قد سالتني عن صناعتي فما صناعتك أنت فقلت في نفسي هذه شر من الاولى وكرهت ان اذكر الوزارة وقلت اقتصر على الكتابة فقلت له كاتب فقال ان الكتابة على خمسة اصناف كاتب رسائل يحتاج ان يعرف الفصل من الوصل والصدور ورقيق الكلام والتهاني والتعازي والترهيب والترغيب والمقصور والممدود وجملا من العربية وكاتب جند يحتاج الى ان يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس ونعوتهم وكاتب قاضي يحتاج ان يكون عالما بالشروط والاحكام عارفا بالناسخ والمنسوخ من القرآن والحلال من الحرام والفروع والمواريث وكاتب شرعة يحتاج ان يكون عالما بالجروح والقصاص والديات فيها في أحكام الدماء عارفا بدعوى التعدي وكاتب خراج يحتاج ان يعرف الزرع والمساحة وضروب الحساب فايهم أنت اعزك الله ؟ قلت : فوالله ماقضى كلامه حتى صار أعظم الناس في نفسي وأحبهم الي وصار كلامه عندي أشهى من الماء البارد اعذب على الظمآن . فقلت له أصلحك الله تقدم الي وادن مني أكلمك واقعدك المقعد الذي يقعده مثلك فلولا ان من البر يكون عقوقا لاقعدتك مقعدي هذا : قال : مقعدي الذي انا به أولى بي فقلت أمتع الله بك انا كاتب رسائل قال فاخبرني لو كان لك صديق تكتب اليه في المحبوب والمكروه وجميع الاسباب فتزوجت أمه كيف كنت تكتب اليه تهنئه أم تعزيه ؟ قلت . والله ما أدري كيف الوجه في هذا وهو بالتعزية أولى منه بالتهنئة قال صدقت كيف كنت تعزيه فقلت والله ما اقف على ماتقول قال : فلست بكاتب رسائل فايهم أنت ؟ قلت كاتب خراج قال فما تقول أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك فاردت أن تنظر في أمرهم وتنصفهم اذا كنت تحب العدل وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لاحدهم براح فاردت مساحته كيف كنت تمسحه قلت اضرب العطوف في العمود وانظر الى مقدار ذلك قال اذاً تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدته قال اذاً تظلم السلطان قلت والله ما أدري قال لست بكاتب خراج فايهم أنت قلت كاتب جند قال فما تقول في

رجلين اسم كل واحد منهما أحمد احدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى كيف كنت تنعتهما وتحليهما فقلت . كنت أكتب احمد الاعلم واحمد الاعلم قال فكيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق ذاك الف درهم فيقبض هذا عطاء ذاك وذاك عطاء هذا فتظلم صاحب الالف . قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب جند فايهم أنت قلت كاتب قاضي قال فما تقول فى رجل خلف سرية وزوجة وكان للزوجة بنت وللسرية ابن فلما كان تلك الليلة التى مات الرجل اخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعتا فيه فقالت هذه ابنى وقالت هذه ابنى كيف كنت تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي ؟ فقلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب قاضي فايهم أنت فقلت كاتب شرطة قال فما تقول فى رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة كيف كنت تقتى بينهما فقلت ما أعلم قال فلست بكاتب شرطـة . فقلت : أصلحك الله قد سالت فقسر لى ماذكرت : فقال : اما الذى تزوجت امه فتكتب اليه : اما بعد فان احكام الله تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله لك فى قبضها اليه فان القبر اكرم لها والسلام . واما البراح فتضرب واحداً وثلثاً فى مساحة العطوف فمن ثم بابه . واما احمد واحمد فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا احمد الاعلم والمقطوع الشفة السفلى احمد الاشرم ، واما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه فايهما كان اخف فهى صاحبة البنت . واما صاحب الشجة فان فى الموضحة خمساً من الابل وفى المأمومة ثلاثا وثلاثين وثلثا فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثاً . فقلت أصلحك الله فما أتى بك هاهنا قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فالقيته معزولا فقطع بى فانا خارج اضطرب فى المعاش . قلت الست قد ذكرت انك حائك ؟ فقال : جعلت فداك انما احوك الكلام ولست بحائك الثياب . قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وادخل الحمام وطرحت عليه من ثيابى فلما صرت الى الاهواز كلمت فيه الرجحى فاعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى فلما صرت الى امير المؤمنين القيته قد توقد على ناراً وامتلا غيظاً وقد حلف بالمشى الى الكعبة ان ينالنى منه يوم سوء لطول مقامى واشتغالى عنه بالرجل فلما دخلت

عليه قال ما كان من خبرك فى طريقك وما الذى شغلك بعد امرى لك ان لا تلبث ببغداد الا يوما واحداً و يمينك على ذلك ؟ فاخبرته خبرى حتى حدثته بحديث الرجل وقصتى معه قال لقد جئتنى باعظم الفوائد فلاى شيء يصلح ويحك قلت هو والله يا امير المؤمنين أعلم الناس بالفقه والعلم والحلال والحرام والهندسة والفلسفة والحساب والكتابة . فولاه هارون البناء والمرمة والمهم من الامور وأولاه على عمال الخراج يتقاضاهم ويحاسبهم فكنت والله القاه فى المواكب العظيمة فينحط عن دابته ساعياً حتى يتبل على يدى يقبلها فاحلف عليه فيقول سبحان الله انا هذه نعمتك و بك نلتها : ويقول :

ولو ان للشكر شخصا يرى * اذا ما تامله الناظر
لمثلته لك حتى ترا * دفتعلم انى امرؤ شاكر

قال عمرو بن مسعدة : ثم قال لى هارون ويحك لما ابتدأت على حلفت بالمشى الى الكعبة ان ينالك منى يوم سوء ولا والله ما هذا جزاؤك لدى فما الرأى فقلت يا امير المؤمنين انت اعلى عيناً واولى من بر يمينه فقال والله ما اريد ذلك قلت فليكفر امير المؤمنين يمينه فان النبى عليه السلام قال : من حلف على يمين فراى خيراً منها فليكفر وليأت الذى هو خير . فقال: ويحك ان العلماء لم يروا الكفارة فى هذا وانما تأولوا قوله عليه السلام فى الايمان بالله تعالى وقد اجمعت على المشى والمضى الى الكعبة راجلا فقلت انى لك بذلك وكيف تصل راجلا قال لابد من ذلك فقال عمرو يا امير المؤمنين فامهل عامك هذا وتأن حتى اسهل لك طريقاً واجدد لك مراحل واوقت لك مواقيت يسهل عليك ذلك ان شاء الله قال ذلك لك . فامر عمرو بالانهار ففرجت عن مسيلها وبالاكام والجبال فسويت و بالخنادق والاودية فردمت حتى صار ما بينه و بين مكة كالراحة الموزونة وصارت الانهار والاودية تسايره على طريقه ثم صنع له مراحل قد حدد له عند كل مرحلة حداً وابتنى فى كل مرحلة داراً وكانت المرحلة بريداً قدرها اثناعشر ميلا ثم امر بالمراحل ففرشت بالبسط الرهاوية ونصب له جداراً بالستور وسمكها باكسية الخز الرفيع الملون وقد ضرب عند كل فرسخ قبة مزوقة قد اقام فيها الفرش الممهدة

وقد احاط بها الظلال الممددة بالرواقات الكثيفة فيها انواع الطعام والشراب والوان الفواكه . فلما تم صنعه ذلك وابرم امره قال يا امير المؤمنين قد تم ما اردته وكمل ما حاولته فانهض على اسم الله العظيم . وكانت زبيدة زوجته التى قد اغرته عليه وحملته على انمين لمعاقبته فخرج الرشيد ماشيا ومعه دابته وزبيدة فكانت المرحلة نفرش والستور تنصب والسمك ترفع فيمشي ثلاثة اميال ثم ينزل فى قبة امامها رواق فينال راحته و يصيب ماشتهى من لذة فى مأكل ومشرب ثم ينهض ثلاثه أخرى فينزل على مثل ذلك فاذا استكمل مشي اربع فراسخ نزل فى قصر قد شيد له ودار قد بيت فيها حمام طيب ينال فيها راحته مع أهله و يصيب لذه مما شاء وكيف شاء ثم يكثر فيه يوماً ثم يخرج فى اليوم الثانى الى مثل ذلك قد شايعه فى طريقه الوزراء والقواد وامراء الاجناد والعلماء والفقهاء والجنود والعساكر قد صاروا منه بمعزل يحاذونه فى طريقه اذا نزل فى الرواق صار الخصيان حوله بحيث يسمعون كلامه ولا يرون شخصه فلا يشتهى شيئاً من معرفة أخبار الامصار والبلدان الا وخط فيه كتابا يأمر فيه بايصاله لحيث شاء من الاماكن مسيرة الايام والليالى فيأتيه الجواب من يومه على النجائب من مسيرة ثمانية ايام و يأتيه الجواب من يومه من مسيرة شهر ونحوه على اجنحة الحمام ، يعلق الكتاب فى جناحه فيرتفع فى الجو ارتفاعا يغيب شخصه عن من فى الارض و ينقض على وطنه وموضع فراخه فاذا نزل لا يستقر نزوله حتي يؤخذ الكتاب من جناحه فيجاوب بما أحب ثم يسرح غيره فيرتفع فى الجو حتي يوازى وطنه وموضعه من بعد تلك الاماكن التى عليها طرق أمير المؤمنين فيؤخذ الجواب منه وقد صار الموكلون بذلك لا يهتمون بغير ما قلدوا ولا يتشاغلون بغير ما حملوا فلم يزل كذلك ماشيا حتى وصل الى مكة فى ثلاثة اشهر فقضى حجه وشهد مناسكه ومشاعره ثم انصرف قافلا الى بغداد وذلك فى آخر شهر ذى الحجه من سنة ثمانين ومائة . فلما هم بالانصراف وذكر القفول الى العراق رفع اليه اهل مكة كتابا يسالونه فيه ان يولى عليهم قاضيا عدلا فادخلهم على نفسه فقال ان شئتم فاختاروا منكم رجلا صالحا أوليه قضاءكم وان أحببتم بعثت اليكم من العراق رجلا لا ألوكم فيه

الا خيراً فخرجوا فاختاروا رجلا فاختلفوا فيه فاختارت طائفة منهم رجلا واختارت أخرى رجلا آخر فلما اختلفوا ارتفعوا الى الرشيد يذكرون اختلافهم فقال لهم هارون ادخلوا على هذين الرجلين اللذين اختلفتم فيهما فاذا برجلين أحدهما شيخ من قريش والاخر غلام حدث من الموالى فلما نظر اليهما الرشيد قال للشيخ ادن مني فدنا منه فقال له الرشيد أيها القاضى أن بينى وبين وزيرى هذا خصومة وتنازعا فاقض بيننا بالحق فقال الشيخ . قصا على قصتكما فقصا عليه فقال الشيخ تقيم البينة يا أمير المؤمنين على ما ذكرته أو يحلف وزيرك هذا فقال له هارون ان أخى لا يدافعنى ما أقول ولا ينكر الا قليلا مما ادعى فلم يزالا يترددان القول بينهما ويتنازعان حتى قضى القاضى لامير المؤمنين على الوزير فقال له قم فقام عنه . ثم دعا بالغلام الحدث الذى دعته الطائفة الاخرى فدخل عليه فقال له ادن منى فدنا منه فقال له هارون ان بينى وبين وزيرى تنازعا وخصومة فاسمع منا قولنا ثم اقض بيننا بالحق. قال لهما . ان مقعدكما مختلف ومجلسكما متنائى واخشى اذا اختلف مجلسكما أن يختلف قولكما فاذا تفاضل مجلس الخصوم اختلف بينهما القول وكان صاحب المجلس الارفع الحق بحجته وادحض حجة صاحبه وكان اصغاء الحاكم الى صاحب المجلس الارفع أكثر واليه أميل ولكن تقومان من مجلسكما هذا الذى قد استعليتما فيه فتجلسا بين يدى ثم أسمع منكما قولكما واقضى لمن رأيت الحق له ثم لا أبالى على من دار منكما . فقال الرشيد صدقت وبررت فى قولك فقام الرشيد وقام عمرو بن مسعدة حتى صارا بين يديه جالسين فلما جلسا بين يديه ذهب الرشيد ليتكلم فقال له القاضى لو تركت هذا يتكلم فانه أسن منك فقال الرشيد ان الحق أسن منه فقال القاضى بلى ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحويصة ومحيصة كبر كبر . يريد ليتكلم عمكما لانه أسن منكما وأكبر فتكلم عمرو بن مسعدة ثم تكلم الرشيد وتنازعا الخصومة وترافعا الحجة بينهما حتى رأى القاضى ان الحق لعمرو فقضى له به على الرشيد فلما قضى عليه قال لهما عودا الى مجلسكما فعادا فعجب الرشيد من قضائه وعدله واحتياطه وقلة ميله فالتفت الى عمرو فقال ان هذا

أحق بقضاء القضاة من الذى استفضيناه فقال عمرو بلى والله ولكن القوم أحق بقاضيهم الا ان يأذنوا فيه فدعا الرشيد برجال مكة فادخلهم على نفسه وأجزل لهم العطاء وأحسن على قاضيهم الثناء ثم قال لهم هل لكم ان تأذنوا أوليه قضاء القضاة فيسير الى العراق يقضى بينهم فقالوا نعم ياأمير المؤمنين أنت أحق به نؤثرك على أنفسنا . فارسل اليه الرشيد فقال انى قد وليتك قضاء القضاة فسر الى العراق لتقضى بينهم وتولى القضاة فى البلدان والامصار من تحت يدك وتوليتهم اليك وعزلهم عليك فقال القاضى ان يجبرنى أمير المؤمنين على ذلك فسمعا وطاعة وان يخيرنى فى نفسى اخترت العافية وجوارهذاالبيت الحرام فقال الرشيد ما ينبغى لى ان ادع المسلمين وفيهم مثلك لا أوليه عليهم فخذ على نفسك فانى مصبح على ظهر ان شاء الله . فخرج الرشيد ومعه المكي حتى قدم العراق فولاه القضاء وجعل اليه قضاء القضاة فلم يزل بها قاضياً حتى توفى وذلك بعد ثلاثة أعوام من توليته . فلما توفى اغتم الرشيد وشق عليه فجعل الناس يعزونه فيه علما منهم بما بلغ منه الغم اليه . فسال عن قاض يوليه قاضى القضاة والعراق بعد ذلك فرفعت اليه تسمية عشرة رجال من خيارالناس وعلمائهم وأشرافهم فلما رفعت اليه التسمية أمر بهم فادخلوا عليه رجلا رجلا ليتفرس فيهم من يوليه القضاء فنظر الى رجل منهم توسم فيه الخير والعلم فامر به فتقدم اليه فلما صار بين يديه قال له . ما اسمك ؟ قال معشوق قال فما كنيتك قال . أبو الهوى . قال فما نقش خاتمك قال . دام الحب دام وعلى الله التمام . فقال له قم لاقمت ثم دعا بالآخر وكان قد تفرس فيه ما تفرس فى صاحبه فقال له ما نقش خاتمك فقال « مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين » فقال له اخرج . فدعا الرشيد يحيي بن خالد بن برمك وكان ممن رفع اليه أسماءهم فعنفه بهم وقال رفعت الى أسماء المجانين قال له والله مافى العراقيين أعقل من الرجلين اللذين سالت ولا أفضل منهما فقال ويحك انى اختبرت منهما جنونا قال يحيي انهما والله كانا كارهين لما دعوتهما اليه وانما أرادا التخلص منك قال ويحك أعدهما على فطلبا فلم يوجدا .

﴿ ذكر الاعرابى مع هارون الرشيد ﴾

وذكروا ان اعرابيا قدم على هارون الرشيد مستجديا فاراد الدخول عليه فلم يمكنه ذلك فلما رأى انه لم يؤذن له أتى عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال له توصل كتابى هذا الى امير المؤمنين وكان الرشيد قد عهدالى حاجبه ان لا يحبس عليه كتاب أحد قرب أو بعد فاعطاهالاعرابى كتابا فيه أربعة أسطر . السطر الاول فيه . الضرورةوالامل قادانى اليك . والثانى . العدم يمنع من الصبر . والثالث . الانقلاب عنك بلا فائدة شماتة الاعداء . والرابع . فاما نعم مثمرة وآمالا يائسة مريحة . فلما وصل الكتاب الى الرشيد قال . هذا رجل قد ساقته الحاجة ووصلت اليه الفاقةفليدخل فدخل فقال له الرشيد ارفع حاجتك وحوبجاتك تقض كلها فقال الاعرابى . تأمر لى يا أمير المؤمنين بكلب اصيد به فضحك الرشيد ثم قال له قد أمرنا لك بكلب تصيد به فقال تأمرلى يا أمير المؤمنين بدابة اركبها فقال الرشيد قد أمرنا لك بدابة تركبها فقال تامرلى يا أمير المؤمنين بغلام يخدم الدابة فقال له الرشيد قد امرنا لك بغلام . قال الاعرابى . تامرلى يا أمير المؤمنين بجارية تطبخ لنا الصيد وتطعمنا منه فقال الرشيد قد أمرنا لك بجاريتين جارية تؤنسك وجارية تخدمك فقال الاعرابى لابد لهؤلاء من دار يسكنونها فقال له الرشيد قد أمرنا لك بدار قال الاعرابى يا أمير المؤمنين يصيرون فيها عالة وعلى كلالة لابد لهم من ضيعة تقيمهم فقال له الرشيدقداقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة فقال الاعرابى وما الغامرة يا أمير المؤمنين قال الرشيد غير معمورة تامر بعمارتها فقال الاعرابى انا اقطعتك الف الف جريب من ارض اخوالى بنى اسد بالحجاز تامر بعمارتها فضحك الرشيد وقال قد اقتطعتكها عامرة كلها ثم قال الرشيد تمت حوبجاتك كلها يا اعرابى . فقال نعم وبقيت حاجتى العظمى فقال له الرشيد ارفعها تقض فقال اقبل راسك يا امير المؤمنين فقال له الرشيد هذا لا سبيل اليه فقال الاعرابى اتمنعنى حقا هو لى وتدفعنى عما بذلت لى ياامير المؤمنين فقال الرسيد هذا الامر لا يكون يااعرابى ولا سبيل الى مثل هذا فقال الاعرابى لا بد من انا صل الى حقى

الا ان اغصبه فقال له الرشيد يا اعرابى اشترى منك هذا الحق الذى وجب لك فقال له الاعرابى هذا الحق مما لا يشترى وهل فى الارض من المال ما يكون ثمنا لهذا او عوضا منه لا والذى نفسى بيده ما فى الدنيا صفراء ولا بيضاء يشترى بها هذا فقال الرشيد تبيعه ببعض ما تراه من الثمن فانه لا يكون ولا يتوصل اليه فقال له الاعرابى فاذا قد ابيت فاعطنى مما اعطاك الله فامر له بمائة الف دينار فاتى بها اليه فقال الاعرابى ماهذه فقيل له هذه مائة الف دينار تاخذها فقال الاعرابى هى للغرماء على وهم اولى بها منى. فضحك الرشيد ثم امر له بمائة الف اخرى فقال ما هذه فقيل له مائة الف ثانية والاولى للغرماء وهذه لك فقال الاعرابى هذه لضعفاء اهلى يصلهم بها امير المؤمنين فبما اوسع على نفسى فامر له الرشيد بمائة الف ثالثة فقيل له هذه مائة الف ثالثة توسع بها على نفسك فى معيشتك ارضيت يا اعرابى فقال نعم رضيت فرضى الله عنك يا أميرالمؤمنين وانى فضالة يقرأ السلام عليك ويسألك مائة الف يستعين بها فى نكاحه ويتزين بها فى دنياه وانه قد جمع القرآن وعرف شرائعه واحكامه وعلم ناسخه ومنسوخه وتفنن فى ضروب من العلم وأحكم أنواع الادب وقد جمع الدواوين والكتب وتبحر فى فهم الحديث والاثر، قد أخذ من كل علم اهذبه ومن كل ضرب أمحضه الى لب لبيب وعقل رصين وعلم ثابت ونظر عجيب وفضل ودين يصوم النهار كله ويقوم الليل أكثره وقد صار فى كثير من الاهل والعيال وعدد من البنين والصبيان فقال الرشيد أولست تذكر يا اعرابى انه يريد الاستعانة على النكاح والتوسع فى المعاش ثم اراك تصفه بكثرة العيال وعدد البنين والصبيان فقال الاعرابى يا أمير المؤمنين انه ذو ثلاث نسوة من حرائر النساء وتسعة من سرائر الاماء وهو ذو خمسة من الولد من كل حرة وذو سبع بنات من كل أمة ويبتغى نكاح الرابعة الحرة استتماما لما أمر الله به فى التنزيل المحكم وأباح فى كتابه الناطق بكلامه الصادق فقال الرشيد يا اعرابى لقد سألت كثيراً فهلا سألت مائة الف درهم فيعطاها قال الاعرابى فاعطه يا أمير المؤمنين تسعين الف دينار وأحطط عنك عشرة آلاف دينار فقال الرشيد والله لقد سألت كثيراً وحططت.

قليلا قال الاعرابى انما سألتك يا أمير المؤمنين على قدرك وحططت على قدرى فاختر ما شئت فقال الرشيد يا اعرابى انما تريد مغالبتى لا غلبتنى اليوم فامر له بمائة الف دينار ذهباً فقال له أمير المؤمنين ارضيت يا اعرابى فقال ما بقى لى شىء يا أمير المؤمنين الا الحملان والكسوة وطرائف الكوفة وتحف البصرة وجوائز الضيافة وحقها فقال الرشيد وما يصلح لك من الحملان يا اعرابى . فقال . اقصد ما يكون دابة للجمال وأخرى للحملان وثلاثة للاسترسال ولابنى مثل ذلك ومن الكسوة ما لا بد منه من ثياب المهنة والاستشعار وما لا غنى عنه من الوطاء والدثار مع رائع الثياب التى تكون للجمال والجماعات والاعياد ولابنى وبنى ابنى مثل ذلك . فدعا الرشيد بجعفر بن يحيى وقال ارحنى من هذا وأمر له بما سال من الحملان وما أراد من ثياب المهنة والجمال واغدق عليه من التحف والطرائف ما ترضيه بها واخرجه عنى فخرج جعفر فامر له بما سال واعطاه ما اراد . ثم انصرف الاعرابى راجعا الى الحجاز باموال عظيمة لا يوصف اكثرها ولا يعرف أقلها وكل هذا يقل عند ما عرف من جود الرشيد وسخائه وجزيل عطائه

﴿ قتل جعفر بن يحيى بن برمك ﴾

قال عمرو بن بحر الجاحظ حدثنى سهل بن هارون . قال . والله كان سجاعو الخطب ومحبرو القريض اعيالا على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر ابن يحيى . ولو كان كلام يتصور دراً ويحيله المنطق السرى جوهراً لكان كلامهما والمنتقى من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد فى بديهته وتوقيعاته فى أسافل كتبه عيين ، وجاهلين أميين ولقد عبرت معهم وادركت طبقة المتكلمين فى أيامهم وهم يرون ان البلاغة لم تستكمل الا فيهم ولم تكن متصورة الا عليهم ولا انقادت الا لهم وانهم محض الانام ، ولباب الكرام وملح الايام عتق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق وسهولة لفظ ونزاهة نفس واكتمال خصال حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم والمأثور من خصالهم كثير أيام من سواهم من لدن آدم أبيهم الى نفخ الصور وانبعاث أهل القبور حاشا أنبياء الله المكرمين وأهل وحيه المرسلين لما باهت الا بهم ، ولا عولت

فى الفخر الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم وكريم أعراقهم وسعة آفاقهم ورفق ميثاقهم ومعسول مذاقهم وسنا أشراقهم ونقاوة اعراضهم وطيب أغراضهم واكتمال خلال الخير فيهم الى ملء الارض مثلهم فى جنب محاسن المامون كالنفثة فى البحر ، وكالخردلة فى المهمه القفر . قال سهل انى لبعمل أرزاق العامة بين يدى يحيي بن خالد فى داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقد بها جملا بكفه اذ غشيته سآمة واخذته سنة فغلبته عيناه فقال ويحك ياسهل طرق النوم شفرى عينى وأطلت السنة خواطرى فما ذاك ؟ قلت . طيف كريم ان اقصيته ادركك وان غالبته غلبك وان قربته روحك وان منعته عنتك وان طردته طلبك . فنام أقل من فواق بكية أو نزح ركية ثم انتبه مذعوراً فقال ياسهل لامر كان ذهب والله ملكنا وذل عزنا وانبسطت أيام دولتنا فقلت وما ذاك أصلح الله الوزير . قال كأن منشداً انشدنى .

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فاجبته عن غير روية ولا اجالة فكر .

بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

فو الله ما زلت أعرفها فيه واراها ظاهرة منه الى الثالث من يومه وانى لفى مقعدى ذلك بين يديه اكتب توقيعات فى أسفل كتبه لطلاب الحوائج اليه قد كلفنى اكمال معانيها باقامة الوزن فيها اذ وجدت رجلا ساعيا اليه حتى أوما مكبا عليه فرفع رأسه وقال مهلا ويحك ما أكتتم خيراً ولا أستفز شراً قال له قتل أمير المؤمنين الساعة جعفراً قال أو فعل قال نعم فما زاد ان رمى بالقلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة . قال سهل : فلو انكفأت السماء على الارض ما تبرأ منهم الحميم واستبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم ولا طرف ناظر يشير اليهم . وضم يحيي وبقية ولده والفضل ومحمداً وخالداً بنيه وعبدالملك ويحيي وخالداً بنى جعفر بن يحيي . والعاصى ويزيداً ومعمراً بنى الفضل بن يحيي . ويحيي وجعفراً وزيداً بنى محمد بن يحيي . وابراهيم ومالكا وجعفراً وعمرو بنى خالد بن يحيي ومن لف ابيهم أو هجس بنفسه أمل فيهم . قال سهل

و بعث الى الرشيد فو الله لقد أعجلت عن النظر فدخلت ولبست ثياب احزاني [illegible] رغبتى الى الله الا راحة بالسيف والا نعيت كما نعى جعفر ، فلما [illegible] عليه ومثلت بين يديه عرف الذعر فى تعرض ريقى واتمايد فى طريقى [illegible] الى السيف المشهور ببصرى فقال لى هارون : أيها ياسهل من [illegible] واعتدى وصيتى وجانب موافقتي أعجلته عقوبتى . فو الله ما [illegible] جوابها حتي قال ليفرخ روعك وليسكن جأشك ولتطب نفسك ولتطمئن [illegible] . فان الحاجة اليك قربت منك وابقت عليك بما يبسط منقبض [illegible] معقولك ، فاقتصر على الاشارة قبل اللسان فانه الحاكم الفاصل والحسام الناصل وأشار الى مصرع جعفر : وهو يقول

من لم يؤدبه الجميل * فى عقوبته صلاحه

قال [illegible] فوالله ما أعلمنى انى عييت بجواب احد قط غير جواب الرشيد يومئذ [illegible] فى شكره والثناء عليه الاعلى تقبيل يديه و باطن رجليه . ثم قال لى [illegible] احالتك محل يحيي بن خالد ووهبتك ماضمته ابنيته وحوى سرادقه [illegible] الدواوين واحص جباءه وجباء جعفر لنأمرك بقبضه ان شاء الله . قال [illegible] فكنت كمن نشر عن كفن واخرج من حبس فاحصيت جباءهما فوجد [illegible] عشرين الف الف دينار . ثم قفل الى بغداد راجعا وفرق البرد الى الامصار [illegible] قبض اموالهم وغلاتهم وامر بجيفة جعفر فنصبت مفصلة على ثلاثة جذوع [illegible] في جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط و بعض جسده فى جذع [illegible] آخر الجسر الاول واول الجسر الثانى وباقيه فى جذع على آخر الجسر [illegible] مما يلى بغداد . قال سهل فلما دنونا من بغداد طلع الجسر الذى فيه وجه جعفر . اولا واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس . فوالله لخلتها تطلع من بين [illegible] عن يمينه وعبدالملك بن الفضل عن يساره فلما نظر اليه الرشيد كأنه قنى [illegible] وطلى بنور بشره اربد وجهه واغضى بصره قال عبد الملك بن الفضل لقد [illegible] ذنب لم يسعه عفو امير المؤمنين فقال الرشيد . واغرورقت عيناه حتي لعرفنا الحبشى فى صدره من يرد غير ما ئه يصدر بمثل دائه ، ومن اراد فهم ذنبه يوشك ان يقوم على مثل راحلته . على بالنضاحات قال سهل فنضح عليها

حتى احترقت عن آخرها وهو يقول . اما والله لئن ذهب اثرك لقد بقى خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك . قال سهل وامر بضم اموالهم فوجد من العشرين الف الف التى كانت مبلغ جبايتهم اثنى عشر الف الف مكتوب على بدورها صكوك مختومة تفسيرها رقما جوابها فما كان منها جباء على غريبة او استطراف ملحة تصدق يحيي بها وأثبت ذلك فى ديوانها على تواريخ ايامها وساعات اعطيائها فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة وقبض من سائر اموالهم ثلاثين الف الف وستمائة الف وستين الفاً الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودرورهم ورباعهم ورياشهم والدقيق والجليل من مواهبهم فانه لا يصف اقاه ولا يعرف أكثره الا من احصى الاعمال وعرف منتهى الآجال . وابرزت حرمه الى دار البانوقة ابنة المهدى فوالله ما علمته عاش ولا عشن الا من صدقات من لم يزل متصدقا عليه وصار من موجدة الرشيد فيما لم يعلم من ملك قبله على آخر ملكه . وكانت ام جعفر بن يحيي فاطمة بنت محمد بن الحسن بن قحطبة بن شبيب قد ارضعت الرشيد مع جعفر وكان ربى فى حجرها وغذى برسلها لان امه ماتت عن مهده فكان الرشيد يشاورها مظهراً لاكرامها والتبرك برأيها وكان قد آلى على نفسه وهو فى كفالتها ان لا يحجبها وان لا تستشفعه لاحد الا شفعها وآلت عليه أم جعفر ان لا دخلت عليه الا مأذوناً لها ولا تشفعت لاحد لغرض دنيا ، قال سهل فكم أسير فكت ومبهم عنده فتحت ومنغلق منه فرجت . قال واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار البانوقة ومتت بوسائلها اليه فلم يأذن لها ولا امر بشيء فيها فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية فى مشيتها حتى صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب . فقال . ظئر امير المؤمنين بالباب فى حالة تقلب شماتة الحاسد الى حنين الوالد وشفقة أم الواحد فقال له الرشيد ويحك يا بن الفضل اوساعية فقال نعم أصلح الله امير المؤمنين حافية فقال . ادخلها يا عبد الملك فرب كبد كريم غذتها وكربة كشفتها وفرجة فرجتها وعورة سترتها . قال سهل فوالله ماشككت فى شيء قط ماشككت يومئذ فى طلابها واسعافها بحاجتها . فلما دخلت ونظر اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس فاكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم

اجلسها معه فقالت يا أمير المؤمنين أبعدوا علينا الزمان ويجفون خوفا لك الاعوان ، يحردك بنا البهتان ويوسوس لك بأذانا الشيطان وقدر بيتك واخذت برضاعي لك الامان من دهري ، فقال لها وماذلك يا أم الرشيد ، قال سهل ، فآيسني من رأفته بتركه كنيتها آخراً ما كان اطمعني منه في بره بها اولا . قالت له ظئرك يحيي وابوك بعد ابيك ولا ارشحه باكثر مما عرفه به امير المؤمنين من نصيحته له واشفاقه عليه وتعرضه للتحف في شأن موسى اخيه فقال يا أم الرشيد قدر سبق وقضاء حم وغضب من الله نزل قالت يا أمير المؤمنين يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . فقال الرشيد صدقت فهذا مما لا يمحوه الله فقالت الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا امير المؤمنين . قال سهل فاطرق الرشيد يسيراً ثم قال .

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

فقالت بغير روية ما انا ليحيي بتميمة يا امير المؤمنين وقد قيل .

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخراً يكون كصالح الاعمال

هذا بعد قول الله « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »

فاطرق هارون قليلا ثم قال

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت يا أمير المؤمنين وهو يقول

ستقطع في الدنيا اذا ماقطعتني * يمينك فانظر أي كف تبدل

قال الرشيد رضيت فقالت يا أمير المؤمنين فهبه لله تعالى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك شيئاً لله لم يوجده لله ، فاكب الرشيد مليا ثم رفع رأسه وهو يقول لله الامر من قبل ومن بعد قالت يا أمير المؤمنين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ثم قالت اذكرك يا أمير المؤمنين باليتك ان لا استشفعتك الا شفعتني فقال وانا اذكرك يا أم الرشيد بأليتك ان لا شفعت لاحد تعرض لدنيا ، قال سهل فلما رأته صرح بمنعها ولاذ عن مطلبها اخرجت له حقا من زمردة خضراء فوضعته بين يديه فقال الرشيد ماهذا ففتحت عنه قفلا من ذهب فاخرجت منه حذاءه وحفضه وذؤابته وثناياه وقد غمس ذلك بمسك شير في الحق فقالت يا أمير المؤمنين استشفع اليك واستعين بالله

وبما صارمعى من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيي عبدك وظئرك فاخذ الرشيد جميع ذلك فاشمه ثم استعبر و بكى بكاء شديدا و بكى أهل المجلس ومضى البشير الى يحيي فلم يظن الا ان البكاء رحمة عليه ورجوع الرشيد عنه ولما أفاق من بكاءه رد جميع ذلك فى الحق وقال لها لحسنا ماحفظت الوديعة فقالت فاهل للمكافأة أنت يا امير المؤمنين فسكت وضم الحق ودفعه اليها وقال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها » قالت وقال عز وجل « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » وقال تعالى « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » فقال لها وما ذاك يا أم الرشيد قالت ما أقسمت لى به يا أمير المؤمنين ان لا يحجبك عنى حاجب فقال لها يا أم الرشيد أحب ان تشتريه محكمة فيه فقالت انصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك قال بكم قالت برضاك عن من لم يسخطك قال : يا أم الرشيد أمالى عليك من الحق مثل الذى لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين انك لا عز على وهم أحب الى . قال لها فتحكمى فى ثمنه بغيرهم قالت بلى قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه وقامت عنه فبقى الرشيد مبهوتا ما يحير لفظة قال سهل وخرجت عنه فلم تعد اليه ولا والله ان رأت عينى لعينها عبرة ولا سمعت اذنى لنعيها آنة . قال سهل وكان الامين رضيع يحيي بن جعفر فمت اليه بحيى بن خالد بذلك فوعده استيهاب أمه اياهم ثم شغله اللهو عنهم . فكتب اليه يحيى وقيل انها لسليمان الاعمى أخى مسلم بن الوليد

يا ملاذى وعصمتى وعمادى * ومجيرى من الخطوب الشداد
بك قام الرجاء فى كل قلب * زاد فيه البلاء كل مزاد
انما أنت نعمة أعقبتها * أنعم نفعها لكل العباد
وعدمولاك أن تمنه فابهى الد * ر مازين حسنه بانعقاد
ما أظلت سحائب اليأس الا * خلت فى كشفها عليك اعتمادى
ان تراخت يداك عنى فواقا * أكلتنى الايام أكل الجراد

وبعث بها اليه فبعثها الامين الى أمه زبيدة فاعطتها الرشيد وهو فى موضع لذاته وفى اقبال من أريحيته وتهيأت للاستشفاع وهيات جوار يها ومغنياتها

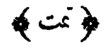
وأمرتهن بالقيام اليه معها فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم ينقض حبوته حتى وقع فى أسفلها : عظيم ذنبك أمات خواطر العفو عنك . ورمى بها الى زبيدة فلما رأت توقيعه علمت انه لا يرجع عنه . قال واعتل يحى فلما أشفى دعا برقعة فكتب فى عنوانها ينفذ أمير المؤمنين الرشيد ابقاه الله عهد مولاه يحى ابن خالد وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم لموضع الفصل وأنت على الاثر والله الحكم العدل . فلما ثقل قال للسجان هذا عهدى توصله الى أمير المؤمنين فانه ولى نعمتى واحق من نفذ وصيتى . فلما مات اوصل السجان عهد يحى الى الرشيد فلما قرأه استمد فكتب ولا أدرى لمن الرقعة . فقلت يا أمير المؤمنين ألا أكتب قال كلا انى أخاف عادة الراحة ان يقوى سلطان العجز فيحكم فى الغفلة ويقضى بالبلادة . قال سهل فوقع فيها : الحكم الذى رضيت به فى الآخرة هو أعدى الخصوم عليك فى الدنيا وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه ثم رمى بالكتاب الى فلما رأيته علمت انه ليحى وان الرشيد أراد أن يؤثر الجواب عنه . قال سهل قلت لبعض من اثق بوفائه واعتقد صدق أخائه من خصيان القصر المتقدمين عند أمير المؤمنين والمتمكنين من كل ما يكون لديه . ما الذى يعنى جعفر بن يحى وذويه عند أمير المؤمنين وما كان من ذنبه الذى لم يسعه عفوه ولا يات عليه رضاه . فقال : لم يكن له جرم ولا لديه ذنب كان والله جعفر على ما عرفته عليه وفهمته عنه من اكمال خصال الخير ونزاهة النفس من كل مكروه ومحذور الا ان القضاء السابق والقدر النافذ لا بد منه كان من أكرم الخلق على أمير المؤمنين وأقربهم منه وكان أعظمهم قدراً وأوجبهم حقاً فلما علم ذلك من حسن رأى أمير المؤمنين فيه وشديد محبته له استاذنته أخته فاخته بنت المهدى شقيقته فى اتحاف جعفر ومهاداته فاذن لها وكانت قد استعدت له بالجوارى الرائعات والقينات الفاتنات فتهدى له كل جمعة بكراً يفتضها الى ما يصنع له من الوان الطعام والشراب والفاكهة وأنواع الكسوة والطيب كل ذلك بمعرفة أمير المؤمنين ورأيه فاستمرت بذلك زمانا ومضت به أعواما فلما كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذى استعدت له ولم يرع جعفر الا بفاختة ابنة المهدى فى القصر كانها جارية

من الجوارى اللاتى كن يهدين له فاصاب منها لذنه وقضى منهاحاجته ولا علم
له بذلك . فلما كان المساء وهم بالانصراف أعلمته بنفسها وعرفته بامرها واطلعته
على شديد هواها وافراط محبتها له فازداد بها كلفاً و بها حبا ثم استعفاها من
المعاودة الى ذالك وانقبض مما كان يناله منهامن جواريها واعتذر بالعلة والمرض
فاعلم جعفر أباه يحى فقال له يابنى اعلم أمير المؤمنين ما كان معجلا والا فائذن
لى فاعلمه فانى أخاف علينا منه يوم سوء ان تاخر هذاو بلغهمن غيرنا واعلامك
له فى هذا الوقت يسقط عنا ذلك الذنب فهى أحق بالعقوبة منك قال جعفر
لا والله لا أعلمته به ابداً فالموت على أيسر منه وارجوان لا يطلعه الله عليه
فقال له يحي لاتظن هذا يخفى عليه فاطعنى اليوم واعلمه فقال جعفر والله لا
أفعل هذا أبداً ولا أتكلم به و بالله استعين فلم يرع الرشيد ان رفعت اليه
جارية من جواريها رقعة واعلمت ذلك فيها فاستحق ذلك عند الرشيد
باستعفاء جعفر لما كان من انحافها واعتذاره بالعلة من غير مرض ينهكه فغفل
عنه الرشيد ولم ير لذلك جفوة ولا زاد له الاكرامة ولا لديه الاحرمة ورفعة
حتى قرب وقت الهلاك ودنى منقلب الحتف والله اعلم

ثم بعون الله تعالى ما به ابتدأنا وكمل وصف ما قصصنا من أيام خلفائنا
وخير أئمتنا وفتن زمانهم وحروب ايامهم وانتهينا الى ايام الرشيد ووقفنا عند
انقضاء دولته اذ لم يكن فى اقتصاص اخبار من بعده ونقل حديث مادار
على ايديهم وكان فى زمانهم كبير منفعة ولا عظيم فائدة وذلك لما انقضى أمرهم
وصار ملكهم الى صبية اغمار غلب عليهم زنادقة العراق فصرفوهم الى كل جنون
وادخلوهم الى الكفر فلم يكن لهم بالعلماء والسنن حاجة واشتغلوا بلهوهم واستغنوا
برأيهم . وكان الرشيد مع عظم ملكه وقدر شأنه معظما للخير واهله محباً لله
تعالى ورسوله ولما دخلت عليه سنة تسعين ومائة اخذته الحمى التى اخبر بها جده
أبو جعفر المنصور وهو فى المهد صغيراً فعرف انه قد دنى اجله وحان هلاكه فاجتمع
اليه أطباء العراق يعالجونه ثم استعان باطباء الروم والهند واستجلبهم من الآفاق
فلم يزالوا يداوونه حتى مضت له ثلاثة أعوام ولا اقلعت عنه ولا يزيده العلاج الا شدة .
فلما دخلت سنة اربع وتسعين ومائة اثرت به وانهكت بدنه واشتد ألمه وتمادى

به وجعه فذكر البيعة لابنه المأمون فلما سمعت بذلك زبيدة وكان ابنها منه محمد الامين هجرته وتغاضت عنه واكربها ذلك وأغمها حتى ظهر ذلك عليها واثر الغم فى وجهها فدخلت عليه تعاتبه فى ذلك اشد المعاتبة وتؤاخذه اعنف المؤاخذة . فقال لها الرشيد : ويحك انما هى امة محمد ورعاية من استرعانى الله تعالى مطوقا بعنقى وقد عرفت مابين ابنى وابنك ليس ابنك يازبيدة اهل للخلافة ولا يصلح للرعاية . قالت ابنى والله خير من ابنك واصلح لما تريد ليس بكبير سفيه ، ولا صغير فهيه ، أسخى من ابنك نفساً واشجع قلبا : فقال هارون : ويحك ان ابنك قد زينه فى عينيك مايزين الولد فى عين الابوين فاتق الله فوالله ان ابنك لاحب الى الا انها الخلافة لا تصلح الا لمن كان لها اهلا وبها مستحقا ونحن مسئولون عن هذا الخلق ومأخوذون بهذا الانام فما اغنانا ان نلقى الله بوزرهم وننقلب اليه باثمهم فاقعدى حتى اعرض عليك مابين ابنى وابنك . فقعدت معه على الفراش فدعا ابنه عبدالله المأمون فلما صار بباب المجلس سلم على ابيه بالخلافة ووقف طويلا وقد طاطا برأسه وأغضى ببصره ينتظر الاذن حتى كادت قدماه ان ترما ثم اذن له بالجلوس فجلس فاستاذن بالكلام فامر له . فتكلم فحمدالله على مامن به عليه من رؤية ابيه ويرغب اليه فى تعجيل الفرج مما به ثم استاذن فى الدنو من ابيه فدنا منه وجعل يلثم اسافل قدميه ويقبل باطن راحتيه ثم انثنى ساعياً الى زبيدة فاقبل على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم انحنى الى قدميها ثم رجع الى مجلسه فحمدالله اليها فيما من به عليها من رضى ابيه عنها وحسن رأيه فيها ويساله تعالى العون لها على بره وأداء المفروض عليها من حقه ويرغب ان يوزعها شكره وحمده : فقال الرشيد : يابنى انى أريد ان أعهد اليك عهد الامامة وأقعدك مقعد الخلافة فانى قد رأيتك لها أهلا وبها حقيقاً فاستعبر عبدالله المامون باكياً وصاح منتحباً يسال الله العافية من ذلك ويرغب اليه ان لا يريه فقد أبيه فقال . له يابنى انى أرانى لما بى وأنت أحق وسلم الامر لله وارض به واساله العون عليه فلابد من عهدى يكون فى يومى هذا . فقال عبدالله المامون . يا أبتاه أخى أحق منى وابن سيدتى ولا اخال الا انه أقوى على هذا الامر منى وأشد استطلاعا عرض الله لك ما فيه الرشاد والخلاص وللعباد الخير والصلاح ثم اذن

له فقام خارجا ثم دعا هارون بابنه محمد فاقبل يجر ذيله و يتبختر فى مشيته فمشى داخلا بنعليه قد أنسى السلام وذهل عن الكلام نخوة وتجبراً وتعظما واعجابا فمشى حتي صار مستويا مع ابيه على الفراش فقال هارون ما تقول أى بنى فانى أريد ان اعهد اليك ؟ فقال يا أمير المؤمنين ومن احق بذلك منى وأنا أسن ولدك وابن قرة عينك فقال هارون اخرج يا بنى ثم قال لزبيدة كيف رأيت ما بين ابنى وابنك ؟ فقالت يا أمير المؤمنين ابنك احق بما تريد وأولى بما لديك فقال هارون فاذا اقررت بالحق وانصفت بما رأيت فانا اعهد الى ابنى ثم الى ابنك بعده .
فكتب عهد عبدالله المامون ثم محمد الامين بعده فلما كان سنة خمس وتسعين ومائة توفى الرشيد رحمه الله وعبدالله المامون خارج عن العراق وكان وجهه ابوه بالجيوش الى بعض الفرس لشىء بلغه عنهم فلظ بمحمد الامين قوم من شرار أهل العراق فقيل له معك الاموال والرجال والقصور فادفع فى نحر اخيك المامون فانك احق بهذا الامر منه واعانته على ذلك امه زبيدة فقدم اخوه عبدالله بغداد ومعه الجيوش قد اخذ بيعتهم فنهض اليه الامين قاصداً ومعه الجيوش فلم يرجع ولم يمانع ولم يختلف عليه احد ثم انه غدر باخيه الامين لما بلغه عنه فنهض المامون الى القصر فدخله فاخذ اخاه وشد وثاقه وحبسه واشار الى امه لما اعانته عليه فهرب محمد من الحبس فبعث المامون فى طلبه فاخذ وقتل والله تعالى اعلم





فهرست

الجزء الاول من كتاب الامامة والسياسة

للامام الفقيه أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوى

فهرست

الجزء الثاني من كتاب الامامة والسياسة

صحيفة

صحيفة